

سلسلة المنويات

مختارات من شعر

حجرات بني النجار

إعداد

السماح عبد الله

الطبعة الأولى
٢٠٠٥
مكتبة



رسمت الأحياء في
رأس الحديث.

أكتوبر عام ١٨٣٩
في البارود.

الدراسة الحرفية
بالعمل في
الاستانة.

حرة وجوده بت
الآداب التركية
والأقن لفتها.

متحقا بالحاشية
في.

أرة المعارف.

الحركة العربية
في ثورة الجيش
قيادة أحمد عرابي

وكت العربية، العهد
بتشكيل الحكومة
ة، وسرعان ما يجبر
مقالته.

عام ١٨٨٢، يقبض
ماء الحركة العربية،
بارودي وتم محاكمتهم،
لبارودي إلى جزيرة
يا.

ن كبير يتكون من
كبيرين، بالإضافة
يدته وكشف الغمة
سيد الأمة.

زات من الشعر العربي
لدين.

جمود سامي البارودي
يسمير ١٩٠٤.



مختارات من شعر

محمود سباعي البارودي

إعداد
السَّامح عَبْدَ اللَّهِ



برعاية السيدة
وزراء مبارك

المشرف العام	الجهات المشاركة:
د. ناصر الأنصارى	جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
	وزارة الثقافة
	وزارة الإعلام
الإشراف الطباعي	وزارة التربية والتعليم
محمود عبد المجيد	وزارة التنمية المحلية
	وزارة الشباب
الإشراف الفني	التنفيذ
صبرى عبد الواحد	الهيئة المصرية العامة للكتاب
ماجدة عبد العليم	

توطئة

تحتفل أوروبا هذا العام بمرور أربعمئة عام على صدور أول طبعة لرواية الكاتب الأسباني «سرفانتس» الخالدة : «دون كيشوت»، والتي تعد من أكثر الكتب توزيعاً ومبيعاً، وترجمةً إلى اللغات الأخرى في العالم. كما تحتفل أوروبا أيضاً بمرور ثلاثة قرون على صدور أول طبعة فرنسية لترجمة «ألف ليلة وليلة» من العربية إلى الفرنسية عام ١٧٠٥، وهي أول طبعة لألف ليلة وليلة في العالم، حتى قبل أن تطبع باللغة العربية، وكانت الترجمة إلى الفرنسية عن مخطوط عري.

كما تحتفل الدانمارك بمرور مائتي عام على مولد كاتب الأطفال الأشهر «أندرسون»، وتحتفل ألمانيا أيضاً هذا العام بشاعرها المسرحي الكبير «شيللر» الذي يمر مائتا عام على رحيله عام ١٨٠٥. أما الأدب الروسي فيحتفل هذا العام بمرور مائة عام على رحيل أوسع الكتاب الروس شهرة، وهو «أنطون تشيخوف».

وقد رأت مكتبة الأسرة - وهي تجدد نفسها هذا العام - أن تضيف سلسلة جديدة ضمن سلاسلها، وأطلقنا عليها سلسلة «المثويات». وبحيثا فوجدنا مثويات أخرى منها: مثوية ميلاد الفنان التشكيلي الأسباني «سلفادور دالي»، ومثوية رحيل الكاتب الفرنسي، صاحب العشرين ألف فرسخ تحت الماء: «جول فيرن»، ومثوية ميلاد الفيلسوف الفرنسي «جان بول سارتر».

وفى مصر وجدنا الذكرى المئوية لعالم الأزهر الأشهر فى القرن التاسع عشر، صاحب النظريات الإصلاحية، والأفكار المستنيرة الإمام «محمد عبده»، والذكرى المئوية الأولى لرحيل الشاعر «محمود سامى البارودى»، رب السيف والقلم، والذكرى المئوية الثانية لتولية محمد على ولاية مصر، وهى الولاية التى اتسمت بنهضة شاملة بعد ثلاثة قرون من السُّبُتات العميق إبان الحكم العثمانى.

ومن مئويات الأشخاص إلى مئويات الأماكن نجد مئوية ضاحية مصر الجديدة، وذكرى مرور مائة عام على تأسيس النادى الأهلى المصرى.

والكتاب الذى بين أيدينا الآن هو كتاب مختارات من شعر البارودى، الرائد التأسيسى، الذى حمل على عاتقه مهمة إحياء الشعر العربى، بعد قرون من السُّبُتات، تفككت فيها أوصالُ القصيدة، وصارت مجرد زركشات شكلانية بلاروح، وهو الدور الريادى الذى سيمهد الطريق ليسير فيه شعراء الصحوة الذين سرعان ما تعاقبوا واحداً وراء الآخر، وكلهم يدين بالفضل للبارودى ويعرف له حقه.

وقد أعد هذه المختارات الشاعر «السماح عبد الله»، وتصدرها مكتبة الأسرة هذا العام فى طبعة أولى.

د . ناصر الأنصارى

تصدير

محمود سامى باشا البارودى

(١٨٣٩ - ١٩٠٤)

مائة عام على الرحيل

نظر حواليه، فوجد الشعراء يعبثون. لا قضية حقيقية تشغلهم؛ رغم ما تذخر به المنطقة من أحداث جسام فى هذه الفترة.

ولا شعراً حقيقياً تقدمه قصائدهم، اللهم إلا معماراً هندسياً هشاً، وإن كان منمقاً وموزوناً ذا ألفاظ فخيمة رنانة - وإن كانت صحيحة لغوياً - وحساً بارداً وإن كان فى هيئة الشعر.

وهكذا، تماماً كطبيعة الرواد، قرر محمود باشا سامى البارودى أن يشق طريق البداية، ليعبد الدرب أمام الشعراء الذين سيجيئون بعده؛ لذا عاد إلى شعر العصر العباسى ليقيم هذه الموازنة الفنية الهائلة، والمزاوجة بين العصر العباسى وعصره.

كتب البارودى قصيدة تأسيسية، ستكون مع التراكم والاستمرارية، المناخ الرحب الذى سيحيا فيه مستقبلاً جيل التأسيس، إسماعيل صبرى، وأحمد شوقى ورفاقهما الأوائل.

ولد محمود سامى البارودى عام ١٨٣٩، لأبوين چركسيين، والتحق بالمدرسة الحربية فى الثانية عشرة من عمره وتخرج فيها برتبة «باشجاولش».

عندما تولى إسماعيل باشا عرش مصر، رقاہ فى رتبته العسكرية، وجعله على قيادة فرقتين من الفرسان، وهكذا تعددت رحلات البارودى العسكرية لتركيا وفرنسا وإنجلترا، وفى الأربعين من عمره عين مديراً للشرقية، فمديراً للأوقاف، ثم ناظرًا (وزيرًا) للحربية.

انضم البارودى للحركة القومية، المتمثلة فى الحركة العربية، وعندما تخفق الحركة، يحاكم زعماءها، وينفون «ومعهم البارودى» إلى سيلان لأكثر من سبعة عشر عامًا. وفى عام ١٩٠٠، يصدر عباس حلمى - والى البلاد - أمرًا بالعفو عن البارودى، فيعود على ظهر سفينة إلى مصر.

ويظل البارودى فى مصر: سنوات قليلة لا تعد على أصابع اليد الواحدة، حتى تفيض روحه، لكنه يموت سعيدًا؛ لأنه مات على أرض مصر. ويموت سعيدًا لأنه أدى دوره الوطنى. كما يتبغى للقارس النبيل، ويموت سعيدًا؛ لأنه فتح الباب لأجيال شعرية كثيرة، ستأتى بعده، عارفة فضله، ومقدرة دوره التأسيسى الإحيائى الذى هو فى الأساس، دور حدائى بالدرجة الأولى.

البارودى، هو الذى فتح الباب، وأشار للطريق.

ومكتبة الأسرة، بمناسبة مئوية رحيله، تقدم هذه المختارات، التى اعتمدنا فيها على ديوان البارودى الكامل، الصادر عام ١٩٩٢، فى جزعين بلغا ١٥١٢ صفحة من القطع الكبير، وقد حقق الجزء الأول من الديوان وصححه وضبطه وشرحه على الجارم ومحمد شفيق معروف، وقدمه الدكتور جابر عصفور، هذا إلى جانب (تقديم ديوان البارودى) الذى كتبه محمد حسين هيكى فى طبعته الأولى، أما الجزء الثانى من الديوان، والذى يضم قافية اللام والميم والنون والهاء والواو والياء، فقد انفراد بتحقيقه وتصحيحه وضبطه وشرحه محمد شفيق معروف وحده.

مكتبة الأسرة



محمود سامر البارودي

القصيدة الأولى كشف الأمة في مدح سيد الأمة

حَمْدُ اللَّهِ لِذَاتِهِ آيَةُ الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ
وَأَلِهِ مَحَجَّةُ الْخَلَاصِ^(١) (وَيَعُدُّ) فَهَذِهِ قَصِيدَةٌ ضَمَّتْهَا^(٢) سِيرَةُ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جِوَارِ مَوْلِدِهِ الْكَرِيمِ إِلَى يَوْمِ انْتِقَالِهِ إِلَى
جِوَارِ رَبِّهِ ، وَقَدْ بَنَيْتُهَا عَلَى سِيرَةِ ابْنِ هِشَامِ^(٣) وَسَمَّيْتُهَا (كَشَفُ
الْغُمَةِ ، فِي مَدْحِ سَيِّدِ الْأُمَّةِ) وَرَغَبْتِي^(٤) إِلَى اللَّهِ أَنْ تَكُونَ لِي
ذَرِيعَةً^(٥) أَمْتُ^(٦) بِهَا يَوْمَ الْمَعَادِ ، وَسَلِّمًا إِلَى النِّجَاةِ مِنْ هَوْلِ
الْمَحْشَرِ ، اللَّهُمَّ فَحَقِّقْ رَغْبَتِي إِلَيْكَ ، وَاكْسُهَا بِفَضْلِكَ رَوْنَقَ
الْقَبُولِ ، آمِينَ .

(١) طريق النجاة .

(٢) أودعت فيها .

(٣) اسم كتاب لأبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري البصري الأصل المشهور بحمل
العلم المتروفي . يعبر سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ - جمع فيه ما لخصه وهذبه من مغازي
رئيس أهل هذا الفن الإمام محمد بن اسحق المتوفي سنة ١٥١ هـ .

(٤) تضرعي وابتهالي .

(٥) وسيلة .

(٦) أتوسل .

يَا رَائِدَ الْبَرْقِ يَمِّمْ دَارَةَ الْعَلَمِ وَأَخِذْ الْغَمَامَ إِلَى حَيِّ بَذِي سَلَمٍ ^(١)
وَأَنْ مَرَزْتَ عَلَى الرُّوحَاءِ فَاثْمِرْ لَهَا أَخْلَافَ سَارِيَةٍ هَتَانِةَ الدُّيَمِ ^(٢)
مِنْ الْغَزَارِ الْوَلَاتِي فِي حَوَالِيهَا رِي النَّوَاهِلِ مِنْ زَرْعٍ وَمِنْ نَعَمٍ ^(٣)
إِذَا اسْتَهَلَّتْ بِأَرْضٍ نَعِمْتَ يَدُهَا بُرْدًا مِنَ النُّورِ يَكْسُو عَارِي الْأَكَمِ ^(٤)
تَرَى النَّبَاتَ بِهَا خَضِرًا سَابِلُهُ يَخْتَالُ فِي حُلَّةٍ مُوْثِيَّةٍ الْعَلَمِ ^(٥)
أَدْعُو إِلَى الدَّارِ بِالسُّقْيَا وَيِي ظَمًا أَحَقُّ بِالرِّيِّ لِكِنِّي أَخُو كَرَمٍ
مَنَازِلُ لِهَوَاهَا بَيْنَ جَانِحَتِي وَدِيعةٌ سِرُّهَا لَمْ يَتَّصِلْ بِفَيْمِي ^(٦)
إِذَا تَنَسَّمْتُ مِنْهَا نَفْحَةً لِعِبَتْ يِي الصَّبَابَةِ لُغْبَ الرِّيحِ بِالْعَلَمِ ^(٧)
أَجِرْ عَلَى السُّمُحِ ذِكْرَاهَا فَلِنْ لَهَا فِي الْقَلْبِ مَنَزِلَةٌ مَرْعِيَّةُ السُّلَمِ

(١) يا رائد البرق: الرائد الرسول الذي يتقدم القوم ليلتمس لهم مكاناً خصباً ينزلون فيه وقد أراد به الناظم (رحمه الله) الريح التي تتقدم الغيث. يم: اقصد. الدارة: ما أحاط بالشيء. العلم: اسم جبل بالحجاز. أحد الغمام: أي سقه بالغيث. ذو سلم: موضع بالحجاز.

(٢) الروحاء: موضع بين مكة والمدينة. فامر لها: أي فاستدر لأجلها. الأخلاف: الصروع. سارية الخ: أي سحابة كثيرة الأمطار.

(٣) الغزار: السحاب الكثيرة الغيث. الحوالب: منابع الماء. النواهل: العطاش.

(٤) غنمت: نقشت وزينت. النور: الزهر. الأكَم: التلول.

(٥) يَخْتَالُ: يتبختر ويتباهى. الموشية: المحسنة والمزينة. العلم: رقم الثوب في أطرافه.

(٦) الجانحة: واحدة الجوانح وهي الأضلاع مما يلي الصدر.

(٧) تنسمت: تشممت ووجدت. العلم: اللواء.

عَهْدُ تَوَلَّى وَأَبْقَى فِي الْفُؤَادِ لَهُ
 إِذَا تَذَكَّرْتُهُ لَأَحْتَ مَخَائِلُهُ
 فَمَا عَلَى الدُّهْرِ لَوَزَعْتُ شَمَائِلُهُ
 تَكَاءُ دَتْنِي خُطُوبُ لَوَزَمَتْ بِهَا
 فِي بَلَدَةٍ مِثْلَ جَوْفِ الْعَيْرِ لَسْتُ أَرَى
 لَا أَسْتَقِرُّ بِهَا إِلَّا عَلَى قَلْبِي
 إِذَا تَلَقَّيْتُ حَوْلِي لَمْ أَجِدْ أَتْرَأُ
 فَمَنْ يَرُدُّ عَلَى نَفْسِي لُبَانَتَهَا
 لَيْتَ الْقَطَا جِئَ سَارَتْ غُلُوءُهُ حَمَلَتْ

شَوْقًا يُقْلُ شَبَابَ الرَّأْيِ وَالْهَمِّ (١)
 لِلْعَيْنِ حَتَّى كُنَّانِي مِنْهُ فِي حُلْمٍ (٢)
 فَعَادَ بِالْوَصْلِ أَوْ أَلْقَى يَدَ السَّلَمِ (٣)
 مَنَاقِبَ الْأَرْضِ لَمْ تَثْبُتْ عَلَى قَدَمٍ (٤)
 فِيهَا سَوَى أُمِّ تَحْنُو عَلَى صَنْمٍ (٥)
 وَلَا أَلْدُ بِهَا إِلَّا عَلَى أَلَمٍ
 إِلَّا خَيَالِي وَلَمْ أَسْمَعْ بِسَوَى كَلِمِي
 أَوْ مَنْ يُجِيرُ فُؤَادِي مِنْ يَدِ السَّقَمِ (٦)
 غَنِي رَسَائِلَ أَشْوَاقِي إِلَى إِضْمٍ (٧)

(١) يقل : يثلم ويكسر . الشبابة : الحد .

(٢) المخائل : جمع خيالة وهي التي تتشبه لك من الصور في اليقظة . الحلم : النوم .

(٣) السلم : الإستسلام والإنقياد .

(٤) تكاءدتني : شقت علي .

(٥) البلدة : الأرض وأراد بها جزيرة «سيلان» ومعظم أهلها بوذية .. مثل جوف العير «الحمار» : أي خالية من أسرته وأحبابه كخلو جوف العير من السكان وهو واد منسوب إلى حمار بن مويلع (بالتصغير) رجل من بقايا عاد أشرك بالله فأرسل عليه صاعقة فأحرقتة وجوفه .

(٦) اللبانة : الحاجة وأراد بها عودته إلى وطنه المحبوب «مصر» ليتمتع بأسرته وأحبابه وقد نال بغيته فعاد إليه في ٦ جمادى الأولى سنة ١٣١٧ هـ .

(٧) القطا : طائر في حجم الحمام يذهب لطلب الماء من مسيرة ليلة فيرده ضحوة ثم يعود فلا يخطئ موضعه . إضم : اسم الوادي الذي فيه المدينة النبوية، حل ساكنها أفضل صلاة وأعظم محبة .

رُتْ عَلَيْنَا جَمَاصاً وَهِيَ قَارِيَةٌ
تُذْرِكُ الْعَيْنُ مِنْهَا حِينَ تَلْمَحُهَا
لَأَنَّهَا أَحْرَفُ بَرْقِيَّةٌ نَبَضَتْ
شَيْءٌ يَسْبِقُهَا إِلَّا إِذَا اعْتَقَلَتْ
مُحَمَّدٌ خَاتَمَ الرُّسُلِ الَّذِي خَضَعَتْ
نَجِيرُوحِي وَنَجْنَى حِكْمَةٍ وَنَذَى
لِذَلِكَ أَلْبَغَ السُّوْحَى عَنْهُ قَبْلَ بَعْثِهِ
لِذَلِكَ دَعَا إِبْرَاهِيمَ خَالِقَهُ
كُرِّمَ بِهِ وَبَاءَ مُحْجَلَةٌ

مَرَّ الْعَوَاصِفُ لَا تَلْوِي عَلَى إِرَمٍ (١)
إِلَّا مَثَالاً كَلَمَعَ الْبَرْقِي فِي الظُّلَمِ
بِالسُّلُوكِ فَانْتَشَرَتْ فِي السُّهْلِ وَالْعَلَمِ (٢)
بَنَاتِي فِي مَدِيحِ الْمُصْطَفَى قَلْبِي (٣)
لَهُ الْبَرْيَةُ مِنْ عَرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
سَمَاحَةٍ وَقَرَى عَافٍ وَرِيٍّ ظَمِ (٤)
مَسَامِيعَ الرُّسُلِ قَوْلًا غَيْرَ مُتَكَبِّرِ
وَسِرُّمَا قَالَهُ عَيْسَى مِنَ الْقَدَمِ (٥)
جَاءَتْ بِهِ غُرَّةٌ فِي الْأَعْصَرِ الدُّهْمِ (٦)

- (١) الخياص: الجلياع. القارية: الطالبة للياه. تلوى: تعطف. والإرم: حجارة تنصب على بالمغازة.
- (٢) برقية: نسبة إلى الموصل البرقي المعروف «بالتلغراف». نبضت: تحركت. العلم: الجبل.
- (٣) اعتقلت: حبست. البنانة: الإصبع أو طرفه.
- (٤) سمير وحي: أي مسامر قرآن. مجنى حكمة: أي مكان أخذ فهم حقائق القرآن وإصابة الحق بالعلم والعقل. ندى سباحة: أي سخاء ناشئ عن سهولة في الإعطاء مع طيب نفس. قرى عاف: أي ضيافة ضيف.
- (٥) فذاك الخ: يشير إلى قوله تعالى «وينا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم» سر ما قاله الخ: يومىء إلى قوله جل ذكره «ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد».
- (٦) الدهم: السود.

قَدْ كَانَ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ مُدْخَرًا
نُورٌ تَنْقَلُ فِي الْأَكْوَانِ سَاطِعُهُ
حَتَّى اسْتَقَرَّ بِعَبْدِ اللَّهِ فَأَنْبَلَجَتْ
وَاخْتَارَ أَمَةً الْعَذْرَاءَ صَاحِبَةً
بِلَاهُمَا فِي الْعِلَاقَةِ لِصَاحِبِهِ
فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ فِي بَيْتٍ مَكْرُمَةٍ
«وَجِينَمَا» حَمَلَتْ بِالْمُضْطَلَفَى وَضَعَتْ
وَلَاخَ مِنْ جِسْمِهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا
«وَمُذْ» أَنَّى الْوَضْعُ وَهُوَ الرَّفْعُ مَنْزِلَةٌ
ضَاءَتْ بِهِ غُرَّةُ الْإِثْنَيْنِ وَأَبْتَسَمَتْ
لِدَعْوَةٍ كَانَ فِيهَا صَاحِبُ الْعِلْمِ (١)
تَنْقَلُ الْبَلَدُ مِنْ صُلْبٍ إِلَى رَحِمٍ (٢)
أَنْوَارُ غُرَّتِهِ كَالْبَلَدِ فِي الْبَهْمِ (٣)
لِفَضْلِهَا بَيْنَ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ (٤)
وَالْكُفَى فِي الْمَجْدِ لَا يُسْتَامُ بِالْقِيمِ (٥)
شَيْدَتْ دَعَائِمُهُ فِي مَنْصِبٍ سَنِمِ (٦)
يَدُ الْمَشِيئَةِ عَنْهَا كَلْفَةُ الْوَحْمِ (٧)
فُصُورُ بَصْرَى بِأَرْضِ الشَّامِ مِنْ أُمِّ (٨)
جَاءَتْ بِرُوحٍ بِنُورِ اللَّهِ مُتَبَسِّمِ (٩)
عَنْ حُسْنِهِ فِي رَيْعِ رَوْضَةِ الْحَرَمِ (١٠)

- (١) ملكوت الله: أي علمه القديم. صاحب العلم: أي الرئيس المقدم.
- (٢) الصلب: ظهر الرجل. الرحم: مقر الجنين.
- (٣) انبلجت: أشرقت وأضاءت. الغرة: الجبهة. البهم: الليلي التي لا ضوء فيها.
- (٤) العذراء: البكر. الصاحبة: الزوجة.
- (٥) يستام: يقوم ويقدر.
- (٦) شيدت: رفعت. الدعائم: العمد. المنصب: المحتد والأصل. السنم: المرتفع.
- (٧) روي عن السيدة أمنة رضي الله عنها أنها قالت ما وجدت لحملتي ثقلًا ولا وحمًا.
- (٨) بصرى: من أعمال دمشق وهي المعروفة بحوران. الأمم: القرب.
- (٩) أنى: حان.
- (١٠) غرة الإثنتين أي أوله ١٢ ربيع الأول من عام الفيل على المشهور. روضة الحرم: أراد بها مكة.

وَأَرْضَعْتُهُ وَلَمْ تَيَأْسْ حَلِيمَةً مِنْ
فَقَاضٍ بِالسَّرِّ ثُدْيَاهَا وَقَدْ غَنِيَتْ
وَأَنْهَلَ بَعْدَ انْقِطَاعِ رِسْلُ شَارِفِهَا
فَبِمَمَّتْ أَهْلَهَا مَمْلُوءَةً فَرَحاً
وَقَلَصَ الْجَدْبُ عَنْهَا فَهِيَ طَاعِمَةٌ
وَكَيْفَ تَمَحَّلُ أَرْضُ حَلٍّ سَاحَتِهَا
فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهَا يَنْمُو وَتَكْلُوهُ
حَتَّى إِذَا تَمَّ مِيقَاتُ الرِّضَاعِ لَوْ
وَجَاءَ كَالْفُضْنِ مَجْدُولاً تَرِفٌ عَلَى
قَدْ تَمَّ عَقْلاً وَمَا تَمَّتْ رِضَاعَتُهُ

قَوْلُ الْمَرَاغِبِ إِنَّ الْبُؤْسَ فِي الْيَتَمِ (١)
لَيْسَالِيَا وَهِيَ لَمْ تَطْعَمْ وَلَمْ تَنْمِ (٢)
حَتَّى غَدَتْ مِنْ رَفِيهِ الْعَيْشِ فِي طَعْمِ (٣)
بِمَا أُتِيحَ لَهَا مِنْ أَوْفَرِ النُّعْمِ (٤)
مِنْ خَيْرِ مَا رَفَدَتْهَا ثَلَّةُ الْغَنَمِ (٥)
مُحَمَّدٌ وَهُوَ غَيْثُ الْجُودِ وَالْكَرَمِ (٦)
رِعَايَةُ اللَّهِ مِنْ سُوءٍ وَمِنْ وَصَمِ (٧)
حَوْلَيْنِ أَصْبَحَ ذَا أَيْدٍ عَلَى الْفُطَمِ (٨)
جَبِينِهِ لَمَحَاتُ الْمَجْدِ وَالْفُطَمِ (٨)
وَقَاضٍ جِلْماً وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَى الْحُلَمِ

(١) البؤس: الفقر. اليتم: فقدان الأب.

(٢) الدر: اللبن. غنيت: أقامت.

(٣) رسل شارفها: أي لبن ناقتها المسنة. الرفيه: الرغد اللين.

(٤) أتىح: قدر وهي.

(٥) قلص: ذهب بسرعة. الجدب: المحل «نقيض الخصب» وفدت: أعطت. الثلة: الجماعة.

(٦) ينمو: يزيد، كان عليه السلام يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر وفي الشهر شبابيه في السنة. تكلوه: تحفظه وتحرسه. الوصم: المرض.

(٧) الأيد: القوة. الفطم: جمع فطيم بمعنى مفلط.

(٨) مجدولاً: أي محكم الحلقة. ترف: تتلألا وتظهر. لمحات الخ: أي علامات المروءة والمعرفة.

فَيَنْتَمَا هُوَ يَرْغَى الْبَهْم طَاف بِهِ
فَأَضْجَعَاهُ وَنَقَا صَنْدَهُ بِيَدِ
وَيَعْنَدَمَا قَضَيْنَا مِنْ قَلْبِهِ وَطَرَأَ
مَا عَالَجَا قَلْبَهُ إِلَّا لِيَخْلُصَ مِنْ
فَيَا لَهَا نِعْمَةً لِّلَّهِ خَصَّ بِهَا
«وَقَالَ» عَنْهُ بِحَيْرَا جِئْنَا أَبْصَرَهُ
إِذْ ظَلَّلْتُهُ الْغَمَامُ الْغَرُ وَأَنْهَضَرَتْ
بِأَنَّهُ خَاتَمُ الرُّسُلِ الْكِرَامِ وَمَنْ
«هَذَا» وَكَمْ آيَةٍ سَارَتْ لَهُ فَمَحَتْ
مَا مَرُّ يَوْمٍ لَهُ إِلَّا وَقَلْنَاهُ
حَتَّى اسْتَسَمَّ وَلَا نُقْصَانٌ يَلْحَقُهُ

شَخْصَانِ مِنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ ذِي الْعِظَمِ (١)
رَفِيقَةٍ لَمْ يَبْتَ مِنْهَا عَلَى أَلَمٍ
تَوَلَّيَا غَسْلَهُ بِالسُّلْسُلِ الشَّبَمِ (٢)
شَوْبِ الْهُوَى وَيَعِي قُدْسِيَّةِ الْحَكَمِ (٣)
حَبِيبَهُ وَهُوَ يَفْقُلْ غَيْرُ مُحْتَلِمٍ
بِأَرْضٍ بَصْرَى مَقَالاً غَيْرُ مُتَّهِمِ (٤)
عَطْفًا عَلَيْهِ فُرُوعُ الضَّالِّ وَالسَّلَمِ (٥)
بِهِ تَزُولُ صُرُوفُ الْبُؤْسِ وَالنَّقَمِ
بُسُورَهَا ظُلُمَةُ الْأَهْوَالِ وَالْقَحَمِ (٦)
صَنَائِعًا لَمْ تَزَلْ فِي الدَّهْرِ كَالْعَلَمِ
خَمْسًا وَعِشْرِينَ مِنْ الْبَارِعِ الْفَهَمِ (٧)

(١) البهم: صغار أولاد الغنم والمعز.

(٢) وطرا: أي حاجة وهي علفة سوداء كما في بعض الروايات. السلسل الشبم: الماء العذب البارد.

(٣) الشوب: الخلط. الهوى: محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه. يعي الخ: أي يحفظ ويعقل. الحكم: المطهرة مما يشوبها.

(٤) بحيرا: كان راهباً انتهى إليه علم أهل النصرانية.

(٥) انهضرت: مالت. الضال: نوع من الشجر ومثله السلم.

(٦) القحَم: المهالك.

(٧) البارِع: الفائق في العقل. الفهم: السريع الفهم.

وَلَقَبْتُهُ قُرَيْشُ بِالْأَمِينِ عَلَى
وَدَّتْ خَدِيجَةُ أَنْ يَرَعَى تَجَارَتَهَا
فَشَدَّ عَزَمَتَهَا مِنْهُ بِمُقْتَدِرِ
وَسَارَ مُعْتَزِماً لِلشَّامِ يَصْحَبُهُ
فَمَا أَنَاخَ بِهَا حَتَّى قَضَى وَطْراً
وَكَيْفَ يَخْشُرُ مَنْ لَوْلَاهُ مَا رِيحَتْ
فَقَصَّ مَيْسِرَةَ الْمَأْمُونُ قِصَّتَهُ
وَمَا رَوَاهُ لَهُ كَهْلُ بِصُومَعَةٍ
فِي دُوحَةٍ عَاجٍ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ بِهَا
هَذَا نَبِيٌّ وَلَمْ يَنْزِلْ بِسَاحَتِهَا
وَمَيْسِرَةَ الْمَلَكَيْنِ الْحَاطِمَيْنِ عَلَى

صَلَقِ الْأَمَانَةِ وَالْإِقْفَاءِ بِالسُّلَيْمِ
وَذَا مُنْتَهَى لِيْلِ الْخَيْرِ مُغْتَنِمِ
مَاضِي الْجَنَانِ إِذَا مَا هُمْ لَمْ يَخِمِ (١)
فِي السَّيْرِ مَيْسِرَةُ الْمَرَضِيِّ فِي الْحَشَمِ (٢)
مِنْ كُلِّ مَا رَامَهُ فِي الْيَسْعِ وَالسَّلَمِ (٣)
تَجَارَةُ الدِّينِ فِي سَهْلٍ وَفِي عِلْمِ
عَلَى خَدِيجَةَ سَرْدًا غَيْرَ مُنْعَجِمِ (٤)
مِنْ الرُّهَابِيِّينَ عَنْ أَسْلَافِهِ الْقُدَمِ (٥)
مِنْ قَبْلِ بَعْثِهِ لِلْعَرَبِ وَالْعَجَمِ (٦)
إِلَّا نَبِيٌّ كَرِيمٌ النَّفْسِ وَالشَّيْمِ
جَبِينِهِ لِيُظْلَاهُ مِنْ التُّهَمِ (٧)

-
- (١) الجنان: القلب. ولم يخم: لم ينكص ولم يجبن.
(٢) المعتزم: الماضي في طريقه ميسرة غلام السيلة خديجة رضي الله عنها. المرضي: المختار. الحشم: الخدم.
(٣) أناخ: أقام. السلم: السلف.
(٤) السرد: إجماع سياق الحديث والإتيان به على الولاء. المنعجم: المنبهم.
(٥) وما رواه البخ: بيان للقصة. الصومعة: منار الراهب. الراهبين: جمع رهبان. القدم: المتقدمين.
(٦) الدوحة: الشجرة العظيمة. عاج: أقام.
(٧) التهم: شدة الحر.

فَكَانَ مَا قَصَّهُ أَضَلًّا لِمَا وَصَلَتْ
أَحْسِنَ بِهَا وَضَلَّةً فِي اللُّوْ قَدْ أَخَذَتْ
فَأَصْبَحَا فِي صَفَاءٍ غَيْرِ مُنْقَطِعٍ
وَجِينَمَاءَ أَجْمَعَتْ أَمْرًا قَرِيشَ عَلَى
تَجَمُّعَتْ فِرْقُ الْأَخْلَافِ وَافْتَسَمَتْ
حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْبُنْيَانُ غَايَتَهُ
تَسَابَقُوا طَلَبًا لِلْأَجْرِ وَاخْتَصَمُوا
وَأَقْسَمَ الْقَوْمُ أَنْ لَا صَلَاحَ يَعْصِيهِمْ
وَأَدْخَلُوا جَيْنَ جَدِّ الْأَمْرِ أَيْدِيَهُمْ
فَقَالَ دُورَ رَأْيِهِمْ لَا تَعْجَلُوا وَخَلُّوا
لِيَرْضَ كُلُّ أَمْسَرٍ مِنَّا بِأَوَّلِ مَنْ

بِهِ إِلَى الْخَيْرِ مِنْ قَصْدٍ وَمُعْتَزِمٍ^(١)
بِهَا عَلَى الدُّفْرِ عَقْدًا غَيْرَ مُنْقَصِمٍ
عَلَى الزَّمَانِ وَوَدَّ غَيْرَ مُنْصَرِمٍ
بِنَايَةِ آلِيَّتِ ذِي الْحُجَابِ وَالْخَدَمِ
بِنَاءَهُ عَنْ تَرَاضٍ خَيْرٌ مُفْتَسِمٍ^(٢)
مِنْ مَوْضِعِ الرُّكْنِ بَعْدَ الْكَدِّ وَالْجَشْمِ^(٣)
فِيَمَنْ يَشُدُّ بِنَاءَهُ كُلُّ مُخْتَصِمٍ
مِنْ اقْتِحَامِ الْمَنَايَا أَيْمًا قَسَمٍ
لِلشَّرِّ فِي جَفَنَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِذَمٍّ^(٤)
بِالْحَزْمِ فَهُوَ الَّذِي يَشْفِي مِنَ الْحَزْمِ^(٥)
يَسَاطِي فَيَقْسِطُ فِينَا قِسْطَ مُحْتَكَمٍ^(٦)

- (١) المعتزم : العزم بمعنى المعزم عليه .
(٢) الأخلاف : أي في قريش وهم ست قبائل ، عبد الدار ، وكعب ، وجمح ، وسهم ،
ومخزوم ، وعدي .
(٣) الركن : المراد به الحجر الأسود . الكد : الشدة في العمل . الجشم : المشقة .
(٤) جد الأمر به : اشتد . الجفنة : كالقصة .
(٥) ذورأيهم : أي صاحب تدبيرهم والنظر في أمورهم وهو أبو أمية حذيفة بن المغيرة
وكان أسنهم . الحزم : ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثقة . الحزم : كالمقصص في
الصدر .
(٦) يقسط الخ : أي يعدل بيننا في الحكم عدلاً مثل عدل من يقبل التحكيم .

فَكَانَ أَوَّلُ آتٍ بَعَلَّمَا اتَّفَقُوا
فَقَالَ كُلُّ رَضِينَا بِالْأَمِينِ عَلَى
فَاعْلَمُوهُ بِمَا قَدْ كَانَ وَأَحْتَكُمُوا
فَمَدُّ ثَوْباً وَحَطَّ الرُّكْنُ فِي وَسْطِ
فَنَالَ كُلُّ أَمْرٍ حَقّاً بِمَا حَمَلَتْ
حَتَّى إِذَا اقْتَرَبُوا تَلَقَّاهُ مَوْضِعِهِ
مَدَّ الرَّسُولُ يَدَهُ مِنْهُ مُبَارَكَةً
فَلَبَّزَ الرُّكْنَ يَهْأُ حَيْثُ نَالَ بِهِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ يَدُهُ مَسْتُهُ جِئْنَ بَنَى
بِأَلَيْتِي وَالْأَمَانِي رُبَّمَا صَدَقَتْ
يَا حَبِذَا صِبْغَةً مِنْ حُسْنِهِ أَخَذَتْ

مُحَمَّدٌ وَهُوَ فِي الْخَيْرَاتِ ذُو قَدَمٍ (١)
عِلْمٌ فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ عَادِلٍ حَكَمٍ
إِلَيْهِ فِي حَلِّ هَذَا الْمُشْكِلِ الْعَمَمِ (٢)
بِنُهُ وَقَالَ أَرْفَعُوهُ جَانِبَ الرُّضَمِ (٣)
يَدَاهُ مِنْهُ وَلَمْ يَغِيبْ عَلَى الْقِسَمِ
مِنْ جَانِبِ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ وَالِدَعَمِ
بَنَتْهُ فِي صَدَفٍ مِنْ بَادِخٍ سَنِيمِ (٤)
فَخَرَأَ أَقَامَ لَهُ الدُّنْيَا عَلَى قَدَمِ
مَا كَانَ أَصْبَحَ مَلْثُومًا بِكُلِّ قَمِ (٥)
أَخْطَى بِمُعْتَنَقِي مِنْهُ وَمُلَّتْ زَمِ
مِنْهَا الشُّبْبَةُ لَوْنُ الْعُدْبِ وَاللِّبَمِ (٦)

(١) ذو قدم: أي صاحب سبابة في الخير.

(٢) العمم: العام التام.

(٣) الرضم: صخور عظام يرضم «يجعل» بعضها فوق بعض في الأبنية.

(٤) الصدف: الحائط. البادخ: العالي.

(٥) بنى: أي وضعه مكانه وبني عليه، وهذه الحكمة لم أرها لغيره فيها أعلم.

(٦) الصبغة: ما يصبغ به والمواد هنا أثره وهو اللون الأسود. العنبر: جمع عذار «الحد»

وأراد به الشعر النابت عليه. اللمم: جمعة لمة (بالكس) وهي ما يجاوز شحمة الأذن

من شعر الرأس.

كَالْخَالِ فِي وَجَنَةِ زَيْدَتٍ مَحَاسِنُهَا
وَكَيْفَ لَا يَفْخَرُ الْبَيْتُ الْعَظِيمُ بِهِ
أَكْرَمَ بِهِ وَإِذَا لَوْلَا هِدَايَتُهُ
هَذَا الَّذِي عَصَمَ اللَّهُ الْأَنْفَامَ بِهِ
«وَجِينَ» أَذْرَكَ سِنَّ الْأَرْبَعِينَ وَمَا
حَبَاهُ فُوَ الْعَرْشِ بُرْهَانًا أَرَاهُ بِهِ
فَكَانَ يَمْضِي لِيَرْعَى أَنْسَ وَحَشِيَتِهِ
يُنْقِطَةُ مِنْهُ أَضْعَافًا مِنَ الْقِيَمِ (١)
وَقَدْ بَنَتْهُ يَدُ فَيَاضَةِ النُّعْمِ
لَمْ يَظْهَرِ الْعَدْلُ فِي أَرْضٍ وَلَمْ يَقُمْ (٢)
مِنْ كُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُخْتَرِمِ (٣)
مِنْ قَبْلِهِ مَبْلَغٌ لِلْعِلْمِ وَالْحِكْمِ (٤)
آيَاتِ حِكْمَتِهِ فِي عَالَمِ الْحُلُمِ (٥)
فِي شَاسِعِ مَا بِهِ لِلْخَلْقِ مِنْ أُرَمِ (٦)

- (١) كالحال الخ : يعني أن البيت العظيم ازداد مجدا وشرفا بالحجر الأسود كما ازدادت الوجنة الحسناء بالحال الأسود حسنا وجمالا لكونه كنقطة «أي صفر» الحساب التي ازدادت بها أحاده أمثال قيمته، وقد أتى بهذا المعنى في النسيب فقال:
تأهت بنقطة خال من محاسنها زِيدَتْ بِهَا عَشْرَاتُ الْحَسَنِ أَضْعَافًا
(٢) الوازع : الكاف للناس عن الإقدام على الشر. الهداية : الدلالة بلفظ.
(٣) عصم : حفظ. المخترم : المستأصل.
(٤) سن الأربعين : هو سن الكمال ونهاية بعث الرسل أي لا يرسلون دونها.
(٥) حباه : أعطاه. برهان : أي دليلا على نبوته وهو الرؤيا الصادقة.
(٦) الوحشة : الخلوة. الشاسع : البعيد والمراد به غار حراء وهو من جبال مكة على ثلاثة أميال منها وكان عليه الصلاة والسلام يتعبد فيه قبل البعثة. وأرم : أحد ضبطه الناظم بفتح الراء وكسرها وهو المشهور عند أهل اللغة، وهو لا يستعمل إلا مع النفي.

فَمَا يَمُرُّ عَلَى صَخْرٍ وَلَا شَجَرٍ
حَتَّى إِذَا حَانَ أَمْرُ الْغَيْبِ وَانْحَسَرَتْ
نَادَى بِذَعْوَتِهِ جَهْرًا فَأَسْمَعَهَا
فَكَانَ أَوَّلَى مَنْ فِي الدِّينِ تَابِعَهُ
ثُمَّ اسْتَجَابَتْ رَجَالٌ دُونَ أَمْرَنِهِ
وَمَنْ أَرَادَ بِهِ الرَّحْمَنُ مَكْرَمَةً
ثُمَّ اسْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ مُعْتَزِمًا
وَالنَّاسُ مِنْهُمْ رَشِيدٌ يَسْتَجِيبُ لَهُ
حَتَّى اسْتَرَابَتْ قُرَيْشٌ وَاسْتَبَدَّ بِهَا

إِلَّا وَحْيَاهُ بِالتَّسْلِيمِ مِنْ أُنْمٍ^(١)
أَسْنَاهُ عَنْ ضَمِيرِ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ^(٢)
فِي كُلِّ نَاجِيَةٍ مَنْ كَانَ ذَا صَمَمٍ
خَدِيجَةُ وَعَلِيٌّ ثَابِتُ الْقَدَمِ
وَفِي الْأَبَاعِدِ مَا يُغْنِي عَنِ الرَّجَمِ^(٣)
هَدَاهُ لِلرُّشْدِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
يَدْعُو إِلَى رَبِّهِ فِي كُلِّ مُلْتَأَمٍ^(٤)
طَوْعًا وَمِنْهُمْ غَوِيٌّ غَيْرُ مُحْتَشِمٍ^(٥)
جَهْلٌ تَرَدَّتْ بِهِ فِي مَارِجٍ ضَرِمٍ^(٦)

(١) فما يمر الخ: في السيرة ان رسول الله عليه السلام لما أراه الله بكرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد عن البيوت حتى يفضي إلى شعاب مكة ويظنون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله فيلتفت فلا يرى غير الشجر والحجر ولم يزل كذلك حتى جاءه جبريل وهو بحراء في شهر رمضان.

(٢) حان: قرب. أمر الغيب: أراد به إرساله صلى الله عليه وسلم للخلق. انحسرت: انكشفت.

(٣) دون أسرته: أي غير عشيرته. الرحم: القرابة.

(٤) الملتأم: مكان اجتماع القوم.

(٥) المحتشم: المستحي.

(٦) استرابت: وقعت في الريبة أي الشك والتهمة وهي في الأصل قلق النفس واضطرابها. استبد: انفرد واستقل. تردت: سقطت. المارج: النار. الضرم: المتوقد.

وَعَذَّبُوا أَهْلَ دِينِ اللَّهِ وَانْتَهَكُوا
وَقَامَ يَدْعُو أَبَوْجَهْلٍ عَشِيرَتَهُ
يَيْدِي خِيذَاعاً وَيُخْفِي مَا تَضَمَّنَهُ
لَا يَسْلَمُ الْقَلْبُ مِنْ غِلٍّ أَلَمْ بِهِ
وَالْجَفْدُ كَالنَّارِ إِنْ أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَتْ
لَا يُبْصِرُ الْحَقُّ مِنْ جَهْلٍ أَحَاطَ بِهِ
كُلُّ امْرِئٍ وَاجِدٌ مَا قَدُمَتْ يَدُهُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ فِي الدُّنْيَا مُكَافَأَةٌ
فَلَا يَنْمُ ظِلَالٌ عَمَّا جَنَّتْ يَدُهُ
وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ دِينِ اللَّهِ فِي نَصَبٍ
حَتَّى إِذَا لَمْ يُعَدَّ فِي الْأَمْرِ مَنْزَعَةً

مَحَارِمًا أَعَقَبَتْهُمْ لَهْفَةُ النَّذَمِ (١)
إِلَى الضَّلَالِ وَلَمْ يَجْنَحْ إِلَى سَلَمٍ (٢)
ضَمِيرُهُ مِنْ غَرَاةِ الْحَقْدِ وَالسَّلَمِ (٣)
يَنْقَى الْأَدِيمُ وَيَتَقَى مَوْضِعُ الْحَلَمِ (٤)
بَيْنَهُ عَلَائِمُ فَوْقَ الْوَجْهِ كَالْحَمَمِ (٥)
وَكَيْفَ يَبْصُرُ نَوْرَ الْحَقِّ وَهُوَ عَمٍ (٦)
إِذَا اسْتَوَى قَائِمًا مِنْ هَوَاةِ الْأَدَمِ
وَالنَّفْسُ مَسْئُولَةٌ عَنْ كُلِّ مُجْتَرِمٍ (٧)
عَلَى الْعِبَادِ فَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنْمِ
بِمَا يُلَاقُونَ مِنْ كَرْبٍ وَمِنْ زَأَمٍ (٨)
وَأَصْبَحَ الشَّرُّ جَهْرًا غَيْرَ مُنْكَيَمٍ (٩)

(١) انتهكوا محارم: أي اذهبوا حرمتها. والمحارم: ما يحرم من كل شيء.

(٢) يجنح: يميل. السلم: الطاعة والإنقياد.

(٣) من غرابة الخ: أي مما لاق به ولزمه من الحقد والحلم.

(٤) الحلم: جمع حلمة وهي دودة تقع في جلد الشاة فإذا دبغ بقي موضعها رقيقاً.

(٥) الحمم: الفحمة.

(٦) هواة الأدم: أي حفرة القبر.

(٧) المجترم: ارتكاب الجريمة بمعنى الذنب.

(٨) النصب: التعب. الكرب: الهم والحزن يأخذ النفس. الزم: اشتداد الدهر.

(٩) المنزعة: ما يرجع إليه الرجل من رأيه وتدبيره.

سَارُوا إِلَى الْهَجْرَةِ الْأُولَى وَمَا قَصَدُوا
فَأَصْبَحُوا عِنْدَهُ فِي ظِلِّ مَمْلَكَةٍ
مَنْ أَنْكَرَ الظُّنْمَ لَمْ يَأْنَسْ بِصُحْبَتِهِ
وَمَنْ رَأَى الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَدْ وَضَحَتْ
تَأَلَّبُوا رَغْبَةً فِي الشَّرِّ وَأَتَمَرُوا
صَحِيفَةً وَسَمَتْ بِالْفُزْدِ أَوْجُهُهُمْ
فَكَشَفَ اللَّهُ مِنْهَا غُمَّةً نَزَلَتْ
مَنْ أَضْمَرَ السُّوءَ جَزَاهُ الْإِلَهُ بِهِ
«كُفَى» الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو وَلَمَعَةً ظَهَرَتْ
غَيْرَ النَّجَاشِيِّ مَلَكًا صَادِقَ النَّعْمِ
حَصِينَةً وَفَنَامَ غَيْرَ مُنْجَلِمٍ ^(١)
وَمَنْ أَحَاطَتْ بِهِ الْأَسْوَالُ لَمْ يَقُمْ
سَمَاؤُهُ وَأَنْجَلَتْ عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ ^(٢)
عَلَى الصَّحِيفَةِ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ وَغَمٍ ^(٣)
وَالْفُزْدُ يَغْلُقُ بِالْأَعْرَاضِ كَالدُّسَمِ ^(٤)
بِالْمُؤْمِنِينَ وَرَبِّي كَاشِفُ الْغَمِّ ^(٥)
وَمَنْ رَعَى الْبَغْيَ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ النَّقَمِ
فِي سَوْبِهِ فَأَنَارَتْ سُدُفَةُ الْفَتَمِ ^(٦)

(١) الذمام: الحرمة. المنجلم: المتقطع.

(٢) ومذ رأى المشركون إلى آخر البيت: يشير إلى ما وقع منهم لما رأوا الإسلام يفسد، وهو أنهم تألبوا «اجتمعوا» واتمروا «تشاؤروا» على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على قطع معاملتهم لبني هاشم وبني المطلب فلما تم أمرهم على ذلك كتبوه في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة. الصمة: الشجاع وجمعه صمم.

(٣) الوغم: الحقد.

(٤) وسمت: علمت وأصل الوسم: الكي.

(٥) فكشف الله الخ: وذلك بأن هياً لتقض الصحيفة نفرا من قريش (بعد أن مكث رسول الله وأصحابه مستتين أو ثلاثاً وهم مستخفون لا يصل اليهم شيء إلا سرا) فقاموا به أحسن قيام، ونهض أحدهم ليشقها فوجد الأرضة «دوية تأكل الخشب» أكلت ما فيها إلا باسمك اللهم، وكان عليه السلام أخبر عمه أبا طالب بذلك.

(٦) الطفيل: ابن عمرو بن طريف الأزدي الدوسي الصحابي، قتل يوم اليمامة وكان =

هَدَىٰ بِهَا اللَّهُ دُوسًا مِنْ ضَلَالَتِهَا قَتَابَتْ أَمْرَ دَاعِيَتِهَا وَلَمْ تَهْمِ^(١)
 «وَفِي» الْإِرَاشِيِّ لِلْأَقْوَامِ مُعْتَبَرٌ إِذْ جَاءَ مَكَّةَ فِي ذُودٍ مِنَ النَّعَمِ^(٢)
 فَبَاغَهَا مِنْ أَبِي جَهْلٍ فَمَا طَلَهُ بَحَقَهُ وَتَمَادَى غَيْرُ مُحْتَشِمِ^(٣)
 فَجَاءَ مُنْتَصِرًا يَشْكُو ظِلَامَتَهُ إِلَى النَّبِيِّ وَيَنْعَمُ الْعَوْنُ فِي الْإِزْمِ^(٤)
 فَقَامَ مُتَبَدِّرًا يَسْعَى لِنُصْرَتِهِ وَنُصْرَةُ الْحَقِّ شَأْنُ الْمَرْءِ ذِي الْهَمِّ^(٥)
 فَلَقَّ بَابَ أَبِي جَهْلٍ فَجَاءَ لَهُ طَوْعًا يَجْرُ عِنَانُ الْخَائِفِ الزُّرْمِ^(٦)
 فَجِئِمَ لَأَقَمَى رَسُولَ اللَّهِ لَاحَ لَهُ فَحُلَّ يَحْدُ إِلَيْهِ النَّابُ مِنْ أَطَمِ^(٧)
 فَهَالَهُ مَا رَأَى فَأَزْتَدَ مُنْزَعَجًا وَعَادَ بِالنَّقْدِ بَعْدَ الْمَطْلِ عَنْ رَغَمِ^(٨)

= يلقب بذي النور من حديثه أنه لما أسلم طلب من النبي عليه السلام آية تكون له
 عوناً على قومه فقال اللهم اجعل له آية فظهر نور بين عينيه فقال يا رب اجعله في
 غير وجهي فباني أخشى أن يظن قومي أنها مثلة لفراقي دينهم فتحول في رأس
 سوطه . سدفة القتم : أي ظلمة الليل ، وكان قد أتى قومه ليلاً .
 (١) دوس : قبيلة الطفيل . لم تهـم : أي لم تتردد في إجابته إلى ما دعاهم إليه .
 (٢) الإراشي : نسبة إلى إراش بن الغوث أبي قبيلة ، واسمه كهلة بن عصام . ذود من
 النعم : أي طائفة من الإبل ولم يرد معناه وهو ما زاد عن الإثنين إلى التسعة .
 (٣) المحتشم : المهتم ، عن بعض العرب أنه لمحتشم بأمر أي مهتم به .
 (٤) الإزم : جمع أزمة (يفتح فسكون) الشدة .
 (٥) العنان : سير اللجام . الزرم : الدليل المضيق عليه .
 (٦) فحل : أي من الإبل . يجد الخ : أي يشحد ويظهر إليه نابه من الغضب كأنه يريد
 أكله .
 (٧) الرغم : الذل وفتح الغين اتباعاً للرأه .

«أَبْلَكَ» أَمْ جِئَ نَادَى سَرَحَةً فَأَتَتْ
 حَنَتْ عَلَيْهِ حُنُو الْأَمِّ مِنْ شَفَقِ
 جَاءَتْهُ طَوْعاً وَعَازَتْ جِئَ قَالَ لَهَا
 «وَحَبَّذَا» لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ حِينَ سَرَى
 رَأَى بِهِ مِنْ كِرَامِ الرُّسُلِ طَائِفَةً
 بَلَّ حَبْذَا نَهَضَةُ الْعِرَاجِ حِينَ سَمَا
 سَمَا إِلَى الْفَلَكَ الْأَعْلَى فَنَالَ بِهِ
 وَتَسَارَ فِي سُبُحَاتِ النُّورِ مُرْتَقِيَاً
 وَقَارَ بِالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ مِنْ كَلِمِ
 إِلَيْهِ مَنشُورَةَ الْأَغْصَانِ كَالْجَنَمِ (١)
 وَرَفَرَتْ فَوْقَ ذَلِكَ الْحُسْنِ مِنْ رَحْمِ (٢)
 عُوْدِي وَلَوْ خُلِيتَ لِلشُّوقِ لَمْ تَرِمِ (٣)
 لَيْلًا إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِلَا أَتَمِ (٤)
 فَأَمَّهُمْ ثُمَّ صَلَّى خَاشِعاً بِهِمْ (٥)
 بِهِ إِلَى مَشْهَدٍ فِي الْعِزِّ لَمْ يُرِمِ (٦)
 قَدْراً يَجُلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ فِي الْعِظَمِ (٧)
 إِلَى مَدَارِجٍ أَعْيَتْ كُلَّ مُعْتَزِمِ (٨)
 لَيْسَتْ إِذَا قُرِنَتْ بِالْوَصْفِ كَالْكَلِمِ

- (١) السرحة : شجرة عظيمة يستظل بها . الجمم : جمع جمة وهي ما سقط على المنكبين من شعر الرأس .
 (٢) حنت : عطفت . رفرت : بسطت ونشرت أغصانها . والرحم : العطف والمحبة
 (٣) خلّيت : تركت . لم ترم : لم تريح من مكانها للشوق الذي عندها .
 (٤) الأتم : الإبطاء .
 (٥) أمهم : تقدمهم .
 (٦) سابه : أعلاه . لم يرم : أي لم يطلب لعزته على غيره صلى الله عليه وسلم .
 (٧) يجل : يتنزه ويتباعد .
 (٨) سبحات النور : أي حجب النور قال عليه السلام : «بعد أن انتهى إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام» ثم زج بي في النور زجاً فخرق بي سبعين ألف حجاب الحديث . مدارج : أي أماكن عالية القدر، وهي في الأصل الطرق الغليظة بين الجبال .

مِرُّ تَحَارٍ بِهِ الْأَبَابُ قَاصِرَةٌ
 هِنَاتٌ يَبْلُغُ فَهَمٌ كُنْهٌ مَا بَلَغَتْ
 فَيَا لَهَا وَضَلَّةٌ نَالُ الْحَيْبِ بِهَا
 فَاقَتْ جَبِيعَ اللَّيَالِي فَهِيَ زَاهِرَةٌ
 «هَذَا» وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ عَلَى
 فَسَارَعُوا نَحْوِ دِينَ اللَّهِ وَانْتَصَبُوا
 «وَلَمْ» يَزَلْ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ مُتَّصِبًا
 يَسْتَقْبِلُ النَّاسَ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرٍ
 حَتَّى اسْتَجَابَتْ لَهُ الْأَنْصَارُ وَاعْتَصَمُوا
 فَاسْتَكَمَلَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا نَفْسَارَتَهَا
 قَوْمٌ أَقْرَأُوا عِمَادَ الْحَقِّ وَادَّ طَلَمُوا
 فَكُم بِهِمُ أَشْرَقَتْ أَسْتَارُ دَاجِيَةٍ

(١) الكنه: الحقيقة. قرياه: أي قربه ودنوه. ناجاه: ساره.

(٢) النسم: الروح.

(٣) زاهرة: أي مضيئة. العلم: الجبل. (٤) اللقم: الطريق.

(٥) انتصبوا إلى العبادة: أي قاموا مجتهدين في تأديتها. لا يألون من سام: أي لا يقصرون عن العبادة ولا يتركونها من ملل ولعل الناظم أراد أنهم لا يملون.

(٦) يفتّر: يسكن. يجم: يسكت فزعاً.

(٧) اعتصموا بحبله: أي تمسكوا بعهد. المعتصم: الإعتصام.

(٨) التمم: التام.

(٩) اصطلموا: استأصلوا وأهلكوا.

فَجِئْنَ وَاقِيَ قُرَيْشًا ذَكَرُ بَيْعَتِهِمْ
 رِيْدًا أَذْهَبُوا أَهْلَ دِينِ اللَّهِ وَاقْتَضَمُوا
 فَكَمْ تَسْرَى مِنْ أَمِيرٍ لَا جِرَاكَ بِهِ
 فَهَاجَرَ الصُّخْبُ إِذْ قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ
 وَظَلُّ فِي مَكَّةَ الْمُخْتَارُ مُنْتَظِرًا
 فَأَوْجَسَتْ خَيْفَةً مِنْهُ قُرَيْشٌ وَلَمْ
 نَسَاسَتْ جَمَعَتْ غُصْبًا فِي دَارِ نُدُوءِهَا
 رَاسُودَتْ أَنَّهَا فِيمَا تُحَاوِلُهُ
 أَوْلَى لَهَا ثُمَّ أَوْلَى أَنْ يَحِيقَ بِهَا

ثَارُوا إِلَى الشَّرَفِ لَعَلَّ الْجَاهِلِ الْعَرِمِ (١)
 حُقُوقَهُمْ بِالتَّمَادِي شَرُّ مَهْتَضَمِ (٢)
 وَشَارِدِ سَارٍ مِنْ فَجٍّ إِلَى أَكْمِ (٣)
 مَبِيرُوا إِلَى طَيْبَةِ الْمَرْجِيَةِ الْحُرَمِ (٤)
 إِذْنًا مِنَ اللَّهِ فِي سَيْرٍ وَمُعْتَزَمِ
 تَقَبَّلَ نَصِيحًا وَلَمْ تَرْجَعْ إِلَى فَهْمِ (٥)
 تَبَغَّى بِهِ الشَّرُّ مِنْ حَقْدٍ وَمِنْ أَضْمِ (٦)
 مَخْذُولَةٌ لَمْ تَسْمُ فِي مَرْتَعٍ وَنَحْمِ (٧)
 مَا أَضْمَرْتَهُ مِنَ الْبَأْسَاءِ وَالشُّجْمِ (٨)

- (١) وافق قريشا: أي اتاهم وبلغهم. ثاروا: وثبوا. العرم: أي الشديد الجهل.
 (٢) بادعوا: باغتوا وفاجأوا. اغتصموا: اغتصبوا. التماذي: اللجاج في الغي.
 (٣) الفج: الطريق الواسع بين جبلين.
 (٤) قال الرسول الخ: وقال لهم إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا وهم الأنصار ودارا تأمنون بها.
 (٥) أوجست الخ: أي وقع في نفسها الخوف والفرع منه صلى الله عليه وسلم. النصيح: الناصح. الفهم: ضبطه الناظم بفتح الهاء وهو معرفة الشيء بالقلب.
 (٦) العصب: جمع عصة وهي ما بين العشرة إلى الأربعين. دار الندوة بناها قصي بن كلاب ليصلح فيها بين قريش ثم صارت لمشاورتهم. الأضم: الحسد والغضب.
 (٧) لم تسم الخ: لم ترع في مكان رعي رديء أي لم تسلك هذا المسلك المذموم.
 (٨) أول لها الخ: أي قارب قريشا أن ينزل ويحيط بها الذي نوته له من الشدة والمكروه والهلاك.

- لَآئِي لَا عَجَبُ مِنْ قَوْمٍ أُولِي فِطْنٍ
يَعْبُودُونَ خِلَافَهُمْ جَهْلًا يَقْنَرْتِهِ
فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ أَنْ يَبْغَتْهُوَ إِذَا
وَأَقْبَلُوا مَوْهِنًا فِي عَصْبَةِ عُذْرٍ
فَجَاءَ جَبْرِيلُ لِلْهَادِي فَأَنْبَأَهُ
فَمَذَّ رَأَاهُمْ قِيَامًا حَوْلَ مَا فِيهِ
نَادَى عَلِيًّا فَأَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ
وَمَرَّ بِالْقَوْمِ يَتَلَوُّ وَهُوَ مُنْصَرِفٌ
فَلَمْ يَرَوْهُ وَزَاغَتْ عَنْهُ أَعْيُنُهُمْ
«وَجَاءَهُ» الْوَحْيُ إِذْ أَنَا بِهِ جَرَنِهِ
- بَاْعُوا النَّهْيَ بِالْعَمَى وَالسَّمْعَ بِالصَّنَمِ (١)
وَيَعْكُفُونَ عَلَى الطَّاغُوتِ وَالصَّنَمِ (٢)
جَنُّ الظُّلَامِ وَخَفْتُ وَطَأَةُ الْقَدَمِ (٣)
مِنَ الْقَبَائِلِ بَاْعُوا النَّفْسَ بِالزَّعَمِ (٤)
بِمَا أَسْرَوْهُ بَعْدَ الْعَهْدِ وَالْقَسَمِ
يَبْغُونَ سَاخَتَهُ بِالشَّرِّ وَالْفَقَمِ (٥)
لَا تَخْشُ وَالنَّسْ وَدَائِي أَمِنًا وَنَمِ
يَسَ وَهِيَ شِفَاءُ النَّفْسِ مِنْ وَصَمِ (٦)
وَهَلْ تَرَى الشَّمْسَ جَهْرًا أَعْيُنُ الْحَنَمِ (٧)
فَيَمَمُ الْغَارَ بِالصَّدِيقِ فِي الْغَسَمِ (٨)

- (١) الفطن: جمع فطنة وهي الحذق. النهى: العقل. العمى: ذهاب بصر القلب.
(٢) يعكفون الخ: أي يقيمون على عبادة الطاغوت وهو الشيطان والكاهن وكل رأس في الضلال. الصنم: وهو الصورة التي تعبد.
(٣) يبعثوه: يبعثوه.
(٤) الموهن: نحو من نصف الليل. والزعم: الطمع.
(٥) الفقم: البطر وهو كراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهية.
(٦) يتلوي: أي إلى قوله تعالى فأغشيناهم فهم لا يبصرون، وقد أخذ حفته من تراب ونثرها على رؤوسهم فعمتهم وأخذ الله على أبصارهم فلم يروه. الوصم: المرض.
(٧) الحنم: اليوم وأحدثها حنمة قيل إنها لا تبصر نهارا.
(٨) الغار: وهو في ثور «بالفتح» جبل بمكة. الغسم: اختلاط الظلمة يريد الليل يقال غسم الليل أظلم.

- فَمَا اسْتَقَرُّ بِهِ حَتَّى تَبَوَّاهُ
بَنَى بِهِ عُشَّهُ وَأَحْتَلَهُ مَكْنَاهُ
إِلْفَانٍ مَا جَمَعَ الْفِدَارُ بَيْنَهُمَا
كِلَاهُمَا ذَيْدَبَانُ فَوْقَ مَرْيَأَةٍ
إِنْ حَنَ هَذَا غَرَامًا أَوْ دَعَا طَرِيًّا
يَخَالُهَا مَنْ يَرَاهَا وَهِيَ جَائِمَةٌ
إِنْ زُفِرَتْ سَكَنْتَ ظِلًّا وَإِنْ هَبَطَتْ
مَرْقُومَةٌ الْجِيدِ مِنْ بَسْكِ وَغَالِيَةٍ
كَأَنَّمَا شَرَعَتْ فِي قَانِيٍّ وَسِرْبٍ
«وَسَجَفَ» الْعَنْكَبُوتُ الْغَارَ مُحْتَفِيًّا
- مِنَ الْحَمَائِمِ دُوجٌ بَارِعُ الرُّنَمِ (١)
يَأْوِي إِلَيْهِ غَذَاةُ الرِّيحِ وَالرَّهَمِ (٢)
إِلَّا لِسِرِّ بَصْدُرِ الْغَارِ مُكْتَنِمِ
يَرْعِي الْمَسَالِكِ مِنْ بُعْدٍ وَلَمْ يَنْمِ (٣)
بِأَسْمِ الْهَدِيلِ أَجَانِبَتْ تِلْكَ بِالنَّعْمِ (٤)
فِي وَكْرَهَا كُرَّةٌ مَلَسَاءٌ مِنْ أَدَمِ (٥)
رَوَتْ غَلِيلَ الصُّدَى مِنْ حَائِثِ شَيْمِ (٦)
مَخْضُومَةُ السَّاقِ وَالْكَفَيْنِ بِالنَّعْمِ (٧)
مِنْ أَدْمَعِي فَعَدَتْ مُخْمَرَةُ الْفَنَمِ (٨)
بِخَيْمَةٍ حَاكَهَا مِنْ أَبْدَعِ الْخَيْمِ (٩)

(١) تبوَّاه: حل به وأقام. الرنم: الصوت.

(٢) الرهم: جمع رمة بالكسر المطر الضعيف.

(٣) الديدبان: الرقيب. المرباة: المرقبة وهي الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب.
يرعي: يراقب.

(٤) الهديل: قيل هو فرخ كان على عهد سيدنا نوح عليه السلام مات عطشا أو صاده
جارح من الطير فما من حمامة الا وهي تبكي عليه.

(٥) يخالها: أي يظن الحمامة الواحدة منها. الجائمة: الواقعة على صدرها. الأدم: الجلد.
(٦) غليل الصدى: أي شديد العطش. الحائر: مجتمع الماء.

(٧) مرقومة الجيد: أي مطوقة العنق. الغالية: اخلاط من الطيب. النعم: شجرة
حجازية ثمرها أحمر.

(٨) شرعت: دخلت القاء الشديد الحمرة. السرب: الجاري.

(٩) سجع: أرسل السجع (بفتح وكسر فسكون) السر. محتفيا: أي متلطفا ومبالغا
في الإكرام مع فرح وسرور. حاكها: نسجها.

قَدْ شَدَّ أَطْنَابُهَا فَاسْتَحْكَمَتْ وَرَسَتْ
كَأَنَّهَا سَابِرِي حَاكُهُ لَبِقٌ
وَارَتْ فَمَ الْغَارِ عَنْ عَيْنٍ تَلُمُ بِهِ
فَيَأْتِيهِ مِنْ مِسَارٍ ثَوْنُهُ قَمَرٌ
فَظَلَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ مُعْتَكِفًا
حَتَّى إِذَا سَكَنَ الْإِرْجَافَ وَاحْتَرَقَتْ
أَوْحَى الرَّسُولُ بِإِعْدَادِ الرَّجِيلِ إِلَى
وَسَارٍ بَعْدَ ثَلَاثٍ مِنْ مَبَاءِئِهِ
«فَجِئْنَا» وَافَى قُذَيْدًا حُلَّ مَوْكِئِهِ
فَلَمْ تَجِدْ لِقَرَاهُ غَيْرَ ضَائِنَةٍ

بِالْأَرْضِ لِكُنْهَا قَامَتْ بِلا دَعْمٍ (١)
بِأَرْضِ سَابُورِ فِي بُحْبُوحَةِ الْعَجَمِ
فَصَارَ يَحْكِي خَفَاءَ وَجْهٍ مَلْتَمِمْ (٢)
يَجْلُو الْبَصَائِرَ مِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ ظُلْمٍ
كَالدَّرِّ فِي الْبَحْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ فِي الْغَسَمِ (٣)
أَكْبَادُ قَوْمٍ بِسَارِ الْيَأْسِ وَالْوَعَمِ
مَنْ عِنْدَهُ السَّرْمِنْ جِلٌّ وَمِنْ حَشَمٍ (٤)
يَوْمٌ طَيْبَةٌ مَأْوَى كُلِّ مُعْتَصِمٍ (٥)
بِأَمِّ مَعْبَدَ ذَاتِ الشَّاءِ وَالْغَنَمِ (٦)
قَدْ أَقْشَعَرْتُ مَرَاعِيهَا فَلَمْ تَسْمِ

(١) الأطناب: الحبال. الدعم: الأعمدة.

(٢) السابري: الثوب الرقيق الخفيف نسبة إلى سابور موضع ببلاد العجم. اللبق: الحافق

الرفيق بكل عمل. البحبوحة: الوسط.

(٣) وارت: سترت. الملتئم: واضح اللثام.

(٤) الغسم: قطع السحاب.

(٥) أوحى: أشار. الخل: الصديق المختص والمراد به أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

الحشم: الخدم يطلق على المفرد والجمع وأراد به عامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد

الله بن أرقط «أو أريقط» دليلها وكان على دين قريش.

(٦) المباءة: المنزل يعني به الغار.

(٧) قديد: موضع بين مكة والمدينة. أم معبد: هي عاتكة بنت خالد الخزاعية وقد

أسلمت بعد، وكانت برزة «ظاهرة» عفيفة تجلس في خيمتها ثم تطعم وتسقي من

ير بها. الضائنة: الأنثى من الغنم. أقشعرت: أحملت وأجدبت.

فَمَا أَمَرَ عَلَيْهَا دَاعِيَا يَدَهُ
ثُمَّ اسْتَقَلَّ وَابْقَى فِي الزَّمَانِ لَهَا
«فَيْنِمَا» هُوَ يَسْطُوِي الْبَيْدَ أَذْرَكَهُ
حَتَّى إِذَا مَا دَنَّا سَاخَ الْجَوَادُ بِهِ
فَصَاحَ مُتَبَهِّلًا يَرْجُو الْأَمَانَ وَلَوْ
وَكَيْفَ يَبْلُغُ أَمْرًا دُونَهُ وَزُرَّ
فَكَفَّ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِ
وَلَمْ يَزَلْ سَابِرًا حَتَّى أَنْفَ عَلَى
أَعْظَمَ بِمَقْدَمِهِ فَخَرَّ وَمُنْقَبَةً

حَتَّى اسْتَهْلَتْ بِذِي شَخْبَيْنِ كَالدَّيَمِ (١)
ذِكْرًا يَسِيرُ عَلَى الْأَفَاقِ كَالنُّسَمِ (٢)
رَكْضًا سُرَاقَةً مِثْلَ الْقَشْعِمِ الضَّرْمِ (٣)
فِي بُرْقَةٍ فَهَوَى لِلْسَّاقِ وَالْقَلَمِ (٤)
مَضَى عَلَى عَزْوِهِ لَأَنْهَارٍ فِي رَجَمِ (٥)
مِنَ الْعِنَايَةِ لَمْ يَبْلُغْهُ دُونُ نَسَمِ (٦)
أَذْرَى وَكَمْ يَقْمِرُ تَفْتَرُ عَنْ نَعَمِ (٧)
أَعْلَامِ طَيِّبَةٍ ذَاتِ الْمَنْظَرِ أَلْعَمِ (٨)
لِمَعَشَرِ الْأَوْسِ وَالْأَحْيَاءِ مِنْ جُشَمِ (٩)

(١) شخبين بالفتح والضم: ثنية شخب وهو اللبن الخارج من الضرع اذا احتلب.

الديم: الأمطار الدائمة في سكون.

(٢) استقل: ارتحل. النسم: النسيم.

(٣) البيد: الفلوات. ركضا: أي حالة كونه راكضا «ضاربا» جنبي دابته برجله لتسرع

في السير. سراقة: هو ابن مالك بن جعشم المدبلي أسلم بعد غزوة حنين والطائف

القشعم: النسر. الضرم: الجاتم.

(٤) ساخ الجواد: أي ذهبت قوائمه في الأرض. البرقة: الأرض الغليظة الصعبة.

هوى: سقط.

(٥) انهار: سقط. الرجم: الحفرة العميقة.

(٦) الوزر: المعقل والملجأ. (٧) تيسم وتنكشف.

(٨) أناف: أشرف. المنظر: ما يعجب الناظر ويسره.

(٩) بمقدمه: أي بقدمه، وكان في يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع

الاول. الأحياء: أراد بهم الخزرج وهم من جشم بن الخزرج أخى الأوس.

فَخَرُّ يَدُومُ لَهُمْ فَضْلٌ بِذِكْرَتِهِ
يَوْمَ بِهِ أَرَخَ الْإِسْلَامَ غُرَّتُهُ
ثُمَّ أَتَيْنِي مَيْدُ الْكَوْنَيْنِ مَسْجِدُهُ
وَأَخْتَصَّ فِيهِ بِأَلَا بِالْأَذَانِ وَمَا
«حَتَّى» إِذَا تَمَّ أَمْرُ اللَّهِ وَاجْتَمَعَتْ
فَامَ النَّبِيُّ خَطِيباً فِيهِمْ فَأَرَى
وَعَمَّهُمْ بِكِتَابٍ خَصَّ فِيهِ عَلَى
فَأَصْبَحُوا فِي إِخَاءٍ غَيْرِ مُتَصَدِّعٍ
وَجِئْنَا أَخَى رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
هُوَ الَّذِي هَزَمَ اللَّهُ الطُّغَاةَ بِهِ
فَأَسْتَحْكَمَ الَّذِينَ وَاسْتَلْتِ دَعَائِمُهُ
وَأَصْبَحَ النَّاسُ إِخْوَاناً وَعَمَّهُمْ

- (١) يوم الخ: يعني أن مقدمه «بمعنى زمن قدومه» صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم جعله المسلمون أول تاريخهم لظهور الإسلام فيه، وذلك في خلافة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ذروة الشيء: أعلاه. النجم: جمع نجم.
- (٢) يلقى: يوجد. النيرة: رفع الصوت.
- (٣) الزمم: القرب.
- (٤) القحمة: الأمور العظام الشاقة.
- (٥) المعترك: موضع القتال. البيض: السيوف. المحتدم: الملتهب من احتدام النار وهو التهاها وشدة حرها.
- (٦) واضح الخ: أي ظاهر الأنف صاحب ارتفاع كناية عن ظهور أهله وعلو مكانتهم.

«هَذَا» وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ الْجِهَادَ عَلَى رَسُولِهِ لِيُثَبِّتَ الدِّينَ فِي الْأَمَمِ^(١)
فَكَانَ أَوَّلُ غَزْوٍ سَارَ فِيهِ إِلَى وَدَّانَ ثُمَّ أَتَى مِنْ غَيْرِ مُصْطَلَمٍ^(٢)
ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ سَرَايَا الدِّينِ سَابِغَةً بِالْخَيْلِ جَامِغَةً تَسْتُرُ بِاللُّجَمِ^(٣)
سَرِيَّةً كَانَتْ يَرْعَاهَا عُيَيْنَةٌ فِي صَوْبٍ وَحَمَزَةٍ فِي أُخْرَى إِلَى آلَتِهِمْ^(٤)

(١) فرض الله الجهاد وذلك لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر على رأس ١٢ شهرا من مقدمه إلى المدينة «تنبه» جرت عادة المحدثين وأهل السير غالباً بأن يسموا كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم غزوة «وهي ٢٩» وما لم يحضره سرية ويعثا، وقد يسمون بعض السرايا غزوة كقولهم غزوة مؤتة، غزوة ذات السلاسل.

(٢) ودان: قرية من أعمال الفرع قريبة من الأبواء «ولذا سماها بعضهم غزوة الأبواء» وكانت في تاريخ فرض الجهاد خرج في ستين راكبا من المهاجرين يريد عيرا لقريش فلقى بني ضمرة فعقد بينه وبينهم صلحا على أنهم لا يغزونه ولا يعينون عليه عدوا وأن لهم النصر على من رامهم بسوء وأنه إذا دعاهم لنصر أجابوه.

(٣) سابغة: أي متشرة في الأرض. جاعحة: أي ذات نشاط وإسراع في السير. تستر: تعدو إقبالا وإدبارا من النشاط.

(٤) سرية كان الخ: هي أول سراياه صلى الله عليه وسلم كما سمعنا من أهل العلم وقيل أولها سرية حمزة، ومنشأ الخلاف هو أن عقد الراية كان لها معاً انظر السيرة. عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف سار في ستين أو ثمانين من المهاجرين حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة «بفتحيتين» ببطن رابغ، فلقى جمعاً من قريش في مائتي رجل ولم يقع بينهما قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمي به في الإسلام، وكان ذلك في الشهر الثاني عشر من الهجرة. الصوب: الجهة. حمزة: هو ابن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه. في أخرى: أي سار في سرية أخرى في ٣٠ راكبا من المهاجرين يريد عيرا لقريش جاءت من الشام فلقى أبا جهل في ٣٠٠ بسيف «بالكسر الساحل» البحر من ناحية العيص، فلما التقى الجمعان وتصافا حجز بينهما مجدي بن عمرو الجهني وكان مصالحا للفريقين، وكان ذلك في أول السنة الثانية للهجرة.

وَعَزْوَةٌ سَارَ فِيهَا الْمُصْطَفَى قُلُومًا
وَمِثْلُهَا يَمُمَّتْ ذَاتَ الْعُشَيْرَةِ فِي
وَسَارَ سَعْدٌ إِلَى الْخَرَّارِ يَقْلُمُهُ
وَيَمُمَّتْ سَفْوَانُ الْخَيْلِ سَابِخَةً
وَنَابِغَ الشَّيْرِ عَبْدُ اللَّهِ مُتَجَهًّا
إِلَى بُرَاطٍ يَجْمَعُ سَاطِعَ الْقَتَمِ (١)
جَيْشٍ لِهَامٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُلْتَطِمِ (٢)
سَعْدٌ وَلَمْ يَلْقَ فِي مَسْرَاهُ مِنْ بَشَمِ (٣)
يَكُلُّ مُعْتَزِمٍ لَلْقَوْنِ مُلْتَزِمِ (٤)
يَلْقَاءُ نَخْلَةً مَضْحُوبًا بِكُلِّ كَبْمِ (٥)

(١) سار فيها: في مائتين من المهاجرين يريد عيراً لقريش عدتها ألفان وخمسمائة بعير فيها مائة رجل منهم أمة بن خلف وذلك في الشهر الثالث عشر من قدومه. قدما أي لم يعرج ولم يثن حتى بلغ بواطاً «بضم وفتح» جبل من جبال جهينة بناحية رضوى قرب ينبع ثم رجع ولم يلق حرباً.

(٢) ذات العشيرة «ويقال العشير»: موضع بناحية ينبع وأنتها الناظم على لإرادة البقعة، خرج إليها على رأس ستة عشر شهراً في مائتين وخمسين أو مائتين من المهاجرين يريد عيراً لقريش صدرت إلى الشام وكان فيها خمسون ألف دينار وألف بعير فوجدها قد مضت قبل ذلك بأيام وهي التي تعرض لها حين رجعت من الشام وكانت السبب في وقعة بدر. اللهم: العظيم كأنه يلتهم كل شيء.

(٣) سار سعد: أي ابن أبي وقاص في ثمانية «أو عشرين» من المهاجرين قال ابن هشام ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد بعد بعث حمزة. الحرار: موضع قرب الجحفة. البشم: السامة.

(٤) سفوان: واد من ناحية بدر وغزوتها تسمى غزوة بدر الأولى خرج إليها صلى الله عليه وسلم بعد العشيرة بليال لما أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة أي إبلها ومواشيها التي تسرح بالغداة وفاته كرز ولم يدركه.

(٥) عبد الله: هو ابن جحش الأسدي سار أميراً على ثمانية «أو اثني عشر» من المهاجرين في رجب على رأس سبعة عشر شهراً حتى نزل نخلة وهي موضع بين مكة

وَحُوِّلَتْ قِبْلَةُ الْإِسْلَامِ وَفَتِحَتْ
 «وَيْتُهُم» الْمُسْطَفَى بِدْرًا فَلاحَ لَهُ
 يَوْمُ تَبَسُّمٍ فِيهِ الدِّينُ وَأَنْهَمَكَتْ
 أَبْلَى عَلَيَّ بِهِ خَيْرَ الْبَلَاءِ بِمَا
 وَجَّالَ حَمَزَةُ بِالْمَصْمَامِ يَكْسُوهُمْ
 وَغَادَرَ الصَّحْبُ وَالْأَنْصَارُ جَمْعَهُمْ
 نَفَسَتْهُمْ يَدُ الْهَيْجَاءِ عَادِلَةٌ
 عَنْ وَجْهِ الْقُلُوبِ نَحْوَ الْيَتِّ فِي الْعَظَمِ
 بِدْرُومِ النَّصْرِ جَلَى ظُلْمَةُ الْوَحْمِ^(١)
 عَلَى الضَّلَالِ عِيُونُ الشَّرِكِ بِالسَّجْمِ^(٢)
 حَبَاهُ ذُو الْعَرْشِ مِنْ بَأْسٍ وَمِنْ هِمَمِ^(٣)
 كَسَا يُفَرِّقُ مِنْهُمْ كُلَّ مُزْدَحَمِ^(٤)
 وَلَيْسَ فِيهِ كَيْفِيٌّ غَيْرُ مَنْهَزِمِ^(٥)
 فَالْهَامُ لِلْيَيْسِ وَالْأَبْدَانُ لِلرَّخْمِ^(٦)

== والطائف، يترصد عيراً لقريش فلما مرت به تحمل زيبياً وجلوداً ونجارة من محاربتهم استاقها بعد حرب، وهي أول غنيمة في الإسلام. الكمي : الشجاع.

(١) بدر : موضع بين مكة والمدينة وهو إليها أقرب وغزوته تسمى غزوة بدر الكبرى أعز الله بها الإسلام وفرق بها بين الحق والباطل، وكان خروجه صلى الله عليه وسلم إليها يوم الإثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة «وفرغ منها في آخره» في ٣١٣ رجلاً من أصحابه لملاقاة عير قريش على غير استعداد للحرب فلما استشعر به أبو سفيان أرسل إلى أهل مكة فاستنهبهم فخرجوا نحو ألف مقاتل معهم مائتا فرس يقودونها وستمائة درع. الوخم : الوياء والمراد به الشرك.

(٢) السجم : النمع.

(٣) أبلى علي : أي أظهر بأسه.

(٤) الصمصام : السيف الصارم الذي لا ينثني. يكسؤهم : يتبعهم ويضطردهم عن مواضعهم بعد الهزيمة.

(٥) غادر : ترك.

(٦) الهيجاء : الحرب. الهام : الرؤوس. الرخم : طائر موصوف بأكل القنر.

- كَأَنَّمَا أَلْيَضُ بِأَلْيَدِي صَوْلَجَةٌ (١)
لَمْ يَتَّقْ مِنْهُمْ كَيْفِي غَيْرُ مَنْجِدٍ (٢)
فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ وَالْحَرْبُ مُسْفَرَةٌ (٣)
قَدْ أَمْطَرْتَهُمْ سَمَاءَ الْحَرْبِ صَائِئَةً (٤)
فَأَيُّنَ مَا كَانَ مِنْ زَهْرٍ وَمِنْ صَلَفٍ (٥)
جَاؤُا وَلِلشَّرِّ وَسَمٌ فِي مَعَاظِهِمْ (٦)
مَنْ عَارَضَ الْحَقَّ لَمْ تَسْلَمْ مَقَابِلُهُ (٧)
فَمَا أَنْقَضَى يَوْمَ بَدْرٍ بِأَلَّتِي عَظُمَتْ (٨)
فَيَسْمَ الْكُدْرُ بِالْأَبْطَالِ مُسْتَحْيَا (٩)

(١) الصولجة: عصي معوجة الطرف يضرب بها الكرة وإسناد اللعب إليها مجاز.
القمم: الرؤوس.

(٢) المنجدل: الساقط. الرغام: التراب. المنحطم: المنكسر.

(٣) التهب: الغنيمه. المقتسم: الأخذ نصيبه من الغنيمه.

(٤) صائبة: من صاب السهم الغرض لغة في أصاب إذا وصل إليه ولم يخطئه. المشرفية:

السيوف. المران: الرماح. الرجم: النجوم التي يرمى بها.

(٥) الصلف: تمجدح الرجل بما ليس فيه.

(٦) الوسم: العلامة. المعاطس: الأنوف. أرغموا: ذلوا. الردى: الهلاك. السيم:

العلامات.

(٧) مضى: تقدم. الشكم: جمع شكمية وهي الحديد المعترضة في فم الفرس.

(٨) يم الكدر: قصده بعد سيم ليال من قلوبه من بدر. والكدر: موضع لبني سليم على ثمانية برد من المدينة. مستحياً: قاصداً. فولت: أي فوجدها فرت وقد تركت نعمها فظفر بها وكانت خمسمائة بعير.

وَسَارَ فِي غَزْوَةٍ تُدْعَى السَّوِيقَ بِمَا
 ثُمَّ أَتَتْهُ بِوُجُوهِ الْخَيْلِ ذَا أَمْرٍ
 وَأَمَّ فُرْعَا فَلَمْ يَنْقُفْ بِهِ أَحَدًا
 وَلَفَّ بِالْجَيْشِ خَيْيَ قَيْنَقَاعَ بِمَا
 أَلْقَاهُ أَعْدَاؤُهُ مِنْ عُظْمٍ زَادِهِمْ (١)
 فَفَرَّ سَاكِنُهُ رُغْبًا إِلَى الرَّقْمِ (٢)
 وَمَنْ يَقِيمُ أَمَامَ الْعَارِضِ الْهَزِيمِ (٣)
 جَنَوْا فَتَعَسَا لَهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ قَزَمِ (٤)

(١) سار: أي في مائتين من أصحابه في الخامس من ذي الحجة حين بلغه إغارة أصحاب أبي سفيان ليلاً بمساعدة سيد بني النضير على ناحية من المدينة وحرقتهم نخلًا منها وقتلهم رجالاً من الأنصار وآخر حليفاً لهم فوجدتهم هربوا طارحين عامة أزوادهم تخفيفاً لرواحلهم. السويق: دقيق الشعير أو السلت المقلو ويكون من القمح والأكثر جعله من الشعير.

(٢) ذا أمر: موضع بنجد من ديار غطفان «وغزوته تسمى بغزوة غطفان أيضاً» خرج إليه صلى الله عليه وسلم في ١٢ ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة (وكان في أربعين وخمسين رجلاً يريد جمعاً من بني ثعلبة ومحارب بلغه أنه قصد الإغارة. فرساكنه: أي لما سمع بخروجه. الرقم: جبال دون مكة بديار غطفان.

(٣) الفرع: قرية على ثمانية برد من المدينة «أو أربع ليال» وغزوته تسمى أيضاً غزوة بهران «بضم» وفتح موضع بناحية الفرع» خرج إليه في ثلاثمائة لست من جمادى الأولى. ينقف: يصادف. العارض: السحاب المعترض في الأفق. الهزم: الذي لرحله صوت.

(٤) بنو قينقاع: «بالتثنية والضم أشهر» حي من اليهود كانت منازلهم في بطحان «بضم» وفتح فسكون» واد بظاهر المدينة، وكانوا أشجع اليهود وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول. بما جنوا: أي من إظهارهم البغي والحسد ونبذ العهد لما كانت وقعة بدر وكان عليه السلام عاهدتهم على أن يكونوا معه لا عليه، وسبب نقضهم العهد أن زوجة لبعض الأنصار الساكنين بالبدو جلست إلى صائغ منهم فراودها جماعة على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها =

وَسَارَ زَيْدٌ بِجَمْعٍ نَحَرَ قَرْقَةَ مِنْ
 ثُمَّ اسْتَدَارَتْ رَحَا الْهَيْجَاءِ فِي أَحَدٍ
 يَوْمَ تَبَيَّنَ فِيهِ الْجَدُّ وَاتَّضَحَتْ
 قَدْ كَانَ خُبْرًا وَنَمِجِصًا وَمَغْفِرَةً
 مَضَى عَلَيَّ بِهِ قُلُومًا فَزَلَزَلَهُمْ
 وَأَظْهَرَ الصُّحْبَ وَالْأَنْصَارَ بِأَسْهُمٍ
 مِيَاؤُ نَجْدٍ فَلَمْ يَتَّقْ سِوَى النُّعْمِ^(١)
 بِكُلِّ مُفْتَرِسٍ لِلْقَرْنِ مُلْتَهِمٍ^(٢)
 جَلِيَّةُ الْأَمْرِ بَعْدَ الْجَهْدِ وَالسَّامِ
 لِلْمُؤْمِنِينَ وَهَلْ بُرءُ بِلَا سَقَمٍ^(٣)
 بِحِمْلَةٍ أَوْرَدَتْهُمْ مَوْرِدَ الشَّجَمِ
 وَالْبَاسُ فِي الْفِعْلِ غَيْرَ الْبَاسِ فِي الْكَلِمِ^(٤)

= فعقده إلى ظهرها وهي لا تشعر فلما قامت انكشفت عورتها فصاحت فوثب مسلم على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فتوائب المسلمون من كل جهة فبلغ الخبر النبي عليه السلام فقال ما على هذا أقرنناهم ثم سار إليهم في نصف شوال وحاصرهم خمس عشرة ليلة وأجلاهم إلى الشام. القزم: الأراذل السفلة.

(١) سار زيد: يعني ابن حارثة بجمع وكان مؤلفاً من مائة راكب ملاقاته تجار قریش وكانوا سلكوا طريقاً غير الطريق المعتاد بعدما كان من وقعة بدر فلقبهم فأصاب العير بما فيها وقدم على الرسول فخمسها فبلغ الخمس ٢٠ ألف درهم وكان ذلك في جمادى الآخرة من السنة الثالثة للهجرة.

(٢) أحد: جبل بالمدينة وغزوته كانت في ١١ شوال سنة ٣هـ وسببها أن قریشاً لما أصابهم يوم بدر ما أصابهم أجمعوا على حربه صلى الله عليه وسلم وساروا إليه وكانوا ثلاثة آلاف ومعهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمه، وكان المسلمون سبعائة. المفتاح: الأسد. الملتهم: المبتلع.

(٣) التميمي: الإبتلاء والإختبار.

(٤) بأسهم: أي شجاعتهم وشدتهم.

خَاضُوا الْمَنَآيَا فَتَالُوا عِيشَةً رَّغَدًا
 مَنْ يَلْزَمِ الصَّبْرَ يَسْتَحْسِنُ عَوَاقِبُهُ
 لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي أَحْتِمَالِ الصَّبْرِ مَنَقِبَةٌ
 فَكَانَ يَوْمًا عَتِيدَ اللَّبَاسِ نَالٌ بِهِ
 أَوْدَى بِهِ حِمْرَةٌ الصَّنِيدُ فِي نَفَرٍ
 أَحْسِنَ بِهَا مِثْلَهُ أَحْيَاوْا بِهَا شَرَفًا
 لَا عَارَ بِالْقُرُونِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ سَلْبٍ
 فَكَانَ يَوْمَ جَزَاءٍ بَعْدَ مُخْتَبَرٍ
 قَامَ النَّبِيُّ بِهِ فِي مَأْزِقٍ حَرِجٍ
 فَلَمْ يَزَلْ صَابِرًا فِي الْحَرْبِ يَفْتَوُهَا

وَلَسَّ النَّفْسَ لَا تَأْتِي بِلَا أَلَمٍ
 وَالْمَاءُ يَحْسُنُ وَقَعًا عِنْدَ كُلِّ ظَمٍ (١)
 لَمْ يَظْهَرْ الْفَرْقُ بَيْنَ اللُّؤْمِ وَالْكَرَمِ (٢)
 كِلَا الْفَرِيقَيْنِ جَهْدًا وَارِي الْحَدَمِ (٣)
 نَالُوا الشَّهَادَةَ تَحْتَ الْعَارِضِ الرُّزْمِ (٤)
 وَالْمَوْتُ فِي الْحَرْبِ فَخْرُ السَّادَةِ الْقَلَمِ (٥)
 وَهَلْ رَأَيْتَ حُسَامًا غَيْرَ مُنْتَظِمٍ (٦)
 لِمَنْ وَفَا وَجَفَا بِالْعِزِّ وَالرُّغْمِ
 تَرَعَى الْمَنَاصِلُ فِيهِ مَنَبَتَ الْجُمَمِ (٧)
 بِالْبَيْضِ حَتَّى أَكْتَسَتْ ثَوْبًا مِنَ الْعَنَمِ (٨)

(١) الوقع: القدر والشان.

(٢) المنقبة: المفخرة والفعل الكريم.

(٣) العتيد: الشديد. الواري: من وري الزند اتقد وظهرت ناره سريعاً. الحدم: شدة إحماء الشيء بحر الشمس والنار.

(٤) أودي: هلك. الصنديد: السيد الشجاع. العارض الرزم: السحاب الذي لا ينقطع رعد، أراد به الغبار المثار من حوافر الخيل.

(٥) القدم: الشجعان.

(٦) المنتظم: المنكسر الحد.

(٧) المأزق: الموضع الضيق الذي يقتتل فيه. المناصل: السيوف. منبت الجمم: أي مكان نبتها وطلوعها يعني به الرقاب.

(٨) يفتوها: يسكنها ويكسر حداثها.

وَرَدُّ عَيْنِ ابْنِ نَعْمَانَ قَتَاةً إِذْ سَأَلَتْ فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ بِلَا لَتَمٍ (١)
 وَقَدْ أَتَى بَعْدَ ذَا يَوْمِ الرَّجِيعِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْغَدْرِ بَعْدَ الْعَهْدِ وَالْقَسَمِ (٢)
 وَنَارَ نَقْعِ الْمَنَابِي فِي مَعُونَةٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْجُحَمِ (٣)
 ثُمَّ أَشْرَأَتْ لِخَفِيرِ الْعَهْدِ مِنْ سَفِهِ بَنُو النَّضِيرِ فَأَجْلَاهُمْ عَنِ الْأُطَمِ (٤)
 وَسَارَ مُتَجِباً ذَاتَ الرِّقَاعِ فَلَمْ تَلَقَ الْكَتَائِبُ فِيهَا كَيْدَ مُصْطَلَمٍ (٥)

(١) رد عين الخ : وكانت أصيبت يوم أحد حتى وقعت على وجته فكان لا يدري أي عينه أصيبت . والتمت : الجرح .

(٢) الرجيع : ماء لهذيل بن مدركة بين مكة وعسفان وإليه كان بعث عاصم بن ثابت الأنصاري في ستة من الصحابة ليفقهوا بني لحيان في الدين فلما بلغوا الرجيع غدروهم ، وذلك في أول السنة الرابعة للهجرة

(٣) بثر معونة : موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان وإليه كانت سرية المنذر بن عمرو الحزرجي في سبعين من القراء ليدعوا أهله إلى الإسلام فلما نزلوه بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عدو الله عامر بن الطفيل فقتله ثم استصرخ عليهم قبائل من بني سليم «عصية ورعلا وذكوان» فأجابوه وغشوا القوم في رحالهم وقاتلوهم حتى قتلوا كلهم إلا واحداً تركوه وبه رمق .

(٤) اشرايت : مالت يقال اشرايت للشيء مد عنقه لينظر اليه . خفر العهد : عدم الوفاء به . بنو النضير : قبيلة كبيرة من اليهود كانت بواد ظاهر المدينة ، خرج إليهم صلى الله عليه وسلم ليستعين بهم في دية الرجلين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري فلما اتاهم أرادوا الخدر به بإلقاء صخرة من خلفه فأخبره جبريل فقام مظهراً أنه يقضي حاجة خوفاً من أن يفطنوا له فيؤذوا من كان معه من الصحابة ورجع مسرعاً إلى المدينة فلما استبطأ أصحابه قاموا في طلبه ثم عاد إليهم وحاصروهم أشد الحصار حتى سألوه الجلاء فأجلاهم . عن الأطم : أي الحصون ، وكان ذلك في ربيع من السنة الرابعة للهجرة .

(٥) سار : أي لغزو بني محارب وبني ثعلبة حين جمعوا جموعاً لمحاربتهم وكان في ٤٠٠ إلى ٥٠٠

وَحَلَّ مِنْ بَعْدِهَا بَدْرًا لَوَعِدَ أَبِي
سُفْيَانَ لِكَيْنَهُ وَلَّى وَلَمْ يَحْمِ^(١)
مَكَانِهِ وَسَمَاءُ النَّقْعِ لَمْ تَقِمِ^(٢)
أَحْلَافُهَا وَأَتَتْ فِي جَحْفَلٍ لَهَا^(٣)
أَنَّ الْجَهْلَةَ مَدْعَاةٌ إِلَى الثَّلَمِ^(٤)
يَدْعُو إِلَى الشَّرِّ مِثْلَ الْفَحْلِ ذِي الْقَطَمِ^(٥)

== أن نزل نخلا «موضع من أراضي غطفان» فبلغ القوم ففترقوا في رؤوس الجبال،
وسميت غزوة ذات الرقاع باسم الموضع أو للفهم الحرق على أرجلهم لما حفيت من
الشيء وكانت في شهر ربيع وبعض جمادى سنة ٤ هـ .

(١) بدرا: ويقال لها غزوة بدر الأخيرة وكانت في شعبان . لوعد أبي سفيان : فإنه قال يوم
أحد الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل فخرج عليه السلام في ١٥٠٠ وأقام ٨
ليال ينتظره وخرج أبو سفيان في ألفين حتى بلغ مر الظهران أو عسفان ثم بدا له
الرجوع لما ألقى في قلبه من الرعب .

(٢) وأم دومة: أي دومة الجندل «مدينة على ١٥ ليلة من المدينة»، وذلك في شهر ربيع
الأول سنة ٥ هـ حين بلغه أن بها جمعا عظيما يظلمون من مر بهم فلما علموا بخروجه
تفرقوا . جمع : وكان مركبا من ألف رجل .

(٣) استشارت : هيجت ، وكان قدم عليهم - بعد إجلاء بني النضير - نفر من اليهود
وقالوا لهم إنا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله . أحلافها وهم من غطفان
وأشجع وبني سليم وبني مرة وبني أسد وغيرهم من قبائل العرب . الجحفل : الجيش
الكثير وكان مؤلفا من ١٠ آلاف . اللهم : الأكل .

(٤) تستمرى البغي : أي تستطيط التعدي بغير حق وتستحسنه . المدعاة : الدعاة وهي
في الأصل الدعاة إلى الوليمة . الثلم : أراد به السقوط والهلاك .

(٥) الحنق : الغيظ . القطم : الهياج .

فَخَنَدَقَ الْمُؤْمِنُونَ الدَّارَ وَانْتَصَبُوا لِحَرْبِهِمْ كَصَوَارِي الْأَسَدِ فِي الْأَجْمِ (١)
فَمَا اسْتَطَاعَتْ قُرَيْشٌ نَيْلَ مَا طَلَبَتْ وَهَلْ تَنَالُ الثَّرِيًّا كَفَّ مُسْتَلِمِ
رَأَسَتْ بِجَهْلَتِهَا أَمْرًا وَلَوْ عَلِمَتْ مَاذَا أُعِدَّ لَهَا فِي الْغَيْبِ لَمْ تُرْمِ
فَخَيَّبَ اللَّهُ مَسْعَاهَا وَغَادَرَهَا نَهَبَ الرُّدَى وَالصَّدَى وَالرَّيْحَ وَالطَّسْمِ (٢)
فَقَوَّضَتْ عُمُدَ التُّرَحَّالِ وَانْصَرَفَتْ لَيْلًا إِلَى حَيْثُ لَمْ تَسْرُحْ وَلَمْ تُسْمِ (٣)
وَكَيْفَ تَحْمَدُ عَقْبَى مَا جَنَّتْ يَدُهَا بَغْيًا وَقَدْ سَرَحَتْ فِي مَرْفَعِ وَجْهِ
قَدْ أَقْبَلَتْ وَهِيَ فِي فَخْرٍ وَفِي جَلْدٍ وَأَدْبَرَتْ وَهِيَ فِي خِزْيٍ وَفِي سَدَمِ (٤)

(١) خندق المؤمنون الدار: أي حفروا حول المدينة خندقاً لما سمع صلى الله عليه وسلم بما أجمعت عليه الأحزاب من استئصال المسلمين، وكان ينقل معهم التراب فلما فرغ من حفره أقبلت قريش حتى نزلت هي ومن تبعها بمجتمع السيول بين الجرف «بالضم موضع على ٣ أميال من المدينة نحو الشام» والغاية «موضع قريب منها كذلك» ونزلت غطفان ومن تبعها إلى جنب أحد، وخرج الرسول والمسلمون وكانوا ٣ آلاف فجعلوا ظهورهم إلى سلع «جبل بالمدينة» ف ضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم، وأقام المسلمون على الخندق قريباً من شهر والعدو يحاصروهم ويناشدوهم ولم يقع بينهما إلا الرمي بالنبل ويبعث ثلاثه بالليل طمعاً في الغارة حتى اشتد الخوف بالمسلمين والنبي يبرهم ويثبتهم، فبعث الله على عدوهم ريحاً شديدة في ليلة شاتية فأكفأت قلوبهم وأطفأت نيرانهم وهدمت أبنتهم وسفت التراب فوقهم فارتحلوا والخوف يقودهم والحية تحفهم، وذلك لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٥ هـ .

(٢) الصدى: العطش. الطسم: الغبرة والظلام.

(٣) قوضت: هدمت.

(٤) الجلد: الفرح. السدم: الغيظ مع حزن.

مَنْ يَرْكَبِ الْفِي لَا يَحْمَدُ عَوَاقِبَهُ وَمَنْ يُطِيعَ قَلْبُهُ أَمَرَ الْهَوَى يَهْمُ
 وَتُمْ أَنْتَحَى بِوُجُوهِ الْخَيْلِ سَاهِمَةً بَنِي قُرَيْظَةَ فِي رَجْرَاجَةٍ حُطَمِ^(١)
 خَانُوا الرُّسُولَ فَجَازَاهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَفِي الْخِيَانَةِ مَدْعَاةٌ إِلَى النِّقَمِ^(٢)
 وَسَارَ يَنْحُو بَنِي لَحْيَانَ فَاغْتَضَمُوا خَوْفَ الرَّدَى بِالْعَوَالِي كُلِّ مُعْتَصِمِ^(٣)
 وَأُمٌّ ذَا قَرْدٍ فِي جَنْحَقَلٍ لَجِبِ يَسْتَنُّ فِي لَاجِبٍ بَادٍ وَفِي نَسَمِ^(٤)
 وَزَارَ بِالْجَيْشِ غَزَاؤَ أَرْضِ مُصْطَلِقِ فَمَا اتَّقَوْهُ يَغْيِرُ الْبَيْضُ فِي الْخَدَمِ^(٥)

(١) انتحى: قصد، وذلك في يوم انصرافه من غزوة الخندق. ساهمة: متغيرة. بنو قريظة: قوم من اليهود كانوا بظاهر المدينة. رجراجة: أي كتيبة رجراجة وهي التي تتحرك ولا تكاد تسير لكثرتها. حطم: (كما ضبطه الناظم) أي يحطم كل ما يجده، وذكره مراعاة لمعنى الكتيبة وهو الجيش.

(٢) خانوا الرسول: أي بنقضهم العهد الذي كان بينهم وبينه وانفساهمهم إلى قريش لمحاربته في الغزوة السالفة. فجازاهم: أي يقتل الرجال وسيي الداراري والنساء وقسم الأموال على الحكم الذي ارتضوا النزول عليه بعد أن حاصروهم ٢٥ ليلة.

(٣) وسار: أي في جمادى الأولى سنة ٦ هـ إلى أن انتهى إلى بطن غراب وبه منازل بني لحيان الذين غدروا بأصحاب الرجيع. العوالي: الجهات المرتفعة وأراد بها الجبال.

(٤) ذا قرد: موضع على نحو بريد من المدينة لما أغار عينة بن حصن الفزاري على لقاحه والنوق فوات الألبان» في ٦٠ فارساً فاستاقها وقتل راعيه. اللجب: العرمرم كثير الصوت. اللاحب: الطريق الواسع. النسَم: الطريق الدارس.

(٥) وزار: أي حين بلغه أن بني المصطلق «وهم بطن من خزاعة» يجمعون له الجموع فلقيهم على ماء لم يقل له المريسيع من ناحية قديد وأمر أصحابه فحملوا عليهم حملة واحدة بعد أن تراموا بالنبل ساعة فهزموهم وقد قتلوا منهم ١٠ وأسروا الباقين وكانوا أكثر من ٧٠٠ وسبوا النساء والأبناء وساقوا الأموال وكانت ألفي بعير و ٥ آلاف شاة، وذلك في شعبان سنة ٦ هـ. البيض: النساء. الخدَم: الخلائيل.

- «وَفِي» الْحُدَيْبِيَّةِ الصُّلْحُ أَسْتَبَّ إِلَى
 «وَجَاء» خَيْرٌ فِي جُلُوءِ كَالِحَةٍ
 حَتَّى إِذَا أَمْتَعَتْ شُمُّ الْحُصُونِ عَلَى
 قَالَ النَّبِيُّ سَأُعْطِي رَأْيِي رَجُلًا
 ذَا مِرَّةٍ يَفْتَحُ اللَّهُ الْحُصُونَ عَلَى
 فَمَا بَدَأَ الْفَجْرُ إِلَّا وَالزُّعَيْمُ عَلَى
 وَكَانَ ذَا رَمِدٍ فَارْتَدَّ ذَا بَصَرٍ
 فَسَارَ مُعْتَزِمًا حَتَّى أَنَافَ عَلَى
 يَمْضِي بِمَنْصُلِهِ قَدْ نَامَ فَيَلْحَمُهُ
 عَشْرٌ وَلَمْ يَجْرُ فِيهَا مِنْ دَمٍ هَدَمَ^(١)
 بِالْخَيْلِ كَالسَّيْلِ وَالْأَسْيَافِ كَالضَّرَمِ^(٢)
 مَنْ رَأَاهَا بَعْدَ الْإِفَالِ وَمُقْتَحِمِ^(٣)
 يُحِبُّنِي وَيُحِبُّ اللَّهُ ذَا الْكَرَمِ
 يَلْنِيهِ لَيْسَ بِفَرَارٍ وَلَا بَرِمِ^(٤)
 جَيْشِ الْقِتَالِ عَلَيَّ رَافِعُ الْعَلَمِ^(٥)
 بِنَفْثَةِ أَبْرَأَتْ عَيْنِيهِ مِنْ وَرَمِ^(٦)
 حُصُونٍ خَيْرَ بِالسُّلُوكِ الْخُلْمِ^(٧)
 مَجْرَى الْوَرِيدِ مِنَ الْأَغْنَقِ وَاللَّمَمِ^(٨)

- (١) الحديبية (بتخفيف الياء وتشديدها): قرية قريبة من مكة. الصلح: أي بينه صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو من طرف قريش على ترك الحرب ١٠ سنين، وذلك في آخر سنة ٦ هـ. هدم: هدر.
- (٢) خير: مدينة على ٨٠ يرد من المدينة. جُلُوء: سوداء. كالح: عابسة. الضرم: النار المشتعلة، وكانت غزوتها في المحرم سنة ٧ هـ.
- (٣) الإيفال: الإمعان في السير إلى أرض العدو. المقتحم: الإقتحام.
- (٤) المرة: القوة. الفرار: الغار. البرم: السثم الضجر.
- (٥) الزعيم: الرئيس.
- (٦) بنفثة: أي بتفلة من ريقه صلى الله عليه وسلم.
- (٧) أناف: أشرف. بالسلولة: أي بأصحاب السيوف المسلولة. الخلم: القاطعة.
- (٨) المنصل: السيف. يلحمه: يطعمه ويمكته. الوريدان: عرقان تحت الودجين.

حَتَّى إِذَا طَاحَ مِنْهُ التُّرْسُ تَاحَ لَهُ
 بَابُ آيَتِ قَلْبِهِ جَهْدًا ثَمَانِيَةً
 فَلَمْ يَزَلْ صَائِلًا فِي الْحَرْبِ مُقْتَحِمًا
 حَتَّى تَبْلُغَ فَجْرُ النَّصْرِ وَانْتَشَرَتْ
 أَبْشَرُ بِهِ يَوْمَ فَتَحٍ قَدْ أَضَاءَ بِهِ
 أَنَّى بِهِ جَعْفَرُ الطَّيَارِ فَابْتَهَجَتْ
 فَكَانَ يَوْمًا حَوَى عِيدَيْنِ فِي نَسَقِ
 وَعَادَ بِالنَّصْرِ مَوْلَى الَّذِينَ مُنْصَرِفًا
 «ثُمَّ اسْتَقَامَ لِيَتَبَّ اللَّهُ مُغْتَمِرًا
 وَنَسَارَهُ زَيْدٌ أَمِيرًا نَحْوَ مَوْتَةٍ فِي

(١) طاح: سقط وكان بضربة رجل من اليهود. الترس: ما يتوقى به من سيف ونحوه.

تاح: تيمأ. العتم: أي الكف عن القتال.

(٢) آيت الخ: أي كرهت تحويله للمشقة التي أصابها. العزم: (بفتح الزاي تبعاً للعين) الصبر والقوة.

(٣) الغياة: ما ستر. الحيدر: الأسد. القرم: الشديد الميل إلى اللحم.

(٤) أنى: أي من الحبشة. جعفر الطيار: هو ابن أبي طالب، وسمي بالطيار لقوله عليه السلام لما قطعت يده في الحرب أثابه الله بذلك جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء. العزم: جمع عزمة أسرة الرجل وقبيلته.

(٥) استقام: وذلك في هلال ذي القعدة سنة ٥٧هـ. فاته: أي حين صده المشركون عن البيت عام الحديبية، ولذا سميت هذه العمرة عمرة القضاء.

(٦) وسار: وذلك في جمادى الأولى سنة ٥٨هـ. زيد: هو ابن حارثة مولاة عليه السلام. موة

قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. بعث: كان مؤلفاً من ٣ آلاف فلاقى بها =

فَقَبَأَ الْمُسْلِمُونَ الْجُنْدَ وَأَقْتَلُوا
فَطَاحَ زَيْدٌ وَأَوْدَى جَعْفَرٌ وَقَضَى
لَا عَارَ بِالْمَوْتِ فَالْتَهُمُ الْجَرِيءُ يَرَى
«وَجِينَ» خَاسَتْ قُرَيْشٌ بِالْعُهُودِ وَلَمْ
وظَاهَرَتْ مِنْ بَنِي بَكْرِ حَلِيفَتَهَا
قَامَ النَّبِيُّ لِنَصْرِ الْحَقِّ مُعْتَزِماً
تَبَدُّوهُ الْبَيْضُ وَالْقَسَطَالُ مُنْتَشِرٌ
لَنَعِ السُّيُوفُ وَتَضْهَالُ الْخِيُولُ بِهِ
عَرَمَرَمَ يَنْسِفُ الْأَرْضَ الْفَضَاءُ إِذَا

قَتَالَ مُنْتَصِرٍ لِحَقِّ مُنْتَقِمٍ (١)
تَحَتَّ الْعَجَاجَةُ عَبْدُ اللَّهِ فِي قُدَمٍ (٢)
أَنَّ الرُّدَى فِي الْمَعَالِي خَيْرٌ مُغْتَمٍ
تَنْصِفُ وَسَارَتْ مِنَ الْأَهْوَاءِ فِي نَقَمٍ (٣)
عَلَى خُرَازَةِ أَهْلِ الصَّدَقِ فِي الدَّمَمِ (٤)
بِجَحْفَلٍ لِيَجْمُوعَ الشَّرِكُ مُخْتَرِمٍ (٥)
كَالْشَّهْبِ فِي اللَّيْلِ أَوْ كَالنَّارِ فِي الْقَحْمِ
كَالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ فِي مُغْدُودِقِ هَزَمٍ (٦)
مَرَى بِهَا وَيَدُكَ الْهَضْبُ مِنْ خَيْمٍ (٧)

= الأعداء وهم جموع هرقل من الروم وكانوا مائة ألف وانضم اليهم من العرب قدرهم بمشارف بالقرب من مؤتة.

(١) عبأ: هيا ورتب.

(٢) طاح وأودى وقضى: بمعنى هلك. عبد الله: هو ابن رواحة، ثم أمر المسلمون عليهم خالد بن الوليد فأصبح وقد حصل النصر وانهمزت الأعداء وقد قتل منهم ما لا يحصى وغنم المسلمون أكثر ما كان معهم ولم يقتل منهم إلا ١٢ بعد قتال دام سبعة أيام.

(٣) خاست: نفقت، وذلك في شعبان سنة ٨ هـ. نقم: أي وسط.

(٤) ظاهرت: عاوت. حل خرازة: أي حل قتلها وتم ذلك ليلا داخل الحرم وكانت حليفته عليه السلام.

(٥) قام: وذلك في العاشر من رمضان بجحفل وكان مؤلفاً من ١٠ آلاف.

(٦) المغدودق: المطر الكثير. الهزم: الذي لا يستمسك.

(٧) الهضب: المرتفع. خيم: جبل.

- فِيهِ الْكُمَاةُ الَّتِي دَلَّتْ لِجَمْرَتَيْهَا
 مِنْ كُلِّ مُعْتَزِمٍ بِالصَّبْرِ مُحْتَزِمٍ
 طَالَتْ بِهِمْ هِمٌّ نَالُوا السَّمَاءَ بِهَا
 بَيْضُ أَسَاوِرَةٍ غُلَبٌ قَسَاوِرَةٌ
 طَابَتْ نَفْسُهُمْ بِالمَوْتِ إِذْ عَلِمُوا
 سَاسُوا الْجِيَادَ فَظَلَّتْ فِي أَعْيُنِهَا
 نَكَادُ تَفْقَهُ لَحْنُ الْقَوْلِ مِنْ أَدَبٍ
 كَأَنَّ أَذْنَابَهَا فِي الْكَرِّ أَلْوِيَةٌ
 مِنْ كُلِّ مُنْجَرِدٍ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ
 وَالْبَيْضُ تَرْجُفُ فِي الْأَعْمَادِ مِنْ ظَمَأٍ
- (١) الخطم: الحبال التي تقاد بها الإبل.
 (٢) محترم: مستوفى. مهترم: مسرع.
 (٣) السياك: نجم.
 (٤) بيض: أي أنقياء العرض. الأساور: المجيدون الرمي بالسهام. الغلب: الغلاظ الرقية، وغلظها وصف تمدح به السادة. القساورة: الأسود. الشكس: الصعاب الأخلاق. الأزم: السنون الشداد.
 (٥) ساسوا الجياد: أي ذللوها وعلموها. الأعت: اللحم.
 (٦) لحن القول: معناه الوحي الإشارة كالإيماء.
 (٧) سفين: اسم جنس جمعي مفردة سفينة. مرتسم: ممثل.
 (٨) منجرد: سباق. يهوي الخ: أي يتقض براكبه انقضاض الصقر الشديد الشهوة إلى اللحم.
 (٩) ترجف: تضطرب ترعد. السر: الرماح. القرم: شدة الشهوة إلى اللحم.

مِنْ كُلِّ مُطَرِّدٍ لَوْلَا عِلَاقَةُ
 كَأَنَّهُ أَرْقَمَ فِي رَأْسِهِ حُمَةً
 فَلَمْ يَزَلْ سَائِراً حَتَّى أَتَاهُ عَلَى
 وَلِقَهُمْ بِخَمِيسٍ لَوْ يَشُدُّ عَلَى
 فَاقْبَلُوا يَسْأَلُونَ الصَّفْحَ حِينَ رَأَوْا
 رِيْعُوا فَلَوْلَا وَلَوْ طَاشُوا لَوَقَرَهُمْ
 ذَاقُوا الرِّدَى جُرْعاً فَاسْتَسْلَمُوا جُرْعاً
 وَأَقْبَلَ التَّصَرُّ يُتَلَوُّ وَهُوَ مُبْتَسِمٌ
 يَا حَايِرَ اللَّبِّ هَذَا الْحَقُّ فَأَمْرٌ لَهُ
 لَا يَصْرَعُ عَنْكَ وَهُمْ بِتَّ تَرْقُبُهُ
 هَذَا النَّبِيُّ وَذَاكَ الْجَيْشُ مُنْتَشِرٌ
 فَأَلْزَمَ جَمَاهُ تَجِدَ مَا شِئْتَ مِنْ أَرْبِ

- (١) المطرد: الرامح. القرن: الكفة. في الشجاعة. الضرم: الجوع.
- (٢) الأرقم: أخبث الحيات وأطلبها للناس. الحمة: السم. يستل: يتزعج. الكيد: المكر والحيلة والمراد القلب. ابنة الرقم: الداهية.
- (٣) أرباض: جمع ربح الفضاة حول المدينة. البهم: الشجعان.
- (٤) الخميس: الجيش الجرار. يشد: يحمل. رضوى: جبل.
- (٥) ريعوا: أفرعوا. وقرهم: سكنهم.
- (٦) مرقاة: أي موصلة. والسلم ضد الحرب ففتح اللام تابع للسين.
- (٧) المجد الخ: تضمين من شعر المتنبي.
- (٨) شم نداء: اطلب معروفه. يشم: ينظر إليه.

- وَأَخْلَلَ بِحَالِكَ وَأَنْزَلَ نَحْوَ سُدَّتِهِ
 أَخْبَا بِهِ اللَّهُ أَمَوَاتِ الْقُلُوبِ كَمَا
 حَتَّى إِذَا تَمَّ أَمْرُ الصُّلْحِ وَأَتَتْظَلَّتْ
 قَامَ النَّبِيُّ بِشُكْرِ اللَّهِ مُنْتَهَباً
 وَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعاً فَوْقَ رَاحِلَةٍ
 فَمَا أَشَارَ إِلَى بُدٍّ بِمَحْجَرِهِ
 «وَفِي حُنَيْنٍ إِذْ أَرْسَلْتُ هَوَازِنَ عَنْ
 سَرَى إِلَيْهَا بِبَحْرِ مِنْ مَلَمَلَمَةٍ
 حَتَّى اسْتَدَلَّتْ وَعَادَتْ بَعْدَ نَحْوِهَا
 «وَيَمُّمٌ» الطَّائِفُ الْغَنَاءُ ثُمَّ مَضَى
- (١) السدة: الساحة.
 (٢) الرزم: السائل.
 (٣) قام الخ: وكان دخل مكة يوم الجمعة ٢٠ رمضان.
 (٤) القوداء: طويلة الظهر والعنق. الناجية: السريعة. النسيم: طير سراع.
 (٥) البد: الصنم. المحجن: العصا المعوجة الرأس.
 (٦) حنين: موضع بين مكة والطائف. هوازن: قبيلة كبيرة، وكانت مع ما انضم إليها
 ٣٠ ألفاً. قصد السبيل: الطريق المستقيم. الحكم: السن وأراد به دويد بن الصمة
 وكان ذا رأي.
 (٧) سرى إليها: وذلك في ٦ شوال. الململة: الكتبية المجتمعة وكانت مؤلفة من ١٢
 ألفاً. سرة الشيء: أعلاه.
 (٨) النخوة: العظمة.
 (٩) يم: أي بعد خروجه من حنين. الطائف: بلدة قريبة من مكة كثيرة الأعناب والفواكه
 والنخل. ثم مضى عنها: أي بعد محاصرتها ١٨ يوماً.

«وَجِينَ» أَوفَى عَلَى وَاْدِي تَبْسُوكَ سَعَى
 فَصَالِحُوهُ وَأَدَّوْا جَزِيَّةً وَرَضُوا
 أَلْفَى بِهَا عَيْنَ مَاءٍ لَا تَبْضُ فَمُذْ
 وَرَادَ الْغَيْثُ فَانْهَلَتْ بِرَوَادِهِ
 وَأَمَّ طَيْبَةً مَسْرُورًا بِعَوْدَتِهِ
 ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ وَفُودَ النَّاسِ قَاطِبَةً
 فَكَانَ عَامٌ وَفُودٌ كُلَّمَا انْصَرَفَتْ
 وَأَرْسَلَ الرَّسُلُ تَتَرَى لِلْمُلُوكِ بِمَا
 «وَأَمَّ» غَالِبُ أَكْثَافِ الْكَدِيدِ إِلَى
 وَجِينَ خَانَتْ جُدَامٌ فَلْ شَوْكَتِهَا
 وَسَارَ مُتَّجِياً وَاْدِي الْقَرْىِ فَمَحَا
 وَأَمَّ خَيْبَرَ عَبْدُ اللَّهِ فِي نَفْسِ
 وَيَمُّمُ ابْنُ أَنَيْسٍ عُرْضَ نَخْلَةٍ إِذْ

- (١) أوفى: أشرف، وذلك في رجب سنة ٩ هـ. تبوك: موضع بين المدينة والشام.
 (٢) تبض: تسيل. السنم: الظاهر على وجه الأرض.
 (٣) راد: دحا، لما أصبح الناس ولا ماء معهم.
 (٤) الروخادة: السريعة السير الواسعة الخطو. الرسم: المؤثرة في الأرض من شدة
 الرطوبة.
 (٥) مقتثم: مستاصل.
 (٦) القزم: الدناءة.
 (٧) العرض: الناحية.

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ابْنُ حِصْنٍ فَاخْتَوَتْ يَدُهُ
وَسَارَ عَمْرُو إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ فِي
وَعَزَّ وَثَانٍ لِعَبِيدِ اللَّهِ وَاجِدَةً
وَسَارَ جَمْعُ ابْنِ عَوْفٍ نَحْوَ دَوْمَةٍ كَثِيٍّ
وَأُمُّ بِالسَّخِيلِ بَيْفَ الْبَحْرِ مُعْتَزِمَةً
وَسَارَ عَمْرُو إِلَى أُمِّ الْقُرَى لِأَبِي
وَأُمُّ مَذِينٍ زَيْدٌ فَاسْتَوَتْ يَدُهُ
وَقَامَ سَالِمٌ بِالسَّغْبِ الْجُرَازِ إِلَى
وَانْقَضَ لَيْلًا عُمَيْرٌ بِالسَّحَامِ عَلَى
وَسَارَ بَعَثَ فَلَمْ يَخْطِئْهُ ثَمَامَةٌ إِذْ
ذَلِكَ الْهَمَامُ الَّذِي لَمْ يَمَكَّ إِذْ
وَبَعَثَ عُلْفَةً اسْتَفْرَى الْعَدُوَّ ضَحَى
وَرَدَّ كُرُزًا إِلَى الْعُدَاءِ مَنْ غَدَرُوا
وَسَارَ بَعَثَ ابْنُ زَيْدٍ لِلشَّامِ فَلَمْ
وَفَهْدِهِ الْغَزَاوَاتِ الْغُرَّ شَابِلَةً
نَظَمَتْهَا رَاجِعًا نَيْلَ الشُّفَاعَةِ مِنْ

عَلَى بَنِي الْغُبَرِ الطُّرَّارِ وَالشُّجَمِ (١)
جَمْعٌ لَهُمْ لِحَيْشِ الشَّرِكِ مُضْطَلِمٍ
إِلَى رِفَاعَةٍ وَالْآخَرَى إِلَى إِصْمِ
يَقُولُ سَوْرَةٌ أَهْلُ الزُّوْدِ وَالنَّهْمِ
أَبُو عَيْدَةَ فِي ضِيَابَةِ حُثْمِ (٢)
سُفْيَانٌ لَكِنْ عَدْنُهُ مُهْلَةٌ الْقِسْمِ
عَلَى الْعَدُوِّ وَمَسَاقِ الشَّيِّ كَالْفَنَمِ
أَبِي عُفَيْكٍ فَأَزْدَاهُ وَلَمْ يَجْمِ
عَضْمَاءَ حَتَّى سَقَمَا غَلَقَمَ الْعَدَمِ
رَأَاهُ فَاحْتَاظَهُ غُنْمًا وَلَمْ يُلَمِ
أَتَى بِهَا مُغْلِنًا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرَمِ
فَلَمْ يَجِدْ فِي جِلَالِ الْحَيِّ مِنْ أَرَمِ
يَسَارَ حَتَّى لَقُوا بَرْحًا مِنَ الشُّجَمِ (٣)
يَلْبِثُ أَنْ انْقَضَ كَالْبَازِي عَلَى الْيَمِّ
جَمْعُ الْبُعُوثِ كُنُزٌ لَاحَ فِي نُظْمِ
خَيْرِ الْبَرَائِيَا وَمَوْلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ

(١) الطرار: المختلسون. الشجم: الحبيثاء.

(٢) الضيابة: الحيار. الحثم: ذؤود الحياه.

(٣) العذراء: اسم للمدينة.

هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا قُيِّلَتْ
حَسْبِي بِطُلْعَتِهِ الْغُرَاءُ مَفْخَرَةٌ
وَقَدْ خَبَانِي عَصَاهُ فَاعْتَصَمْتُ بِهَا
فَهِيَ الَّتِي كَانَ يَحْبُو بِمِثْلِهَا كَرَمًا
لَمْ أَخْشَ مِنْ بَعْدِهَا مَا كُنْتُ أَخْذَرُهُ
كَفَى بِهَا نِعْمَةً تَعْلُو بِقِيَمَتِهَا
وَمَا أَبْرَىءُ نَفْسِي وَهِيَ أَمْرَةٌ
فِيَا نَدَامَةَ نَفْسِي فِي الْمَعَادِ إِذَا
لَكِنِّي وَائِثٌ بِالْعَفْوِ مِنْ مَلِكٍ
وَسَوْفَ أَبْلُغُ أَمَالِي وَإِنْ عَظُمَتْ
هُوَ الَّذِي يَنْعَشُ الْمَكْرُوبُ إِذْ عَلِقَتْ
هَيْهَاتَ يَخْلُدُ مَوْلَاهُ وَشَاعِرُهُ
فَمَدَحُهُ رَأْسَ مَالِي يَوْمَ مُفْتَقِرِي
وَعَبْتُ نَفْسِي لَهُ حُبًّا وَتَكْرِمَةً
إِنِّي وَإِنْ مَالِي بِي دَهْرِي وَبِرَحْمَتِي
لَنَابِتُ الْعَهْدِ لَمْ يَخْلُلْ قُرَى أَمَلِي
لَمْ يَتْرِكْ الدُّعْرُ لِي مَا اسْتَعِينُ بِهِ
هَذَا يُجَبِّرُ مَذْجِي فِي الرَّسُولِ وَذَا

رَجَاءُ آدَمَ لَمَّا زَلَّ فِي الْقَدَمِ
لَمَّا التَّقِيْتُ بِهِ فِي عَالَمِ الْحُلَمِ
فِي كُلِّ مَوْلٍ فَلَمْ أَفْزَعْ وَلَمْ أَهْمِ
لِمَنْ يُوَدُّ وَحَسْبِي نَسَبَةٌ بِهِمْ
وَكَيْفَ وَهِيَ الَّتِي تَنْجِي مِنَ الْقَهْمِ
نَفْسِي وَإِنْ كُنْتُ مَسْلُوبًا مِنَ الْقِيَمِ
بِالسُّوءِ مَا لَمْ تَغْفُهَا خِيفَةُ النَّدَمِ
تَعَوَّذُ الْمَرءُ خَوْفَ النُّطْقِ بِالْبَكَمِ
يَغْفُو بِرَحْمَتِهِ عَنْ كُلِّ مُجْتَرِمِ
جَرَائِمِي يَوْمَ أَلْقَى صَاحِبَ الْعِلْمِ
بِهِ الرِّزَايَا وَيُغْنِي كُلَّ ذِي عَدَمِ
فِي الْخَشْرِ وَهُوَ كَرِيمُ النَّفْسِ وَالشَّيْمِ
وَحُبُّهُ عِزُّ نَفْسِي عِنْدَ مُهْتَزِّمِي
فَهَلْ تَرَانِي بَلَّغْتُ السُّؤْلَ مِنْ سَلَامِي
ضَمِيمُ أَشْطَاطٍ عَلَى جَنْبِ النَّزْرِ أَدْمِي
يَأْسُ وَلَمْ تَخْطُ بِي فِي سَلْوَةِ قَدَمِي
عَلَى التَّجَمُّلِ إِلَّا سَاعِدِي وَفِي
يَتْلُو عَلَى النَّاسِ مَا أَوْجِيهِ مِنْ كَلِمِي

يَا سَيِّدَ الْكَوْنِ عَفِّرُوا إِنِ اثْبَتْتُ قَلْبِي
كَفَى بِسَلْمَانَ لِي فَخْرًا إِذَا انْتَسَبْتُ
وَحَسَنُ ظَنِّي بِكُمْ إِنْ مِتُّ يَكْلُوْنِي
تَاللَّهِ مَا عَاقَنِي عَنْ حَبِيبِكُمْ شَجَنٌ
فَهَلْ إِلَى زُرَّةٍ يَحْيَا الْفُرَادُ بِهَا
شَكُوْتُ بَنِي إِلَى رَبِّي لِيُنْصِفَنِي
وَكَيْفَ أَرْهَبُ خَيْفًا وَهُوَ مُنْتَقِمٌ
لَا عُرْوَانُ يَلْتُ مَا أَمَلْتُ مِنْهُ فَقَدْ
يَا مَالِكَ الْمَلِكِ هَبْ لِي مِنْكَ مَغْفِرَةً
وَأَمْسِنُ عَلَيَّ بِلُطْفٍ مِنْكَ يَعْصِمُنِي
لَمْ أَذْغُ غَيْرَكَ فِيمَا نَابَنِي فَوَيْني
حَاشَا لِإِرَاجِيكَ أَنْ يَخْشَى الْعِثَارَ وَمَا
وَكَيْفَ أَخْشَى ضَلَالًا بَعْدَ مَا سَلَكَتُ
وَلِي بِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ مَسْزِلَةٌ
لَا أَذْيِي عَصْمَةً لَكِنْ يَدِي عَلَقْتُ

بِحُبِّكُمْ صِلَةً تُغْنِي عَنِ الرَّجْمِ
نَفْسِي لَكُمْ مِثْلَهُ فِي زُمْرَةِ الْحَشَمِ
مِنْ هَوْلِ مَا أَتَيْني فِي ظُلْمَةِ الرَّجْمِ
لَكِنِّي مُوْتَقٌ فِي رَيْقَةِ السَّلَمِ^(١)
ذَرِيعَةً أَبْتِغِيهَا قَبْلَ مُحْتَزَمِي
مِنْ كُلِّ بَاغٍ عَتِيدِ الْجَوْرِ أَوْ هَكَمِ^(٢)
بِهَابِهِ كُلِّ جَبَّارٍ وَمُنْتَقِمِ
أَنْزَلْتُ مَعْظَمَ أَمَالِي بِلَدِي كَرَمِ
تَمْحُو ذُنُوبِي غَدَاةَ الْخَوْفِ وَالْأَلَمِ
زَيْغَ النَّهْيِ يَوْمَ أَخَذَ الْمَوْتَ بِالْكَظَمِ^(٣)
شَرُّ الْعَوَاقِبِ وَأَخْظَنِي مِنَ التَّهَمِ
بَعْدَ الرَّجَاءِ سِوَى التَّوْفِيقِ لِلْسَّلَمِ
نَفْسِي بِنُورِ الْهُدَى فِي مَسَلِكِ قِيمِ
أَرْجُو بِهَا الصَّفْحَ يَوْمَ الدِّينِ عَنْ جُرْمِي^(٤)
بِسَيِّدٍ مَنْ يَرُدُّ مَرْغَاتَهُ يَسْمِ

(١) شجن: حاجة. السلم: الأمر.

(٢) الهكم: الشرير.

(٣) النهي: العقل، الكظم: خرج النفس.

(٤) الجرم (بضم الراء تبعاً للمجيم): الذنب.

خَدَمْتُهُ بِمَدِيدِيحِي فَأَغْتَلَوْتُ عَلَى
وَكَيْفَ أَرْهَبُ ضَيْمًا بَعْدَ خِلْمَتِهِ
أَمْ كَيْفَ يَخْدُلْنِي مِنْ بَعْدِ تَسْبِيحَتِي
أَبْكَايَ الدُّهْرِ حَتَّى إِذْ لَجِثْتُ بِهِ
فَهَوَّ إِلَيَّ يَمْنَحُ الْعَافِينَ مَا سَأَلُوا
نُورَ لِمُقْتَسِرٍ دُخْرُ لِمُتَنَبِّسٍ
بَثُّ الرَّدَى وَالنَّدَى شَطْرَيْنِ فَاتَّبَعْنَا
فَالْكُفْرُ مِنْ بَأْسِهِ الْمَشْهُورِ فِي حَرْبٍ
هَذَا تَسَائِي وَإِنْ قَصُرْتُ فِيهِ فِلي
هَيْهَاتَ أَتْلُغُ بِالشَّعَارِ مَذْحَنَهُ
مَاذَا عَسَى أَنْ يَقُولَ الْمَادِحُونَ وَقَدْ
«فَهَاكُنَّهَا» يَا رَسُولَ اللَّهِ زَاهِرَةً
وَسَمْتُهَا بِاسْمِكَ الْعَالِي فَالْبَسَهَا
غَرِيبَةً فِي إِسَارِ الْيَتِيمِ لَوْ أُنْسَتْ
لَمْ أَلْتَزِمِ نَظْمَ حَبَاتِ الْبَدِيعِ بِهَا
وَأِنَّمَا هِيَ أَبْسَاتُ رَجَوْتُ بِهَا

(١) السها: كوكب خفي.

(٢) الأس: من الریحان، البرم: ثمر زكي الرائحة.

(٣) النسَم: جمع نسمة وهي الإنسان.

(٤) بلدة الرمم: أي الرمم المتفرقة.

هَامِ السَّمَكَ وَصَارَ السَّعْدُ مِنْ خَدَمِي
وَحَادِمِ السَّادَةِ الْأَجْوَادِ لَمْ يُضْمِ
بِاسْمٍ لَهُ فِي سَمَاءِ الْعَرْشِ مُحْتَرَمِ
حَنَا عَلَيَّ وَأَبْدَى تُغَرُّ مُبْتَسِمِ
فَضْلًا وَيَشْفَعُ يَوْمَ الدِّينِ فِي الْأَمَمِ
جَرُّ لِمُبْتَسِ كَهْفٍ لِمُعْتَصِمِ
فِيَمَنْ غَوَى وَهَدَى بِالْبُؤْسِ وَالنَّعَمِ
وَالدِّينِ مِنْ عَذْلِهِ الْمَأْثُورِ فِي حَرَمِ
عُذْرٍ وَأَيْنَ السُّهَاءِ مِنْ كَفِّ مُسْتَلِمِ (١)
وَأَنْ سَلَكْتُ سَبِيلَ الْقَالَةِ الْقَدَمِ
أَتْنَى عَلَيْهِ بِفَضْلِ مُنْزِلِ الْكَلِمِ
تُهْدِي إِلَى النَّفْسِ رِيَا الْأَسْرِ وَالْبَرَمِ (٢)
ثَوْبًا مِنَ الْفَخْرِ لَا يَتَلَى عَلَى الْقَدَمِ
بِنَظَرَةٍ مِنْكَ لَأَسْتَعْنَتْ عَنِ النَّسَمِ (٣)
إِذْ كَانَ صَوْنُ الْمَعَانِي الْغَرِّ مُلْتَزِمِ
نَيْلِ الْمُتَى يَوْمَ تَحْيَا بِلْذَةِ الرَّمَمِ (٤)

تَنَزَّتَ فِيهَا فَرِيدَ الْمَدَحِ فَاتَّقَطَتْ
صَدْرُتُهَا بِنَسِيبِ شَفْتِ بَاطِنُهُ.
لَمْ أَتَجِدْهُ جُزْأً أَبْلَ سَلَكْتُ بِهِ
تَابَعْتُ كُتْباً وَصَنَائِعَ وَلِي بِهِمَا
وَالشَّعْرُ مَغْرَضُ الْبَابِ يَرُوجُ بِهِ
فَلَا يَلْمِني عَلَى التَّشْيِيبِ دُوعَنْتِ
وَلَيْسَ لِي رَوْضَةُ الْهُوْ بِزَهْرِيهَا
فَهِيَ الَّتِي نَيْمَتْ قَلْبِي وَهَمَّتْ بِهَا
مَعَاهِدُ نَفْسَتْ فِي وَجْنَتِي لَهَا
يَا حَادِي الْعَيْسِ إِنْ بَلَّغْتَنِي أَمَلِي
سِرّاً بِالمَطَايَا وَلَا تَرَفُقْ فَلَيْسَ فَعَى
وَلَا تَخَفْ ضَلَّةً وَانْظُرْ فَسَرُوفَ تَرَى
وَكَيْفَ يَخْشَى ضَلَالاً مَنْ يَوْمُ جَنَى
هَلِي مُنَايَ وَخَسِي أَنْ أَتَوَزَّ بِهَا
وَمَنْ يَكُنْ رَاجِياً مَوْلَاهُ نَالَ بِهِ
فَأَسْجُدْ لَهُ وَاقْتَرِبْ تَبْلُغْ بِطَاعَتِهِ
هُوَ الْمَلِيكَ الَّذِي ذَلَّتْ لِعِزَّتِهِ

(١) حطيم : شديد السوق .

(٢) المصانع : القصور . عاد وإرم : قبيلتان .

أَحْسَنَ بِمُنْتَشِرٍ مِنْهَا وَمُنْتَشِظٍ
عَنْ عَفَّةٍ لَمْ يَشْنُهَا قَوْلُ مُتَّهِمٍ
فِي الْقَوْلِ مَسَلَكِ أَقْوَامٍ ذَوِي قَدَمٍ
فِي الْقَوْلِ أَسْوَأُ بَرٍّ غَيْرِ مُتَّهِمٍ
مَا نَمَّقَتْهُ يَدُ الْأَدَابِ وَالْحُكْمِ
فَبَلَّلُ الرُّوضِ مَطْبُوعٌ عَلَى النُّعْمِ
فِي مَغْرَضِ الْقَوْلِ إِلَّا رَوْضَةُ الْحَرَمِ
وَجَدْتُ وَإِنْ كُنْتُ غَفَّ النَّفْسِ لَمْ أَمِمْ
أَيْدِي الْهُوْ أَسْطَرّاً مِنْ غَبْرَتِي بِدَمٍ
مِنْ قَضِيهِ فَأَقْتَرِحْ مَا ثَبَّتَ وَاحْتَكِمِ
أَوَّلَى بِهَذَا السُّرَى مِنْ سَائِقِ حُطَمِ (١)
نُوراً يُرِيكَ مَدَبَ الدَّرَجِي الْأَكْمِ
«مُحَمَّدٍ» وَهُوَ مَشْكَاةٌ عَلَى عَلَمٍ
بِنِعْمَةِ اللَّهِ قَبْلَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
مَا لَمْ يَنْلَهُ بِفَضْلِ الْجِدَّةِ وَالْهَمَمِ
مَا ثَبَّتَ فِي الدُّهْرِ مِنْ جَاهٍ وَمِنْ عِظَمِ
أَهْلِ الْمَصَانِعِ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمِ (٢)

يُخَيِّبُ الْبَرَايَا إِذَا حَانَ الْمَعَادُ كَمَا
بَا غَاغِرَ الذَّنْبِ وَالْأَلْبَابُ حَائِرَةٌ
حَاشَا لِفَضْلِكَ وَهَوِ الْمُسْتَعَاذُ بِهِ
إِنِّي لَمُسْتَغِيثُ بِالمُضْطَفَى وَكَفَى
فَاقْبَلْ رَجَائِي فَمَا لِي مِنَ الْوُدِّ بِهِ
وَصَلَّ رَبِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ
وَالْأَلَّ وَالصُّحُبِ وَالْأَنْصَارِ مَنْ تَبِعُوا
وَأَمَنْ عَلَى عَبْدِكَ الْعَلَايِي بِمَغْفِرَةٍ

يُخَيِّبُ النَّبَاتَ بِشَوْوَبٍ مِنَ الدَّيَمِ (١)
فِي الْحُسْرِ وَالنَّارُ تَرْمِي الْجَوَّ بِالضَّرَمِ (٢)
أَنْ لَا تَمُنَّ عَلَيَّ فِي خَلَّةٍ عَدِمِ (٣)
بِهِ شَفِيعاً لَدَى الْأَمْوَالِ وَالْقَحْمِ
مِوَالِكَ فِي كُلِّ مَا أَخْشَاهُ مِنْ قَقْمِ
شَمْسُ النَّهَارِ وَلَا حَتَّ أَنْجَمُ الظُّلَمِ
هَذَاةً وَاعْتَرَفُوا بِالْعَهْدِ وَالسُّدْمِ
تَمْحُو خَطَايَاهُ فِي بَدْءِ وَمُخْتَمِ

(١) الشَّوْبُوبُ : الدَّفْعَةُ .

(٢) الضَّرَمُ : جَمْعُ ضَرَمَةٍ وَهِيَ مَا انْفَصَلَ مِنَ النَّارِ .

(٣) الْخَلَّةُ : الْحَاجَةُ . الْعَدَمُ : الْفَقِيرُ .

القصيد الثانية

قال في التيسيب :

صِلَةُ الْخَيَالِ عَلَى الْإِعَادِ لِقَاءُ لَوْ كَانَ يَمْلِكُ عَيْنِي الْإِغْفَاءُ^(١)
 يَا هَاجِرِي مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فِي الْهَوَى مَهْلًا ، فَهَجَرْتُكَ وَالْمُنُونُ سَوَاءُ^(٢)
 أَغْرَيْتَ لَحْظَكَ بِالْفُؤَادِ فَشَفَّهُ وَمِنْ الْعَيْنِ عَلَى النَّفْسِ بِلَاءُ^(٣)
 هِيَ نَظْرَةٌ ، فَاثْنُنْ عَلَى بِأُخْبِيهَا فَالْخَمَرُ مِنْ أَلَمِ الْخُمَارِ شِفَاءُ^(٤)
 أَنَا مِنْكَ مَطْوِي الْفُؤَادِ عَلَى جَوَى لَوْلَا الدُّمُوعُ ذَكَتُ بِهِ الْحَوْبَاءُ^(٥)
 لَا أَنْتَ تَرْحَمْنِي ، وَلَا نَارُ الْهَوَى تَخْبُو ، وَلَا لِلنَّفْسِ عَنْكَ عَزَاءُ^(٦)

* نسب الشاعر بالمرأة (كضرب) ينسب نسبياً : شيب بها في شعره ، ويترس بهواها وحبا .
 وهذه القصيدة حل وزن وروى قصيدة أبي الطيب المتنبي في ملح أبي عل الأواربي الكاتب ، التي أولها :
 أمن ازديارك في السبي الزيام * إذ حيث كنت من الظلام ضياء

(١) يريد بالخيال : طيف الحبيب . والبعاد (بكسر الباء) : البعد . والإغفاء : النسيان .

(٢) الهوى : الحب . والمنون : الموت .

(٣) أغريت : أولعت . والحظ : النظر بمؤخر العين ، والمراد النظرة الفاتنة الساحرة . وشفه :
 حله وآله . والبلاء : الفتنة والطالب .

(٤) من عليه بالشئ : أغم عليه به . والخمار (بضم الخاء) : ما يصيب الخمر من الصداع
 وأذى الخمر .

(٥) الهوى : شدة الوجد بالمحبوب . وذكت : اشتهت وتوقدت واحترقت ، والمراد هلكت ،
 وأصله من ذكت النار إذا اشتد لها . والحوباء : النفس .

(٦) تخبو : يخمد لهما ويسكن . وعزاء : صبر وسلوان .

فَانْظُرْ إِلَى تَجْدِ خَيَالَةَ صُورَةٍ لَمْ يَبْقَ فِيهَا لِلْحَيَاةِ دَمَاءٌ (٨)
 رَقَّتْ لِي الْوَرْقَاءُ فِي عِلْبَاتِهَا وَبَكَتْ عَلَى بَلَمْعِهَا الْأَنْدَاءُ (٩)
 وَتَحَدَّثَتْ رُسُلُ النَّسِيمِ بِلَوْحَتِي فَلِكُلِّ غُصْنٍ نَحْوَهَا إِصْفَاءٌ (١٠)
 كَلَفْتُ تَنَاقُلَهُ الْحَمَامُ عَنِ الصَّبَا فَصَبْتُ إِلَيْهِ الْقَيْدُ وَالشُّعْرَاءُ (١١)
 فَيَقْلِبُ كُلَّ فَتًى غَرَامٌ كَامِنٌ وَيَعْطِفُ كُلُّ مَلِيحَةٍ خَيْلَاءُ (١٢)
 قَدَحَ التَّكْهَنُ يَا طَلِيبُ ، فَإِنَّمَا دَائِي الْهَوَى ، وَلِكُلِّ نَفْسٍ دَاءٌ (١٣)
 أَلَمُ الصَّبَابَةِ لَكَّةٌ تَحِيَا بِهَا نَفْسِي ، وَدَائِي لَوْ عَلِمْتُ دَوَاءُ (١٤)
 وَبِمُحْجَتِي رَشِيئَةً مِنْ دُونِهَا أَسْدُ ، لَهَا قَصَبُ الرِّيحِ أَبَاءُ (١٥)
 هَيْفَاءُ مَا لِي بِهَا النَّعِيمُ ، فَخَطَوَهَا دُونَ الْقَطَاةِ ، وَنُطِقَهَا إِمَاءُ (١٦)

(٧) الخيالة : اللطيف ، والذماء (بفتح الذال) : الحركة ، وبقية النفس .

(٨) الورقاء : الحمامة في نونها بياض إلى سواد . والعليبات : الأغصان . والأنداء : جمع ندى وهو المطر .

(٩) الوعة : حرقه في القلب ، وألم من حب ونحوه . وإصفاة : ميل واستماع .

(١٠) كلف : ولوع وعشق . والصبا : الريح تهب من مطلع الشمس عند العرب ، وهي أحب الرياح إليهم . وصبت : حننت واشتاق . والفيد : جمع غيداء : وهي المرأة الناعمة المتشينة لينا .

(١١) كامن : خفي مكتوم . والمطف : الجانب . والخيلاء : العجب والكبر .

(١٢) تكهن له : قفى له بالغيب .

(١٣) الصبابة : الشوق ، أو رفته ، أو رقة الهوى .

(١٤) المهجة : دم القلب ، أو الروح ، والمراد : أنه يفديها بنفسه ، أو أن صورتها وجها ملء قلبه . ورشيئة : نسبة إلى الرشا (بفتح السين) وهو الطي : أي الفزال إذا قوى وشى مع أمه ، ورشبه به الحسنة في جمال العيتين والجيد والرشاقة ولطف الحركة . والأباء (كسحاب) : الأجمة .

ومعنى البيت : أن الشاعر أتت بقلبه محبوبة شبيهة بالظبي ، يحول بينه وبينها حراس أيقاظ شداد كالأسد ، يصونونها في شبه أجمة من الرمام .

(١٥) هيفاء : شامة البطن ، رقيقة الخاصرة ، ومال بها : غلبها . والقطاة : واحدة القطا ، وهو نوع من الحمام . وإمعاء : إشارة .

تَرْنُو بِأَحْوَر ، لَوْ تَمَكَّنَ لَخُطَّه
حَكَمَ الْجَمَالَ لَهَا بِمَا تَخْشَاهُ
غَضِبْتُ عَلَى ، وَما جَنَيْتُ وَرَيْمًا
طَافَ الْوُشَاةُ بِهَا ، فَكَانَ لِقَوْلِهِمْ
لَوْ لَا النَّمِيمَةُ لَمْ يَقَعْ بَيْنَ امْرِئِي
أَثَقِيقَةَ الْقَمَرَيْنِ ! أَيُّ وَسِيلَةٍ
جُودِي عَلَى وَلَوْ بَوَّعِدِ كَاذِبٍ
وَبَقِيَ بِحُكْمَانِ الْحَدِيثِ ، فَلِأَنَّمَا
لَا تَرْهَبِي قَوْلَ الْوُشَاةِ ، فَإِنَّهُمْ
زَعْمُوكِ شَمْسًا لَا تَلُوحُ بِظُلْمَةٍ
فَعَلَّامٌ تَخْشَيْنَ الزِّيَارَةَ بَعْدَمَا
مِنْ صَخْرَةٍ لَارْقُضَ مِنْهَا الْمَاءُ (١٧)
فَتَحَكَّمْتُ فِي النَّاسِ كَيْفَ تَشَاءُ (١٨)
حَمَلَ الْمَشُوقُ اللَّذْبَ وَهُوَ بَرَاءُ (١٩)
فِي مِسْمَعِيهَا رَنَّةٌ وَحُدَاءُ (٢٠)
وَأَخِيهِ مِنْ بَعْدِ الْوِدَادِ عِدَاءُ (٢١)
تُذَنِّبِي لِيكَ ؟ فَلَيْسَ لِي شَفَعَاءُ (٢٢)
فَالْوَعْدُ فِيهِ تَعَلَّةٌ وَرَجَاءُ (٢٣)
شَفَتَايَ خَتَمٌ ، وَالْفُؤَادُ وَعَاءُ (٢٤)
قَدْ أَحْسَنُوا فِي الْقَوْلِ حِينَ أَسَاءُوا (٢٥)
وَلِقَوْلِهِمْ عِنْدِي يَدٌ بَيْضَاءُ (٢٦)
(أَمِنْ أَزْدِيَارِكَ فِي الدَّجَى الرُّقْبَاءُ) (٢٧)

- (١٧) ترنو بأحور : ندبم النظر بطرف أحور . وأحور : صفة من الحور (بفتحتين) وهو شدة
بياض العين في شدة سوادها . وأرقض : أخرج وترشش .
(١٨) المشوق : المشتاق .
(١٩) الوشاة : جمع واش . وهو من يسمى بالفساد والتفرقة بين الناس . والمسمعان : الأذنان .
والرنة : الصوت . والحذاء (في الأصل) : غناء الحادي ، وهو من يسوق الإبل ويمشها على السير ، والمراد
أنها تأثرت بقول الوشاة .
(٢٠) النميمة : السعاية والرشاية والإفساد ، وهي اسم من ثم الرجل الحديث (من بابي قتل وضرب) :
أي سمى به ليقوع فتنة أو وحشة . والوداد : المودة والحب .
(٢١) القمران : الشمس والقمر . وتكفي : تقرب . وشفعاء : جمع شفيع ، صفة من الشفاعة .
(٢٢) التعلة : ما يتعلل به الإنسان ، أي يتشاكل به ويتلهى .
(٢٣) لا تروهي : لا تخافي . وحين أساءوا : أي حين قصدوا الإساءة إلينا ، والتفرقة بيننا .
(٢٤) الزيم : القول ، والإخبار ، والظن . وزعموك شمساً : ظنوك شمساً . وتلوح : تبدو
وتظهر . واليد : النعمة والصنيعة . ويضاء : ظاهرة مشهورة ، ومعنى لا تلوح بظلمة : أنها إذا ظهرت
لا يكون معها ظلام ، لأنها مشرقة مضية كالشمس .
(٢٥) الأزديار : الزيارة . والدجى : جمع دجية (بضم فسكون) وهي ظلمة الليل . والرقباء : جمع
رقيب ، وهو الحافظ والناظر والحارس ، والشرط الثاني مطلق قصيدة أبي الطيب التي أشرنا إليها في ص ٦٥ .

مِ زَلَّةٍ فِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ أَعْقَبَتْ نَفْعًا ، كَذَلِكَ تَقْمُلُ الْجَهْلَاءُ (٢٧)
 كَيْدَ الْفَيِّ مَسَاءَةً لِضَمِيرِهِ وَلَيْمَنْ يُحَاوِلُ كَيْدَهُ إِرْضَاءُ (٢٨)
 وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ ، وَلَكِنْ قَرَقَتْ مَا بَيْنَهُمْ فِي الرَّقَبَةِ الْآرَاءُ (٢٩)
 وَالنَّفْسُ إِنْ صَلَحَتْ زَكَتْ ، وَإِذَا خَلَّتْ مِنْ فِطْنَةٍ ، لَعِبَتْ بِهَا الْأَهْوَاءُ (٣٠)
 لَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرُّجَالِ تَفَاوُتٌ مَا كَانَ فِيهِمْ سَادَةٌ وَرِعَاءُ (٣١)
 وَلَقَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ فِي أَطْوَارِهِمْ وَمِلْتُ حَتَّى مَلَأْتُ الْإِبْلَاءُ (٣٢)
 فَإِذَا الْمَوَدَّةُ خَلَّةٌ مَكْلُوبَةٌ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ ، وَالْوَفَاءُ رِيَاءُ (٣٣)
 كَيْفَ الْوُثُوقُ بِذِمَّةٍ مِنْ صَاحِبٍ وَيَكُلُّ قَلْبٌ نُقْطَةً سَوْدَاءُ (٣٤)
 لَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا وِدَادٌ صَادِقٌ مَا حَالَ بَيْنَ الْمُخْلِطَيْنِ جَفَاءُ (٣٥)
 فَانْقُضْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَالَسَّمَى فِي طَلَبِ الصَّدِيقِ هَبَاءُ (٣٦)

(٢٧) زلة : سقطه ، اسم مرة من الزلل ، وزل في المنطق والطين ونحوهما : زلق (بوزن تسيب) .
 (٢٨) الكيد : الخديعة والمكر . والمساءة : نقیض المسرة .
 (٢٩) الآراء : جمع رأى : وهو العقيدة والمذهب والتدبير .
 (٣٠) زكت : استقامت أمورها ، وصلحت أحوالها ، وتنصت . والفطنة : الفهم والذكاء .
 والأهواء : جمع هوى ، وهو ميل النفس إلى شهواتها .
 (٣١) الرعاء : جمع راع ، اسم فاعل من رعى الرجل الماشية : أى سرحها .
 (٣٢) بلوت الناس : خبرتهم ، وعرفت أحوالهم . والأطوار : الأحوال ، مفردا طور (بفتح فسكون) . والإبلاء : مصادر أهليتة ، بمعنى بلوته وامتحنته .
 (٣٣) الخللة : الخلعة (بفتح الخاء فيها) . والبرية : الخلق (بفتح فسكون) ، والمراد الناس .
 ورياء : نفاق ، وعمل غير خالص ، وهو العمل يظهره صاحبه للناس ليروه ، ويظنوا به خيرا .
 (٣٤) اللزمة : العهد والأمان والضمان .
 (٣٥) بين الخلتين : بين الصديقين : حتى خلعة (بخاء مضمومة ولام مشددة) وهو الخليل والصديق .
 والجفاء : الجفوة والتعطية .
 (٣٦) الهباء : الشيء المنيث الذى يرى في ضوء الشمس .
 والمعنى : أن السعى في طلب الصديق كالهباء ، لا يجنى ، ولا يفيد ؛ لعدم وجود الصديق الوفي الصادق .

القصيدة الثالثة

وقال يَمْدَحُ الخلديو عباس حلمى باشا الثانى ، * ، وَيَشْكُرُهُ عَلَى ما
أَوْلَاهُ مِنْ حُسْنِ الرِّضَا ، وَذَلِكَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ « سَرَنْدِيب » * سنة سَبْعَ عَشْرَةَ
وثلثائة وَأَلْفِ هِجْرِيَّة (١٣١٧ هـ أو آخر سنة ١٨٩٩ م) :
عَبَّاسُ ، يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَدْلَةً وَأَجَلَ مَنْ نَطَقَ امْرُؤٌ بِثَنَائِهِ (١)
أَوْكَيْتَنِي مِنْكَ الرِّضَا ، وَجَلَوْتُ لِي وَجْهاً قَرَأْتُ الْبِشْرَ فِي أَنْثَائِهِ (٢)

• الخلديو « عباس حلمى الثانى » (١٨٧٤ - ١٩٤٤) بن الخلديو توفيق بن الخلديو إسماعيل
ابن إبراهيم بن محمد بن رأس الأسرة المحمدية العلوية. ول العرش سنة ثمانى عشرة سنة بعد وفاة أبيه في
٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ (٧ من يناير سنة ١٨٩٢ م) . وكان طموحاً ، مفتخراً بنفسه ، متبرهاً
بالاحتلال البريطانى . ولما نشبت الحرب العظمى (الحرب العالمية الأولى) انتهز الإنجليز فرصة وجوده في
الأساقفة « إستانبول » ففرضوا حمايتهم على مصر يوم ١٨ من ديسمبر سنة ١٩١٤ . وفي اليوم التالى
خلعوه ، وولوا عمه الأمير « حسين كامل » الذى لقب بسلطان مصر . وفي سويسرا أقام « عباس » أكثر
مدة نفقه واغترابه . وبعد وفاته نقل جثمانه إلى مصر سنة ١٩٤٤ .

وفي بعض ما كتب عن البارودى أن الشيخ « محمد عبده » أخذ بيد صديقه الكفيف الضعيف
« محمود سالى البارودى » ، وصحبه إلى حضرة الخلديو « عباس حلمى الثانى » ؛ فشكره البارودى عفوه عنه ،
ونظم هذا الشكر في هذه القصيدة الحمزية القصيرة (ثمانية أبيات) . وقد فقد البارودى بصره في أواخر أيامه
بالمضى سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) .

•• سرنديب « سيلان » : جزيرة من أراضي الهند في جنوبها ، وكان الشاعر قد نفي إليها عقب
الثورة العربية في صفر سنة ١٣٠٥ هـ (ديسمبر سنة ١٨٨٢ م) .

(١) أجل : اعظم .

(٢) أوليتنى : أعطيتنى ، وأوليتته الشيء : أدنيتة إليه . وجلوت : أظهرت وأوضحت ، والمراد
أقبلت حل . وأثناء الشيء : تضاعيفه .

فَأَسْلَمَ لِمَلِكٍ أَنْتَ بَذَرُ سَرِيرِهِ
يَأْيُهَا الصَّادِي إِلَى نَيْلِ الْمُنَى
هُوَ ذَلِكَ الْمَلِكُ الَّذِي وَرِثَ الْعَلَا
الْعَدْلُ مِنْ أَخْلَاقِهِ ، وَالْعِلْمُ مِنْ
لَا غَرَوْ أَنْ جَمَعَ الْمَحَامِدَ يَافِعًا
فَالْعَيْنُ وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي حَاجِمِهَا
وَعِمَادُ قُوَّتِهِ ، وَنَضْرُ لِيَوَائِهِ^(٣)
رِدْ بَحَرَ سُلَّتَيْهِ تَفْزُ يُولَائِهِ^(٤)
عَنْ نَفْسِهِ شَرْفًا ، وَعَنْ آبَائِهِ
أَوْصَافِهِ ، وَالْحِلْمُ مِنْ أَسْمَائِهِ
وَمَا بِهِمْ عَلَيْهِ عَلَى نُظَرَائِهِ^(٥)
تَسْعُ الْقَصَا بِأَرْضِهِ وَسَائِهِ

(٣) عماد الشيء : ما يقوم عليه ، ويُستد به . واللواء : العلم (يفتحتين) .

(٤) الصادى : العطشان . والمضى : جمع منية (يضم فسكون) : وهي ما يستنأه الإنسان ويترقب إليه : ورد : أمر من ورد الإنسان الماء : إذا بلغه ووافاه . والسدة (يضم السين) ، وتشديد الدال المفتوحة (: باب الدار أو فناؤها ، والمراد قصره الشبيه بالبحر . والراء : النصرة والنعمة .

(٥) لا غرو : لا عجب (وفعله من باب عَدَا) . ويافعا : شابا . وسما : علا وارتفع . وعمل نظرائه : على أمثاله ، ومقرده نظير .

القصيدة الرابعة

وقال وقد استقال من وزارة الجهادية والبحرية ووزارة الأوقاف ، وسافر
إلى ضيعة بناحية « قرقرة » بالنهيلية ، وذلك سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف
هجري (١٢٩٨ هـ - ١٨٨١ م) . وفيها وصف قطار سكة الحديد والمزارع :
هَجَرَتْ « ظُلُومٌ » وَهَجَرُهَا صِلَةُ الْأَمْسَى فَمَتَى تَجُودُ عَلَى الْمُتَيْمِّمِ بِاللَّيْلِ ؟^(١)

• في ٢ من ربيع الأولى سنة ١٢٩٨ هـ (٦ من فبراير سنة ١٨٨١ م) عين « محمود سامي البارودي » ناظرًا للجهادية في وزارة « مصطفى رياض » على إثر شكوى شديدة للهجرة رفها للضباط المبرزين في الجيش ، برئاسة « أحمد عرابي » إلى الخديو توفيق ، واضطروه بها إلى عزل « عثمان رافع » ناظر الجهادية .

وفي ٢٥ من رمضان سنة ١٢٩٨ هـ (٢ من أغسطس سنة ١٨٨١ م) استقال البارودي من وزارة الجهادية والأوقاف لسا « أحسن » أن الخديو قد ساء به ظنًا ، واستمع للرشايات التي تهمة بمساعدة الضباط الساعطين الثائرين . وفي هؤلاء الراشدين قال بعد الاستقالة :

نَفِسُوا عَلَى حَمِيَّتِي ، فَتَالَبُوا . حِزْبًا عَلَى وَأَجْمَعُوا مَا أَجْمَعُوا
وَسَعُوا بِفِرْيَتِهِمْ ، فَلَمَّا صَادَقُوا سَمْعًا يَمِيلُ إِلَى الْمَلَامِ تَوَسَّعُوا
لَا عَيْبَ فِي مِوَى حَمِيَّةٍ مَاجِدٍ وَالسِّيفُ يَغْلِبُهُ الْمَضَاءُ ، فَيَقْطَعُ
وهذه الأبيات لم ترد في ديوانه ، ولكن « صديقيه الشيخين : ياقوت المرسى ، وعطية حسين نسبها إليه في ترجمتهما له بعد وفاته ، ونشرت في مقدمة كتاب « مرآة الشعراء » التي جمعها « خليل مطران » وطبعها سنة ١٩٠٥ .

(١) ظُوم : اسم محبوبته . والأسى : الحزن . والمعنى : أن هجر محبوبته وإعراضها سبب حزنه .
والمتيمم : الذي ذلَّ العشق وعيَّده . والقي (بضم اللام) : القناء والوصال .

جَزَعَتْ لِرَاعِيَةِ الْمَشِيبِ ، وَمَا دَوَتْ
وَلَوَتْ بِوَعْلِكَ بَعْدَ طُولِ صَمَانِهِ
لَيْتَ الشَّبَابَ لَنَا يَعُودُ بِعِطِيهِ
وَالْمَشِيبُ أَكْمَلُ صَاحِبٍ لَوْ أَنَّهُ
وَالْدَهْرُ مَلَرَجَةُ الْمُخْطُوبِ ، فَمَنْ يَعْشُ
فَادْقَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ مُتَابَعَةِ الصَّبَا
الْيَوْمَ أَنَّ لِسَابِقِ أَنْ يَحْتَذِلِي

أَنَّ الْمَشِيبَ لَهَيْبُ نِيَّانِ الْمَجُورِ (١)
وَمِنْ الْوَعْدِ خِلَابُهُ مَا تَقْتَضِي (٢)
وَمِنْ السَّفَاهِ طِلَابُ عُنُرٍ قَدْ مَضَى (٣)
يَبْقَى ، وَلَكِنْ لَا مَسِيلَ إِلَى الْبَقَا (٤)
يَهْرَمُ وَمَنْ يَهْرَمُ يَعْثُ فِيهِ اللَّيْلُ (٥)
وَارْجِعْ لِحِلْمِكَ ، فَالْأُمُورُ إِلَى انْتِهَا (٦)
طَلَّقَ الرَّهَانَ ، وَمُعَمِّدٌ أَنْ يَنْتَقِضَى (٧)

(٢) الجزء : نقيض الصبر (وفله من باب تعب) . وراعية الشيب : أولائه ، والجوى : الحرقة
ورشة الرشد .

(٣) لوت بالوعد : أخلفته . وخلافة (بكسر الخاء) : مصدر عليه (من باب كتب) :
أى خدعة . واقتضى دينه : أخذه . والمضى : أن وطها كثير من وعد الحسن ليس له وفاء .

(٤) السفاه (يفتح السين) : الجهل ، ونقص العقل .

(٥) يشير بالشطر الأول إلى ما يلزم الشيب عادة من الرقار والمهابة والزفانة والاستقامة ورجاحة
العقل وكثرة التجارب ونحو ذلك .

(٦) مدربة : مرطريق . والمخطوب : جميع خطب (يفتح فسكون) وهو الأمر الشديد ينزل
بالإنسان . ويهرم (من باب تعب) : يكبر ويضعف . والعيث : الإفساد ، (وبابه باع) . والليل :
الغفاه ، وأصله مصدر بيل الثوب (كتمسب) بيل (بالكسر والقصر) ، وبلاء (بالفتح والمدة) أى أخلق ،
ورث ، وذهبت جدته (بكسر الجيم) .

(٧) من معاني الصبا (بكسر الصاد) : جهلة الفتوة ، والحنين إلى المرأة ، والتعلق بها . ومتابعة
الصبا : التماهى فيه ، والحلم : العقل ، والرقار : انتها . انتها : مصدر انتهى الشيء : أى بلغ نهايته .
ومعنى البيت : ابتعد بنفسك عن دواعي الجوى ، ويحال الشهوات ، وسرفى ضياع عقلك ، والتزم
سبيل الرشد والرقار ، فالأمر كله إلى انتها وزوال .

(٨) آن : حان ، أى جاء أينه (يفتح فسكون) وهو الحين والوقت . والسابق : الفرس المجل فى
الحلبة ، ويريد الشاعر بالسابق نفسه . ويتخذ الخذاء : وهو حديدة تثبت بحافى الفرس ، ويريد
الاستعداد للمد والجري والسباق . والطلق (يفتح فسكون) : المطلق غير المقيد . والرهان : المراجعة : وهى المخاطرة
والمسابقة على الخيل ، ويريد بطلاق الرهان : أنه أرحى له العنان للفوز فى الرهان . والمعمد : السيف فى
عمده . وينتضى : يسيل ، أى يخرج من عمده =

وَلَقَدْ عَلَوْتُ سِرّاً أَذْهَمَ لَوْ جَرَى فِي سُلُوبِهِ بَرَقٌ ، تَعْتَرَى ، أَوْ كَبَّأُ (٩)
يَغْطِيهِ الْمَدَى طَى السَّجَلِ ، وَيَهْتَدِي فِي كُلِّ مَهْمَةٍ يَفْضِلُ بِهَا الْقَطَا (١٠)
يَجْرِي عَلَى عَجَلٍ ، فَلَا يَشْكُو الْوَجَى مَدَّ النَّهَارِ ، وَلَا يَمَلُّ مِنَ السَّرَى (١١)
لَا الْوَحْدُ مِنْهُ ، وَلَا الرَّسِيمُ ، وَلَا يُرَى يَمْشِي الْعِرْضَةَ ، أَوْ يَسِيرُ الْهَيْدَى (١٢)
رِيَانٌ مِلءٌ ضُلُوعِهِ ، لَكِنَّهُ يَشْكُو بِزَفَرَتِهِ لِهَيْباً فِي الْحَنَّا (١٣)
مَا زَالَ يَنْهَجُ فِي الْمَسِيرِ طَرِيقاً تَدْعُ الْحَيَاةَ مُقِيدَاتٍ بِالْوَجَى (١٤)
حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى جَنَابِ أَفْبَحٍ زَاهِيَ النَّبَاتِ ، بَعِيدِ أَعْمَاقِ الثَّرَى (١٥)

= ومعنى البيت : أنه باستقالته قد انطلق من قيود المنصب ، فصار كالجواد السابق المطلق عند المسابقة لا يصدّه شيء ، وأنه كان في الوزارة سيفاً مغمداً ، فأصبح بعدها سيفاً مسلولا .

(٩) السراة : أمل كل شيء . والأدهم : الفرس الأسود ، ويريد به قطار سكة الحديد .
والشأو : الأمد والغاية . وكبأ : انكب على وجهه وسقط .
(١٠) المدى : الغاية . والسجل : الكتاب . والمهمة : المغارة البعيدة . والقطا : ضرب من الحمام يضرب المثل بهدايته .

(١١) الوجى : الحفا ، وهو رقة القدم والحافر من كثرة السير . ومد النهار : طوله . والسرى : سير عامة الليل .

(١٢) الوحده : سمة الخطو ، أو أن يرى اللبير بقوائمه كشى النعام . والرسيم : سير للإبل قريب من المرولة ، دون الجرى . ويمشى العرضة : أي في مشيته بنى من نشاطه ؟ فالعرضة : نوع من السير يمتاز بالخفة والسرعة والنشاط . والهيدي : مشى الخيل فيه جد .

والمعنى : أن ما يعرف من أنواع سير الإبل والخيل دون سير هذا القطار السريع .
(١٣) ريان : صفة من الرى (يفتح الراء وكسرهما وتشديد الياء) ، وهو ضد العطش . والزفرة : اسم من الزفير . وهو أن يخرج الإنسان نفسه مع مده إياه ، كما يفعل المهوم والمكدر ، وزفرت النار : سمع لتوقدها صوت . والحنأ : ما اشتعلت عليه الصلوع ، وما حواه الحرف .

(١٤) ينجح الطريق : يسلكه ، ويسير فيه (وبابه قطع) . والمسير : السير . والجباد : جمع جواد وهو الفرس الكريم الرائع . والوجى : الحفا ، وهو رقة القدم والخلف والحافر . يقول : إن هذا القطار يسلك على الدوام طريقاً شاقاً طويلة ، لو سلكتم كرام الخيل لتفقدوها الحفا .

والمعنى : أنها لا تستطيع سلوك هذه الطرق ، ولا تقوى على مثل ما يقوى عليه القطار .
(١٥) جناب أفبج : ناحية واسعة . وزاهى النبات : نباته زاه ، أى ناضر مشرق . ولثرى : للتراب الندى .

تَسْتَنْ فِيهِ الْعَيْنُ بَيْنَ مَنَابِتٍ طَابَتْ مَعَارِضُهَا، وَجَنَّتْ رِوَا (١٦)
 مُتَتَفِّ أَفْنَانِ الْحَدَائِقِ لَوْ سَرَتْ فِيهَا السَّمُومُ، لَشَابَهَتْ رِيحَ الصَّبَا (١٧)
 قَرَابُهُ نَفْسُ الْعَبِيرِ . وَنَبَتْهُ سَرَقَ الْحَرِيرِ، وَمَاوُهُ فَلَقَ الضَّحَى (١٨)
 فَإِذَا شَمِمَتْ وَجَدَتْ أَطْيَبَ نَفْحَةٍ وَإِذَا التَّقَتْ رَأَيْتَ أَحْسَنَ مَا يُرَى (١٩)
 وَالْقَطْنُ بَيْنَ مُلَوِّزٍ وَمُنَوَّرٍ كَالْعَادَةِ إِذْ دَانَتْ بِأَنْوَاعِ الطُّحَى (٢٠)
 فَكَأَنَّ عَاقِدَهُ كُرَاتُ زُرْمٍ وَكَأَنَّ زَاهِرَهُ كَوَاكِبُ فِي الرُّوَا (٢١)
 دَبَّتْ بِهِ رُوحُ الْحَيَاةِ ، فَلَوْ وَهَتْ عَنْهُ الْقَيْدُ مِنَ الْجَدَاوِلِ ، قَدْ مَنَى (٢٢)
 فَأَصُولُهُ الدُّكْنَاءُ تَسْبِغُ فِي الثَّرَى وَفُرُوعُهُ الْخَضْرَاءُ تَلْعَبُ فِي الْهَوَا (٢٣)

(١٦) تستن : تعدو مقابلة مدبرة في نشاط . وروا : أصلها رواه . يقال : روى من الماء ، فهو ريان ، وهي ريا ، والجمع رواه (بكسر الراء) .

(١٧) الأفنان : الأغصان . وسرت : سارت . والسوموم : الريح الحارة . والصبا : ريح تهب عند الغرب من مطلع الشمس ، وهي أطيب الرياح ، وأحبها إليهم .

(١٨) النفس (يفتحان) : نسيم الهواء . والعبير : أخلط من الطيب . وسرق الحرير : أجود أنواعه ، أو شقيقه : أي قطعه المشقوق . والولادة سرقه (يفتح السين والراء) وهي من الألفاظ الفارسية العربية . والفاق : ضوء الصباح . والضحى : حين تشرق الشمس ويمنع النهار .

(١٩) نفح الطيب (كنع) : فاح ، والنفحة : المرة منه .

(٢٠) العادة : المرأة الناعمة اللينة . والحلى (بكسر الهمزة أو ضمها) : ما تفرزين به المرأة من الجواهر والمعادن المصقوفة ، واحدها حلقة (بكسر فسكون) .

(٢١) يريد بالمعاقد : ما انمقد من اللوز قبل أن يفتح . والزرمد : حجر أخضر اللون ، شديد الخضرة ، شفاف . وأشدّه خضرة أجوده ، وأصفاه جوهراً . واحده زُرْمَدَةٌ (فارسي معرب) وزاهر : أبيض مضى ، مشرق ، صفة من زهر السراج والغفر والوجه (كنع) أي تلاًلاً ، ويريد بالزاهر المنفتح من القطن . والروا (بضم الراء) : أصله الرواء بالمد : وهو حسن النظر .

(٢٢) وهت : ضعفت وانفكت . جعل الجدائل وقتوات الماء التي تحيط بنبات القطن قيوداً وقال : إن روح الحياة قد سرت فيه ، ولو انفكت عنه هذه القيود لمشي .

ولمحي : أن نصرت عظمه ، وحياته النباتية تامة موفورة .

(٢٣) الدكناء : صفة من الدكنة (بضم فسكون) : وهي لون يضرب إلى السواد . والثرى : الأرض ، والثراب النقى .

لم يَسِرْ فِيهِ الطَّرْفُ مَذْهَبَ فِكْرَةٍ مَحْدُودَةٍ إِلَّا تَرَاجَعَ بِالْمُنَى (٢٤)
 هَذَا لَعَمْرُ أَبِيكَ دَاعِيَةُ الرُّضَا وَسَلَامَةُ الْعُقْبَى ، وَمِفْتَاحُ الْغِنَى (٢٥)
 فَعَلَامٌ أَجْهَدُ فِي الْمَطَالِبِ بِإِذْلًا نَفْسِي ؟ وَهَذَا لِلْمَطَالِبِ مُنْتَهَى (٢٦)
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ الْعُلَا وَسَرَ الْأَذَى عَنِّي ، فَمَا بَصُرْتُ الْهَلْدَى (٢٧)

(٢٤) يسرى : يسير . والطرف : العين . ومعنى « لم يسر فيه الطرف مذهب فكرة محدودة » :
 لم تجل العين في هذا النبات مقدار جولة الفكرة المحدودة ، والمراد الصحة ، والبرعة اليسيرة ، والمدة =
 = القصيرة . والمعنى : جمع منية (بضم فسكون) وهي الأمنية : أى الشيء الذى يريده الإنسان ،
 ويقدر حصوله .

ومعنى البيت : أنه كلما لمح الانسان هذا النبات النضير ؛ رأى فيه ما يجمعه ، ويسليه ،
 ويرضى أمانيه ، ويحقق آماله .

(٢٥) المعنى : الماقية ، وبيضاء الأمور .

(٢٦) جهد الرجل فى كذا (من باب قطع) : جهده وبالف .

(٢٧) سرا الله الأذى عنى (من باب عذّا) : كشفه ، وأزاله . من قولهم : سرا الثوب
 ونحوه : إذا نزعته ، وطرحه ، وألقاه ، ورياه .

القصيدة الخامسة

وقال يَهْنَى « الخديو إسماعيل باشا » بولاية مصر سنة تسع وسبعين
وامنتين وألف هجرية (١٢٧٩ هـ ١٨٦٣ م) :

طَرِبَ الْفَوَادُ ، وَكَانَ غَيْرَ طَرُوبٍ وَالْمَرْءَ رَهْنٌ بِشَاشَةٍ وَقُطُوبٍ ^(١)
وَرَدَّ الْبَشِيرُ ، فَقُلْتُ مِنْ سَرَفِ الْمُنَى أَعِدِ الْحَدِيثَ عَلَيَّ ، فَهَوَّ حَسِيبي ^(٢)
نَجَبٌ جَلَا صَدَأَ الْقُلُوبِ ، فَلَمْ يَدْعُ فِيهَا مَجَالَ تَحَفُّزٍ لِيُوجِبِ ^(٣)
ضَرَحَ الْقَدَى كَقَمِيصٍ ^(٤) يُوسِفُ عِنْدَنَا وَرَدَّ الْبَشِيرُ بِهِ إِلَى " يَعْقُوبِ " ^(٥)

• • • سافر الخديو إسماعيل إلى الآستانة على إثر اعتلائه عرش مصر ؛ ليرفع إلى السلطان عبد العزيز
فروض الشكر والولاء . وفي شهر رمضان سنة ١٢٧٩ هـ (فبراير سنة ١٨٦٣ م) عاد البارودي من الآستانة
إلى مصر في حاشية الخديو . وعلى إثر هذه العودة نظم هذه القصيدة ، وهو في الرابعة والعشرين ، ولها -
مع التهنئة ، والمديح ، والشكر ، والوصف - لغز بطشه وشعره .
(١) البشاشة ، طلاقة الوجه . ولطيف بين عينيه قطرباً ؛ جمع (ربابه ضرب وجلس) ، رقتلطب
الوجه : عيوبه .

(٢) السرف : مجاوزة الحد . والمُنَى : جمع منية (يضم فسكون) ، وهي الأمنية . وحسيبي : كافي .
والمُنَى : أنه لما بشر بولاية الخديو « إسماعيل » رأى أن هذه البشيرة قد حققت أعظم آماله وأبعد
أمانيه ؛ ولهذا تملكه الفرح ، واستخفه الطرب ؛ فاستمد حديثها المحبوب ، وقال ؛ إنه يكفيه
ويغنيه عن كل ما عداه .

(٣) تحفُّزٌ : تهيج . وجيب القلب : وجفانه واضطرابه .
والمعنى ؛ أن نبأ تولية الخديو إسماعيل قد أنعش نفوس الناس ، وبلاؤ قلوبهم غبطة وطمأنينة .
(٤) فسرحة (كتمه) : دمه ونحوه . والقذى : ما يسقط في العين وفي الشراب ، والمراد به هنا ؛ كل
ما يسبب الألم . وفي هذا البيت إشارة إلى قول الله تبارك وتعالى حكاه عن سيدنا يوسف الصديق =

فَلْتَهَنَ مِضْرُ وَأَهْلُهَا بِسَلَامَةٍ جَاءَتْ لَهَا بِالْأَمْنِ بَعْدَ خُطُوبٍ^(٥)
 بِالْمَاجِدِ الْمُنْسُوبِ ، بَلَّ بِالْأَرْوَعِ الْ مَشْبُوبِ ، بَلَّ بِالْأَبْلَجِ الْمُنْعُوبِ^(٦)
 رَبُّ الْعَالَا وَالْمَجْدِ (إِسْمَاعِيلُ) مَنْ وَصَحَتْ بِهِ الْآيَامُ بَعْدَ شُحُوبٍ^(٧)
 وَرَدَّ الْبِلَادَ وَلَيْلُهَا مُتْرَاكِبٌ فَأَضَاعَهَا كَالْكُوكِبِ الْمَشْبُوبِ^(٨)
 بِرُيُوتِهِ تَجَلُّو الصَّوَابَ ، وَعَزَمَتِ تَمَضَى مَضَاءَ اللَّهْذَمِ الْمَذْرُوبِ^(٩)
 مَلِكٌ تَرْفَعُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ إِلَّا لَهُ ، أَوْ لِابْنِهِ الْمَحْبُوبِ^(١٠)
 ذُو هَيْبَةٍ تَكْفِيهِ سَوْقَ جُنُودِهِ وَبِدِيهَةٍ تُغْنِي عَنِ التَّجْرِبِيبِ^(١١)
 نَمَتْ شِبَالُهُ عَلَى أَعْرَاقِهِ نَمَ النَّسِيمُ عَلَى أَرْيَحِ الطَّيِّبِ^(١٢)

= اذْهَبُوا بِرَيْحِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا ، وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ
 أَجْمَعِينَ ، وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ : إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ
 تَفْتَنُونِ ، قَالُوا : تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ؛ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ
 أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۝
 الآيات ٩٣ - ٩٦ سورة يوسف .

(٥) الخطوب : جمع خطب : وهو الأمر الشديد ينزل بالناس .
 (٦) المنسوب : ذو النسب . والأروع : من يعجبك بحسنه ، وجهارة منظوره . أو بشجاعته .
 والمَشْبُوبُ : الحسن الوجه . والبلجة (بضم فسكون) : الفوه ، ونقاوة ما بين الحاجبين . ويقال للرجل
 اللق الوجه ذي الكرم والمروث : الأبلج . والمصوب : المتوج .
 (٧) الشوب : تغير اللون من خزال ، أو جوع ، أو سفر .
 (٨) ليل متراكب : ظلماته بعضها فوق بعض . والمشروب : المتقد .
 وسمي هذا البيت والذي قبله : أن البلاد سعدت بولاية الممدوح وحكمه ؛ فصلحت أحوالها ،
 واستقامت أمورها .

(٩) الهم : الشان القاطع . والمذروب : المخذ المسنون .
 (١٢) نمت : دلت . والشبال : الأخلاق . مفردا شبال (بكسر الشين) . والأرقاق : جمع
 عرن (بكسر فسكون) : وهو الأصل . والأريح : توضع ريع الطيب .

أَكْتَبِي بِرَهْرِ الرُّوْضِ عَنْ أَخْلَاقِهِ
 وَأَقُولُ : إِنَّ الْبَرْقَ يَحْكِي بِشْرَهُ
 فَالْخَصْبُ فِي الدُّنْيَا عَلَامَةٌ عَدْلِهِ
 أُجْرِي نَسِيمَ الْأَمْنِ بَعْدَ رُكُودِهِ
 وَأَعَادَ مِضْرَ إِلَى جَمَالِ شَبَابِهَا
 فَتَنَعَّمَتْ مِنْ قَبْضِهِ فِي غِبْطَةٍ
 وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً أُمَّةً
 فَلَقَدْ مَلَكَتْ زِمَامَهَا ، وَسَقَّتْهَا
 فَعَدَّتْ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَحْسَنُ بُعْثَةً
 يَسْتَنْ فِيهَا النَّيْلُ بَيْنَ حَدَائِقِ
 وَيَنْشُرُهُ عَنْ قَضَلِهِ الْمَرْغُوبِ (١٣)
 لَوْ كَانَ بَرْقُ الْمُزْنِ غَيْرَ خُلُوبِ (١٤)
 وَالْقَيْثُ قَضَلُهُ جُودُهُ الْمُسْكُوبِ (١٥)
 وَأَقَاصُ مَاءِ الْعَدْلِ بَعْدَ نُضُوبِ (١٦)
 مِنْ بَعْدِ مَا لَبَسَتْ خِمَارَ مِثْيَبِ (١٧)
 وَتَمَتَّعَتْ مِنْ عَدْلِهِ بِنُصِيبِ (١٨)
 بَعَثَ الشِّفَاءَ لَهَا بِخَيْرِ طَبِيبِ
 بَعْدَ الصَّدَى مِنْ رَحْمَةٍ بِذُنُوبِ (١٩)
 مِنْهَا لِمُزْدَرِعٍ : وَلَا لِكِسُوبِ (٢٠)
 غَلَبَ وَرَقَافِ النَّبَاتِ خَصِيبِ (٢١)

- (١٣) الكناية : أن تتكلم بشئ وتريد به غيره . والنشر : الرائحة الطيبة .
- (١٤) المزن : جمع مزنة (نغم فسكون) وهي للسحابة . وغلبه (من باب قتل وضرب) : إذا خدعه ، الاسم الخلابية (بكسر الخاء) ، والفاعل خلوب (مثل رسول) .
- (١٥) القيث : المطر . والمسكوب : الكثير المنصب .
- (١٦) ركوده : سكوله . ونفسب الماء نضوباً (من باب عمد) : غاو في الأرض .
- (١٧) الخمار (بكسر الخاء) : ثوب تنطوي به المرأة رأسها .
- (١٨) القبطة : حسن الحال ، والمسرّة .
- (٢٠) الزمام : المقود (بكسر الميم وسكون الالف وفتح الواو) : وهو الحبل الذي تقاد به الدابة . والصدى : العطر . والذريب (كرسول) : الدلو المظلية المملوء ماء .
- (٢١) فعدت : فصارت . وفي الأصل ، فنتت : وافقة الفصيصة « فميت » كرويت أي صارت غلت شئ وثروة . والمزدرع : الزارع . والكسوب : طالب الرزق .
- (٢٢) يستن : يحرق ويضطرب . وغلب : جمع غلباء (كخضراء) ، وهي الحديقة المتكاثفة . ورف النبات يرف (بكسر الراء في المضارع) ، وله وريف ورفين (يفتح فكسر فيهما) : وهو أن يهتز نفاثته وتقلبوا .
- يقول : إن النيل يجري بين حدائق متكاثفة : وواد خصيب نضير النبات .

وَرَى السَّفِينَ يَجُولُ فَوْقَ مَرَاتِهِ زَفَّ الرِّثَالِ تَمَطَّرَتْ بِسُهُوبٍ (٢٣)
 مِنْ كُلِّ رَاقِصَةٍ عَلَى تَغْرِ الصَّبَا تَخْتَالُ بَيْنَ شَمَائِلٍ وَجَنُوبٍ (٢٤)
 مَلَكَتْ أَرْبَمَتَا الرِّيحِ ، فَسَيَّرَهَا ضَرَبَانِ بَيْنَ تَحْضُرٍ وَدَيْبٍ (٢٥)
 فَإِذَا أَطْلَتْ عَيْنَانَهَا وَقَفَتْ ، وَإِنْ أَقْصَرَتْهُ سَارَتْ بِغَيْرِ لُغُوبٍ (٢٦)
 فَلَنَعْمَ بِخَيْرٍ وَلِإِيَّةٍ وَلَا كَهَا رَبِّ الْعِبَادِ بِرَغَمِ كُلِّ رَقِيبٍ (٢٧)
 مَا آثَرُوكَ لَهَا بِغَيْرِ دَوِيَّةٍ بَلْ لِإِعْصَامِهِمْ بِخَيْرٍ لَيْبٍ (٢٨)
 فَاسْمَعْ مَقَالَةً صَادِقٍ لَمْ يَنْتَسِبْ لِسَوَاكَ فِي أَذْبٍ وَلَا تَهْلِيصٍ (٢٩)
 أَوْلَيْتَهُ خَيْرًا ، فَقَامَ بِشُكْرِهِ وَالشُّكْرُ لِلْإِحْسَانِ خَيْرُ ضَرِيبٍ (٣٠)
 فَاعْظِفْ عَلَيْهِ تَجْدُ سَلِيلَ كَرَامَةٍ أَهْلًا لِحُسْنِ الْأَهْلِ وَالْتَرَحُّيبِ (٣١)

(٢٣) السفين : اسم جمع لسفينة . ويجول : يطوف غير مستقر . والراء (يفتح السين) : أهل كل شيء . والزف : الإسراع ، أى يسرع إسرائ الرثال . والرثال : أولاد النمام ، مفردة وأل ورالة (يفتح فسكون فيها) . وتمطرت : ذهبت بسرعة . والسحوب : جمع سحبه (يفتح فسكون) : وهو المستوى من الأرض في سهولة . أو سحوب الفلاة : فواحيتها التى لا ملك فيها .

(٢٤) الصبا (يفتح الصاد) : الريح تهب من مطلع الشمس . ونقرها : فنفخها وتصويتها . وتختال : تدير في اختيال ، وترح ، وتشاطر ، وغففة ، وتمايل ، وإعجاب بالنفس . والشمايل : جمع شمل (يفتح الثين) وهى الريح التى تهب من ناحية يسارك وأنت متجه إلى الشرق . والمجنوب (يفتح الجيم) : الريح المقابلة للشمال .

(٢٥) الأزمه : جمع زمام (يكسر الزاي) ، وهو فى الأصل مقود البعير ونحوه : أى الحبل الذى يقاد به . وضربان : فوجان . والتحفز : الاجتهاد فى السير والإسراع . ودب : يدب (كخف تخف) ديباً ودبيباً : مشى على هيئة (يكسر الهاء) .

(٢٦) العنان فى الأصل : سير اللجام الذى تمسك به الدابة ، والمراد بإطالة العنان إرغاء حبل الشراع السفينة . والقنوب : الإعياء والضعف والتعب (ويأبه دخل) .

(٢٧) الرقيب : الماقيب ، ويراد المدبر .

(٢٨) آثرك : فضلك ، والمعروف آثرت فلاناً بكذا . والرويّة : للفكر والتدبر . والإعصام : الاستسكا . واللييب : المائل .

(٣٠) أوليته : أحليته . والضرير : المثل .

(٣١) السليل : الولد . وأهلاً : مستأهلاً مستوجباً مستحقاً ، ويريد بالأهل الثافية : التمايل : مصدر أهّل به : بمعنى قال له أهلاً : أى صادفت أهلاً لا غرباً . ورسب به ترحيباً : دعاه إلى الوجب (يفتح فسكون) : وهو السمة .

يُنْبِيكَ ظَاهِرُهُ بِوُدِّ ضَمِيرِهِ
وَالْبَيْتَ مِنْ حَوَاكِيهِ، وَاللَّسَانَ حَصِيرَهُ
حَضْرِيَّةَ الْأَنْسَابِ إِلَّا أَنَّهَا
وَلَيْتَ بِمَنْعِقِهَا النَّفْسُ غَرَابَةً
أَرْسَلَتْهَا مَثَلًا بِمَدْحِكَ فِي الْوَرَى
كَلِمٌ أَثَرْتُ بِهَا جَوَادَ بَرَاعَةٍ
تَرَكَ الْوَلِيدَ، مَثْنًا بِغِيَارِهِ
فَأَسْتَجْلِيهَا تَلَمَّحَ خِلَالِكَ بَيْنَهَا
كَرْجَاجَةِ التَّصْوِيرِ شَفَتْ، فَاجْتَلَتْ
لَا زِلْتَ فِي فَلَكِ الْعَالِي كَوْكَبًا

وَالرَّجَّةُ رَسْمَةٌ مُخْلِصٌ بِغَرِيبِ (٣٢)
يُنْبِيكَ رَوْنَقُهَا عَنِ التَّشْبِيهِ (٣٣)
بَنُوَّةٌ فِي الطَّبْعِ وَالتَّرَكِيبِ (٣٤)
وَالنَّفْسُ مُوَلَّعَةٌ بِكُلِّ غَرِيبِ (٣٥)
وَالسَّهْمُ مَتَسَوِّبٌ لِكُلِّ مُصِيبِ (٣٦)
لَا يُعْتَقَى فِي الْحَضَرِ وَالتَّقْرِيبِ (٣٧)
وَمَضَى فَكُفِّكَ مِنْ عَنَانٍ حَبِيبِ (٣٨)
فِي وَتَنِي بُرْدٌ لِلْكَلامِ قَيْشِيبِ (٣٩)
بَيْنَ وَضْعِهِ مَا كَانَ غَيْرَ قَرِيبِ (٤٠)
تَهْدِي الضِّيَاءَ لِأَعْيُنٍ وَقُلُوبِ

(٢٢) يَنْبِيكَ : يَنْبِيْكَ (وَأَمْلَهُ الْمُرْ). وَيُرِيدُ بِالرَّسْمَةِ : السَّيْلَةَ . وَالرَّجَبُ : الْمَتَمُّ مِنْ إِخْلَاصِهِ .
(٣٣) الْحَاكِي : النَّسَجُ ، مَصْدَرُ حَاكَ الْحَاكِلِ الثَّرْبِ أَيْ نَسَجَهُ ، (وَبَابُهُ قَالَ) . وَالْحَصِيرَةُ : الْحَدِيدَةُ
لَمُشَاةً مِنَ الْخِيَابِ . وَالرَّوْنَقُ : الْحُسْنُ . وَتَشْبِيَهُ الشَّاعِرِ قَصِيدَتَهُ : حَسَنَتْهَا وَزَيَّنَتْهَا بِذِكْرِ النَّسَاءِ .
(٣٤) الْمَعْنَى أَنَّهُاتَنَسَبَ إِلَى ؛ فَهِيَ ؛ حَضْرِيَّةٌ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، وَلَكِنَّهَا بِدَوْنِ الْأَسْلُوبِ وَالسَّلَاقَةِ .
(٣٥) وَلَمْ بِاللَّيْ (مِنْ بَابِ طَرَجٍ) ، فَهُوَ وَكَيْسٌ (يُوزَنُ فَرَجُحُ) . وَأَوَّلُهُ بِهِ (بِالْبَاءِ الْمَجْهُولِ)
فَهُوَ سَوَلَجٌ (بِصِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ) : أَيْ أَغْرَى بِهِ وَأَغْرِمَ (بِالْبَاءِ الْمَجْهُولِ فِيهِمَا) وَأَجَبَهُ ، وَتَعَلَّقَ
بِهِ تَعَلُّقًا شَدِيدًا .
(٣٦) الْوَرَى : الْخَلْقُ (بِفَتْحٍ فَسْكَوْنٍ) ، وَالنَّاسُ .

(٣٧) الْبَرَاعَةُ : الْغَلَبُ (بِفَتْحِ الْغَيْنِ وَاللَّامِ) وَالتَّفَوْقُ . (وَفَعْلُهُ مِنْ بَابِ خَصَصَ ، وَتَطَرَّفَ) .
أَوْ هِيَ الْبَرَاعَةُ (بِالْيَاءِ) : بِمَعْنَى الْقَلَمِ . وَالْكَلامُ عَلَى التَّشْبِيهِ : أَيْ بِرَاعَةِ كَابِلِ الْجَوَادِ السَّيَّارِ . وَلَا يُقْتَضَى :
لَا يَنْبَغُ . وَالْمَخْضَرُ (بِفَتْحِ الْخَاءِ) : ارْتِفَاعُ الْفَرَسِ فِي عَدْوِهِ كَالْإِحْضَارِ . أَوْ هُوَ عَدْوُهُ وَتَوَلَّى
وَالْتَقَرُّبُ : ضَرْبٌ مِنَ الْعَدْوِ ، أَوْ أَنْ يُرْفَعَ الْفَرَسُ يَدِيهِ مَأً ، وَيَضْمَمُهَا مَعًا .
(٣٨) الْوَلِيدُ : هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْبَحْرِيِّ الطَّلَاقِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٨٤ هـ . وَهَلْبَا : مُشْدَدًا عَلَى فَه
وَأَفَفَهُ مِنَ النَّهَارِ مَا يَشِبُّ الْقَامَ : وَهُوَ التَّقَابُ . وَكَفَّكَ : دَفَعَ وَصَرَفَ . وَجَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّلَاقِيُّ : هُوَ
أَبُو تَمَّامِ الشَّاعِرِ النَّابِغَةُ الْمَشْهُورُ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٢١ هـ .

وَالْمُرَادُ : أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فَاقَتْ بِشَرَفِ مَوْضُوعِهَا ، وَجَمَالَ نَسْجِهَا ، شَعْرَ هَذَيْنِ
الشَّاعِرَيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ .
(٣٩) اسْتَجْلِيهَا : أَنْظِرْ إِلَيْهَا . وَتَلَمَّحَ : تَبَحَّرَ . وَشَلَاكَ : خَصَّكَ . وَوَيْتَ الثَّرْبِ وَشِيَا
(مِنْ بَابِ وَعَدَ) : رَقْمَتُهُ وَنَقْشَتُهُ . وَالْبُرْدُ : الثَّوْبُ . وَتَشْبِيَهُ : حَدِيدٌ .
(٤٠) شَفَتْ : صَفَتْ فَكُنْتُ مَا وَارِعًا . وَاجْتَلَتْ مِنْ وَصْفِهِ . . . إلخ : أَيْ عَرَضَتْ وَصْفَهُ
يَجْلُوًّا بَاهِرًا . وَالنَّصِيرُ فِي وَصْفِهِ يَمُرُّ عَلَى التَّصْوِيرِ بِمَعْنَى الشَّيْءِ الْمَسْهُورِ (بِفَتْحِ الْوَاوِ) أَوْ يَمُرُّ عَلَى الْمُدْحِجِ .

القصيدة السادسة

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرِنْدِيبَ يَتَشَوَّقُ إِلَى مِصْرَ ، وَبَرَزَنِي صَدِيقِيهِ : الأُستاذ
 الشَّيْخُ حُسَيْنًا الْمَرْصَفِي ، وَعَبَدَ اللَّهَ بِأَشَا فِكْرِي *
 أَيْنَ أَيَّامُ لَدُنِّي وَشَبَابِي ؟ أَتَرَاهَا تَعُودُ بَعْدَ الذَّهَابِ ؟^(١)
 ذَاكَ عَهْدُ مَضَى ، وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يَرُدَّ الزَّمَانُ عَهْدَ التَّصَابِي^(٢)
 فَأَدِيرَا عَلَيَّ ذِكْرَاهُ ؛ إِنِّي مِنْذُ فَارَقْتُهُ شَدِيدُ الْمُصَابِي^(٣)
 كُلُّ شَيْءٍ يَسْأَلُوهُ ذُو اللَّبِّ إِلَّا ماضِي اللَّهْوِ فِي زَمَانِ الشَّبَابِ^(٤)
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى رَوْضَةَ الْعَذَّةِ يَلِكُ ذَاتَ التَّخِيلِ وَالْأَغْنَابِ^(٥)
 حَيْثُ تَجْرِي السَّفِينُ مُسْتَبَقَاتٍ فَوْقَ نَهْرِ مِثْلِ اللَّجَيْنِ الْمُدَابِ^(٦)
 قَدْ أَحَاطْتُ بِشَاطِئِهِ قُصُورَ مُشْرِقَاتٍ يَلْحَنُ مِثْلَ الْقِيَابِ^(٧)

* تولى عبد الله باشا فكري ، والشَّيْخُ حُسَيْنُ الْمَرْصُفِيُّ سنة ١٣٠٧ هـ .

(١) أَتَرَاهَا : أَتَنْتَظُهَا .

(٢) يُرِيدُ بِعَهْدِ التَّصَابِي : زَمَانَ الشَّبَابِ ، وَدَوَامِي السَّيَا .

(٣) لَيْتَ شِعْرِي : لَيْتَنِي أَعْلَمُ .

(٤) الْمَاضِي : اسْمُ جَمْعٍ لِمَفْعُوتَةٍ . وَمُسْتَبَقَاتٍ : مُصَابِقَاتٍ يَسْبِقُ بِمَعْنَاهَا بَعْضًا . وَاللَّجَيْنِ : الْفُضَّةُ .

(٥) مُشْرِقَاتٍ (بِالْفَاءِ) : عَالِيَاتُ مَرْتَفَعَاتٍ . أَوْ هِيَ مُشْرِقَاتُ (بِالْقَافِ) : أَيْ مَضِيَّاتُ مَنِيرَاتٍ ،

ذَاتُ هَيْجَةٍ وَرَوَاءٍ مِنْ الْإِشْرَاقِ : وَهُوَ الْإِضَاءَةُ وَالْحُسْنُ وَالْتَلَاوُحُ . وَيَلْحَنُ : يَظْهَرُنْ . وَالْقِيَابِ : جَمْعُ قَبَّةٍ .

مَلْعَبٌ تَسْرَحُ التَّوَاطُرُ مِنْهُ بَيْنَ أَفْنَانِ جَنَّةٍ وَشَعَابٍ^(٨)
 كُلُّمَا شَافَهُ النَّسِيمُ ثَرَاهُ عَادَ مِنْهُ يَنْفَحُهُ كَالْمَلَابِ^(٩)
 ذَلِكَ مَرَعَى أَنْبَسَى ، وَمَلْعَبٌ لَهْوَى وَجَنَى صَبَوَتِي ، وَمَعْنَى صِحَابِي^(١٠)
 لَسْتُ أَنْسَاهُ مَا حَيَّيْتُ ، وَحَاشَا أَنْ تَرَانِي لِيَعْبُدُو . غَيْرَ صَابِي^(١١)
 لَيْسَ يَرَعَى حَقَّ الْوَدَادِ ، وَلَا يَذْ كُرُّ عَهْدًا إِلَّا كَرِيمُ النَّصَابِ^(١٢)
 فَلَسْتُ زَالَ فَاشْتِيَانِي إِلْبَهُ مِثْلُ قَوْلِي بَاقٍ عَلَى الْأَحْقَابِ^(١٣)
 يَا نَدِيمِي مِنْ «سَرَنْدِيبٍ» كُفَّا عَنْ مَلَامِي ، وَخَطْبَانِي لِمَا بِي^(١٤)
 كَيْفَ : لَا أَتُذَبُّ الشُّبَابُ؟ وَقَدْ أَضَ بَحْتُ كَهْلًا فِي مِخْنَةٍ وَاغْتِرَابِ^(١٥)
 أَخْلَقْتُ الشُّبَّابَ جِدَّتِي ، وَكَسَانِي خِلْعَةً مِنْهُ رُتَّةَ الْجِلْبَابِ^(١٦)
 وَلَوَّى شَعْرَ حَاجِبِي عَلَى عَيْنِي نَى حَتَّى أَطْلُ كَالْهُدَّابِ^(١٧)
 لَا أَرَى الشَّيْءَ حِينَ يَسْنَحُ إِلَّا كَخَيَالٍ ، كَأَنَّنِي فِي صَبَابِ^(١٨)

(٨) تسرح : تفرح وتمتع . والأفنان : جميع فنن (يفتحتين) : وهو النسيم . والشعاب : جمع شعب

(بكر فسكون) : وهو سيل الماء .

(٩) شافه : داناه وقاربه . والنرى : الندى ، والتراب الندى ، والأرض . والنفحة : الرائحة

الطيبة . والملاعب (كشعاب) : عطر ، أو هو الزعفران .

(١٠) البنى : كل ما ينبت . والسيورة : جهلة الفتوة . والمخنى : المنزل الذى غنى (كرسى) به أهله ،
 أى أقاموا فيه وعاشوا ، ثم ظلمتوا .

(١١) صاب : مائل ، مشوق .

(١٢) النصاب : الأصل .

(١٣) الأحقاب : جمع حقب (بضم فسكون أو بضمين) : وهو الدهر ، أو السنة .

(١٤) النديم : من يتأدبك ، أى يحاللك على الشراب .

(١٥) نذب الميت : بكى عليه ، وعدّد محاسنه . والكهل : من وضعه الشيب (كروده) : أى خالطه .

والهنة : البلى .

(١٦) أخلق : أبلى وأفنى . وجدة : الشىء جدّة (بكر الجيم فيها) : صار جديداً : وهو نفيس

الخلق (يفتح الخاء واللام) . والخلمة : ما تمتعه غيرك من الثياب . ورثة : بالية .

(١٧) الهداب : خل الثوب (يفتح الخاء وسكون الميم) : أى الخيط الذى تبقى في طرفه دقة

أن يكمل نسجها .

(١٨) يسبح : يعرض ويظهر .

وَإِذَا مَا دُعِيَتْ حِرْتُ ، كَأَنِّي
كَلَّمْنَا رُمَيْتُ نَهَضَةً أَفْعَلَنْتَنِي
لَمْ تَدْعُ صَوْلَةَ الْحَوَادِثِ مِنِّي
فَجَعَلَنِي بِوَالِدَتِي وَأَهْلِي
كُلُّ يَوْمٍ يَزُولُ عَنِّي حَبِيبٌ
أَبْنُ مِنِّي (حُسَيْنٌ) ؟ بَلْ أَيْنَ (عَبْدُ اللَّهِ)
مَضِيًّا غَيْرَ ذِكْرِهِ ، وَيَقَاءُ الذِّ
لَمْ أَجِدْ مِنْهُمَا بَدِيلًا لِنَفْسِي
أَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ (١٩)
وَنَيْسَةً لَا تَقْلُهَا أَعْصَابِي (٢٠)
غَيْرَ أَشْلَاءِ هِمَّةٍ فِي ثِيَابٍ (٢١)
ثُمَّ أَنْحَتِ نَكَرٌ فِي أَتْرَابِي (٢٢)
يَا لِقَلْبِي مِنْ فُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ (٢٣)
؟ رَبُّ الْكَمَالِ وَالْآدَابِ (٢٤)
نَحْرٍ فَخَرٌ يَدُومُ لِلْأَعْقَابِ (٢٥)
غَيْرَ حُزْنِي عَلَيْهِمَا وَاسْتِثَابِي (٢٦)

(١٩) حرت : ترددت ، ولم أدر وجه الصواب .

(٢٠) رمت : أردت وطلبت . وولي في الأمر وفيك : ضعف وفتر ، واللونية : اسم مرة منه . ونقلتها :

نحملها .

يريد : أن أعصاه لا تطيق ما وصل إليه من الضعف .

(٢١) الصولة : السطوة . والأشلاء : جمع شلو (بكسر فسكون) : وهو الغصو ، أو بقية الشيء . يقول : إن حوادث الدهر ونوازله قد اشتدت عليه حتى انحلت وأضعفته ، ولم تترك في ثيابه غير بقايا من همته . وهو بهذا يأسي على ما صار إليه من تحول وضعف وشيب ، ويفخر بما بقي من همته الرقيقة وهزمه القوى ، على الرغم من صولة الحوادث : وسطوة الزمان .

(٢٢) الفجع : أن يوجع الإنسان بشئ . يكرم عليه فيمده . وأنحت : أتقلت . والكز : أن يفر الناس للجولان ، ثم يعود للقتال ، والمراد : تصيب . والأتراب : جمع ترب (بكسر فسكون) : وهو من ولد منك ، ومن ساوئك في السن .

(٢٥) الذكرة : ضد النسيان ، والذكرة أيضا : الميت . والمئى : أنها مضيا ولم ينس صبيها . والذكر (بكسر فسكون) : الميت والبناء والشرف والملاء . والأعقاب : جمع عقب (بفتح فسر ، أو بفتح فسكون) : وهو ولد الرجل ، وولد ولده .

(٢٦) الاكتئاب : سوء الحال ، والانكسار من الحزن .

قَدْ لَعَنَ عَرَفَةُ دَهْرِي ، فَأَنْكَرُ تْ أُمُورًا مَا كُنْ لِي فِي حِسَابِ (٢٧)
 تَجَنَّبْتُ صُحْبَةَ النَّاسِ حَتَّى كَانَ عَوْنًا عَلَى التَّقَاةِ اجْتِنَابِي (٢٨)
 لَا أَلْبُدُّ بِمَا يُقَالُ وَإِنْ كُنْتُ تْ مَلِيئًا بِرَدِّ كُلِّ جَوَابِ (٢٩)
 قَدْ كَفَانِي بَعْدِي عَنِ النَّاسِ أَنِّي فِي أَمَانٍ مِنْ غِيْبَةِ الْمُتَغَابِ (٣٠)
 فَلَيْقُلْ حَاسِدِي عَلَى كَمَا شَأْ ٤ ، فَتَسْمِعِي عَنِ الْخَنَاءِ فِي اخْتِجَابِ (٣١)
 لَيْسَ يَخْفَى عَلَى شَيْءٍ ، وَلَكِنْ أَنْتَغَابِي ، وَالْحَزْمُ إِلْفُ التَّغَابِي (٣٢)
 وَكُنِّي بِالْمُتَشَبِّهِ وَهُوَ آخِرُ الْحَزْمِ مِ دَلِيلًا إِلَى طَرِيقِ الصُّوَابِ (٣٣)
 إِنَّمَا الْمَرْءُ صُورَةٌ سَوْفَ تَبْلَى وَانْتِهَاءُ الْعُمُرَانِ بِدَاءُ الْخُرَابِ (٣٤)

(٢٧) لعننى : وشيئاً . يشير إلى أنه لما عرف دهره ، وفضل لأحوال الناس في زمانه ، أنكر كثيراً من أمورهم ، ولم ترقه أخلاقهم ؛ ولهذا صرح في البيت الآن بأنه اعتزلهم ، واجتنب صحبتهم .
 (٢٨) التقاة : التقوى ، وهي أن تحفظ نفسك بما يناسب الله تعالى .
 يريد أن تجنبه صحبة الناس قد أعانته على اتقاء شرهم ، أو على تقوى الله تبارك وتعالى ، فهو لا ينجوس معهم في أحاديث الغيبة ، ولا يجارهم في آثامهم ؛
 (٢٩) المل : القادر على الشيء ، يقال : هو مل بكذا : أى مضطلع به .
 (٣٠) الغيبة (بكسر النون) : أن تذكر غيرك بما يكره ، أى أن تتكلم خلف إنسان مستور بما يفسد لوسمته ، فإن كان بردياً سمى غيبة ، وإن كان كذياً سمى بهتاناً .
 وفى اسم من اغتابه اغتياهاً . والمغتتاب : اسم فاعل منه . يريد : أن بعده عن الناس بصله في أمن من شر الغيبة ، ولكن عبارة البيت لا تضمن أداء هذا المعنى .
 (٣١) الخنا : الفحش والفسق (يقدم فسكون فهما) .
 (٣٢) أنغابى : أتناقل ، وأظهر الغباوة ، وهى قلعة القلعة .
 (٣٣) الحزم : أن يضبط الإنسان أمره ، ويتقن رأيه ، ويأخذ فيه بالثقة . (ومنه من باب ضرب)
 (٣٤) تبلى : تهك وتبقى .

القصيدة السابعة

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرْنَدِيْبَ :

لِكُلِّ دَمْعٍ جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ سَبَبٌ
لَوْلَا مُكَابِدَةُ الْأَشْوَاقِ مَا دَمَعْتَ
فَبَا أَنَا الْعَدْلُ لَا تَعْجَلْ بِلَانِمَةٍ
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ
وَلَوْ تَبَيَّنَ مَا فِي الْغَيْبِ مِنْ حَدَثٍ
لَكُنْتَهُ عَرَضٌ لِلدَّهْرِ يَرْتَشِقُهُ
فَكَيْفَ أَكْتُمُ أَشْوَاقِي وَيَبِي كَلْفٌ

وَكَيْفَ يَمْلِكُ دَمْعُ الْعَيْنِ مُكْتَتِبٌ؟^(١)
عَيْنٌ عَوَّلَاتِ قَلْبُ فِي الْحَشَايَا جِبٌ^(٢)
عَلَى ، فَالْحُبُّ سُلْطَانُ لَهُ الْقَلْبُ^(٣)
فِي ظُلْمَةِ الشُّكِّ لَمْ تَعْلَقْ بِهِ النَّزْبُ^(٤)
لَكَانَ يَعْلَمُ مَا يَأْتِي ، وَيَجْتَنِبُ^(٥)
بِأَسْنَهُمْ مَا لَهَا رِيَشٌ ، وَلَا عَقْبُ^(٦)
تَكَادُ مِنْ مَسِّهِ الْأَحْشَاءُ تَنْشَعِبُ^(٧)

(١) مكتتب : منكسر حزين .

(٢) مكابدة : مقاساة . ووجب القلب يجب وجيباً : اضطربه .

(٣) العدل : القوم . وشبه اللانمة ، واللامنة .

(٤) النزب : النوازل : والمصائب . الواحدة نوبة (بضم فسكون ، أو يفتح فسكون) .

(٥) النرض : المذهب الذي يرى إليه . ويرثقه (من باب قتل) : يرميه . والأسهم : جمع سهم ،

وهو ما يرى به الصائد ويحده عن القوس ونحوه . وريش السهم : ما يلمس به لتسديد مرماه . والمقب

(يفتح العين والفاء) : المصعب (يفتح الحين) تعمل منه الأوتار ، والمراد الأوتار نفسها . ووهى : ما لما

ريش ولا عقب . أنها لا تشبه السهام المروقة للناس .

والمراد : أن الإنسان هدف للدهر يرميه بأرزائه وصروفه ومصائبه .

(٧) كلف : حبّ وولوع . والأحشاء : ما حواه جوف الإنسان من الأعضاء وغيرها ، مفردتها

حشاً . وتشمب : تشقق وتفترق .

أَمْ كَيْفَ أَسْأَلُو وَلِيَّ قَلْبٍ إِذَا التَّهَبْتُ
 بِالْأَقْبَى لَمَعَةً بَرَقَ كَادَ يَلْتَهَبُ؟^(١٨)
 أَصْبَحْتُ فِي الْحُبِّ مَطْوِيًّا عَلَى حُرْقٍ
 يَكَادُ أَيْسَرُهَا بِالرُّوحِ يَنْتَشِبُ^(١٩)
 إِذَا تَنَفَّسْتُ فَاصَتْ زَفَرَتِي شَرًّا
 كَمَا اسْتَنَارَ وَرَاءَ الْقُدْحَةِ اللَّهُبُ^(٢٠)
 لَمْ يَبْقَ لِي غَيْرَ نَفْسِي مَا أَجُودُ بِهِ
 وَقَدْ فَعَلْتُ ، فَهَلْ مِنْ رَحْمَةٍ نَجِبُ؟
 كَانَ قَلْبِي إِذَا هَاجَ الْغَرَامُ بِهِ
 بَيْنَ الْحَشَا طَائِرٌ فِي الْفَخِّ يَضْطَرِبُ^(٢١)
 لَا يَبْرُكُ الْحُبُّ قَلْبِي مِنْ لَوَاعِجِهِ
 كَأَنَّمَا بَيْنَ قَلْبِي وَالْهَوَى نَسَبُ^(٢٢)
 فَلَا تُلْغِي عَلَيَّ مَنَعٌ تَحْدَرُ فِي
 سَفْحِ الْعَقِيقِ ، قَلْبِي فِي سَفْحِهِ أَرْبُ^(٢٣)
 مَنَازِلُ كُلَّمَا لَاحَتْ مَخَايِلُهَا
 فِي صَفْحَةِ الْفِكْرِ مِنِّي هَاجَنِي طَرِبُ^(٢٤)
 لِي عِنْدَ سَاكِنَتِهَا عَهْدٌ شَقِيتُ بِهِ
 وَالْعَهْدُ مَالِمُ يَصْنُهُ الرُّودُ مُنْقَضُ^(٢٥)

(٩) الحرق : جمع حرقه (بضم فسكون) : رمى الاحتراق. وينتشب : يمتلئ ، والمراد يقضى على الروح .

(١٠) الرفة : التنفس السَّهْوُ الطويل ، يكون من المجهود ونحوه. والشرود : ما يتطاير من النار ،

الواحدة شررة . واستنار : أضاء . وقطع النار من الزند : أوقدها وأوقدها ، والقدحة : اسم مرة منه .
(١٢) هاج الغرام به : يهرج به الحب ، واشتدت لواعجه .

(١٣) اللواعج : حرق الحب (بضم الحاء وفتح الراء) . مفردها لواعج . يقال حب يلعج القلب (يكقطع) : أي يؤثله ويحرقه . والمهوى : المشق . ونسب : قرابة .

(١٤) تحدر : تنزل وانصب . والعقيق : الوادي ، أو اسم لموضع يريد به الشاعر ، وسفح العقيق :

عرضه (بضم فسكون) وفاحيته . والفسح في آخر البيت : قد يكون بمعنى إرسال الدمع ، وقد يكون بمعنى الناحية ، والتفسير المتصل به صالح لأن يعود على الدمع ، أو أن يعود على العقيق . والأرب : الحاجة .

(١٥) لاحت : ظهرت . والمخايل : جمع غيلة ، وهي في الأصل الظن ، والمراد بمخايل المنازل : صورها . والطرب : غفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور .

(١٦) العهد : الموثق والمخاطب ورواية الحرمه ولا لتمام والمعرفة . وقصبت الشيء : قضيت (من باب ضرب) فانقضت : قطعت فانقطع .

ومعنى البيت : أن لي عند سكان هذه المنازل موثقاً شقيت بسبب تواترهم في المحافظة عليه ، والموثق يتقطع إذا لم يصنه الحب .

وَعَادَ ظَنِّي عَلَيَّ لَا بَعْدَ صِحَّتِهِ وَالظَّنُّ يَبْعُدُ أَحْيَانًا وَيَقْتَرِبُ (١٧)
 قِيَا سَرَاةِ الْحَيِّ أَمَا بَالُ نَضْرَبِكُمْ ضَاقَتْ عَلَيَّ وَأَنْتُمْ سَادَةٌ نُجِبُ (١٨)
 أَصْنَعُمُونِي وَكَانَتْ لِي بِكُمْ ثِقَةٌ مَتَى خَفَرْتُمْ ذِمَامَ الْعَهْدِ يَا عَرَبُ؟ (١٩)
 أَلَيْسَ فِي الْحَقِّ أَنْ يَلْقَى النَّزِيلُ بِكُمْ أَمْنَا إِذَا خَافَ أَنْ يَنْتَابَهُ الْعَطْبُ؟ (٢٠)
 فَكَيْفَ تَسْلُبُنِي قَلْبِي يَلَا قِرَّةَ فِتْنَةٍ خَيْرٌ لَهَا فِي الْحَيِّ مُنْتَسِبُ؟ (٢١)
 مَرَّتْ عَلَيْنَا تَهَادَى فِي صَوَاحِبِهَا كَالْبَدْرِ فِي خَالَةٍ حَفَّتْ بِهِ الشُّهُبُ (٢٢)
 تَهْتَزُّ مِنْ قَرَبِهَا الْفَيْنَانِ فِي سَرِقِ كَسَمَهَرِي لَهُ مِنْ سَوَسَنِ عَذْبُ (٢٣)

(١٧) معنى البيت : أني كنت ظننت هؤلاء الناس المبادرة إلى نصري وقوتي وإعائتي ، وكان ظني قوياً صحيحاً ، ولكنهم توانوا في أمري ، ولم يهتموا بي ، فاعتزل ظني وضعف ، والظن يبعد أحياناً عن التحقق فيقتل ويضعف ، ويقرب أحياناً فيصح ويقوى .
 (١٨) السراة : اسم جمع لسرى : وهو الشريف السخي ذو المروءة . والحسى : المكان أو الشيء المظنور الذي لا يقرب ، ولا يجترأ عليه . وما بال : ما حال ، وما شأن . ونجب : جمع نجيب : وهو الكريم الحبيب .
 (١٩) خفرتم : تقصصتم . والنمام : الحرمة ، والعهد : المؤثق .
 (٢٠) النزيل : الضيف . وانتاب : أتاه وأصابه . والعطب : الهلاك .

(٢١) الترة (يوزن الميدة) : الذنبل (يفتح فسكون) : وهو الثأر . ووتره (من باب وعد) : أصابه بمكرهه . والندار : السر (بكسر فسكون) ، وجمالية مخدرة : أي لزمت الخلد . والحى : التنبيلة من العرب . والمنسب : مصدر ميسى : بمعنى النسب والاعتزاء والقراية ، ولما في الحى منتسب : أي أصيلة في قومه .

(٢٢) تهادى : أصله تهادى : أي يتأيل في مشيتها . وصواحب : جمع صاحبة . والمالة : الدارة حول القمر ، وحفَّت به : أطاحت به واستدارت ، وأحاطت . والشهب : الدار ، وهي الكواكب المضيئة .
 (٢٣) الفرع : الشعر التام . والفينان : الحسن الطويل . والسر : الحرير . والسهمري : الرعب المشروب إل سهر (يفتح فسكون ففتح) زوج رديئة (يضم ففتح فسكون) ، وكانا مشغولين بالرياح . والسوسن : نبات مشوم ، عريض الورق من الرياحين . والمذب : أغصان الشجر ، الواحدة بهاء . والغلبة أيضاً : طرف كل شيء .

ومعنى البيت : أن هذه الفتاة تهتز في شعر تام طويل ناعم كشقق الحرير اهتزاز ربيع معتدل عقدت بهياته عذبات من السوسن .

كَأَنَّ غُرَّتَهَا مِنْ تَحْتِ طَرَّتِهَا قَدِجَرِ بِجَانِحَةِ الظَّلَمَاءِ مُتَّقِبُ (٢٧)
كَانَتْ لَنَا آيَةٌ فِي الْحُسْنِ فَاَحْتَجَبَتْ عَنَّا بَلِيلُ السَّوَى ، وَالْبَلَرُ يَخْتَجِبُ (٢٨)
فَهَلْ إِلَى نَظَرَةٍ يَحْيَا بِهَا رَمَقُ ذَرِيعةٌ تَبْتَغِيهَا النَّفْسُ أَوْ سَبَبُ (٢٩)
أَبَيْتٌ فِي غُرْبَةٍ ، لَا النَّفْسُ رَاضِيَةٌ بِهَا ، وَلَا الْمُلتَقَى مِنْ شَيْعَتِي كُتِبُ (٣٠)
فَلَا رَفِيقُ تَسْرُ النَّفْسِ طَلَعَتْهُ وَلَا صَدِيقُ يَرَى مَا بِي فَيَكْتَسِبُ (٣١)
وَمِنْ عَجَائِبِ مَا لَا قَيْتُ مِنْ زَمَنِي أَنِّي مُنِيتُ بِخَطْبِ أَمْرِهِ عَجَبُ (٣٢)
لَمْ أَقْتَرِفْ زَلَّةً تَقْضِي عَلَيَّ بِمَا أَصْبَحْتُ فِيهِ فَمَا ذَا الْوَيْلِ وَالْحَرْبُ (٣٣)
فَهَلْ دِفَاعِي عَنْ دِينِي وَعَنْ وَطَنِي ذَنْبٌ أَذَانُ بِهِ ظُلْمًا وَأَغْرَبُ (٣٤)
فَلَا يَظُنُّ بِي الْحَسَادُ مَنَئِمَةً فَإِنِّي صَابِرٌ فِي اللَّهِ مُحْسِبُ (٣٥)
أَتَرَيْتُ مَجْدًا يَلْمُ أَغْبَا بِمَا سَلَبَتْ أَيْدِي الْحَوَادِثُ مِنِّي فَهُوَ مُكْتَسِبُ (٣٦)

(٢٧) الغرّة : بياض الجبهة . والطرّة : الشعر الملقى على الجبهة تطوّره الجارية : أى تحفه وتصفقه .
وتسوّيه . وجانحة : اسم فاعل من جنح الليل (من باب ضمع ودخل) : إذا أدبر وبال للذهاب .
والظلماء : ظلمة الليل . وانتقبت المرأة : غطت وجهها بالثياب .

(٢٨) النوى : البعد .

(٢٩) الرمي (بفتحين) : بقية الروح . والذريعة : الوسيلة . وتبتغيها : تطلبها .

(٣٠) شعبة الرجل : أتباعه وأتباعه . والكتب (بفتحين) : القرب

والمنى : أن اللقاء أو مكانه غير قريب .

(٣١) يكتسب : يحرز ، ويروى لحال .

(٣٢) منيت بالنوى : بكيت به وأصبت . والخطب : الأمر الشديد .

(٣٣) الزلة : الخطأ . واقتراف الزلة : غلطها وارتكابها . والويل : العذاب . والحرب (بفتحين) :
مصدر حرب (كتب) : أى اشتد غضبه .

(٣٤) أذنان : أجازى .

(٣٥) منعمة : فداء وأسفاً . واحتسب الأجر على الله : ادّخره عنده ، لا يرجو ثواب الدنيا .

(٣٦) الثراء : كثرة المال ، وأثرى الرجل : استغنى بآله .

ومعنى البيت : أننى استغنيت بالمجد وهو العزّ والشرف ، ولهذا لم أهتمّ بما سلبته الحوادث
من منصب ومال ونحوهما ، فإن هذا شيء عارض ، يمكن استعادته واكتسابه .

لَا يَخْفِضُ الْبُؤْسُ نَفْسًا وَهِيَ عَالِيَةٌ
إِنِّي أَمْرُو لَا يَرُدُّ الْخَوْفُ بَادِرَتِي
مَلَكْتُ حِلْمِي، فَلَمْ أَنْظِرْ بِمُنْدَبَةٍ
وَمَا أَبَالِي وَنَفْسِي غَيْرُ خَاطِئَةٍ
هَا، إِنَّهَا فَرِيَّةٌ، قَدْ كَانَ بَاءُهَا
فَإِنْ يَكُنْ سَاعَتِي دَهْرِي، وَغَادِرَتِي
فَسَوْفَ تَصْفُرُ اللَّيَالِي بَعْدَ كُدْرَتِهَا
وَلَا يُشِيدُ بِذِكْرِ الْخَامِلِ النَّشْبُ (٣٤)
وَلَا يَجِيفُ عَلَى أَخْلَاقِي الْقَضْبُ (٣٥)
وَصُنْتُ عِرْضِي، فَلَمْ تَعْلُقْ بِهِ الرَّيبُ (٣٦)
إِذَا تَخَرَّصَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَذَّبُوا (٣٧)
فِي ثَوْبٍ وَيُوسُفُ مِنْ قَبْلِي دَمٌ كَذِبٌ (٣٨)
فِي غُرْبَةٍ لَيْسَ لِي فِيهَا أَحْ حَلِيبٌ (٣٩)
وَكُلُّ دَوْرٍ إِذَا مَا تَمَّ يَنْقَلِبُ (٤٠)

(٣٤) البؤس : الضر وشدة الحاجة. ولا يشيد : لا يرفع. والخامل : الساقط الذي لانهاية له. والنشب : المال والمغار.

(٣٥) البادرة : ما يبدو من حدة الغاضب وشدة وبأسه، يقال: فلان غشي البادرة؛ إذا كان شديد البأس. ويجيف (من باب باع) : يجور، ويطفى.

ومعنى البيت : أنه إذا دعا إلى الغضب داع، رأيت مني بأساً وشدة لا يردّها خوف، ولا يلدّعها جبن؛ على أن الغضب لا يفسد كرم أخلاق.

(٣٦) الحلم : الآناة والمقل. والمندبة : الخزية؛ لأنها إذا ذكرت لدى (يفتح الذنوب وكسر الدال) جبين صاحبها سواء. وصنت : حفظت. والمرص : النفس والحسب والشرف والدين. والريب : جمع ريب (يكسر الراء) : وهي التهمة والشك.

(٣٧) ما أبالي : ما أهتم، ولا أكرث. وتخرّص القول : اختله، وافتره، واختلقه.

(٣٨) فريّة : تهمة مصنوعة مختلفة. وباء : رجع. ويوسف الصديق بن يعقوب عليها السلام.

وما إخوته في غيابة الجب. وجاءوا أباهم عشاءً يَكُون. قالوا: يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا

نَسْتَبِقُ، وَكَرَرْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا؛ فَأَكَلَهُ الذُّنْبُ، وَمَا أَنْتَ

بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ. وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ؛

قَالَ: بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

عَلَى مَا تَصِفُونَ. الآيات ١٦ - ١٨ من سورة يوسف

(٣٩) غادري : تركني. وسدب عليه (من باب طرب) : وتعدّب: تمطّط. وهو سدب على أخيه

أي عاظم راحم.

(٤٠) الكدرة : ضد الصفرة.

ومعنى البيت : أن الزمان يتقلب بالناس بين الكدر والصفاء، والشدة والرخاء، فإذا ما تمت

في البؤس دورته، انعكست الدورة، فعاد إلى اليسر والمسالة.

القصيدة الثامنة

وقال في الغزل :

يَا مَنْ رَأَى الشَّادِنَ فِي مِرْيَةٍ يَتَّبِعُهُ بِالْحُسْنِ عَلَى تَرْبِهِ ^(١)
أَرْسَلَ فَرَعْنَهُ لِكَيْ يَغْبِثَا بِأَكْرَبَيَّ تَهْدِيهِ مِنْ عَجْبِهِ ^(٢)
أَخْتَمِلُ الْمَكْرُوهَ مِنْ أَجْلِهِ وَأَبْذُلُ الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ^(٣)
قَدْ لَا مَنَى الْعَاذِلُ فِيهِ ، وَلَوْ رَأَى الْهَدَى أَقْصَرَ عَنْ عَيْبِهِ ^(٤)
وَهَلْ يُطِيقُ الْمَرْءُ سِتْرَ الْهَوَى مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَوَى عَلَى لُبِّهِ ^(٥)
تَغْلِبُ الْعَيْنُ ذَلِيلٌ عَلَى مَا أَضْمَرَ الْإِنْسَانُ فِي قَلْبِهِ ^(٦)

(١) الشادن: الظبي إذا قوى، واستنى عن أمه، ويراد به هنا: الجارية الحسناء المترعة .
والسرب: القطيع من الظباء . والمراد: جماعة النساء . ويتكبر ويمجيب . والترب: الألفة ؛ وهو من ولد مملوك ، ومن كانت سنه مثل سنك . يقال : هذه ترب فلانة إذا كانت على سنّها .
(٢) الفرع : الشعر الطويل التام . وعبث عبثاً من (باب طرب) : لعب وعمل مالا فائدة فيه .
والأكرة : لغة في الكرة . والنهدى : الندى . والمجب (بضم فسكون) : الزعم والكبر .
والمعنى : أنها جعلت شعرها الطويل فرعين ، وأرسلت على كلّ نهد فرعاً ، معجبة بنفسها ، مزهّوةً بحسنها .

(٤) العاذل : اللئيم . والمغب : اللوم .
(٥) أطلعت النوى : طمأنينة : قدوت عليه . والمهوى : الحب . واللب : العقل .
(٦) معنى البيت : أن ما يخفيه الإنسان في قلبه يظهر في حركات عينيه .

يا سَامِعَ اللَّهِ عِيُونََ الْمَهَا فَهَنْ عَوْنُ الدَّهْرِ فِي حَرْبِهِ^(٧)
 أَمَا كَفَى مَا جَرَّ أَحْدَاثُهُ ؟ حَتَّى دَعَا الْغَيْدَ إِلَى حِزْبِهِ^(٨)

(٧) لها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية ، ويضرب بجمال عيونها المثل .
 ومعنى البيت : أن الدهر يحارب الإنسان ، ويحلب له الحنوم . والعين النجل تصوب
 للعاشقين سهام الفتنة والفرام ؛ فهن عاون الدهر فى حربه .
 (٨) أحداث الدهر : نواجه ومصائبه . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة الناعمة ، المشتبة لينا .
 ومعنى البيت : أن الدهر لم يكتف بما جرّت على الناس نوبه وأحداثه ؛ بل دعا إلى حزبه
 النساء الناعمات بالجميلات المشتبات ، يجعلهن سبب هيان العشاق وشقاؤهم .

القصيدة التاسعة

وَقَالَ فِي الرَّهْزِ : وَهِيَ مِنْ لُزُومٍ مَا لَا يَلُزِمُ ** :

لَا مَ يَهْتَمُّ بِحَطْمِكَ الطَّرْبُ ؟ أَبْعَدَ خَمْسِينَ فِي الصَّبَا أَرْبُ ؟^(١)
هَيْهَاتَ ، وَلَى الشَّبَابُ ، وَاقْتَرَبَتْ سَاعَةُ وِرْدِ دَنَا بِهَا الْقَرَبُ^(٢) ،
فَلَيْسَ خُونُ الْحِمَامِ مُبْتَعَدٌ وَلَيْسَ نَحْوَ الْحَيَاةِ مُقْتَرَبُ^(٣) ،
كُلُّ امْرِئٍ سَائِرٌ لِمَنْزِلَةٍ لَيْسَ لَهُ عَنْ فُنَائِهَا هَرَبُ^(٤) .

• الزهد : الإعراض عن غلو الدنيا .

• انتزم الشاعر حرف الراء قبل روى هذه القصيدة ، وهذا التزام لا تحتتمه قواعد القافية .

(١) يهفو : يستطير ويذهب . والحلم : الأناة والرقار والمقل . والطرب هنا : غفلة تصيب الإنسان لشدة سرور . والصبا (بكسر الصاد) : الصغر ، وبجمل الفتوة . والأرب : الحاجة ، أو الكلف (يفتح الكاف واللام) : وهو حب الشيء ، والولوع به .

(٢) هيهات : بعيد ، أى بعد ما تقتضيه من الرجوع إلى الصبا بعد أن بلغت من العمر خمسين عاماً . وولّى : أدير وذهب . والورد : الإشراف على الماء وغيره ، والبراد بساعة الورد : ساعة الإشراف على الموت . ودنا بها : أدناها وقربها . والقرب (يفتح اللام والراء) : سير الليل لورد الند ، والمراد هنا سير الزمن ، وذهب معظم العمر .

(٣) الحمام : قضاء الموت وقدره ، والمعنى : أنه قريب من الموت ، بعيد من حياة الشباب ، أو من فسحة الأجل .

(٤) المنزلة : المنزل ، والمراد للقبر ، أو الدار الآخرة . وفناء الدار (بكسر الفاء) : ما امتد من جوانبها ، أو هو سعة أمام البيت .

وَسَاكِنٌ بَيْنَ جَبَرَةٍ قَذَفَ لَا نَسَبٌ بَيْنَهُمْ ، وَلَا قُرْبٌ (٥)
 فِي قَفْرَةٍ لِلصَّلَالِ مُزْدَحَفٌ فِيهَا ، وَلِلضَّارِيَاتِ مُضْطَرَبٌ (٦)
 وَشَاهِدٌ مُوقِفًا يُدَانُ بِهِ قَالَوِيلُ لِلظَّالِمِينَ وَالْحَرْبُ (٧)
 فَارِبًا يَقَاعًا ، أَوْ اتَّخِذْ سَرِبًا إِنْ كَانَ يُغْنِي الْيَقَاعُ وَالسَّرِبُ (٨)
 لَا الْبَارُ يَنْجُو مِنَ الْجِمَامِ ، وَلَا يُخْلَصُ مِنْهُ الْحَمَامُ وَالْحَرْبُ (٩)
 مُسْلَطٌ فِي الْوَرَى : فَلَا عَجْمُ يَبْقَى عَلَى فَتْكِهِ ، وَلَا عَرَبٌ (١٠)
 فَكَمْ قُصُورٍ خَلَّتْ ، وَكَمْ أُمَمٍ بَادَتْ ، فَغَصَّتْ بِجَمْعِهَا التُّرْبُ (١١)
 فَمَنْزِلٌ عَامِرٌ بِقَاطِنِهِ وَمَنْزِلٌ بَعْدَ أَهْلِهِ خَرِبٌ (١٢)

(٥) جبيرة (بكسر الجيم) : جمع جبار . وقذف (يفتح القاف والذال ويسمها أيضا) : بعيدة . وجبيرة قذف : أى جبران مفترقون متباعدين . والشرط الثانى تأكيد هذا المعنى . والنسب : القرابة ، أو القرابة فى الآباء خاصة . وقرب : جمع قرابة أو قرين (بضم القاف فهما) وهى القرابة ، ويقصد بالجبيرة : سكان القبور .

(٦) القفرة : الخلاء من الأرض . والصلال : جمع صل (بصاد مكسورة ولام مشددة) : وهو الحمية . ومزدحف : اسم مكان ، أو مصدر ميمي لا يزدحف : أى تمحق . والضاريات : الوحوش والسياب المفترسة . ومضطرب : مصدر ميمي ، أو اسم مكان من اضطرب : بمعنى تحرك وباح .

(٧) شاهد : اسم فاعل من شهده (بكسر الهاء) شهيدا : أى حضره . والمراد بالموقف : موقف الحساب يوم القيامة . ويدان : يجازى بفعله ، وعلى حسب عمله . والويل : المذاب ، أو هو واد فى جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماحت من حره . والحرب : الويل والمهلك والمذاب .

(٨) أربأ : أمر من ربأ : بمعنى علا وارتفع . واليفاع : التل . والسرب : الحفير تحت الأرض .

(٩) البار ، والبازي : شرب من الصقور . والحمام (بكسر الهاء) : قضاء الموت وقدره . والحرب (بفتح الهاء والراء) : ذكر الحيابرى (بضم الحاء وفتح الراء) : وهو طائر على شكل الإوزة . ومعنى البيت أن الموت لا ينجو منه قوى ولا ضعيف .

(١٠) مسلط : غالب قاهر . والورى : الخلق . والعجم (بفتح العين) : خلاف العرب . والفتك البطش ، أو القتل على غفلة .

(١١) بادت : هلكت . وغصت : امتلأت . والعرب : جمع تربة (بضم فسكون) : وهى التراب ، أو القبر .

(١٢) قطن بالمنزل أو المكان (من باب فعد) : أقام به ، وتوالت به ؛ فهو قاطن .

يَغْدُو الْفَتَى لَاهِيًا بِعَيْشَتِهِ وَلَيْسَ يَنْدَرِي مَا الصَّابُ وَالْفَرْبُ^(١٧)
وَيَقْتَنِي نَبْعَةً يَصِيدُ بِهَا وَنَبْعٌ مِّنْ حَارَبَةِ الرَّدَى غَرْبُ^(١٨)
لَا يَبْلُغُ الرِّبْعَ أَوْ يُفَارِقُهُ كَمَا تَحِ حَنَانُ كَهْمِ الْكَرْبُ^(١٩)
يَا وَارِدًا لَا يَمَلُّ مَسُورَدَهُ حَلَارِ مِنْ أَنْ يُجْهِيكَ الشَّرْبُ^(٢٠)
تَصْبُو لِكِ اللَّهْوِ غَيْرَ مُكْتَرِبٍ وَاللَّهُوُ فِيهِ الْبَوَارُ وَالْتَرَبُ^(٢١)
وَتَرْكُ الْبِرِّ غَيْرٌ مُّخْتَسِبٍ أَجْرًا ، وَبِالْبِرِّ تُفْتَحُ الْأَرْبُ^(٢٢)

(١٣) يندو : يذهب وينطلق . ولاهياً : لاهياً ، مولماً ، مشغولاً . والصاب : عصاة شجر من .
والفرب (بفتحين) : الفصل الأبيض .

والمعنى : أن الإنسان تشغله ملاهى الحياة ومشاغلهها عن التفكير في أحواله ، والفرقة بين ما يضره
وما ينفعه . (١٤) النبة : واحدة النبع (يفتح فكون فيها) : وهو شجر تتخذ منه القسيّ والسهام ، والمراد
بالنبهة (هنا) : القوس نفسها : أى أداة الصيد : وهى آلة على هيئة هلال ، ترمى بها النبال والسهام .
والردي : الملاك . والفرب (بفتحين) : شجر ضعيف لا يصلح للسهم .

ومعنى البيت : أن الإنسان يقتنى القسيّ ليصيد ويحارب بها ، ولكنه لا يقوى على حرب
الموت ؛ لأن قسي من حارب الموت ضعيفة لا تصيد ، ولا تصب .

(١٥) الماتع : الذى يستق الماء بالدلو ، اسم فاعل من متع الدلو (من باب نفع) : أى نزعها
واستخرجها . والدلو عادة مَرْقُوتَان : أى خشبتان نمرضان على فوكة الدلو كالصليب ، والكرب
(بفتحين) : حبل صنبر يربط بالعرقوتين ، ويتصل به الرشاء : وهو الحبل الطويل .

ومعنى البيت : أن الإنسان لا يكاد يبلغ غرضاً من أغراضه فى الدنيا حتى يفارقها ، أو يفارق

ذلك الغرض ، كالمستقى بالدلو الذى ضعفت قواه عن شدتها ، فسقطت قبل أن تصل إليه .
(١٦) الوارد : المشرق على الماء ، وهو اسم فاعل من ورد الإنسان وغيره الماء يورده وورداً : أى

بلفه ووافاه . والمورد : موضع الوريد . وحذار : احذر واحترز . والشرب : مصدر شرب (كفرج) :
بمعنى عطش . والمعنى : أن المتغافل فى طلب الشيء قد يجرمه .

(١٧) تصبو : تميل . واللهو : لعب . وغير مكترث : غير مبالي ، ولا مهم . والبرار : الملائكة
والكساد . والفرب : مصدر قرب (من باب فرح) : أى غسر والتفرغ .

(١٨) أرب : الخير ، والإحسان ، والصدق ، والطاعة . ومحتب : اسم فاعل من احتسب بكذا أجراً عند
الله : أى اعتده ينزى به وجه الله ، ويقال أيضاً : احتسب الأجر على الله : أى أدغمه نفعه ، لا يبرو ثواب
الدنيا ، والأجر : الجزاء على العمل ، والذكر الحسن . والأرب (بضم أوله ، وفتح ثانيه) : جمع
أربة (بضم فسكون) : وهى العقدة . ويشير بالشرط الثانى من هذا البيت إلى أثر البر والتقوى فى تيسير
الأمور ، وحل المشكلات ، والتغلب على صعوبات الحياة .

دَعِ الْحُبِّيَّ ، فَلَا يَبْنِي حَائِنَتَهَا مِنْ صَدَمَةِ الْكَأْسِ لَهْتُمْ ذَرْبُ (١٩)
 تَرَاهُ نَضَبَ الْعَيْنِ مُتَكِنًا وَعَقْلُهُ فِي الضَّلَالِ مُغْتَرِبُ (٢٠)
 قَبِئَسَ الْخَمْرُ مِنْ مُخَادِعَةٍ لِيَسْلِمَهَا فِي الْقُلُوبِ مُحْتَرِبُ (٢١)
 إِذَا تَفَشَّتْ بِمُهْجَةٍ قَتَلَتْ كَمَا تَفْشَى فِي الْمَبْرَكِ الْجَرَبُ (٢٢)
 قَتَبَ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ مَنَدَمَةٍ تَكْثُرُ فِيهَا الْهُمُومُ وَالْكَرْبُ (٢٣)
 وَاعْتَدَ عَلَى الْخَيْرِ ، فَالْمَوْفِقُ مَنْ هَلَبَهُ الْاِعْتِيَادُ وَاللَّزْبُ (٢٤)
 وَجَدَ بِمَا قَدْ حَوَتْ يَدَاكَ ، فَمَا يَنْفَعُ ثَمَّ اللَّجِينُ وَالْقَرَبُ (٢٥)

(١٩) حبياً الكأس : سورتها وشذبتها ، أو إسكارها . والمراد بالحبى : الخمر . والحائنه : موضع بيع الخمر . وابن الحائنه : السكران . والمراد بصدمة الكأس : ألم الخمر ، وصداعها ، وأذاها ، والقهلم : البهتان القاطع ، وذرب : حاد ، ماضٍ . يقال : ذَرَبَ السيف ونحوه (من باب فَرَحَ) : أى صار حديداً مانعاً . (٢٠) النضب : (بضم النون وسكون الصاد أو بضمها) : كل ما نضب : أى رُفِعَ (بالبناء المفعول) ، والمراد بنضب العين : أنه شاخص للعين . ومتكناً : جالساً متمكناً . ومعنى البيت : أنك ترى السكران جالساً شاخصاً للعين يحمسه ، أما عقله فبعيد عنه محتجب متوارٍ في تيه السكر وغيويته .

(٢١) مخادعة : اسم فاعل من خادعه : أى خاتله ، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم . ومحترب : حرب : وهو مصدر ميمي لا حَرَبُوا : أى تحاربوا . ومعنى البيت : أن الخمر جديرة بالدم ، لأنها تخالط شاربها وتخدعه ، وتوقعه في المكروه ، وهى تحدث في جسمه انتعاشاً يحقق وراءه الضرر .

(٢٢) تفشَّت : كثرت وانتشرت . والمهجة : النفس . وبرك البعير (من باب دخل) : أى استنخاض ، ورفع على بركه . (يفتح فسكون) : وهو صدره ، والمبرك : موضع البروك . (٢٣) المندمة : الدم : وهو الأسف والحزن . والهموم : جمع هم : وهو الحزن . والكرْب : جمع كربة (بضم فسكون) : وهى الحزن يأخذ بالنفس .

(٢٤) هَلَبَ به : نقّاه ، وأصلحه ، وأصلحه . والذرب : الاعتقاد . مصدر ذرب بالثاء (من باب فرح) . (٢٥) ثَمَّ : أى في الدار الآخرة . واللجين : اللقطة . والقرب (بفتح تين) : الذهب .

فَإِنَّ لِلنَّهْرِ لَوْ قَطَنَتْ لَهُ قَوْمًا مِنَ الْمَوْتِ سَهْمًا غَرَبُ (٢٦) .

(٢٦) الفطنة : الفهم والخلق ، وقطن له (كفتح - وقصر - وكسرم) . وغرب (بفتحين) : من
تولم : أصابه سهم غرب : أى لا يعرف من رماه .
والمعنى أن من قطن لأحوال الدهر وطبائع الزمان ، عرف أنه يغتال الأحياء ، ويفتلك
بالتاس ، ويتألم بأسباب لا يعرفونها .

• والشطر الثاني من البيت الأول يدل على أن هذه البالية الزهدية من قصائده السردبية ؛ فقد نفى من
مصر إلى سردينيا في ديسمبر سنة ١٨٨٢ وعمره يومئذ ثلاثة وأربعين عاماً . وفي منفاه بلغ السكين .
وفي نحو الخمسين ، أى في نحو سنة ١٨٩٠ نظم هذه القصيدة . وسرديبيات البارودي كلها غاية
في رفاقة الشعور ، ورقة العاطفة ، وجودة السبك ، وجمال الرنين والوقع ، وقوة التأثير والتأثير .
وزهدياته في منفاه كثيرة ، تقوم على الصدق ، والإعراض عن الدنيا ، وارتقاب الموت ، والتفكير في الآخرة ،
والعمل لها . وفي جوها النفس كآبة وابتئاس ، ومتعة وياس من عدالة الناس ، وتعلق بالله ، وطمع
في رصته ورضاه .

القصيد العاشرة

قال :

أدير الكأس يا نديم ، وهات
شاق سعي الزناء في روثي الفج
أي شيء أشهى إلى النفس من كذا
هو يوم تَعَطَّرَتْ طَرْفاهُ
باسم الزهر ، عاطر النشْرِ ، هاجي أ
واشقيها على جبين القداة^(١)
ر ، وسجع الطيور في العلبات^(٢)
س مدار على يساط نبات^(٣) ؟
بشمال مسكية النفحات^(٤)
قطر ، وإني الصبا ، عليل المهاة^(٥)

(١) التديم : من ينادمك ، أي يحالسك على الشراب . والجبين : جانب الجبهة فوق الحاجب مصدراً إلى قمصاس الشعر . وما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، فتكون الجبهة بين جبينين . والقداة : البكرة (بضم فسكون) ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس ، ومعنى حل جبين القداة : في أولها .
(٢) روثي الفجر : حسنة وهائه . وسجع الطيور : هديرها وتفريدها . والعلبات : الأغصان .
(٣) نبات المعروف أن الكأس مؤنثة . وهي القدح : أي الإناء يشرب به الماء وغيره ، قيل : ولا تسمى الكأس كأساً إلا وفيها الشراب . ومن شواهد تأنيث الكأس قول الله تبارك وتعالى : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ من مِيعِينَ يَمِصُّهَا لَذَّةٌ لِّشَارِبِينَ) . الآية ٤٥ والآية ٤٦ من سورة الصافات .
(٤) الشبال (يفتح الشين) : الريح التي تهب من الجهة التي على يسارك وأنت متجه إلى الشرق ، وتقابلها الجنوب . ومسكية : منسوبة إلى المسك (بكسر فسكون) : وهو ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الفيزلان (معرب) وتسميه العرب المشموم ، وهو أفضل أنواع الطيب عندهم . والنفحات : جمع نفحة (يفتح فسكون) اسم مرة من نفحت الريح من باب نفع أي هبت . وتأنيث القمل (تعطر) هنا غير سائغ .

(٥) النشْرِ : الريح الطيبة . وهاجي القطر : كثير المطر . : اسم فاعل من همى الماء : أي سال .
وإني الصبا : تسميها عليل فاتر . والصبا (يفتح الصاد) : ريح تهب من مطلع الشمس ، ومعنى وإني الصبا : أن هواءه عليل معتدل لطيف . والمهاة : الشمس . ويوم عليل المهاة : أي شمس ضميقة كأيام الشتاء .

مَسْرَحٌ لِلْمَيْمُونِ يَمْتَدُّ فِيهِ نَفْسُ الرِّيحِ بَيْنَ ماضٍ وَآتٍ (١)
فَامْتَدَّتْ دَعْوَةُ الصُّبُوحِ ، وَادِرٌ فُرْصَةُ الدُّخْرِ قَبْلَ وَشَكِّ الْقَوَاتِ (٢)
وَتَدْرَجُ مَعِي إِلَى رَوْضَةِ الْمَدَنِ يَلِ ذَاتِ التَّخِيلِ وَالشَّمَرَاتِ (٣)
فَهِيَ مَرَعَى الْهَوَى ، وَمَعْنَى التَّصَابِي مِرَاحُ الْمُنَى ، وَسُرَى الْحَيَاةِ (٤)
أَلِفَتْهَا النَّفُوسُ ، فَهِيَ إِلَيْهَا مِنْ أَلَمِ الْأَشْوَاقِ فِي حَسَرَاتِ (٥)
تَبَعْتُ اللَّهْوَ وَالسُّرُورَ ، وَتَمَحَّوْ مِنْ قُوَادِ الْحَزَنِ كُلِّ شَكَاةِ (٦)
بَيْنَ نَدْمَانٍ كَالْكَوَاكِبِ حُسْنًا وَرَعَائِبٍ كَالدُّمَى خُفْرَاتِ (٧)

(٦) المسرح : المرحى ، ومعنى مسرح العين : أن العين تجد فيه متعها وما يقرها ، ونفس الريح (بفتحين) : نسيمها .

والمعنى أنه مكان تمتع بهيج ، فسيح لا يعوق مرور الريح فيه عائق .

(٧) امتثل الأمر : أطاعه ، وامتثل الدعوة : أجابها . والصبرج : (بفتح الصاد) : شربة التذاة بين الفجر وطلوع الشمس ، والمراد الخمر تشرب في أول النهار . وشك : سرعة .

(٨) تدرج : أسر من التدرج وهو المنى في مهلة ورفق . والروضة : الموضع المصبج ، يكون فيه العشب والشجر والأزهر والماء ، وروض الخيل : جزيرة في النيل شرق الجزيرة .

(٩) المرمى (في الأصل) : موضع الكلا ، أو الكلا نفسه . والهو : الحب ، أو ميل النفس وانحرافها نحو شهورها ، والمراد أن عواطف الحب قد وجدت في هذه الجزيرة المرحمة بفنائها وينسجها .

والمعنى : مكان الإقامة ، والموضع العامر بأعله . وتصاب المرأة : خدعها وفنأها ، والمراد بالتصايب التفرام ودواعيه . والمراح (بفتح الميم) : الموضع الذي يروح القوم منه أو يرجعون إليه . والمعنى : جمع منة (بضم فسكون) : وهي الأمانة ، أى الشيء الذى يتمناه الإنسان ، ويقدر حصوله ، والمراد أنها

المكان الذى يجدها فيه ما تمنينا . والمسرى (بوزن الملهى) اسم مكان من السرى (بضم ففتح) وهو سير الليل .

والمعنى أن هذا المكان كان مجالا لحياة السرور والمرح .

(١٠) ألفتها : أنست بها وأحببتها . والحسرات : جمع حسرة : وهى أشد التلطف والتأسف على الشيء الفاليت .

(١١) الشكاة (بفتح الشين) : الشكوى ، ومثلها الشكاية (بكسر الشين) مصدر شكوت (من باب عدا) : أى أخبرته عنه بسوء فعله .

(١٢) التذمان (بوزن السكران) : التذم ، وهو من يتأذمك أى يحال لك الشراب ، وقد يكون التذمان جمعا ، وهو هنا بمعنى الجمع . ورعائب : فتيات بيض حسان فالحات ، الواحدة رعبية أو رعبوب (بضم فسكون فيها) أو رعبيب (بكسر فسكون) . والدعى : جمع دمية (بضم فسكون) : وهى الصورة المنقشة المزينة من العاج ونحوه . وخفرات (بفتح فكسر) : وهى

الحارية الشديدة الحياة .

يَسْأَقُونَ بِالْكُؤُوسِ مُدَامًا هِيَ كَالشَّمْسِ فِي قَيْمِصٍ إِيَاقٍ (١٣)
 فِي أَهَارِيقَ كَالطُّيُورِ اشْرَأَبْتُ حَذَرَ الْقَتْلِكِ مِنْ صِيَاحِ الْبُرْزَةِ (١٤)
 حَانِيَاتٍ عَلَى الْكُؤُوسِ مِنَ الرَّأْفَةِ يَرْضَعْنَهُنَّ كَالْأُمَّهَاتِ (١٥)
 لَا تَرَى الْقَيْنُ بَيْنَهُمْ غَيْرَ صَبٍّ بِسَمَاعٍ ، أَوْ هَائِمٍ بِفَتَاةٍ (١٦)
 وَمَعْنُ إِذَا شَدَا غِلَتْ أَنْ أَلْأَرْضَ ظَلَّتْ تَدُورُ بِالْقُلُوبِ (١٧)
 مَلِكُ السَّمْعِ وَالْفَوَادِ بِلَحْنٍ يَفْتَنُ الْفَيْدَ دَاخِلَ الْحُجُرَاتِ (١٨)
 يَبْعَثُ الصَّوْتَ مُرْسَلًا ، فَإِذَا مَا غَضَّ مِنْهُ اسْتَدَارَ بَيْنَ اللَّهَاقِ (١٩)
 غَرْدٍ يُبْطِلُ الْحَدِيثَ ، وَيُنْسِي رَبَّةَ الْحُزْنِ لَوَعَةَ الذُّكْرَاتِ (٢٠)

(١٣) يتساقون : يسق كل واحد منهم صاحبه . والمدام (بضم الميم) : الخمر . والإيافة (بكر
 الحنف) : نور الشمس وحسبها .

(١٤) اشْرَأَبْتُ : رفع رأس . والفتك : القتل على غرة (بكر العين وتشديد الراء) . والبرزة : جمع
 الباهي : وهو نوع من الصقور . ومن صياح البرزة متعلق بأشْرَأَبْتُ .
 والمعنى أنها رفعت رءوسها بسبب صياح البرزة خوفاً من فتكها .

(١٥) جنت الأم على أولادها (من باب ساء) : حلفت . وحانيات : جمع حانية اسم فاعل من
 الحنف .
 (١٦) صب : كلف (يفتح فكسر) مولع بحب ، صفة من الصباغة وهي رقة الشوق ، أو رقة
 الهوى ، والمراد بالسماح : سماع الغناء . والمائم : الهب العاشق .

(١٧) شدا : غشي وترقّم . وغلّت : ظننت . والقُلُوبُ : جمع غلاة ، وهي المفازة ، والأرض لا ماء
 فيها . ومعنى البيت أن غناه هذا المعنى مطرب مسكر ، يظن من سمعه أن الأرض تدور بفلواتها .

(١٨) اللحن : ما اختاره المعنى ، ويال إليه من الأغاف ، واللحن أيضاً : للتفريد والتعريب ، وهو
 مد الصوت وترجمته وتحسينه . ويفتن (من باب ضرب وجلس) : يعجب ويستميل . والتلذذ : جمع
 تِلذَّذ ، وهي المرأة الناعمة المثنوية ليشاً .

(١٩) غَضَّ من صوته : خفضه . والهاء : الحمة المشرقة على الحلق في أقصى سقف الفم .

(٢٠) غرد (يفتح فكسر) : نعت لمن في أول البيت : « ومن » إذا شدا . . . » . أو هي غرد
 (يفتح العين والراء) مصدر غرد (من باب فرح) أي طرب في صوته وغنائه كالطائر ، وفي هذه الحال تكون
 مرفوعة . والقيمة : حرة في القلب والم من هم ونحوه . والذكورات : جمع ذكورة (بضم فسكون) وهي الشيء
 يجري على اللسان ، أو ينظر بالقلب .

تِلْكَ وَاللَّهُ لَذَّةُ الْمَعِيشِ، لَا سَوْءٌ مُّ الْأَمَانِ فِي عَالَمِ الْخَطَرَاتِ (٢١)

= ومعنى البيت أن هذا المعنى لشدة تأثيره بصرف الناس عن شئ الحديث ، وينسى الحزينة
حرقة الحزن ، ولم الذكريات .

(٢١) العيش : الحياة . وسات الماشية سويًا : أى رعت (ربابه قال) . والأمانى : جمع أمنية ؛
وهى ما يتمناه الإنسان ويفقد رحيموله . والخطرات : ما يتحرك في القلوب من رأى أو معنى .

ومعنى البيت : أن لذة الحياة في زعم الشاعر إنما تكون فيها ذكره من شرب الخمر ، وسباع الغناء ،
والقيام بالنساء ، وليست اللذة في الأمانى المجردة ، يرسلها صاحبها تسرح في عالم الحواطر

القصيدة الحادية عشرة

وقال - وهى من لزوم ما لا يلزم* :

زَمَرِمِي الْكَأْسَ وَهَاتِي وَأَسْقِنِيهَا يَا مَهَاتِي^(١)
وَأَمْزِجِيهَا بِرُضَابٍ مِنْكَ مَعْصُولِ اللَّهِاتِ^(٢)
إِنَّمَا الرَّاحُ مَدَارُ الْأُنَيْسِ فِي كُلِّ الْجِهَاتِ^(٣)
طَالَمَا عَاصَيْتُ فِيهَا أَفْلَ وَدَى وَنَهَاتِي^(٤)

* روى هذه القصيدة « التاء » ، وهو حرف. بُنِيت عليه القصيدة ، ونسبت إليه ، ورويتها (بكسر فمكثون) « الألف » ، وهو حرف مد قبل الروى ، وقد التزم الشاعر قبل الردف « هاء » ، وهذا التزام لا تحميه قواعد القافية .

(١) معنى الفعل « زَمَرِمِي » في اللغة لا تلائم ما يقصده الشاعر ، ولعله اشتق من زَمَرَمَ (وهى العين التى بمكة) ، فعلا . ويقصد بقوله : « زَمَرِمِي الْكَأْسَ » طهرها ونقيها . والمهات : الشمس . والبلىورة . والبقرة الوحشية ، والمراد بالمهات : المرأة الحسنة يشبهونها بالشمس فى الحسن ، وبالبلىورة فى الصفاء والتألق ، وبالبقرة الوحشية فى اتساع العيون وجمالها .

(٢) مزج الشراب : خلطه (وبابه نصر) . والرضاب (بالضم) : الرقيق . وبسبب الطعاب والشراب : أى عمله بالصل ، فهو معصول . والهات : الهمة المشرقة على الخلق فى أقصى النهم .

ولمضى : امزجى الخمر برقيق منك حلوا يحمرى من لعاة مصولة .

(٣) الراح : الخمر . والأنىس : ضد البسطة .

(٤) اليد : الحب . والنهات : الذين كانوا ينهونه عن شرب الخمر ، جميع ناه .

لا أبالي في هواها بِسَمَاعِ التَّهَمَاتِ^(٥)
 كيف أَخْنَشِي قَوْلَ دَاهٍ ؟ أَنَا مِنْ قَوْمِ دُحَاةٍ^(٦)

(٥) لا أبال : لا أكرث ، ولا أهتم . وهواها : حبها . والتَّهَمَات : جميع تهمة (بناء مضمومة وراء مشددة مفتوحة) : وهي الباطل .
 (٦) داه : اسم فاعل من الدهاء ؛ وهو النكر (يضم فسكون) وبجودة الرأى . ورجل داه من قوم دحاة . فإنه لا يخشى قول رجل داحية يلويه في الحسب ، لأنه من قوم دحاة ، فلا يخضع .

القصيدة الثانية عشرة

وقال في الزهد :

كُلُّ حَيٍّ بِسَمَوْتٍ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا ثُبُوتٌ^(١)
 حَرَكَاتٌ سَوَفَ تَفْنَى ثُمَّ يَتَلَوُّهَا خُفُوتٌ^(٢)
 وَكَلَامٌ لَيْسَ يَحُلُو بَعْدَهُ إِلَّا السُّكُوتُ^(٣)
 أَيُّهَا السَّادِرُ قُلْ لِي أَيْنَ ذَاكَ الْجَبَرُوتُ^(٤)
 كُنْتُ مَطْبُوعاً عَلَى النُّظْ قِي ، فَمَا هَذَا الصُّبُوتُ^(٥)
 لَيْتَ شِعْرِي ، أَهْمُودُ مَا أَرَاهُ ، أَمْ قُنُوتُ^(٦)
 أَيْنَ أَمْلاكَ لَهُمْ فِي كُلِّ أَفْئِ مَلَكُوتُ^(٧)

(١) الثبوت : الدوام والاستقرار .

(٢) الخفوت : السكون والسكوت .

(٣) يريد بالسكوت هنا : سكوت الموت .

(٤) السادر : التائه في الشيء ، الذي لا يهتم ، ولا يبال ما صنع . واجبروت : الكبير .

(٥) طبع عل الشيء : جبل وتعلق عليه (بالبناء المفعول) . والصوت : السكوت .

(٦) شعر به (من باب تعد) : علم به ، وفطن له ، وعقله ، وأحسن به . ومنه : ليت شعري : أي ليتني أدري . وأهمود : الموت . والقنوت : السكوت والخشوع .

(٧) أملاك : جمع ملك (بفتح فكسر) . والأفق : الناحية . والملكوت : الملك (بضم فسكون) والعز ، والسلطان .

زَالَتْ التَّيْجَانُ عَنْهُمْ وَخَلَّتْ تِلْكَ التُّخُوتُ (٨)
 أَصْبَحَتْ أَوْطَانُهُمْ مِنْ بَعْلِهِمْ وَهِيَ خُوتُ (٩)
 لَا سَمِيعٌ يَفْقَهُ الْقَوَّ عَمَرَتْ مِنْهُمْ قُبُورٌ
 لَمْ تَلِدْ عَنْهُمْ يُخَوِّسُ الدَّ هَرٍ إِذْ حَانَتْ بُخُوتُ (١٠)
 خَمَدَتْ تِلْكَ الْمَسَاعِي وَانْقَضَتْ تِلْكَ النُّعُوتُ (١١)
 إِنَّمَا الدُّنْيَا خَيَالٌ بَاطِلٌ سَوْفَ يَمُوتُ
 لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ فِيهَا غَيْرَ تَقْوَى اللَّهِ قُوتُ (١٢)

(٨) خلا المكان (من باب ساء) خلواً وخلوا: فرغ. والتخوت: جميع تخت (بفتح فسكون): وهو وعاء تصان فيه الثياب. وقد استعمله المولودن فيما يجلس عليه، وبخاصة فيما يجلس عليه الملك، وهو المراد هنا.

يقول: إن تيجان هؤلاء الملوك زالت عنهم، وعروشهم كذلك.
 (٩) الخوت: جمع خبت (بفتح الخاء وسكون الباء) وهو المتسع من بطن الأرض، أو هو ما احطان من الأرض واتسع، أو هو الخلق المطنين من الأرض فيه رمل.

والمعنى: أن هؤلاء الملوك بعد وفاتهم أصبحت الأوطان التي يقيمون بها وهي قبور في فلوات. أو المعنى: أن ديارهم وأوطانهم وقصورهم أصابها بعد موتهم البلى والخراب، فصارت بلاقع وفلوات.
 (١٠) يفقه: يفهم. ويصوت: يصوت ويصيح.

(١٢) لم تلد: لم تلدع، ولم تمنع. والنخوس: جمع نخس (بفتح فسكون): وهو ضد السم، وحانت: أتى حياها: أي وقها وناقله سمير «نخوس». والبخت: جمع بخت، وهو الجدة: أي الحظ والخبرة والرزق والمنفعة و«بخت» فاعل «تلد»: أي لم تلد عنهم بختهم نخوس الدهر.
 والمعنى: أن ما كان يتمتع به هؤلاء الملوك من سعد وحسن حظ لم يدفع عنهم فوائب الزمان حين جاءتهم.

(١٣) خدمت: سكنت. ويريد بالنموت: ألقاب التعظيم والتبجيل.

(١٤) المعنى: لا ينبغي أن يتزود الإنسان من دنياه غير تقوى الله تبارك وتعالى، فإنه لا ينفعه إلا العمل المنبعث عن التقوى والطاعة.

القصيدة الثالثة عشرة

قال :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّنِي بَيْنَ مَقْشَرٍ سَوَاءَ لَنَتَبَهُمْ طَيِّبٌ وَخَبِيثٌ^(١)
لَهُمُ الْمَسْنُ إِذَا رَمَنَ أَمْرًا بَلَّغَنَهُ مِنَ النَّفِيسِ ، مَصْنُوعٌ لَهُنَّ حَدِيثٌ^(٢)
تَرِثُ عَلَى قُرْبِ الْوَدَادِ عَهْدَهُمْ وَكَيْفَ يَدُومُ الشَّيْءُ وَهُوَ رَثِيثٌ؟^(٣)
فَلَيْسَ لَهُمْ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مَخِيدٌ قَدِيمٌ ، وَلَا فِي الْمَكْرُمَاتِ حَدِيثٌ^(٤)
بَرِثْتُ بِهِمْ حَتَّى مَسَحْتُ مَكَانَتِي وَأَنْكَرْتُ طَيِّبَ الْعَمِيشِ وَهُوَ دَمِثٌ^(٥)
إِذَا لَمْ يُؤْثَرِ اللَّهُ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ فَمَا لِي بَيْنَ الْعَالَمِينَ مُقِيتٌ

(١) المشر : جماعة الناس . ويشير بالشطر الثاني إلى سوء تقديرهم ، وضاد أخلاقهم ، وعدم

تفرقهم بين الطيب والخبث من القول والعمل .

(٢) دام الشيء : طليه ، (وبابه قال) .

ومعنى هذا البيت : أن هؤلاء الناس براعة في الحديث ، ينالون بها كل ما يطلبون ، وأن حديثهم

منمق مزوق .

(٣) ترث : تبتل وتخلق : ماضى رث ، ومثله أرث . والوداد : الحب . وعهد : جمع عهد ،

وهو الموثق والحفاظ ورعاية الحرية والأمان والذمة والوفاء والمودة . ورثيث : خالق (بفتحين) بال قد
ذهبت جدته .

والمعنى : أن موداتهم لا تلبث أن ترث وتزول ، فهم لا يحفظون الود ، ولا يوفون

بالعهد .

(٤) سالف الدهر : ماضى الزمان . والمحتد (بوزن المجلس) : الأصل . والمكربات : جمع مكربة

(بضم الراء) ، وهي فعل الكرم .

(٥) برث بالشيء : سمنت منه وشجرت (وباب الثلاثة تسمب) . وطلب العيش : لذة الحياة .

ودميت : سهل لين . والمعنى : أنهم عكروا حياته الصافية وزهدوه في عيشه .

القصيدۃ الرابعة عشرة

وقال :

أَتَعْدُ سِتْرَيْنِ لِي حَاجٌ فَأَطْلُبُهَا ؟ هَيْهَاتَ ، مَا لَامِرِي بَعْدَ الصَّبَاحِ (١)
 إِنَّ ابْنَ آدَمَ فِي الدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ قَصْدٌ وَمِنْهَاجٌ (٢)
 كَأَنَّمَا هُوَ فِي قُلُوبِ تَحِيْطٍ بِهِ مِنْ جَانِبَيْهِ أَعَاصِيرُ وَأَمْوَاجٌ (٣)
 يَهْوَى الْبَقَاءَ ، وَمَكْرَهُ الْفَنَاءَ بِهِ وَيَسْتَعِزُّ بِأَمْنٍ فِيهِ لِإِزْعَاجٍ (٤)
 لَا أَحْفِلُ الطَّيْرَ إِنْ غَشَّتْ ، وَإِنْ نَعَبَتْ سَيَّانٍ عِنْدِي صَقَّارٌ وَشَحَاجٌ (٥)

(١) الحاج : جمع حاجة . والمراد حاجات الشباب ، ودواعي الصبا .

(٢) الخطر : الإشراف على الهلاك . والقصد (هنا) : المقصد . والمنهاج : الطريق .

(٣) الفلك (بضم فسكون) : السفينة . والإعصار . الريح الحارة الشديدة ، أو التي تهب من الأرض كالمد نحو السماء ، والجمع أعاصير .

(٤) استعز به : عد نفسه عزيزاً به ، أي قوياً غالباً . وأزجه : أفلقه وقلعه من مكانه .

والمعنى : أن الإنسان يحبه البقاء وهو يحمل في نفسه أسباب ما يكرهه من الفناء ، ويأتيه الانزعاج والقلق من حيث يحسب نفسه في أمن وعزٍّ ومنعة .

(٥) لا أحفل : لا أبال ، يقال ما حفل فلان الشيء ، وما حفل به : أي ما بالى به ، وما أهتمّ ، وما أكثر ث له . ونعب الفراخ : ساج (وبابه قطع وشرب) . وصغر يصغر (بالكسر) صغيراً وصغراً تصغيراً : صوت ، وهو صفار : أي كثير الصغير . وفراخ شحاج : كثير الشحج أو الشحاج (بضم الشين في الثاني) (كالتميب والتماب) ، وهو صوت الفراخ ، أو صوت غليظ له إذا أسن .

يقول : إنني لا أكثر ث لغناء الطير ونعيبها ، وسيسان عتدي ما حسن وما قبح من أصولها ، لأنني أصبحت في حال من الكبر لا تأبه للفاؤل ولا للتشاؤم .

يَسْتَعْظِمُونَ مِنَ الْحَجَّاجِ صَوْلَتَهُ وَكُلُّ قَوْمٍ بِهِمْ لِلظَّالِمِ حَجَّاجٌ^(٦).

(٦) الحججاج : هو أبو محمد بن يوسف الثقفى ، أحد جيابرة العرب وحكامها ، ومولده ملك بنى أمية فى عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وقد اشتهر الحججاج بالشدة والقسوة وسفك الدماء ، ولد سنة ٤١ هـ ومات سنة ٩٥ . والمصولة : السطوة والقهر والبطش . والمعنى : أن الناس يستعظمون قسوة الحججاج ويطشونه ، وفى كل قوم قوم مثله فى ظلمه وسطوته .

هـ هذه الأبيات من شعره فى سرنديب وهو فى الستين من عمره ، أى فى أوائل سنة ١٨٩٩ قبل أن يفرج عنه ببغمة أشهر . وفى الأبيات ما يتم على ظلمة اليأس ، وانقطاع الرجاء . وفيها الحكمة البالغة ، والمثل السائر . وفيها الروح المكتئب الحزين . وفيها تفضييع لظلم من ظلموه ، وظلموا أولادهم بهذا النقي السحيق الأبدى ، وعموا وصموا عن أنفاس الاستطاف والاسترحام .

القصيدة الخامسة عشرة

وقال على وزن مُخْتَرَع^{*}:

أَمَلًا الْقَدَحَ وأعص من نصع^(١)
وَأَرُو غُلَّتِي يَابَنْتِي الْفَرَحَ^(٢)
فَالْفَتَى مَتَى ذاقها انشَرَحَ^(٣)
وَمَيَّ إِن سَمَرَتْ في العليل صَع^(٤)
أَوْ صَبَا بِهَا باخِلُ سَمْعَ^(٥)
فَاخْبِرِي الْكَرَى وَأَعْدُ قَصْطِيحَ^(٦)

* هذه القصيدة من مجزوء المنتدك ، وأجزاؤه فاعلن ثمانى مرات ، لم يبق منها في كل شطر هنا غير التفعيلة الأولى ، والوزن المجموع من التفعيلة الثانية «علن» . ولان تنظيم العرب على هذا الوزن فيها نعلم . وقد حاكى فيه «شرق» البارودي في قصيدته التي مطلعها :

مال واحتجب وادعى للنضب

(١) القدح : إناء يشرب فيه ، ويريد هنا إناء الخمر . وأعص : أمر من العصيان .

(٢) روى من الماء يروى (كرشى يرضى) ربا (براء مفتوحة أو مكسورة وباء مشددة) ويمدّى بالهمزة والتضخيف ؛ فيقال : أرويته إرواءً ، ورويته تروية ، ومن ذلك يرى أن الشاعر استعمل روى هنا متعدياً ، ولو أردنا تصحيحه لخذنا الراو هكذا «أرو غلتي» ، وقد جاء في لسان العرب : «رويت القوم أرويتهم» : إذا استقيت لهم الماء ؛ ومنه : جلبته لهم . والثالثة (بضم النون) : حرارة العطش . وكفى بآبنة الفرح عن الخمر .

(٣) انشراح : انكشف همه ، وانشطت نفسه وفرح .

(٤) سمرت : سارت وتمشّت في عروقه . والليل : الخريف . وصح : ذهب ملته .

(٥) صبا بها : مال إليها . وباعل : تغيل . وسح : جاد وبلل .

(٦) الكرى : الزمّاس (وفعله من باب صدى) . واغد : أمر من الغدو ، وهو (هنا) التبيك . في أول النهار . وضطّيح : نشرب صبراً ، والصبح (يفتح الصاد) : الشرب بالبداءة ، وهو ضد التدبّق (يفتح النون) ، يقال : اضطّيح إذا شرب أول النهار ، واغتنق إذا شرب آخره .

فَاللَّجَى مَضَى	وَالسَّنَا لَمَحَ (٧)
وَالْحَمَامُ فِي	أَيْكَةِ صَدَحَ (٨)
فَاتَّبَعَ الْهَمْرَى	حَيْثُمَا سَبَرَخَ (٩)
وَاضْطَجِبَ بِمَنْ	يَبْتَثُ الْمَسْرَحَ (١٠)
فِيهِ لِلْمُنَى	كُلُّ مُقْتَرَحَ (١١)
وَاخْلَبَ الَّذِي	إِنْ وَعَى سَبَعَ (١٢)
كُلَّمَا رَأَى	فُرْصَةً قَدَحَ (١٣)
لَيْسَ مَنْ أَسَا	يُفْلَ مَنْ جَرَحَ (١٤)
أَيْنَ مَنْ رَأَى	فَإِسْلَامًا صَلَحَ (١٥)
كُلُّ مَنْ وَشَى	سَوْفَ يَفْتَضِحَ (١٦)
فَاتَّسَّرَ الْأَذَى	فَالْأَذَى تَسَرَّحَ (١٧)

(٧) اللجى : جمع دجبة ، وهي الظلمة (بضم فسكون فيهما) . والسنا : الشو . لمح : لمع وانفصح .
 (٨) الأيك : الشجر الكثير المتلف ، الواحدة أَيْكَة . وصدح : صاح ، ورفع صوته فأطرب .
 (٩) الهمرى : الحب . وميل النفس وانحرافها نحو الشيء . وسرح : سار ، يقال : سرح السيل ، وسيل سارح ، أى يجرى جرياً سهلاً .
 (١٠) اضطجب : صاحب ، والذي نمرته أنه يتعدى بنفسه لا بالباء ، ولعله ضمن اضطجب معنى اختلط ، فعده بالباء . والمروح : شدة الفرح والنشاط والاختيال .
 (١١) المنى : جمع منية (بضم فسكون) وهي ما يريد الإنسان ، ويشتهى ، ويقدر حصوله .
 (١٢) وعا : ابتذنه واغتربه . واقترح الشيء : اختاره .
 (١٣) يقول : إن فى هذا الصاحب من الصفات كالمحتاج ما تتطلبه الأمانى من أسباب السرور والابتهاج .

(١٤) المعنى : واحذر الشخص الذى إن حفظ شيئاً من أمورك ، واطلع على أحوالك ، سبى فى عرضك بالغيبة والشائبة . ومن معانى السبح : الإكثار من الكلام .
 (١٥) قدح فيه (كنه) : طعن .
 (١٦) أسا الجرح بأسره (من باب عدا) : داواه .
 (١٧) يقول : إن هذا الشخص أسدس الفطرة وإثمه وأخلاقه ، وبمثل لا يرجى له صلاح .
 (١٨) وشى : كذب وسى بين الناس بالفساد . ونفسه فاختضج : أى كشف مساويه .
 (١٩) الترح : شد الفرح .

وَأَنْشَعَ لِلْعُلَا مَنْ سَعَى نَجَعَ^(١٨)
وَأَزَعَ مَحَوْتَ هَلِمِ الْمَلَحَ^(١٩)

(١٨) العُلا : الرُفعة والشرف ، ومفردةها عليا .
(١٩) أزع : أمر من أزعى أمره . أى : حذاه . والملاح : جمع ملحة (يضم نساكن) ؛ وهي الحديث المنعمن المنع .

القصيدۃ السادسة عشرة

وقال في صباه :

هُوَ مَا قُلْتُ فَاحْذَرْنَهَا صَبَاً غَارَةً تَمْلَأُ الْفَضَاءَ رِمَاحاً^(١)
تَتَرَكُّ الْمَاءَ لَا يَسُوعُ لِيْظَامٍ وَتَرُدُّ الدَّمَ الْحَرَامَ مُبَاخاً^(٢)
لَا تَرَى بَيْنَهَا يَسْوَى عَبْقَرِيٍّ يَأْلَفُ الطَّنَّ نَجْدَةً وَارِيْبَاخاً^(٣)
لَهْجٍ بِالْحَرْوِبِ ، لَا يَأْلَفُ الْخَفْضَ قَسْ ، وَلَا يَصْحَبُ الْفَتَاةَ الرَّدَاخاً^(٤)
مُسَرَّراً لِلنَّوْغَى ، أَخُو غَلَوَاتٍ تَجْعَلُ الْأَرْضَ مَاتِماً وَصِيَاخاً^(٥)

(١) الغارة : اسم من الإغارة على العدو : وهي الهجوم عليه والإيقاع به ، وقد تطلق الغارة على الخيل المفردة . والرياح : جمع ربح : وهو ثانة في رأسها سنان من الحديد الصلب يطحن به .

(٢) لا يسوع : لا يسهل شربه ، مضارع ماغ الشراب : إذا سهل مدخله في الحلق . وظام : أصلها ظام ، صفة من الظأ : وهو العطش ، أو أشدّه .

(٣) بينها : بين رجال الغارة . والعبقري : السيد ، والشديد القوي ، والذي ليس فوقه شيء . نسبة إلى عبقر (كجعفر) ، وعبقر (في الأصل) : موضع تزمع العرب أنه من أرض الجن ، ثم نسبوا إليه =

كل شيء تعجبوا من حذقه ، أو جريده صنعته وقوته . ويألف : مضارع ألف الشيء . (من باب علم) إذا أنس به ، وأحب ، واعتاده . والطنن : مصدر طعن بالرمح ونحوه (من بابي قتل وقطع) . والنجدة : الشجاعة

والباس والشدة . والارتياح : النشاط والإسراع .

(٤) طبع : مولى مفرم ، صفة من المهبج بالشيء : وهو الولوع والتعلق به ، وقد طبع به (من

باب طرب) : إذا أغرى به فثابر عليه . الخلفض : الدعة والراحة . والرداخ : المملوءة الجسم ، الثابتة

الخلف (٥) المسر (بكسر فسكون ففتح) : موقد نار الحرب ، وقد تكون (بضم الميم وكسر النين) ، اسم

فاعل من أسمر النار والحرب : أي أوتنعا ، كسمرها (من باب منع) وسمرها تسميراً . والوفى :

الأصوات والجلبة ، ويطلق على الحرب لما بها من جلبة وأصوات مختلفة . وغدوات (بفتحتين) : جمع

غداة ، وهي البكرة (بضم فسكون) : أي الوقت ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس ، أو بضمتين جميعاً

لَا يَرَى عَائِبًا عَلَى شَيْمٍ اللَّذَّةُ ر ، وَلَا عَائِبًا ، وَلَا مُزَاحًا ١٧
يَفْعَلُ الْفَعْلَةَ الَّتِي تَبْهَرُ النَّاسَ س ، وَتَرْتَوِي لَهَا الْعَيْنُ طِمَاحًا ١٨
لَا كَمَنْ يَسْأَلُ الْوُفُودَ عَنِ الْأَرْبَابِ عَجْزًا وَيَرْقُبُ الْأَشْيَا ١٩
فَاعْتَبِرْ أَيْهَا الْمَجَاهِرُ بِالْقَوْرِ ل ، وَلَا تَتَّبِعَنَّ عَلَيْكَ نَوَاحًا ٢٠
إِنَّ فِي بُرْدَتِي هَاتَيْنِ لَيْثًا يَقْصُ الْقِرْنَ ، أَوْ يَقْلُ السِّلَاحًا ٢١
سِدَّكَاتٍ بِالرَّمَحِ مِنْهُ بَنَانٌ تَمَلُّ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ جَرَّاحًا ٢٢

«غداة» (بضم فسكون) مصدر غدا عليه غداً وغداة أى بكر . ومضى (أشعر غداوات) : أنه كثير الإغارة والمهجوم في أوائل النهار . والماتم : كل مجتمع في سزن أو فرح ، وقد غلب على جماعة النساء في المصائب . والمعنى : أن غاراته تبعث في الأرض النواح والصياح لشدة فتكه ، وكثرة قتله .

(٦) عاتب : اسم فاعل من العتب ، وهو المرسدة والورم في تسخط . وشيم الدهر : طيباته ، جمع شيمة (بكسر الشين) : وهي التريزة واللبيلة التي خلق الإنسان عليها . وعابت : اسم فاعل من العبت ، وهو اللعب ، وعمل ما لا فائدة فيه . ونزاع : صيغة مبالغة من المرح ، وهو الدعابة ، أو هو خلاف الجد .

(٧) تبهر الناس : تغلبهم . والمراد تركهم في عجب ودهش . وترفو : تديم النظر ، من الرفو ، وهو إدامة النظر بسكون الطرف . وطمح بصره إلى الشيء : طمح طموحاً (من باب ضخم) وطامحاً (بكسر الطاء) : إذا استشرّف له ، وارتفع إليه .

والمعنى : أن الناس ينظرون إلى أعمال البارودى ، فيدهشون ، وتطمح أنفسهم إلى مثل أعماله الحميدة . (٨) الوفود : جمع وفد ، والوفد : جمع وفد مثل صاحب ومحب . والألباء : جمع لبأ : وهو الخبز .

ويرقب : ينتظر . والأشباح : جمع شبح : وهو الشفص .

(٩) اعتبر : أمر من الاعتبار : بمعنى الاتماظ . والنوازع (بضم النون) : البكاء ، مصدر ناحت المرأة على الميت نواحاً (بفتح فسكون) ونواحاً : أى بكّت واستبكت .

يقول : فاعتظ أيها المجاهر بعداوتى ، ولا تحملنى على قتلك ؛ فينوح عليك أهلك .

(١٠) البردة : كساء صغير أسود مربع . والليث : الأسد . ويقص القرن : يذق عنقه ويكرمه ، (وبابه وعد) . والقرن (بكسر فسكون) : كفوؤك في الشجاعة ، ومن يقاومك في القتال . ويفل : يكره ، (وبابه رد) .

(١١) سدكات (يفتح فكسر) : جمع سذكة ، وهي صفة من سذك بالثى . (من باب فرح) : أى لزمه ، والسلك (ككتفت) : المولى بالثى . والخفيف اليدين بالعمل ، والسلمان بالرمح . والبنان : أطراف الأسايح ، واحداً بنانة ، والمراد اليد . والجراح : جمع جراحة . أو جمع جرح .

يقول : إن يده ملازمة للرمح طعانة به ، وإذا طعنت أكثر من الطعن ، وملاّت الأرض والسما جراحاً .

أَنَا مِنْ مَعْشَرٍ كَرَامٍ عَلَى الدَّعَا
 فَرَعُوا بِالْقَنَا قَنَا الْمَعَالِي
 عَمَرُوا الْأَرْضَ مئةً ، ثُمَّ زَالُوا
 وَأَتَتْ بِعَلَمِهِمْ عَلَى لَيَالٍ
 فَسَقَاهُمْ مُنْزَلٌ الْقَيْثُ سَجَلًا
 بِرَأْفَتِهِ عِزَّةً وَصَلَاحًا (١٢)
 وَأَعْدُوا لِيَابِهَا مِفْتَاحًا (١٣)
 مِثْلَمَا زَالَتِ الْقُرُونُ اجْتِيَا حَا (١٤)
 لَا أَرَى فِي مَبَاهِئِهَا مِصْبَا حَا (١٥)
 يَجْعَلُ النَّبْتَ لِلْعَرَاءِ وَشَا حَا (١٦)

(١٢) المشر : جماعة الناس ، والمراد : الأسرة والآباء .

(١٣) فرعوا : صدعوا وعلوا . والقنا : جمع قناة : وهي الرمح . والقنان (بكسر القاف) : جمع قنة (بقاف مضمومة ولون مشددة مفتوحة) : وهي أعل الجبل .

والمعنى : أنهم وصلوا بيأسهم وشجاعتهم إلى قمم المعالي ، واستأثروا بها ، واستولوا عليها .

(١٤) زالوا : فارقوا الحياة الدنيا . والقرن : جمع قرن ، وهو من الزمان مائة سنة ، أو هو كل

أمة حطكت ، فلم يبق منها أحد . والاجتياح : مصدر اجتاحت الجالحة المال وغيره : إذا أهلكته واستأسلته ، وهو (هنا) نائب عن المصدر ، والمعنى زوال اجتياح .

(١٥) هذا البيت كناية عما صار إليه الشاعر بعد موت أبه ومشره من حسرة وسيرة وأسى واضطراب .

(١٦) القيث : الطرب . ومنزله : الله تبارك وتعالى . والسجل (يفتح فسكون) : الدلو العظيمة إذا

كانت مملوءة . والرشاح (بضم الواو وكسر) : كرسف (بكسر فسكون) : أي فرعان من اللؤلؤ ويجري منظومان بخلاف بينهما معطوف أحدهما على الآخر ، أو آدم عريض يرصع بالجواهر تشبه المرأة بين عاتقها وكشعرها ، والمراد غيث غزير يحمل النبات زينة للفضاء . يدعو لمشره وقومه وآبائه بالسقيا والرحمة .

القصيدة السابعة عشرة

وَقَالَ يَمَحَّرُ ، وَيَعْرِضُ بِالْمَطَالِمِ عَلَى عَهْدِ الْحُكُومَةِ الْإِسْتِبْدَائِيَّةِ *
وَصِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَا أَوْدُهُ وَأَيُّ أَمْرِي يَفُوتِي عَلَى الدَّهْرِ زَنْدُهُ؟ (١)

هـ لعله يقصد بالحكومة الاستبدادية : حكومة الخديو إسماعيل في أواخر أيامه لما قسد حكمه ، وأثقل مصر بالدين ؛ فتدخل الأجانب في أمورها وفرضوا على الحكومة سلطانهم ؛ فلشاعر قصيدة طويلة في أول قافية اللام . عنوانها : وقال يلتم سيرة الحكام ، ويخض الناس على طلب العدل في الأحكام ؛ وذلك في عهد إسماعيل خديو مصر .

ومطلعها :

قَلَّدْتُ جَيْدَ الْمَعَالِي حَلِيَّةَ الْغَزَلِ وَقُلْتُ فِي الْجِدِّ مَا أَغْنَى عَنِ الْهَزَلِ
وقد يكون المقصود بالحكومة الاستبدادية في هذه الآية وفي القصيدة اللامية : حكومة الخديو توفيق ابن الخديو إسماعيل ؛ فكلاهما جنح في حكمه للظلم والاستبداد . وفي عهد « توفيق » توقدت الثورة العربية ، وكان البارودي من قادتها ، والضاريين في غربتها ، وهذا يرجح أن هاتين القصيدتين نظمتهما في عهد توفيق .
وهذه القصيدة على روى قصيدة أبي الطيب المتنبي التي منح بها كافوراً الإخشيدي سنة ست وأربعين وثلاثمائة . ومطلعها :

أَوْدٌ مِنَ الْأَيَّامِ مَالًا تَوَدُّهُ وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهِيَ جُنْدُهُ
والروى : الحرف تبنى عليه القصيدة ، وتنسب إليه . وهاتان القصيدتان رويهما الدال ، والهاء بعده حرف وصل .

(١) أودّه : أحبه ، وأرضيه . وما فيه ومضارعه كفرح يفرح) . والاستهتام في الشطر الثاني : معناه التئ . والزند (يفتح فسكون) : موصل طرف الذراع في الكف . ويكنى به هنا : عن القوة والمقدرة . أو عن الجهد والطلاقة .
والمعنى : أنه قنع من الدنيا بما لا يرتضيه قناعة المضطر المغلوب على أمره .

أَحَاوِلُ وَصَلَا وَالصَّدُودُ خَصِيْمُهُ وَأَبْنَى وَقَاءَ وَالطَّبِيعَةُ ضِدُّهُ (١)
 حَبِيبُ الْهَوَى سَهْلًا ، وَلَمْ أَذْرِ أَنَّهُ أَخُو عَذْرَاتٍ يَتَّبِعُ الْهَزْلَ جِدُّهُ (٢)
 تَخِفُّ لَهُ الْأَحْلَامُ وَهِيَ رَزِيْنَةُ وَيَعْنُو لَهُ مِنْ كُلِّ صَنْبٍ أَشَدُّهُ (٣)
 وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الْفَتَى وَهَوَّ عَاقِلٌ يُطِيعُ الْهَوَى فِيهَا يُنَافِيهِ رُشْدُهُ (٤)
 يَمُرُّ مِنَ السُّلُوَانِ ، وَهَوَّ يُرِيحُهُ وَيَأْوِي إِلَى الْأَشْجَانِ ، وَهِيَ تَكْدُهُ (٥)

= والشطر الثاني تدليل جار مجرى المثل ، مؤكد للمعنى الشطر الأول ، فالإنسان لا يستطيع مغالبة الدهر ، ولا يقوى على مكافحة الزمان . وفي هذا المعنى ، أو فيها يقرب منه يقول البارودي في إحدى نوافياته :

وَمَنْ شَاغَبَ الْأَيَّامَ لَانَ مَرِيرُهُ وَأَسْلَمَهُ طُولُ الْجِرَاسِ إِلَى الْوَهْنِ
 فالمقصود بهذا البيت هو المقصود بالشطر الثاني من مطلع الدالية ، فالإنسان بكل جهده وقوته لا طاقة له بمقاواة الدهر ، ومشاقبة الأيام . ونتيجة هذا المعجز أن يرضى المرء من الدنيا بما لا يحبه ولا يرتضيه ، ويقنع بالدين الذي لا يأمله ، ولا يتمناه .
 والبيت الآتي يوضح هذا المعنى ويفصّله ، فالشاعر حاول الوصال ، فخاصمه الصدود ، وعاصره الإعراض ، وطلب الوفاء فضاده ما في طبيعة الغادرين من الغدر ، ونقض العهد ، فلم يسه إلا أن يرضى بما لا يوده من إعراض الحبيب ، وغدرات الهوى .

(٢) الوصل : ضدّ الهجران ، وهو مصدر وصلت الحبيب (من باب وعدّ) وصلا وصلة (بكسر ففتح) . والصدود : الإعراض ، وهو مصدر صدّ عنه يصدّ (كردّ يردّ) صدوداً . وخاصمه غاصمة وخصاماً : نازعه ، وجادله ، ولاسأه ، وعاداه ، فهو خصم ، وخصام . وأبني : أطلب . والضمير في (خصيمه) يعود على (وصلا) .

(٣) الهوى : الحبّ والشهوّ . وغدرات : جمع غدره : أسلم مرة من الغدر ، وهو نقض العهد وتركه الوفاء . ومعنى يتبع الهزل جده : أنه يكون في مبدئه هيناً سهلاً ، فلا يلبث أن يتقلب عنيفاً صارماً .

(٤) تخفّ : تنصف . والأحلام : العقول ، مفردة (حلم بكسر الحاء) . ورزينة : ثقبلة ثابتة ، صفة من الرزاقة : وهي الرقار . ويعنو : يخضع ويذلّ ، (وبابه ساء) .

(٥) ينافيه : يخالفه ويطارده . والرشد : الهدى والصلاح ، وهو خلاف النى والجهل والشلال .

(٦) السلوان : مصدر سلاه ، وصلاه ، (كنداه ورشيه) : أى نسيه وصبر عنه . والأشجان : الأحزان والحوم ، واحدها شجن (يفتحتين) ، وقمعه من باب طرب . وتكدّه (من باب ردّ) : تعبه .

وَمَا الْحُبُّ إِلَّا حَاكِمٌ غَيْرُ عَادِلٍ
لَهُ مِنْ لَغِيْفٍ الْغَيْدِ جَيْشٌ مَلَاخَةٌ
ذَوَابِلُهُ قَامَاتُهُ ، وَسَيُوفُهُ
إِذَا مَاجَ بِالْهَيْفِ الْحِصَانِ ، تَأَرَجَّتْ
فَأَيُّ فُرَادٍ لَا تَذُوبُ حَصَانَتُهُ
بَلَوْتُ الْهَوَى حَتَّى اعْتَرَفْتُ بِكُلِّ مَا
ظَلُمَ لَهُ فِي كُلِّ حَيٍّ جَرِيرَةٍ .

(٧) رام : طلب . ويصده (من باب رد) : يمنه ويسره .

(٨) لغيف : جماعة وحزب ، والغيْف (في الأصل) : ما اجتمع من الناس من قبائل شتى .
والغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة الناعمة المشية لينا . والملاخه : الحسن ، مصدر ملح الشيء (من باب
ظرف) . وتغير : مضارع أثار على المعر : أى هم . وتوى بالمكان (كفسي) : نزل به وقام ،
واستقر . وتوى الضمائر : منزلها ومقامها ، والمراد القلوب .

(٩) الذوابل : الرماح ، جمع ذابل : أى دقيق ، قشره لاصق به . وقاماته : أى قامات هذا الجيش
من الحسان ، وقامة الإنسان : قدته ، وحسن طوله واعتداله . ولحاظ العذارى (بكسر اللام) : نظراتها
القائنة . والعذارى (بفتح الواو وكسرها) : جمع عذراء . وهي البكر (بكسر فسكون) أى التي لم تتزوج .
والقلاد : جمع قلادة ، وهي ما تزين به المرأة عنقها من الحلّ كمقفول اللؤلؤ ونحوها . والسرد : اسم جماع
للدرع ، وسائر الأسلحة .

(١٠) مَاج : أى الجيش ، والمغى : اضطرب اضطراب المرج . والمهيف (بكسر الهاء) : جمع
هيفاء ، وهي المرأة الضامرة البعظ والمفاصرة ، والمهيف (بفتحين) من صفات الحسن في النساء .
والهسان : جمع على غير قياس لحسنه أو حسنه . وقد يكون جيمًا قياسيًا لحسنه (كلمية) . وتأرجت :
توهجت رائحته وفاحت ، والأرويج والأروج (بفتحين) : توهج ربيع الطيب . وسالكه : مذهبه وطرقه .
واشتق : فاح وانتشر وتفرق ، من قولهم : اشتق القربس في عدوه : إذا مال في أحد شقيه ، واشتق في
الكلام والخموسة : إذا أخذ جيمًا وشالًا ، وترك القصد ، وذهب في كل شق وجانب ، واشتق الطريق في
الغلاة أى مضى فيها . والند : نوع من الطيب ، أو هو العنبر ، أو هو عود طيب الرائحة يتبخّر به .
(١١) الحصاة : العقل والرأى . والفرام : الحب . واللوارع بالشئ . ومعنى تذوب حصانته غرامًا :
ينذب عقله بسبب الفرام . والعارف (يفتح فسكون) : العين . والقضى : التمنص والرمص (بفتحين
فيهما) وكل ما يقع في العين فيبجها ويؤذيها . وأقذاها : ألقى فيها القذى ، والسجد والسهاد (بضم السين
فيهما) : الأرق وعدم النوم ، (وبابه طرب) .

(١٢) بلوتيه (من باب عدا) : جبريته واختبرته . وغرّه : خدعه وأراد به المكره من حيث
لا يعلم . والصاب : عصارة شجر مرّ . والشهد (بفتح الشين وضمها) : العسل في شمعها .

(١٣) ظلوم : أى الموى . والملى : البطن من بطون العرب ، ودودون القليلة . ويطلق على مصلحتهم
وديارهم . وجريرة : ذنب وجنابة . والضحيج : الجلبة ، والصيلح . والمعنخ ، يكون من جزع أو
مشقة أو فزع : مصدر ضجج "يضجج" (كغفغ يغفغ) . والفور : المطفئ من الأرض . والتجد : ما ارتفع
من الأرض .

إِذَا اخْتَلَّ قَلْبًا مُطْمَئِنًّا تَحَرَّكَتْ
فَلِنْ كُنْتَ ذَا لُبٍّ فَلَا تَقْوُ بِنُهُ
وَقَدْ كُنْتَ أَوَّلَى بِالنَّصِيحَةِ لَوْ صَغَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَقُوهُ
لَعَمْرِي لَقَدْ وَكَلَّ الشَّبَابُ ، وَحَلَّ بِي
فَأَيُّ نَعِيمٍ فِي الزَّمَانِ أَرُوهُ ؟
وَكَيْفَ الْوَمُ النَّاسُ فِي الْغَنَرِ بَعْدَمَا
وَابْعُدْ مَقْقُودُ شَبَابٍ رَمَتْ بِهِ
وَسَاوُسُهُ فِي الصَّدْرِ ، وَاخْتَلَّ وَكُنْهُ (١٤)
فَقَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ يُعِيْسِكَ حَلْهُ (١٥)
فَوَادَى ، وَلَكِنْ خَالَفَ الْحَزَمُ قَصْدَهُ (١٦)
فَيُوشِكُ أَنْ يَلْقَى حُسَامًا يَقْدُهُ (١٧)
مِنْ الشَّيْبِ خَطْبٌ لَا يُطَاقُ مَرْدُهُ (١٨)
وَأَيُّ خَلِيلٍ لِلْوَفَاءِ أَعِدُّهُ ؟ (١٩)
رَأَيْتُ شَبَابِي قَدْ تَغَيَّرَ عَهْدُهُ ؟ (٢٠)
صُرُوفُ اللَّيَالِي عِنْدَ مَنْ لَا يَرُدُّهُ (٢١)

(١٤) اختلّ : أى الموى . ومطمئناً : ساكناً هادئاً . والوساوس : أحاديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ، ولا خير . واختل : هزل وضعف . والوكد (بفتح فسكون) : المراد ، والحلم ، والقصد . والوكد (يضم فسكون) : السى والجهد .

(١٥) ذابّ : صاحب عقل . وحدّ السيف والسكين ونحوهما : الجانب القاطع من نصلهما . (١٦) صفا إليه (كعمدًا ، وصدي) : مال إليه ، واستمع ، والحزم : إتقان الرأي ، وضبط الامر ، والأخذ فيه بالثقة . وقصد الشيء ، وله ، وإليه (من باب ضرب) : أى أرادته حامداً ، وطلبه بهيمة .

في البيت السابق جعل الموى كالسلاح الحادّ المرحف ، يصيب من يضربه وتصحّ المعائل أن يتوكلّاه ويتجنب أسبابه . وفي هذا البيت قال : إنه كان أحق وأجدر بقبول هذه النصيحة لو صدّا إليها قلبه ، ولكنه خالف الحزم ، وقصد إلى الهوى في تهوّر ، فوقع في حباله .

(١٧) يوشك الأمر أن يكون كذا : من أفعال المقاربة ، والمعنى الدنو من الشيء ، وفى الإيشاك معنى الاسراع . يقال : وشك (كعقرب) ، وأوشك . والحسام : السيف القاطع ، ويقلدّه : يشقّه .

(١٨) لعمري : وحياتي . وولسى : ذهب وأدبر وأعرض . وحلّ : نزل ، (وبابه قعد) . واخطب : الأمر الشديد ينزل بالإنسان . ولا يطلق مردّه : ليس في الإجهاد مردّه . وصرفه . (١٩) أرويه : أطلبه . والخليل : الصديق . وأعددت الشيء إعداداً : هيأته وأحضرتة .

ينكر — بعد ذهاب شبابه وحلول المشيب — أن يكون في الزمان نعيم يطلب ، وأن يجد في الناس خليلاً وقياً .

(٢٠) تغيّر عهده : زال وقاؤه ، وانتقض موثقه .

يقول : إنه لا يلزم الناس في نقض العهد ، والإخلال بالوفاء بعد ما رأى شبابه يصاحبه زماناً طويلاً ، ثم ينقض عهده ويتقادره .

(٢١) صرُوف الليالي : حدثان الزمان ونوائيه .

فَمَنْ لِي بِخَلِّ صَادِقٍ أَسْتَعِينُهُ عَلَى أَمَلِي ، أَوْ نَاصِرٍ أَسْتَعِينُهُ ؟ (٢٧)
صَحِبتُ بَنِي الدُّنْيَا طَوِيلًا فَلَمْ أَجِدْ خَلِيلًا ، فَهَلْ مِنْ صَاحِبٍ أَسْتَعِينُهُ (٢٨)
فَأَكْثَرُ مَنْ لَا يَنْتُ لَمْ يَصِفْ قَلْبُهُ وَأَصْدَقُ مَنْ وَالَيْتُ لَمْ يَغْنُ وَدَّهُ (٢٩)
أَطَالِبُ أَبِي بِمَا لَيْسَ عِنْدَهَا وَمَنْ طَلَبَ الْمَعْدُومَ أَغْنَاهُ وَجَدَّهُ (٣٠)
فَمَا كُلُّ حَيٍّ يَنْصُرُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ وَلَا كُلُّ خَلٍّ يَصْدُقُ النَّفْسَ وَغَدَّهُ (٣١)
وَأَضَعَبُ مَا يَلْفَى الْفَتَى فِي زَمَانِهِ صَحَابَةٌ مَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ فَقَدُهُ (٣٢)
وَاللُّجَجُ أَسْبَابُ إِذَا لَمْ يَقْزُ بِهَا لَيْسَبُ مِنَ الْفَتَيَانِ لَمْ يُورِ زَنْدُهُ (٣٣)
وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْمَرْءَ جَدُّهُ عَلَى سَعْيِهِ لَمْ يَبْلُغِ السُّؤْلُ جَدَّهُ (٣٤)
وَمَا أَنَا بِالْمَطْلُوبِ دُونَ مَرَامِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَخْلُقُ الْمَرْءَ جَهْدُهُ (٣٥)

(٢٢) غلّ : صدّق . وأستعده : أطلب منه اللدد والمروة والنصرة .

(٢٣) أجده : وجدته وأستجده : صيره جديداً ، ومعنى أستجده : أحاسبه من جديد ، أتحذه خليلاً .
(٢٤) صلباً يصغر صفاء : فني ، وخلص من الكفر . والليت : صادقت وأحببت ، من المروالة : وهي ضد العداوة ، ولم يغن : لم ينفع مضارع اغنى الشيء : أي كفى ، وأجلى : وأجراً . والورد (مثله الرابو كالورد) : الحب والمودة .

(٢٥) أعياء : أتميه وأصجزه . ووجده (يفتح فسكون ، أو بضم ، فسكون) : إدراكه ، مصدر وجده المطلوب (من باب وعد) .

(٢٦) يقول : إنه ليس كل إنسان يطابق فعله قوله ، وليس كل صديق صادق الوعد .
(٢٧) يقول : إن آلم ما تلقاه في زمانك محبة لئيم يشفيك من الهم والضرر بعده وقده .
(٢٨) اللبيب : الباقل . وورى الزند يورى (كورى يورى) : أي أخرج ناره . وشله أوزى ليراه . وأوريته ليراه أي قدسته لإخراج النار منه ، فالورى يرمى ويلزم . ولم يور زنده : لم يخرج زنده نارا . والزند : المود الذي تقدر به النار ، وهو الأهل ، والزندة السفل ، ومعنى لم يور زنده : لم يشر سبه .
(٢٩) أسعد على سبه : أحانه عليه ، من الإسماع : بمعنى المساعدة والإعانة . وجده (بفتح الجيم وتشديد الدال) : حفظه . والسؤل (بضم فسكون) : ما يسأله الإنسان ويطلبه . وجده (بكسر الجيم وتشديد الدال) : اجتهد به .

(٣٠) دون مراده : دون بلوغ مطلبه . وجهده : جهده واجتهده : مصدر جهد في الأمر (من باب قطع) : أي جد فيه وبالحق .

يقول : لست مغلوباً ولا عاجزاً عن بلوغ مطلبي ، ولكن المرء قد يحني عليه اجتهد به .

وما أبتُ بِالْجِرْمَانِ إِلَّا لِأَنِّي «أودُ مِنَ الْآيَامِ مَا لَا تَوَدُّهُ» (٣١)
 فَإِنْ يَكُ فَارَقْتُ الرُّضَا فَلَبَعْنَمَا صَحِبْتُ زَمَانًا يُغَضِبُ الْحُرَّ عَبْدُهُ (٣٢)
 أَبِي الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يَسُودَ وَضِيعُهُ وَيَمْلِكَ أَغْنَاكَ الْمَطَالِبُ وَغَدُهُ (٣٣)
 تَدَاعَتْ لِدَرْكِ الشَّارِ فِينَا نُعَالُهُ وَنَامَتْ عَلَى طُولِ الْوَيْبَرَةِ أَسْنَدُهُ (٣٤)
 فَحَبَّامٌ نَسْرِي فِي دِيَا جِيرٍ مِجَنَّةٍ يَفِيقُ بِهَا عَنْ صُحْبَةِ السَّيْفِ غَمْدُهُ (٣٥)
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْدَفِعْ يَدَ الْجَوْرِ أَنْ سَطَّتْ عَلَيْهِ، فَلَا يَأْسُفُ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ (٣٦)
 وَمَنْ ذَلَّ خَوْفَ الْمَوْتِ، كَانَتْ حَيَاتُهُ أَضْرَّ عَلَيْهِ مِنْ حِمَامٍ يَوَدُّهُ (٣٧)
 وَأَقْتُلْ ذَا «رُؤْيَا الْعَيْنِ ظَالِمًا يُسِيءُ» ، وَيُتَلَّى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ (٣٨)

(٣١) آب : دمع (وبابه قال) . والحريمان (بكسر الحاء) : مصدر حره الشيء : إذا منه إياه .
 والشرط الثاني من هذا البيت هو مطلع قصيدة المتنبي التي عارضها الشاعر بهذه القصيدة .
 ومعناه : أحب من الأيام أن تكون منصفه ؛ فتجعل سعي فيها مشغراً ، وتمكنني من مطلي ، وهذا
 ما لا تحبه الأيام .
 (٣٢) عبده : عبد الزمان ، يقول : فإن أكن قد فارقت الرضا ، وبخيلت على الدهر ، فإنما كان
 ذلك بعد ما عشت في زمان يغضب عبده الأحرار ، وهذا كناية عن اضطراب الأمور ، وانقلاب الأوضاع
 وقد صرح بهذا المعنى في البيت الآتي . وكان التجادل أن يقول «أك» بدل «يك» .
 (٣٣) الأعناق : جميع عناق (بضم النون وسكونها) ، والوعد : الدفء القيم الوضيع المهمة .
 (٣٤) تداعت : تجمعت وتألفت بالمداداة . والدرك : الإدراك والحقاق ، وهو (بفتح الراء وسكونها) :
 اسم من أدركت الشيء : إذا طلبته فلم تحته . وتعال وشالة : علما جنس للشملب ، واستعمله هنا استمهال الجمع .
 والوترة والقرّة (بكسر التاء) : الدسل (بفتح فسكون) : أي الثأر ، أو الظلم فيه . والأسد : جميع أسد .
 ويريد بالمطالب : غساس الناس ، وبالأسد : أشراهم .
 (٣٥) نسري : نسير ، والنسري (في الأصل) : البسر ليلا . والدياجير : جميع ديجور ، وهو
 الظلام . والحنة : البلاد والفتنة . وفهد السيف : جفنه الذي يتراعى فيه . ومعنى الشرط الثاني : أن هذه الحنة
 تستفز السيف من أمهاتها ، وتصلب المكافحة بالحرب والقتال .
 (٣٦) الجور : الميل من القصد ، والظلم . وسطت عليه : قهرته وأذلته وبطلت به . والمجد :
 العز والشرف .
 (٣٧) ذل : ضعف وهان ، فهو ذليل . والحمام (بكسر الحاء) : قضاء الموت وقدره . وغلظه
 (كبره) : وعنف ، ويميل : يدهاء ، ويتركه به .
 (٣٨) أقتل : اسم تفضيل من القتل . ويتل : يقرأ . والمحافل : جميع محفل (كجلس) ، وهو
 مجتمع الناس . والحمة : الثناء والمحب .

عَلَامَ يَبْعِشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ خَامِلًا أَيْفَرَحُ فِي الدُّنْيَا بَيِّمٍ يَعْلُهُ ؟ (٣٩)
يَرَى الضَّمِيمَ يَفْتَنَاهُ فَيَلْتَدُّ وَقَعَهُ كَذِي جَرَبٍ يَلْتَدُّ بِالْحَلَكِ جِلْدُهُ (٤٠)
إِذَا الْمَرْءُ لَاقَى السَّيْلَ ثَمَّتَ لَمْ يَنْجُ إِلَى وَزْرِ يَحْيِيهِ أَرْذَاهُ مَدُّهُ (٤١)
عَفَاءَ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْش بِهَا بَطْلًا يَحْيِي الْحَقِيقَةَ شُدُّهُ (٤٢)
مِنْ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الْقَتَى بِمَثَلَةٍ وَفِي السَّيْفِ مَا يَكْفِي لِأَمْرِ يُعْدُهُ (٤٣)
وَأَنْتِ امْرُؤُ لَا أَسْتَكِينُ لِمَصَوَلَةٍ وَإِنْ شَدَّ سَاقِي دُونَ مَسَاعِي قَلْبُهُ (٤٤)
أَبَتْ لِي حَمَلَ الضَّمِيمِ نَفْسُ أَبِيَّةٍ وَقَلْبُ إِذَا سِيمَ الْأَذَى شَبَّ وَقَدُّهُ (٤٥)

(٣٩) الخامل : الساقط الذي لا نباهة له ، (وبابه دخل) . يقول : على أي شيء يحيا الإنسان = خاملا في زمانه ؟ أيفرحه في الدنيا أيام تمرَّ فيمدُّها ؟

والمعنى : لا ينبغي أن يرضى المرء لنفسه بحياة الضعيف والحمول ، والفرح بمدِّ الأيام ، في البيت حصن على الشجاعة والنباهة وطلب الحياة الطيبة العريضة ، وعدم المبالاة بالموت في سبيل العزة والكرامة .

(٤٠) الضم : الظلم . ويفشاه : يأتيه ويصيبه . والتدَّه : ربه : وجده لذيذاً ، واللدة : نفيس الأم . والوقع : الوقوع .

(٤١) ثَمَّتَ : شَمَّ . ولم ينج : لم يرجع ، ولم يلجأ . والوزر (بفتحين) الملقب والمُسْتَعْتَم ، وأصله الجبل المنيع . ويحييه : أي يدفع عنه خطر السيل . وأرداه : أهلكه . ومدُّه : ارتفاعه وطفنائه وكثرة مائه . (٤٢) العفاء : التراب ، والدروس : أي الاعساء والزوال . وبطلا : شجاعاً . ويحيى : يمنح ويعصون ويحفظ . والحقيقة : ما يحق عليك أن تحيه ، أي ما تجب عليك حمايته . والشد : العدو ، والمراد به هنا : الحملة في الحرب . (٤٣) أعدّه لأمر كذا يمدّه إعداداً : هيأه له .

يقول : إنَّ من السبِّ والعيب والعار أن يرضى الإنسان بالذلِّ والضعف والهوان وهو يستطيع أن يحقق مجد السيف ما يُعده من الأمور . يحض على دفع المذلة بقوة الحرب والقتال .

(٤٤) أستكين : أخضع . والصولة : الاستطالة والسطوة والبطش . وشده : أوقفه وربطه وقيده . والقد (بكسر القاف) : سير يقد من جلد غير مدهوع وقيده به الأسير ونحوه .

يقول : إنه لا ينجس للقر ، ولا يستكين السطوة والبطش ، حتى ولو حيل بينه وبين سنامه ، وكان مقيده الساق ، مشدوداً بالوثاق . وإعادة الضمير في قدّه مذكراً على الساق غير معروف في القصيد .

(٤٥) أبي الرجل يأي (بالفتح فيما) إياه : امتنع فهو أب وأبي . والضم : الظلم والظير . رسم الأذى : أراده به الأذى ، وحمل على المكره ، يقال : ساه خسفاً وذلاً أي أولاه إياه ، وأراد عليه وأهانته . وشبَّ : اتَّقد . والوقد (بفتح فسكون) : النار .

نَمَانِي إِلَى الْعَلْيَاءِ قَرْنُ تَأَثَّلَتْ أَرْوَتُهُ فِي الْمَجْدِ ، وَاقْتَرَّ سَعْدُهُ (٤٦)
وَحَسْبُ الْفَتَى مَجْدًا إِذَا طَالَبَ الْعَلَا بِمَا كَانَ أَوْصِيَاهُ أَبْرُهُ وَجَدُهُ (٤٧)
إِذَا وَلِدَ الْمَوْلُودُ مِنَّا فَلْتَرَهُ دَمَ الصَّيْدِ وَالْجُرْدُ الْعَنَاجِيحُ مَهْدُهُ (٤٨)
فَإِنْ عَاشَ قَالِيْدُ الدِّيَايِمِ دَارُهُ وَإِنْ مَاتَ فَالطَّيْرُ الْأَضَامِيْمُ لَحْدُهُ (٤٩)
أَصْدُ عَنِ الْقَرْمَى الْقَرِيْبِ تَرْفَعُ وَأَطْلُبُ أَمْرًا يُعْجِزُ الطَّيْرَ بَعْدَهُ (٥٠)

(٤٦) نَمَانِي : زفاني ونسبي ورفعي . والعلياء : السماء وكل شيء عال ، والفرع (في الأصل) : الفصن . ويريد به هنا : نسب القريب والأرومة (بفتح الهمزة ونسبها) : الأصل . وتأثَّلت : تأصَّلت ومظلت . والمجد : المزم والشرف . واقترَّ : تلاأ وأشرق .
(٤٧) حسب الفتى مجداً : كفاه عزاً وشرفاً . وحسب مبدأ . وخبره محذوف العلم به تقديره (ما ينال من رفعة) . والعلو : جمع عليا .

يقول : كفى المرء عزاً وشرفاً أن يسير سيرة آبائه في طلب المعالي : وأن يطلب من المجد ما أوصاه أبوه وجدّه بتحصيله .

(٤٨) درّه : لبته وغذاؤه . والصيد (بكسر الصاد) : جمع أصيد ، وهو الأسد ، ورافع رأسه كبراً . والجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس البناق ، أو القصير الشعر الرقيقه . والعناجيج : جياد الخيل والإبل . والمهد : الموضع حيثما يصبي ويوطئ .
والمعنى : أن أطفالهم يشبهون على الشجاعة وعزّة النفس . ويعودون الفروسية وركوب الخيل واقتحام الأخطار .

(٤٩) البيد : جمع بيداء وهي المفازة ، أي الموضع المهلك . والدياميم : جمع ديموم أو ديمومة (بفتح فسكون فهما) وهي القلعة الواسعة أي الصحراء . والأناسيم : الجماعات ، واحداً منها إنسانة (بكسر الهمزة) .
يقول : فإن عاش مولودهم فدياره القلوات والمفاوز والمواضع المهلكة والصحارى الواسعة ، وإن مات مات في ميدان القتال . فأكلت لحمه جماعات الطير . وهذا كله كناية عن الشجاعة وشدة الهأس وركوب الأخطار .

(٥٠) أصدّ : أعرس وأنصرف . والمرى : اسم مكان من رى .
يقول : إنه يعرض عن هيئات الأمور ترفعاً واستكباراً . ويطلب ما كان رفيعاً عالياً بعيداً .
تعجز الطير عن بلوغ مداه . والمعنى : أنه في حياته رفيع الهمة بعيد العناية .

وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَلَاعَبُ بِالْقَنَا أَسْوَدُ الْوَعَى فِيهِ ، وَتَمَرَحُ جَرْدُهُ (٥١)
يُمَرِّقُ أَسْتَارَ التَّوَاظِيرِ بَرْقُهُ وَيَقْرَعُ أَصْدَافَ الْمَسَامِعِ رَعْدُهُ (٥٢)
تَدْبِرُ أَحْكَامَ الطُّغَانِ كَهَوْلُهُ وَتَمْلِكُ تَصْغِيرَ الْأَعْيَةِ مُرْدُهُ (٥٣)
قُلُوبَ الرِّجَالِ الْمُسْتَبِلَةِ أَكْلُهُ وَقَيْضُ الدَّمَاءِ الْمُسْتَهْلَةِ رِزْدُهُ (٥٤)
أَحْمَلُ صَدْرَ النَّصْلِ فِيهِ سَرِيرَةٌ تُعَدُّ لِأَمْرِ لَا يُحَاوَلُ رِزْدُهُ (٥٥)
فَلَمَّا حَيَاةٌ مِثْلُ مَا تَشْتَهِي الْعَلَا وَإِنَّمَا رَدَى بِشَفِي مِنَ الدَّاءِ وَقْدُهُ (٥٦)

(٥١) تلاعب : أصله تتلاعب ، ومعناه تلعب . والقنا : جمع قناة وهي الرمح . والرعى : الحرب . وتمرح : تشبط وتمرع ، من المرح : وهو شدة الفرح والنشاط ، (وبابه طرب) . والضمير في جرده يعود على اليوم . : جمع أجرد : وهو الفرس السباق .

(٥٢) الأستار : جمع ستر (بكسر السين) . والتواظير : جمع نازرة : وهي العين ، أو جمع ناظر : وهو السواد الأسفر الذي فيه إنسان العين ، ويريد بأستار التواظير : الجفون . وتمريقها : النفاذ منها ، على المبالغة . وأراد بالبرق : لمعان الأسلحة . وضو نيران الحرب في ذلك اليوم . ويقرع : يطرق . والأصداف : جمع صدف (يفتحتن) وهو غشاء اللب ، وواحدة الصدف صدفة . والسماع : جمع سمع (بكسر الميم الأول وفتح الثانية) ، وهو الأذن ، والمراد بأصداف السماع : أول ما يصل إليه الصوت من أجزاء الأذن .

(٥٣) دبّر الأمر يدبره تدبيراً : فعله عن فكر وروية ، ونظر في عاقبته . والطعان : مصدر طاعته بالرمح ونحوه ، أى ضربه به وضجه . والكهول : جمع كهول (يفتح فسكون) وهو من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين . والمراد بالكهول : الشيخوخ المهرّبون ، والأعنة : جمع عنان (بكسر التين) ، وهو في الأصل سير اللجام الذي تمسك به الدابة ، والمراد بتصغير الأعنة : تنفيذ خطط القتال . والمرد : جمع أمرد : وهو الغلام لم تثبت لحيته .

(٥٤) استبلة بالأمر : انفرد به من غير حشاك له فيه . . والقفيض : مصدر فاض الماء إذا كثر وسال على ضفة الراعى . والمستبلة : اسم فاعل من استهل المطر ونحوه : أى اشتد انصبابه . والورد (بكسر الواو) : التصبب من الماء . والضمير في ورده وأكله يعود على اليوم .

(٥٥) النصل : حديدة السهم والرمح والسيوف ونحوها . والسريرة : السر الذي يكتم ، والمراد (هنا) الخطة المرسومة المكتوبة .

يقول : إنه في هذا اليوم يكتم في صدر ربه أو سيفه خطة قد أعدها لأمر خطير عظيم لا استطاع رده .

(٥٦) الردى : المهلاك ، مصدر ردى (من باب صدى) . ووقده : مصدر وقد فلان على الأكير (من باب وعد) : أى ورد رسولاً ، قالوقد : الحضور والورود والقنوم .

القصيدة الثامنة عشرة

وَقَالَ عَلَى رَوَى* قَصِيدَةَ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي* إِلَى أَوَّلِهَا :

أَيْنَ إِلَى مَيَّةٍ وَائِثُحٍ أَوْ مُتَعَدِّ عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ
وَقَدْ سَلَكَ فِيهَا مَسَالِكَ الْعَرَبِ فِيهَا كَانَتْ تَتَمَدَّحُ بِدٍ مِنْ مُبَاشَرَةٍ
الْحُرُوبِ ، وَارْتِيَادِ الْمَنَابِتِ ، وَرُكُوبِ الْخَيْلِ ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ ، وَالتَّشْيِيبِ
بِالنَّمَامِ :

ظَنَّ الظُّنُونِ فَبَاتَ غَيْرَ مُوسِّدٍ حَيْرَانَ يَكْلَأُ مُسْتَنِيرَ الْقَرْفَدِ (١)

في هذه القصيدة تحريض سريع على دفع الظلم بقوة السلاح ، وفيها تهديد ووعيد ؟ وهذا يرجح أن البارودي نظمها لما اشتد الخلفاء ، وتأزمت الأمور بين الخديو وتوفيق والوزارة الوطنية (وزارة محمود سامي البارودي) في مايو سنة ١٨٨٢ قبيل توقيف الثورة المرابية . وفي بعض البحوث التي نشرت عن البارودي أن هذه الدالية من سرنديسياته ، وأن فيها تحريفاً على ردِّ عنوان الخديو توفيق ، ومكافحة حكمه الاستبدادي الفاسد ؟ ولكن يلاحظ أن الحكم والسلطان الحقيقي كان للاحتلال العسكري الإنجليزي ، وليس في هذه القصيدة إشارة إليه ؟ ولهذا رجحنا أنها نتيجة الخلاف الذي استحكم بين البارودي والخديو توفيق في مايو سنة ١٨٨٢ .

* الروي : حرف بنيت عليه القصيدة ، ونسبت إليه ، وهو الدال في هذه القصيدة .

• • النابغة الذبياني : أحد فحول شعراء الجاهلية ، وحكمهم يميكاظ ، واسمه زياد بن معاوية ، وكنيته أبو إمامة ، وقبيلته ذبيان ، وذبيان من قيس ، وقيس من مضر ، ومضر أعظم القبائل البدائية وأشهرها ، ولغَّب بالنابغة لبزوغه في الشعر فجاءه وهو كبير ، بعد أن امتنع عليه وهو صغير .

(١) ظَنَّ الظنون : المراد ماورته الوسارس والهموم . وغير موسد : على غير وسادة ، وهذا كناية عن القلق والحيرة والسهاد وسيران . صفة من الحيرة : ويكلاً : يرمى ويراقب . ومستنير : نير مضى . والفرد : نجم قريب من القطب الشمالي ، ثابت الموقع تقريباً ؛ ولهذا يُهتدى به . وهو المسمى (النجم القطبي) و يقر به نجم آخر مماثل له ، وأصغر منه ، وهما فردان .

تَلَوِي بِوِ الذُّكْرَاتِ حَتَّى إِنَّهُ
طَوْرًا يَهْمُ بِأَنْ يَزُولَ بِنَفْسِهِ
فَكَأَنَّمَا افْتَرَسَتْ بِطَائِرٍ جِلْمِهِ
قَالُوا غَدًا يَوْمُ الرَّحِيلِ وَمَنْ لَهُمْ
بِىْ مُهْجَةٌ ذَهَبَ الْهَوَى بِشَفَافِهَا
يَأْخُلُ ذَا الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ
لِيُظِلَّ مُلْقَى بَيْنَ أَيْدِي الْعُودِ (١)
سَرَفًا ، وَتَارَاتِ يَحِيلُ عَلَى الْيَدِ (٢)
مَشْمُولَةٌ ، أَوْ سَاغَ سُمُّ الْأَسْوَدِ (٣)
خَوْفَ التَّفَرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدٍ ؟ (٤)
مَعْمُودَةٌ . إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَأَنَّ قَدْ (٥)
أَدْعُوكُمْ يَا قَوْمُ دَعْوَةً مُقْصِدَ (٦)

(٢) تلوى به : تذهب به ومن كلامهم : ألقى بهم الدهر : أى أهلكهم . والذكرات : جمع ذكره
(بضم فسكون) : وهى ضد النسيان . ويظلل : يبنى ، يقال ظلّ يعمل كذا (كتب) إذا عمله نهائاً ،
وسمع فى الشعر ظلّ ليله يفعل كذا . وملق اسم مفعول من ألقاه إلقاء بمعنى طرسه . والمعود : جمع عائد ،
اسم فاعل من عدت المريض أعوده عيادة بالكسر .
(٣) الطور : التارة والمرّة . وهم بالثى : أرادوه ، (وبابه رد) . ويزل (من بابى ضرب
وتنب) : يقط . والسرف (بفتحين) : التبديد والتضييع .

يقول : إنه لشدة ضعفه وآلامه يحاول أحياناً أن يلقى بنفسه تضييعاً لها ، وأحياناً يحيل على
يده إحياء ووهناً .
(٤) الفرس (يفتح فسكون) والافراس (فى الأصل) : دقّ العنق والقتل ، ومن فرس الأسد
فريسته وانقرسها ، وقد ضمتّه الشاعر (هنا) معنى فطك ولهذا عدّاه بالباه . والحلم : العقل والأناة . والمشمولة :
الخمر الباردة ، يقال شمسك الخمر أى عرضها لريح الشمال فبردت . وساغ (من بابى قال وباع) : شرب .
والسم (مثل السين) : ما يقتل . والأسود : العظيم من الحيات وفيه سواد .
(٥) الرحيل : الارتحال والسفر .

وبيت التابفة اللبثاني فى هذا المعنى :

لَا مَرْحَبًا بِغَيْدٍ : وَلَا أَهْلًا بِهِ
وَبَيْتُ أَبِي تَمَام :

قَالُوا : الرَّحِيلُ غَدًا - لَا شَكَّ - قُلْتُ لَهُمْ
الْآنَ أَتَيْتُ أَنْ أَسْمَ الْجَحَامِ غَدُ
(٦) المهجة : النفس والروح ودم القلب ، والمراد بها (هنا) : القلب ، والشغاف (كسحاب) :

غلاف القلب أو حجابيه أو سمته أو سويدائيه . والحوى : الحب . ومعمودة : حدّها الشق .

يقول : إنّ الحبّ هذه ، وذهب بسويداء قلبه ، فهو إن لم يمُت اليوم فلن يموت قريب .

(٧) المنار : علم الطريق ، أو هو موضع النور كالمنارة . ورفعة المنار كثيابة عن الشهرة وعظم
التقدير والمادة . والمقصود : المطعون ، اسم مفعول من أقصه فلان فلاناً : إذا طعنه فلم يخطئه .

إِنِّي فَقَدْتُ الْيَوْمَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ عَمَلِي : فَرَدُّهُ عَلَى لِأَهْنَدِي^(٨)
أَوْ فَاسْتَقِيدُونِي بِبَعْضِ قِيَانِكُمْ حَتَّى تَرُدُّ إِلَيَّ نَفْسِي ، أَوْ تَدِينِي^(٩)
بَلْ يَا لَنَا السَّيْفِ الطَّوِيلِ نِجَادُهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْمِ النَّزِيلَ فَأَغْمِدِ^(١٠)
هَذِي لِحَاظَ الْغَيْدِ بَيْنَ شَعَابِكُمْ فَتَكْتُ بِنَا خَلْسًا بِغَيْرِ مُهْنَدٍ^(١١)
مِنْ كُلِّ نَاعِمَةِ الصَّبَا بِدَوِيَّةٍ رِيًّا الشَّبَابِ سَلِيمَةٍ الْمُتَجَرِّدِ^(١٢)
هَيْفَاءُ إِنْ خَطَرَتْ سَبَبَتْ ، وَإِذَا رَنْتُ سَلَبْتُ فُوَادَ الْعَابِدِ الْمُتَشَدِّدِ^(١٣)

(٨) يشير بهذا البيت إلى أن فتاة جنيلة من فتيات هذا الحلي قد فتنته وذهبت بمقله .

(٩) استعقدت الحاكم من القاتل : سألته أن يقتصّ ل منه . ومعنى استقيدوني هنا : مكثوني من أخذ القود ، وببعض قياتكم ، استعملت فيه الباء بدل من ، ويريد بالبعث بحبوبته . والقيان : جمع قينة (يفتح فسكون) ، وهي الأمة المنسية أو أمم ، وتدي : تعطي الدية ، يقال : ودى القاتل القاتل (من باب ودى) يديه دية : إذا أعطى وليّه المال الذي هو بدل النفس .

(١٠) النجاء (ككتاب) : حائل السيف ، وما يملق به كالسير ونحوه . وسجاء يحميه حماية : دفع عنه . والنزِيل : الغيب . وأغمد : أمر من أغمد السيف كغمده : إذا جمعه في غمده . يقول : أيها الشجاع ، إذا لم تستطع حماية ضعيفكم من قتل عيون الحسان ، فأولى بك أن تغمد سيفك .

(١١) لحظة (كمنه) خطأ : نظر إليه بمؤخر عينه ، ويقال : فتنته الحافظها ولحظاتها . وقد استعمل المحظ (هنا) اسماً بمعنى العين ، ثم جمعه على لحاظ (بوزن سيم وسهام) . والغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة الناعمة المنشئة ليلاً . والشعاب (بكسر الشين) : جمع شعب (بكسر فسكون) : وهو الطريق في الجبل ، والمراد به (هنا) الطريق مطلقاً . وفكت بنا : قتلنا على غرة . وخلص : مصدر غلس الشيء (من باب ضرب) أي استلبه واختطفه بسرعة على غفلة . والمهنّد : السيف المطبوع من حديد الهند .

(١٢) الصبا (بكسر الصاد) : الصفر . وبدويّة : منسوبة إلى البدو أو البادية وهي خلاف الحضر . وريّاً : متعنتة مثقلة . والمتجرّد (بفتح الراء المشددة) : مصدر ميمي بمعنى التجرد ، يقال : جرّده من ثيابه فتنجرّد وانجرّد ، وهي بفسّة المتجرّد وسليمة المتجرّد ، أي بفسّة وسليمة عند التجرد ، فإن كسرت الراء أوردت الجسم .

(١٣) هيفاء : صفة من الهيف (بفتح الحين) ، وهو ضمير البطن ورقّة الخاصرة ، وقوله كفروح وخاف . وخطرت : اهتزّت في شيا وبقيت . وسيت : أبرت ، من السي (يفتح فسكون) والسبا (بكسر السين) : وهو الأسر (وبابه وى) . وزنا إليه : أدام النظر بسكون الطرف ، (وبابه سها) . وسلبت : اختلست وأخذت . والعابِد المتشدد : البخيل بدينه ، الحريص على العبادة .

يَخْفِضَنَّ مِنْ أَبْصَارِهِمْ تَخَنُّلاً لِلنَّفْسِ ، فَعَلَّ الْقَاتَنَاتِ الْمُبْدِ (١٤)
فَلِذَا أَصْبَحَ أَخَا الشَّبَابِ سَلْبَةً وَرَمَيْنَ مُهْجَتَهُ بِطَرْفِ أَصِيدِ (١٥)
وَلِذَا لَمَحَنَ أَخَا الْمَشِيبِ قَلْبَهُ وَسَتَرْنَ ضَاحِيَةَ الْمُحَاسِنِ بِالْيَدِ (١٦)
فَلَمَّحْنَ غَدَوْتُ دَرِيثَةً لِعُيُونِهَا فَلَقَدْ أَفْلُ زَعَارَةُ الْمُتَمَرِّدِ (١٧)
وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْحَرْبَ فِي إِبَانِهَا وَلَيْسَ رَايَ الْحَيِّ إِنْ لَمْ أَشْهَدْ (١٨)
تَنَقَّصْتُ الْمُرَّانَ فِي حَجَرَاتِهَا وَيَعْمُدُ فِيهَا السَّيْفُ مِثْلَ الْأَقْرَدِ (١٩)
عَصَفْتُ بِهَا رِيحُ الرَّدَى ، فَتَنَقَّصَتْ بِدَمِ الْفَوَارِسِ كَالْأَيِّ الْمُرِيدِ (٢٠)

(١٤) التَّخَنُّلُ : الخديمة ، وكم نجدها فيما بين أيدينا من المعجمات . والقاتنات : جمع قاتنة ، وهي

العابدة العائمة ، من التزوت ، وهو الطاعة والدعاء ، ويطلق على القيام في الصلاة . والسبد : جمع عبادة .

(١٥) أخوالشباب : الشاب الفتي . وسلبه : اختلسته وأخذته ، أي أخذت عقله أو قلبه . والمهجة :

النفس والروح . والطرف : العين . وأصيد : صفة من الصيد (يفتحين) وهو عدم الالتفات من التزوؤ والكبر والدلال .

(١٦) نحن : أبصرنا ، له : أبصره بنظر خفيف ، (وبابه قطع) . وأخوال المشيب : الأشيب .

وقلبه : أبفضه ، (وبابه رى) . والضاحية : المشرقة البارزة . والمحاسن : جمع على غير قياس للحسن

(بضم فسكون) . والمراد بضاحية المحاسن : الوجه الجميل اللائق .

(١٧) غدوت : صرت ، والغدو (في الأصل) التبكير والذهاب في الغدوة (بضم فسكون) وهي أول

النهار . والدريث : الحلقة يَتَمَكَّمُ الظَّمن والفرى عليها ، والمراد بالدريث (هنا) : الهدف والغرض .

وأفل : أكرس . والزعارة : الشراسة وسوء الخلق . والمتمرد : العاقب الجبار الذي جاوز الحد .

(١٨) شهدت : حضرت . وفي إبانها : في وقتها ، أولها . والحى : الرطل من بطون العرب وهو

دون القيلة . وراعى الحى : زعيمه .

(١٩) تنقصت : تنكسر . والمران : الرماح ، واستدتها مراة (بضم الميم وتنشيد الراء المتفرقة) من

المرونة وهي البين في صلابه . والحجرات : النواصي ، مفردا حجرة (يفتح الحاء والراء وسكون الجيم) .

والأدرد : الذي سفلت أسنانه وبقيت أصولها ، صفة من اللدرد (يفتحين) : وهو ذهاب الأسنان .

والمعنى : أن السيف يرجع من هذه الحرب وقد تقلت مضاربه وتنكسرت لكثرة ما عمل .

(٢٠) عصفت الريح : اشتدت ، (وبابه شرب وجلس) . والرذى : الحلاك . ولتقلت : تعيبت

وسالت . والفوارس : جمع على غير قياس لفوارس ، وهو راكب الفرس . والأق : السيل . والمزبد :

المانع الذي يثقف بالمزبد (يفتحين) : وهو الرغوة ونحوها .

ما زلتُ أظعنُ بَيْنَهَا حَتَّى انْتَشَتْ عَنْ مِثْلِ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُجَسَّدِ (٢١)
وَلَقَدْ هَبَطْتُ الْفَيْثَ يَلْمَعُ نَوْرُهُ فِي كُلِّ وَصَّاحِ الْأَيْسُورَةِ أَغْيَدِ (٢٢)
تَجْرِي بِوِ الْآرَامِ بَيْنَ مَنَاهِلِ طَابَتْ مَوَارِدُهَا ، وَظِلُّ أَبْرَدِ (٢٣)
يُمَصِّرُ أَرْنِ كَانَ سِرَاتُهُ بَعْدَ الْحَمِيمِ سَيْبِكُهُ مِنْ عَسَجِدِ (٢٤)
خَلَصَتْ لَهُ الْيُمْنَى ، وَعَمَّ ثَلَاثَةٌ مِنْهُ الْبَيَاضُ إِلَى وَطِيفِ أَجْرَدِ (٢٥)

(٢١) طعنه بالرجح ونحوه (كنهه ونصره) طعناً : ضربه ونزعه . وانثنى : انكفأ وانصرف .
وانتشت الحرب : انتهت ووضعت أوزارها ، وهو في الأصل مطاوع ثناء عن مراده ؛ إذا صرفه عنه
وحاشية الثوب : جانبا وإلجم الحواشي . والرداء : الملحفة ونحوها ، أو ثوب يتدلى به . والمجدد :
الثوب المصبور بالمجدد (يفتحين) وهو الزعفران . =
= والمعنى : أنه استمرّ يظعن الأعلاء في الحرب حتى تكشفت عن دماء القتل والجرحى ، وصارت
الأرض كحاشية الثوب المصبوغ بالزعفران .

(٢٢) هبطت الفَيْث : نزلت بأرضه . والفَيْث : النبات والكَلَا ، وهو في الأصل المطر ، وسمى الكَلَا
غيثاً لأن الغيث سببه . ويلمع : يضيء . والنور (يفتح النون) : الزهر . ووصَّاح : صيغة مبالغة من وضع
الأمر وضوحاً ؛ أي ظهر وبان . والأسرة : خطوط الكفّ والجلبة ، واحدها سرار (بكسر السين) ، ووصَّاح
الأسرة : صفة الثوب . والأغيد من النبات : النعام المتنى .
والمعنى : أنه نبات مزهر نصير جميل مشرق كالرجل الحسن البسام الذي تبرى أسارير وجهه ،
وتبدو بحاسنه .

(٢٣) به : أي بموضع الفَيْث . والآرام : جمع رَم (بكسر الراء) وهو الناي الخالص البياض .
والمناهل : الآبار وعيون المياه العذبة ، مفردا مهل (كذهب) . وطابت : ساءت وعذبت . والموارد :
مواضع ورود الماء ، أي ببلوغه والإشراف عليه ، والمراد بها (هنا) المياه نفسها ، واحدها مورد (كجلس)
اسم مكان من ورد البحر وغيره الماء يريده وروداً ؛ إذا بلّغه وأناه . وظلُّ أبرد : بارد .
(٢٤) مفسر : خفيف اللحم ، معدّ السباق ، وهو اسم مفعول من خُصِرَت الفرس تفرساً ؛ أي أعدته
للسباق . وأرن : نشيط خفيف سريع ، صفة من الأرن ، وفعله (كفرج) . والسرّة (يفتح السين) :
الظهر وأعل كل شيء . . والحميم : العرق . والسبيكة : فميلة من سبكت الذهب (من باب تفل) ؛ إذا أذنته
وخلطته من غيبه . والمجدد : الذهب .

يقول : ولقد هبطت موضع الكَلَا بفرس ضامر سباق كان ظهره بعد إزالة العرق عنه سبيكة من
ذهب .

(٢٥) الوطيف من الحيوان : مستلق الذراع والساق ، أو هو ما فوق الرِّمَح إلى الساق . وأجرَد :
نصير الشعر رقيقته =

فَكَانَنَا انْتَزَعَ الْأَصِيلَ رِدَائَهُ سَلَبًا ، وَخَاصَّ مِنَ الْفُتْحَى فِي مَوْرِدٍ (٢٦)
 زَجَلٌ يَرْدُدُ فِي النَّهَاءِ صَهِيلُهُ رَفَعًا كَرَمَزَمَةَ الْحَيِّ الرُّعِيدِ (٢٧)
 مُتَلَفَّتًا عَنْ جَانِبَيْهِ ، يَهْزُهُ مَرَحُ الصَّبَا كَالشَّارِبِ الْمُتَعَرِّدِ (٢٨)
 فَإِذَا ثَنَيْتَ لَهُ الْعَيْنَانَ وَجَدْتُهُ يَمْطُو كَسِيدِ الرَّدْمَةِ الْمُتَوَرِّدِ (٢٩)
 وَإِذَا أَطَقْتَ لَهُ الْعَيْنَانَ رَأَيْتُهُ يَطْوِي الْمَهَامَةَ فَلَقْنَا فِي فَلَقِهِ (٣٠)
 بِكَيْفِكَ مِنْهُ إِذَا أَحَسَّ بِنَبَاتِهِ شَدُّ كَمَمَعَةِ الْأَبَاةِ الْمُوقِدِ (٣١)

يقول : خلصت له قائمته الجني ، فهي ذهبيّة اللون مثل جسمه ، أما الثلاث القوائم الأخرى فقد عفاها الياض إلى الوظيف . ثم وصف الوظيف بقلة الشر ورقته ، وهذه من الصفات المستحسنة في الخليل .

(٢٦) انتزعه : اقتلمه ، وقاعله ضمير مستتر يعود على المفسر ، أي القرس (في البيت الرابع والعشرين) . والأصيل : الرق من بعد العصر إلى المغرب . ورداءه : بدل من الأصيل ، والرداء : ما يلبس فوق الثياب ، كالجلبة ، والعباية . والثوب يستر الجزء الأهل من الجسم فوق الإزار . وسلب : (يفتح اللام وسكونها) مصدر سلب (من باب نصر) أي اختلعه وأخذ ، والسلب (يفتح اللام) : السلوب . والفسي : الوقت حين تشرق الشمس ويرتفع النهار ويمتد . والمورد : مكان روده الماء والإشراف عليه .

والمعنى : أن هذا الحصان قد جمع لون الأصيل في جسمه ، وياض الضحى في قوائمه .
 (٢٧) زجل (كفتح) : صفة من الزجل وهو الجلبة والتطريب ورفع الصوت ، ورفع كفتح . والقائمة : القمة المشرقة على الخلق في أقصى الفم . والصهيل : صوت القرس . والزرمة : الصوت البعيد له دوى وتتابع كصوت الرعد . والجني (كفتى) : السحاب يثرف من الأفق على الأرض ، أو الذي يهبط فوق بعض . والمرد : ذو الرعد .

(٢٨) متلفطاً : كثير الالتفات بوجهه يمنة ويسرة . والمرح : شدة الفرح والتشاش ، (وبابه طرب) والصبيا (بكسر الصاد) : صغر السن . ويريد بالشارب : شارب الخمر . والمتفرّد : الذي يرفع صوته مطرباً به .

(٢٩) السان (بكسر الهمزة) : سير الهجام الذي تمسك به الدابة . وثنيث العنان : قصرته . ويمطو : يمتطي ويتجتر . والسيد (بكسر السين) : الذئب والأسد . والردمة (يفتح فسكون) : شبه أكمة غشنة . والمتورّد : الجريء ، من قولهم : هو يتورّد المهاك ، أو الوردى اللون ، من قولهم خذ مورده ، وتورّد خذها .
 (٣٠) يطوي : يسلك ويقطع . والمهامه : جمع مهمه أو مهممة ، وهي المفازة البعيدة : أي الأرض الواصلة للمملكة والبلد المقطر . والفدند : الفلاة : وهي الأرض لا ماء فيها ، أو هو المكان الصلب الغليظ المرتفع ، أو الأرض المستوية .

(٣١) أحسّ بالشيء : شعر به ، رقى الأصل (إذا استحسن) ولم يجدها فيها بين أيدينا من المجاهات . والنبأة : الصوت الخفى . ولشدّه : الشد والجري . والمهممة : صوت الخروف في القصب ونحوه . والأبواء (كسحاب) : الأجمة من الحلفاء والقصب ، الواحدة بهاء . والموقد : اسم مفعل من أوقدت النار إشفاقاً ، أي أشعلتها .

صُلْبُ الصَّنَائِكِ لَا يَمُرُّ بِجَمْدٍ فِي الشَّدِّ إِلَّا رَضَ فِيهِ بِجَمْدٍ (٣٢)
 نِمْ الْعَتَادُ إِذَا الشَّقَاءُ تَقَلَّصَتْ يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْعَجَاجِ الْأَرْبَدِ (٣٣)
 وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ بَيْنَ غَطَارِفِ شَمُّ الْمَطَاطِينِ كَالْفُصُورِ الْمِيدِ (٣٤)
 يَتَلَاغِبُونَ عَلَى الْكُثُوسِ إِذَا جَرَتْ لَعِبًا يَرُوحُ الْجِدُّ فِيهِ وَيَتَغَدَّى (٣٥)
 لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ الْهُوَى فَكَلَامُهُمْ كَالرَّوْضِ مَضْقُولِ نَدَى (٣٦)
 مِنْ كُلِّ وَضَاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحُ لَيْلٍ أَسْوَدِ (٣٧)
 بَلْ رُبَّ غَائِبَةٍ طَرَقَتْ خِبَاءَهَا وَالنَّجْمُ يَطْرِفُ عَنْ لَوَاحِظِ أَرْمَدِ (٣٨)

= يريد أن صوت وقع حوافر القروس عند العدو يشبه أصوات الحطب المتقطعة عند اشتعال النار فيه.
 (٣٢) صلب : شديد قوى . والصنائك : جميع سبك (بضم السين والباء وسكون النون) . وهو طرف الحافر . والحلبد : الصخر كالجليد . والشد : العدو . ورض : دق ، وكسر ، (وبابه رد) .
 يقول : إن ذلك القروس صلب الصنائك ، إذا علا دق مضور الأرض بسناك كالصخور .

(٣٣) العتاد : العدة . وتقلصت : انزوت وانضمت وشمرت ، وارتفعت . وتقلص الشلاه : كتابة عن الشدة والبأساء . والكربة : الشدة في الحرب . والعجاج (بفتح العين) : القبار والدخان . والأربد : الأشهر الرمادي ، صفة من الربة (بضم فسكون) : وهي لون يختلط سواده بكثرة ، أو هي لون إلى الفيرة (بضم فسكون) .

(٣٤) غطارف : جميع غطريف (بكسر فسكون فكسر) ، وهو السيد الشريف ؛ والسخي : السرى ، والشاب : كالنطراف (بكسر فسكون) . وشم : جمع أشم ، صفة من الشم وهو ارتفاع قسبة الأنف وحسنها واستاء أعلاما . والمطاطين : جمع مطط (بكسر فسكون) : وهو الأنف . والميد : جمع مائد . اسم فاعل من مادت الأغصان أي تمايلت .

(٣٥) الكثوس : جمع كأس : وهي الإثاء يشرب فيه . قيل : ولا تسمى كأساً إلا فيها الشراب . والجد : (بكسر الجيم) : ضد المزل . وجرت الكثوس بينهم : دارت . ويروح وينتدى : يذهب ويهوى ، وأصل الرواح : الرجوع في المشي ، والاختفاء . والانطلاق في أول النهار . يقول : إنهم يلعبون على كثوس الشراب وهي تقوم بينهم لعباً يشوبه الجد .

(٣٦) الهوى : الحب . وييل النفس وانحرفاتها نحو الشيء . والروض : جمع روضة ، وهي أرض ذات بقل وعشب وزهر . ومضقول : مجلجول . وفد : مبتل فغير غص .

(٣٧) وضاح : أقر أبهى حسن اللون . والجبين : ما فوق الصدغ عن عين الجبهة ، أو جبالها ، وهما جبينان . ويحيط الليل : ظلامه واعتباطه ، أو طاقلة منه .

(٣٨) الغائبة : المرأة الغيبية يحسنها عن الزينة . وطرق (من باب دخل) : جاء ليلاً . والنجاء : هبت من وبرأ وصوف ، ينصب على عمود من أو ثلاثة . ويطرف : مضارع طرف بصره (من باب ضرب) إذا =

قَالَتْ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى : فَضَحْتَنِي
فَمَسَحْتُهَا حَتَّى إِطْمَأَنَّ فُؤَادُهَا
وَخَرَجْتُ أَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ مِنَ الْعِدَا
فَلَنَنِمَ ذَلِكَ الْعَيْشُ لَوْ لَمْ يَنْقُصِ
يَرْجُو الْفَتَى فِي الدَّهْرِ طَوْلَ حَيَاتِهِ
وَتَعْيِيهِ . وَالْمَرْءُ غَيْرُ مُخْلَدٍ (٣٧)

«أطبق أحد جفنيه على الآخر ، وطرف البصر (من باب ضرب أيضاً) أى تحرك جفناه . والواحد : جمع لاحظة : بمعنى ناظرة ، والمراد الميؤن . وأريد : صفة من الرصد ، وهو مرض يصيب العين فيجبها . (٣٩) الشأن : الأمر والحال . والرصد : موضع الرصد (يفتحين ، أو يفتح فكون) وهو : الارتقاب والانتظار .

(٤٠) المسح (كالمسح) : إمرار اليد على الشيء . والروقة : الفرزة والخوف . والرأى المصد : بصيغة اسم المفعول) : المصنف الشديد المحكم الصائب .
(٤١) العدا : اسم جمع لعدو . وتلثاً : اسم فاعل من تلثم أى شدّ اللثام ، وهو ما كان على النعم من التثاقب .

(٤٢) ينقص وينتد : يفتى وينتظم .

(٤٣) غير مخلد : غير باق ولا دائم .

القصيدة التاسعة عشرة

وَقَالَ يَذُمُّ رَجَالَ الْحُكُومَةِ الْأَمْتِيَّةِ إِيَّيْهِ فِي عَهْدِ إِسْمَاعِيلَ خَلِيدٍ مِصْرَ^(٥)
كَرَّمُ الطَّنْبَرِ شَيْمَةُ الْأَمْجَادِ وَجَفَاءُ الْأَخْلَاقِ شَأْنُ الْجَمَادِ^(١)
لَنْ يَسُودَ الْفَتَى وَلَوْ مَلَكَ الْحِكْمَ مَهْ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَجْوَادِ^(٢)
وَلَعَمْرِي لَرَقَّةُ الطَّنْبَرِ أَوْلَى مِنْ عِنَادِ يَجْرُ حَرْبُ الْقَسَادِ^(٣)
قَدْ يَنَالُ الْحَلِيمُ بِالرَّفَقِ مَا لَيْدٍ سَ يَنَالُ الْكَمِيُّ يَوْمَ الْجِلَادِ^(٤)

(٥) جاءت هذه الأصحوة في ثلاثين بيتاً . نشر منها في الطبقات السابقة أربعة وعشرون بيتاً ، أما ستة الأبيات (٢٠ - ٢٥) فإنها لم تنشر من قبل لأنها مطبوعة في أصل الديوان المخطوط الذي بين أيدينا . وجهد وبمناطة قرأناها ، ونشرناها في هذه الطبعة ، مع كل ما استعملنا قراءته من المطبوعات [تماماً] لفائدة ، وحرصاً على منفعة القارئ والدارس .

(١) الشيمة : الفريز أو الطليعة والجليلة التي خلق الإنسان عليها ، وجمعها شيم (بكسر ففتح) ، والأمجاد : جمع على غير قياس لماجد أو مجيد : وهما صفتان من المجد : وهو الكرم والعز والشرف ، والمجيد : الرقيق المال ، والكرام الشريف الثمال ، (وفعله كنصر وكرم) . والجفاء : الغلظة والغلظة . والشأن : الأمر والحال .

(٢) ساد قومه يسودهم (من باب كتب) سيادة : صار سيدهم ، ورتبهم المطاع . والاسم السوود : وهو المجد والثرف والرآسة . والحكمة : العدل والعلم والحلم . والأجواد : جمع جواد ، وهو السخي الكريم . (٣) العمر : الحياة ، ولعمري : وحياتي . وأول : أحق وأحرى وأجدر ، والمراد أقرب إلى الخير . والناد : مصدر عانده ومعانده وعناداً : إذا ركب الخلاف والعصيان ، ورد الحق وهو يرميه . وحرب الفساد : الحرب المؤدية للفساد ، أو الفساد الشيء بالحرب .

(٤) الكي : الشجاع المتكفي في سلاحه ، أي المتخطي المستتر بالدروع والبيضة ، وجمعه الكاة . والجلاد : القتال ، مصدر جالده بالسيف : أي ضاربه .

لَفَقَرْنَ الْحِلْمَ بِالسَّاحَةِ تَبَلُّغَ كُلِّ مَا رُمَتْ نَيْلُهُ مِنْ مُرَادٍ (٥)
 وَضَعُ الْبِرِّ حَيْثُ يَزْكُو لِيَتَجَنَّى نَمَرَ الشُّكْرِ مِنْ غِرَاسِ الْأَيْدِي (٦)
 وَاحْتَلَرَ النَّاسَ مَا اسْتَطَعَتْ فَإِنَّ اللَّهَ أَسْ أَخْلَاسَ خُدَعَةٍ وَقَعَادِي (٧)
 رَبُّ خِلٍّ تَرَاهُ طَلَقَ الْمُحَيَّا وَهُوَ جَهْمُ الضَّمِيرِ بِالْأَحْقَادِ (٨)
 فَتَمْلَأُ مَوَاقِعَ اللَّحْظِ تَعْلَمُ مَا طَوَّنَتْ صَحَائِفُ الْأَعْيَادِ (٩)
 إِنَّ فِي الْعَيْنِ وَهُوَ عُضْوٌ صَغِيرٌ لَكَيْسَلًا عَلَى خَبَايَا الْفُؤَادِ (١٠)
 وَأُنَاسٍ صَحِيحَتْ مِنْهُمْ ذِقَابًا نَحَتْ أَثْوَابَ أَلْفَةِ وَوِدَادِ (١١)

(٥) قرن الشيء بالشيء : وصله به ، (وبابه ضرب ونصر) . والحلم : الأناة والصبر والعقل .
 والساحة : الجود والكرم والسخاء . ورأى الشيء : طلبه . (وبابه قال) .

(٦) البر : الخير ، والفصل ، والصلة ، والاتساع في الإحسان . ويذكر : ينسى ويؤيد .
 وجنى الثمرة (من باب رمى) : التفتتها . والغراس (بكسر اللين) : الشجر المفروس : فعال بمعنى مفعول .
 مثل بساط بمعنى مسوط . أو هو : جمع غرس : بمعنى مفروس ، من غرس الشجر يفرسه (من باب
 ضرب) : أى أثبت في الأرض . والأيدى : جمع الأيدى : جمع يد ، وهى (هنا) : بمعنى
 النعمة ، وغراس الأيدى : التمس المفروسة .

(٧) أخلاس : جمع حلس (بكسر فسكون) : وهو كساء يوضع على ظهر البعير والحمار والغرس
 ونحوها تحت البردة أو السرج أو نحوها ، ومن كلام العرب : هو حلس بيت : إذا لم يبرح مكانه ،
 والخدعة (بتشديد الخاء) : الخديعة ، وهما أسنان من خدعه (كنهه) : إذا ختله ، وأراد به المكروه من حيث
 لا يعلم كاختدعه ، وأخلاس خدعة : ملازمون للخداع . والتعاضد : مصدر تعادى القوم : أى عادى بعضهم بعضاً .

(٨) الخلل : العائق . والطلاقة : الانبساط والبشر ، (وبابه ظرف) ، ورجل طليق الوجه ، وطلق
 الوجه : فرح ، ظاهر البشر ، مهلبس بسم . والهيأ : الوجه . وجهه : كالح كدر ، وأصله من قولهم :
 رجل بهم الوجه : أى بامر الوجه كالحه . والأحقاد : جمع حقد (بكسر فسكون) : وهو الانطواء على
 العداوة والبغضاء .

(٩) المواقيع : المساقط : جمع موقع : وهو اسم مكان من وقع الشيء وقع وقوعاً : أى سقط
 ، والخط : الخطر . وطوى الحديث : كنهه وأخفاه . ويريد بالأكياد : القلوب .

والمعنى : أن نظرات العين تظهر ما يضمرة الإنسان . وسيصرح بهذا في البيت الآتي
 (١٠) خبايا : جمع خبيثة : وهى ما خفى رستر . وكان الأول أن يقول « وهى عضو » .

(١١) وأناس : الوار (هنا) : وارو رب . أى : ووب أناس ، ووب : سرف خافض
 يكون للتقليل غالباً ، ويدخل على التكرار دائماً . والأناس : لغة في الناس . والألفة (بوزن النثرة) =

يَتَمَنُونَ لِيَ الْغِيَارَ ، وَيَلْقَوْا فِي بَوَاجِئِهِ إِلَى الْمَوَدَّةِ صَادِي (١٣)
سَابِقُونِي فَقَصِّرُوا عَنْ لَحَاقِي إِنَّمَا السَّبْقُ مِنْ نَحْصَالِ الْجَوَادِ (١٣)
أَنَا مَا بَيْنَ نِعْمَةٍ وَحُسُودٍ وَالْمَعْصِي كَثِيرَةٌ الْحُسَادِ (١٤)
فَلْيَمُوتُوا بِبَيْظِهِمْ ، فَاحْتِمَالُ أَلْ تَحِيطُ مَوْتُ لَهُمْ بِإِلَاحِدَةٍ (١٥)
كَيْفَ تَبْيَضُّ مِنْ أَنَاسٍ وَجْهُهُ صَبَغَ اللَّوْمُ عَرَضَهُمْ بِسَوَادٍ؟ (١٦)
أَظْهَرُوا زُخْرُفَ الْخَدَّاعِ ، وَأَخْفَوْا ذَاتَ نَفْسٍ كَالْجَمْرِ تَحْتَ الرَّمَادِ (١٧)
فَقَتَرَى الْمَرْءَ مِنْهُمْ صَاحِبُكَ السَّ نَّ وَفِي تَسْوِيدِهِ دِمَاءُ الْعِبَادِ (١٨)
مَعْتَرٍ لَا وَلِيَدُهُمْ طَاحِرُ الْمُهْ لِي ، وَلَا كَهْلُهُمْ عَفِيفُ الْوَسَادِ (١٩)

= اسم من ألفت الشيء (من باب علم) : أى أنت به ، وأحببته . أو هى اسم من الائتلاف : وهو الائتلاف والاجتماع . والوداد : الود . والحب .

(١٢) الغيار : التمس ، والزلل ، والكيد ، والسقوط . والمودة : المحبة . وصاد : صديان عشان .

(١٣) اللحاق (يفتح اللام) : مصدر لحقه ، ولحق به (من باب سمع) أى أدركه . والجواد من الخيل :

الكرام الجيد الرابع .

(١٤) المعالي : جمع معلاة (يفتح فسكون) : وهى الزفة والشرف ، كالعلما ، والمعلماء .

(١٥) الفيظ : غضب كامن للماجز . يدعو على حساده بالموت غيظاً ، ويقول : إن أحبال

الفيظ موت دائم لهم .

(١٦) الأناس (بضم الهَمْزة) : لغة فى الناس . واللوم : دناءة الأصل ، وشع النفس ، والخسة ،

والمهانة . والعرض : النفس ، أو الحسب .

(١٧) الزخرف (فى الأصل) : الذهب ، ثم يشبه به كل موه مزور . والخداع : مصدر

خادعه : أى ختله ، وأراد به المكره من حيث لا يعلم . والجمر : القطع الملتبئة من النار ، الواحدة

جمرة (يفتح فسكون) .

(١٨) المعنى : أن الواحد من هؤلاء المذمومين يظهر المسألة والبشاشة وهو فى الحقيقة مفتاح

قاتل سفاك ويلاحظ أن النون الثانية المكسورة من كلمة « السن » هى أول الشطر الثانى .

(١٩) المعنى : الجماعة من الناس . والولد : الصبي والصغير . والمهد : الموضع حيثما للصبي ويربأ .

والكهل : من وخطه الشيب أى خالطه ، أو هو من جاوز الثلاثين ، أو أرباً وثلاثين إلى إحدى وخمسين .

وعفيف : صفة من العفة ، وهى الكف عن الحرام ، والامتناع عما يشين . والوساد : المتسكأ والمهدة .

وعدم طهر المهد ، وعدم عفة الوساد : كناية عن اختلاط الأنساب ، وارتكاب الفواحش والمنكرات .

حَكُمُوا بِمِصْرَ وَهِيَ خَاصِرَةٌ لِلدُّنْيَا ، (فَأَمْسَتْ) وَقَدْ خَلَّتْ فِي الْبَوَادِي^(٢٠)
أَصْبَحَتْ مَنَزِلَ الشَّقَاءِ ، وَكَانَتْ جَنَّةً لَيْسَ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ^(٢١)
وَقَعُوا بَيْنَ (رِيْفَهَا وَفَرَاهَا) بِضُرُوبِ الْقَسَادِ وَقَعَ الْجَرَادُ^(٢٢)

(٢٠) واو الجساسة في « حكروا » : غسبر : المهجورين في الآيات السابقة : وهم رجال الحكومة الاستبدادية في عهد إسماعيل خديو مصر . والواو في كل من الشطرين الأول والثاني : واو الحال . والجسلة بعد كل منهما : جملة حاليتها . وخصارة البلاد : المدينة الكبيرة التي يقيم فيها رجال الحكومة . ويراد بها مصر الدنيا : أن مصر كانت - قبل أن يحكمها هؤلاء المهجورين - ناهية الشأن ، عظيمة القدر بين ملك العالم ، وأقطار الأرض . والكلمة التي بين قوسين في أول الشطر الثاني « فأمست » تكله اجتهدية من عندنا لتعبر في هذا البيت المظلمين ، وبها استقام وزنه ، وتمّ معناه . وأمسّت : صارت . والإنسان في الأصيل : الدخول في وقت المساء . وهو خلاف أصبح (إصباحاً) . وشلت : مضت ، وذهبت . (رواية ساء) . والبوادي : جمع البادية : وهي الصحراء . والبادية : خلاف الحاضرة . والبادوة : ضد الحاضرة .

وصم حكم المهجورين بالفساد والإفساد ، إذ تأخرت مصر في عهدهم ، وفقدت بفساد حكمهم ما كان لها من حضارة ، وإزدهار ، ورفاهة ، وصيت واسع بعيد ذائع . وصارت شبيهة بالبوادي في الإهمال والخلول ، وشقاء العيش ، وبخفاء الحياة .

(٢١) يريد أن مصر شقيت ، وشقي أهلها بحكم هؤلاء المهجورين ، بعد أن كانت من أعظم بلاد الله سعادة ، وحضارة ، ونضارة ، وعمراناً . وهو تكرر لمعنى البيت السابق .

(٢٢) وقع وقعاً (من باب وضع) : أي سقط . والمراد : نزل ، وتنقل . أو هو من قولهم : وقع إلى كذا وقعاً : أي ذهب إليه ، وانطلق مسرعاً . وفي القرآن الكريم : « قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب » الآية رقم ٧١ من سورة الأعراف . وفيه : « ولما وقع عليهم الرجز قالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك » الآية رقم ١٣٤ من سورة الأعراف . ويلاحظ أن هذا الفعل يستعمل كثيراً في الشر والعذاب . وما بين القوسين في هذا البيت تكله اجتهدية من عندنا ، جعلناها مكان الكلمات التي يوقع في عسبها ؛ فلم نستطع قراءتها . والريف : أرض لها زرع وغصب . ويراد بالقرى : ما عدا الريف : أي المدن والأصوار ، والأبنية المتصلة الأهلة العامة . الواحدة قرية . وضروب : صنوف ، وأنواع ، وألوان : جمع ضرب (بفتح فسكون) . والجراد : فسيلة من الحشرات المستفهمة الأجنبية . الواحدة جرادة للذكر والأنثى . ومن أنواع الجراد ما يتزايد ، ويكثر ، ويغزو الزرع والشجر والثمار ، فلا يبقى ، ولا يذر . قيل : وإنما سمي بذلك ؛ لأنه يجرد الأرض جرذاً : أي يأكل كل ما عليها .

صوّر الشاعر في هذا البيت ما ذاع وشاع ، وعمّ البلاد والبقاع من سوء حكم المهجورين ، وإفسادهم . وقال : إنهم افتتنوا في الشر والفساد ؛ فكان ضرورياً وأنواعاً . وفي تشبيه وقعهم بوقع الجراد روعة وبلاغة .

فِي زَمَانٍ قَدْ كَانَ لِلظُّلْمِ فِيهِ أَثَرُ النَّارِ فِي هَشِيمِ الْقَتَادِ (٢٣)
 حِينَ لَمْ يَرْحَمْ الْكَبِيرُ بَوَلَمَ يَهُ عَطَفَ عَلَى الْأُمَهَاتِ وَالْأَوْلَادِ (٢٤)
 تَحْتَ (رِجْزٍ) مِنَ الْعَذَابِ مُهِنٍ وَمُيَبِّرٍ مِنَ الْأَذَى رَعَادِ (٢٥)
 فَلَكَ آثَارُهُمْ تَذُلُّ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ جَفْوَةٍ وَتَبَادَى (٢٦)
 لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ الْعَمَالَى لِلْفَتْحِ رِكَمَنْ يَطْلُبُ الْعَالَى لِلزَّادِ (٢٧)
 وَقَلِيلًا مَا يَصْلُحُ الْمَرْءَ لِلْجَبِّ إِذَا كَانَ سَاقِطَ الْأَجْدَادِ (٢٨)

(٢٣) الهشيم : المهشوم ، المتحطم ، المتكسر . والقناد : شجر صلب ، له شوك كالإبر .
 في البيت السابق وصف المهجورين وحكمهم بالفساد ، والافتتان في الإسفاف . وملها البيت
 تخصيص بعد تعميم ؛ فإن الظلم من ضرب الفساد . والشطر الثاني تصوير لفضاعة ظلمهم
 وشناعته ؛ فإن النار في هشيم القناد حقيقة الأثر ، باللغة الضرر .

(٢٤) يراد بالكبير : الهرم ، للتقدم في السن . ويراد بالأولاد : الأطفال ، والولدان .
 والفرس التنديد بفظاظة المهجورين ، وغلظ طباعهم وأكبادهم ، وتجردهم من العطف والرحمة
 وقسوتهم حتى على الضعفاء من بني الإنسان ، وقد يكون المعنى أعم من هذا ؛ فالمهجورون أشاعروا
 بين الناس الظلم الفساد ؛ ففسدت أخلاقهم ، وقست قلوبهم ، وتقطعت بينهم أواصر المودة
 والرحمة ، وقلَّ التعاطف والتناصر ، وغاض الرحام والتعاون ، وشقَّ الضعفاء كلَّ الشقاء .

(٢٥) ما بين القوسين في الشطر الأول « رِجْز » تكلمة من عندنا اجتهدية ظنيّة ، جعلناها
 مكان ما يبلغ في طمسه ؛ فلم نستطع قراءته . والرجز (بكسر فسكون ، أو بضم فسكون) :
 العذاب . أو أشدّه ، وأسوؤه . والرجز (في الأصل) : الاضطراب . وسمي العذاب
 رِجْزاً ؛ لما فيه من الفزع والاضطراب . و « من » في شطري البيت : بيانية . ومهين : مذلّ ،
 مخزّ : اسم فاعل من أهانه إهانة : أي استخفّ به وأذلّه ، واستهزأ به ، واستحقّره .
 ومبير : مهلك مرد : اسم فاعل من أباره إبارة : أي أهلكه وأرداه . ورَعَادٌ : كثير الرعد : وهو صوت
 السحاب . والمراد أنه أذى شديد مبيد .

(٢٦) الخفية : الخفاء والإعراض . والحيادي : المهاجرة بالمدارة .
 (٢٧) المال والبالا : الرقة والملاء والشرف ، الأول جميع ملاءة (بفتح الميم وسكون البين) ،
 والثانية جمع عليا ، مثل كبرى وكبر . والزاز في الأصل : طمام يتخذ للسفر .
 والمعنى : أن الذي يطلب المعالي للفخار والمباهاة بالمكارم والمناقب خير من ذلك الذي يطلبها
 للعالم وعرض الدنيا .

(٢٨) الجبد : العظمة والملاء . والأجداد : جمع جد (بفتح الجيم أيضاً) وهو أبو الأب وأبو الأم .

فَاغْتَصِمَ بِالنُّهَى تَفَرَّ بِنَعِيمِ الدُّهُرِ غَضًّا ، فَالْعَقْلُ خَيْرٌ عِتَادٍ (٢٩)
 إِنَّ فِي الْحِكْمَةِ الْبَلِغَةِ لِلرُّوحِ غِذَاءٌ كَالطِّيبِ لِلْأَجْسَادِ (٣٠)

(٢٩) اعتمد بالشئ : استمسك به وتقرى واستغ . والنهى : العقل ، أو هو جمع نهية (بضم
 مكون) وهى العقل ، لأنها تنهى عن الفحاح . وغضاً : فاضراً حسناً . والعناد : المدة . يقال : أعند للأمر
 عتاده ، وهو ما أعدّه من السلاح والدواب وآلة الحرب ونحوها .
 (٣٠) الحكمة : القول المصائب .

القصيدة العشرون

وقال يَزْرِي زَوْجَهُ • وَقَدْ وَرَدَ إِلَيْهِ نَعِيهَا وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ (**) :
أَبَدَ الْمَوْتِ ! فَلَحَسَ أَى زِنَادٍ وَأَطْرَتِ أَيْةَ شُعْلَةٍ بِفُرْدَى (١)

(•) يقال : هم زوج فلان ، وزوجته ، وامراته ، وقرينته ، وسليته . وفي القرآن الكريم « قلنا يا آدم ، اسكن أنت وزوجك الجنة » الآية ٣٥ من سورة البقرة . والمرثية هذه القصيدة : « عدلة يكن » بنت المشير « أحد يكن باشا » : الزوجة الثانية للبارودي . تزوجها سنة ١٨٦٧ وسنها تسع عشرة سنة ، وسنه ثمان وعشرون سنة . وأنجب منها ابناً واحداً ، وأربع بنات . وتوفيت بالقاهرة سنة ١٨٨٣ وهي في السابعة والثلاثين . ونعت إلى سرنديب ؛ فرثاها بهذه الالة المطرولة (٦٧ بيتاً) . وولاه الزوجات غير مألوف في البيعة العربية ، وقليل جداً في الشعر العربي ؛ فهي من المراتى اباكيات البقيات ، ومن الروائع والبدائع الطارئة على فنون الشعر العربي .

(••) سرنديب (سيلان) : جزيرة كبيرة بالمحيط الهندي ، في الجنوب الشرق الهند . سكانها نحو عشرة ملايين نسمة ، أكثرهم هذيين ، وفيهم قلة من المسلمين وحاضرتها وأهم موانئها «كولبو» . ولها بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي قصدها تجار العرب ، وسموها «سرنديب» . وفي أواخر القرن الثامن عشر استولى عليها البريطانيون بعد البرتغاليين والهولنديين . وفي سنة ١٩٤٨ انتهى الحكم البريطاني وأصبحت «سيلان» دولة مستقلة في نطاق الكومنولث البريطاني . وقد نزل البارودي إليها مع ستة من قادة الثورة المرابية بعد إخفاقها في صفر سنة ١٣٠٠ هـ (ديسمبر سنة ١٨٨٢ م) .

(١) الهذرة في أولعذا البيت : حرف نداء . والمتون : المنية والموت ، وهي مؤنثة . وقدح الزند : أدراه : أى أخرج ناره . والزناد : جمع زند (بفتح فسكون) : وهو الحديد ، أو العمود الذى تقده به النار ، وهو الأعلى ، والسفل زنده . وقدح : ضرب أحد الزندين بالآخر لإخراج النار منهما ، وأتى في مثل هذا الموضع تفيد التحطيم والتفخيم ، والتهويل ، ومثلها أَيْة في الشطر الثاني . والشعلة : لمب النار ، وجمعها شعل (بضم قفتح) .

أَوْفَنْتِ عَزِي وَهُوَ حَمْلَةٌ فَبَلَقِي وَحَطَمْتَ عُودِي وَهُوَ رُمَحُ طِرَادٍ (٢)
لَمْ أَذِرْ هَلْ خَطَبٌ أَلَمْ بِسَاحَتِي فَأَنَاخَ ، أَمْ سَهْمٌ أَصَابَ سَوَادِي (٣)
أَقْلَى الْعَيْنِ فَأَسْبَلْتُ بِمَدَامِيعِ تَجْرِي عَلَى الْخَذَنِيِّ كَالْفِرْصَادِ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَرَاغٌ لِحَادِثِ حَتَّى مُنِيتُ بِهِ فَأَوْفَنْتِ آدِي (٤)
أَبْلَغُنِي الْحَسْرَاتُ حَتَّى لَمْ يَكْذُ جِنْسِي يَلُوحُ لِأَعْيُنِ الْعَوَادِ (٥)
أَسْتَجِدُّ الزُّفَرَاتِ وَهِيَ لَوَافِحُ وَأَسْفُهُ الْعَبْرَاتِ وَهِيَ بَوَادِي (٦)

(٢) أوفنت : أضعت . واليزم : الإرادة القاطعة القويّة . والحملة : الكرّة في الحرب .
والنلق : الجيش ، أو الكتيبة العظيمة منه . وحطمت : كسرت ، (وبابه ضرب) . والعود من الخشب
معروف ، ويريد به (هنا) : جسمه . والطراد : مصدر طلّده يطارده مطاردة وطراداً ، ومطاردة الأقران :
حمل بعضهم على بعض في الحرب ونحوها .
يقول مخاطباً الموت : إنك أضعت عزي وكان شديداً قريباً كحملة الكتيبة العظيمة من الجيش ،
وكسرت جسمي وكان صلباً متيناً كرمح القتال والطعان .

(٣) الخطب : النازلة الشديدة من نوازل الدهر . وألم به : نزل . والساحة : الموضع المتسع أمام
الدار . وأناخ : استقر وأقام . والسهم : واحد النبل (يفتح فسكون) ، وهو ما يرى به الصائد ونحوه من
القبول ونحوها . وسواد الإنسان وبهره : شخصه . وسواد القلب : حبه ، كسويدانه . وكان الأول
أن يستفهم هنا بالهمزة بدل « هل » .

(٤) ألقى : أى الخطب . وأقلى العين : جعل فيها القلى : وهو ما يسقط في العين فيهيجهما ،
ويسيل دموعها . وأسبلت العين الدمع : أرسلته . وأسبل الدمع : هطل ، وتنايع ، وانصب . والمدامع : المآقي ؛
وهي أطراف العين ، ويجارى الدموع ، والمراد بها هنا : الدموع . والفِرْصَاد (بكسر فسكون) : صبيح أحمر .
(٥) أحسبني : أظنني . وأراغ (بالبناء للمفعول) : أفرغ وأخاف . وحادث الدهر : واحد
حوادثه ، وهي نوبه ونوازله . ومنيت : أبليت واختبرت (بالبناء للمجهول في الثلاثة) . وبه أى
هذا الحادث . وأوفنت : أضعت . والآد : القوة .

(٦) أبلقى : أنطقني وهزلني ، وأسلها من أبل الإنسان ثوبه : أى صيرته بالياً غلقاً . والحسرات :
جميع حسرة : وهي التأسف والتلهف الشديد على الشيء الفائت . ويلوح : يبدو ويظهر ، والمواد :
جميع عائله : اسم فاعل من حدث المريض أهوه عياده (بكسر العين) .

(٧) أستجد الزفرات : أستعين بها على تخفيف الحزن . والزفرات : جميع زفرة (يفتح فسكون) :
وهي إخراج النفس طويلاً متدوراً . ولوافح : جميع لائحة أى محرقة . وأسف العبرات : أنسها إلى السفة
(يفتح) : وهو الجهل ، والعلش : ونخفة النفس لنقصان العقل . والعبرات : جميع عبرة (يفتح
فسكون) : وهي الدفعة قبل أن تنفيس ، أو تردد الكآبة في الصدر . وبوادي : جميع بادية أى ظاهرة =

لَا لَوْ عَنِي تَدْعُ الْفَوَادُ ، وَلَا يَلِي تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادِي^(٨)
 يَا دَهْرُ ، فِيمَ فَجَعَنْتَنِي بِحَلِيلَةٍ ؟ كَانَتْ خُلَاصَةً عُدَّتِي وَعَتَادِي^(٩)
 إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرَحِّمْ ضَنَائِي لِيُعْدَهَا أَقْلًا رَحِمْتَ مِنْ الْأُمَى أَوْلَادِي^(١٠)
 أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنْعَنْ تَوْجَعًا قَرَحَى الْعُيُونِ رَوَاجِفَ الْأَكْبَادِ^(١١)
 أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ ، وَصَنَّ مِنْ دُرِّ الدَّمُوعِ فَلَانِدَ الْأَجْيَادِ^(١٢)
 يَبْكِينَ مِنْ وَلَهٍ فِرَاقَ حَفِيَّةٍ كَانَتْ لَهُنَّ كَثِيرَةً الْإِسْعَادِ^(١٣)
 فَخُدُّدُهُنَّ مِنْ الدَّمُوعِ نَدِيَّةٍ وَقُلُوبُهُنَّ مِنَ الْهُومِ صَوَادِي^(١٤)

«واللهي : أستعين على تخفيف لوحة الحزن ، وإطفاء ناره بالزفرات وهي محرقة ، وأنسب العبرات إلى السفه حينما تسيل وتنهجر .

(٨) الأوبة : حرقه الحزن وألمه . والغادي : الذهاب ، وأصله من الغدر : وهو الذهاب في أول النهار .
 (٩) فجعه (كنهه) : أوجعه . والحليلة : الزوجة . وشلاصة الشيء : غيابه ، وما خلص منه . والعدو : والمتاد : ما بعده المره لا تتعد حوادث الدهر ، كالمال والسلاح وآلات الحرب وغير ذلك ، ويقال : أعل للأمر عتاده وعدته ، أي تأهب له واستعد .
 (١٠) الأمى : مصدر شئ يقضى (من باب صدى) : أي مرض مرضاً غامراً ، كلما ظن برؤى نكس . والأسى : الحزن ، (وبابه صدى) .

(١١) أفردتهن : الخططاب للدهر ، والضمير يعود إلى « الأولاد » في البيت السابق ، والولد يطلق على الذكر والأنثى . يقول : إنك أيها الدهر جعلت فتيات وحيدات منفردات ، قد غيب النى أباهن ، وغيب الموت أمهن . وتوجعاً : مصدر توجع : بمعنى تشكى وتألّم ، أي لم ينسب بسبب التراجع والتألم . وقرحى : جمع قريح بمعنى مقروح : أي مجروح . والمراد أن عيونهن تفرحت لكثرة البكاء . ورواجف جمع راجفة : أي مضطربة . والمراد بالأكباد : القلوب . وكفى برجيف أكبادهن عن اضطراب حللن ، وما أصابهن من الفزع والرهب .

(١٢) الدر : جمع درة : وهي اللؤلؤة العظيمة : والمعقود جمع عقد (بكسر فسكون) : وهو القلادة . وصاغ الصائغ الذهب ونحوه يصوغه صوغاً : جملة حلياً . والأجباد : جمع جيد (بكسر الجيم) : وهو المتق .
 (١٣) الوله (يفتح الواو واللام) : الحزن ، أو ذهاب العقل حزناً . والحفية : صفة علوزن فعيلة بمعنى ناعلة من حن به (كرشى) حفاوة : إذا بالغ في إكرامه ، وأظهر السرور والفرح به ، وأكثر السؤال عن حاله . والإسعاد : مصدر أسعد : أي جعله سعيداً ، أو أسعد : بمعنى أعانه .

(١٤) ندية : مبتلة . والميوم : جمع هم : وهو الحزن . وصواد : جمع صاد : أي عطشان . في الشطر الأول أن دموعهن لا تفتأ تجري على خدودهن : فهي على الدوام ندية بكثرة بكائهن . وفي الشطر الثاني أن قلوبهن محترقة بسبب الحزن والجزع والمهم الشديد .

أَسْلِيلَةَ الْقَمَرَيْنِ ! أَى فَجِيعَةٍ
 أَعَزُّ عَلَى بَيَانِ أَرَاكِ رَهِينَةً
 أَوْ أَنْ تَبِينِي عَنْ قَرَارَةٍ مَنَزِلٍ
 لَوْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ يَقْبَلُ فِدْيَةً
 أَوْ كَانَ يَرْهَبُ صَوْلَةَ مِنْ قَاتِكَ
 لَكُنْهَا الْأَقْدَارُ لَيْسَ بِنَاجِعٍ
 فَبَأَى مَقْدِرُهُ أَرُدُّ يَدَ الْأَمْسَى
 حَلَّتْ لِفَقْدِكَ بَيْنَ هَذَا النَّادَى (١١) ؟
 فِي جَوْفِ أَغْبَرٍ قَاتِمِ الْأَسْدَادِ (١٢)
 كُنْتُ الضِّيَاءَ لَهُ بِكُلِّ سَوَادٍ (١٣) !
 بِالنَّفْسِ عَنْكَ ؛ لَكُنْتُ أَوَّلَ قَادِي (١٤)
 لَفَعَلْتُ فِعْلَ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ (١٥)
 فِيهَا سَوَى التَّسْلِيمِ وَالْإِخْلَادِ (١٦)
 عَنِّي وَقَدْ مَلَكَتْ عَيْنَانِ رَشَادِي (١٧) ؟

(١٥) السليل : الولد ، والأثنى سليله . القمران : الشمس والقمر ، وأراد بالقمرين : أبوهما
 العظيمين الماجدين . والفجعة : الرزية والمسيبة . وحلت : نزلت . ويراد بنادى الشاعر : أهله ،
 وعشيرته ، ومن يحزنون لحزنه .

(١٦) عز عليه أن يكون كذا بمنزلة (كَيْفَلٌ وَجِلٌ) : صعب واشتد . وrehينة : محبوسة . وفي جوف
 أغبر : في جوف قبر أغبر . وأغبر : سفرة من التبر (بضم نسكرن) : وهي لون الثياب . وقام : أسود مغبر ،
 سفرة من القفصة (بضم نسكرن) : وهي سواد ليس بشديد . والأسداد : جمع سد (يفتح العين) : وهو
 الحاجز بين الشيئين . والمراد الجدران .
 (١٧) العين : الفراق واليهد ، (وبابه باع) ، والقرار والقرارة : ما قر فيه الإنسان ، أى

ثبت وسكن واستقر . والسواد : الظلام . وقد يكون المراد به : سواد العين ، أو سواد القلب
 (١٨) فداء : يلديه فداء وفدى (بالمد والقصر) : أعطى شيئاً فأفقهه ، والفدية : ذلك الشيء المعطى .

يقول : لو كان الدهر يقبل أن تغدى نفس بنفسى لكنت أكل من يغدبك .

(١٩) يرهب : يخاف ، (وبابه طرب) . والصولة : السطوة ، والاستطالة ، والوئوب ، والمهجوم . وفانك :
 جرى ، شجاع : وهو اسم فاعل من نكك به : أى انتهر منه فرصة فقتله ، أو جرحه مجاهرة . والحارث بن عماد
 الهكري : كان من سادات العرب وشراشهم وأبطالهم في الجاهلية ، ومن أيامه المشهورة يوم مقة (بفتح
 مكسورة وضاد مشددة) : وهي موضع كانت فيه وقعة كبيرة بين قبيلتي بكر وقلب ، ويوم تلاق
 القم الذي انتصر فيه لقومه بنى بكر من بني عمهم «قلب» قزم كليب في حرب البسوس المشهورة .

(٢٠) الأقدار : جمع قدر (يفتحين) وهو القضاء الذي يقدره الله تبارك وتعالى . وليس بنافع :

ليس بنافع ، وهو اسم فاعل من نجع الدواء ونحوه : إذا ظهر أثره ، (وبابه خضع) . والتسليم : مصدر
 سلم أمره لله : أى رضى بحكمه . والإخلاص : مصدر أخذ إليه : إذا ركن ، وسكن إليه ، وأطاع ،
 والمراد بالإخلاص إلى قضاء الله تعالى وقدره ، والرضا بحكمه ، والصبر على بلائه .

(٢١) المقدرة (مثلة الدال) : القدرة والقوة . والأسى : الحزن . والمنان : سير الجبال التي تمسك
 به الدابة . والرشاد : الهدى والصلاح ، وهو ضد النى والجهل والنساد .

أَفَأَسْتَعِينُ الصَّبْرَ وَهُوَ قَسَاوَةٌ ؟ أَمْ أَصْحَبُ السَّلْوَانَ وَهُوَ تَعَادِي (٢٣٦)
 جَزَعُ الْفَتَى سِمَةُ الْوَفَاءِ ، وَصَبْرُهُ رَغَى الْأَحْقَادِ (٢٣٧)
 وَمِنْ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الْأَسَى رَغَى التَّجَلُّدِ وَهُوَ غَيْرُ جَمَادٍ (٢٣٨)
 هَيْهَاتَ بَعْدَكَ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي أَسْفًا لِيُعْذِرَكَ ، أَوْ يَلِينَ مِهَادِي (٢٣٩)
 وَلَهِيَ عَلَيْكَ مُصَاحِبُ لِمَسِيرَتِي وَالنَّمْعُ فِيكَ مُلَازِمٌ لِيُوسِدِي (٢٤٠)
 فَإِذَا انْتَبَهَتْ فَأَنْتَ أَوَّلُ ذِكْرَتِي وَإِذَا أُوْتِيتَ فَأَنْتَ آخِرُ زَايِدِي (٢٤١)

(٢٣٦) استعنته ، واستعنت به ، فأعانتني . والقساوة : القسوة ، مصدر قسا قلبه : إذا غلظ واشتد . وصحبه (من باب سلم) صحابة (بفتح الصاد) وصحبة (بضم الصاد) . والسَّلْوَان (بضم السين) : مصدر سلاه ، وسلا عنه (كدهاء ورضيه) : أى صبر عنه ، ونسيه . والتعادي : التباعد .
 والمعنى (كما يزعم الشاعر) : أنك الصبر على فراق الأحبة بعدد من القساوة ، وصلابة القلب ، يجمود العاطفة ، وأن السلوان عنهم تباعد عن الوفاء لهم . وسيصرح بهذا المعنى في البيت الآتي .
 (٢٣٧) الجزع : ضد الصبر ، مصدر جزع جزعا (من باب تمجب) : إذا ضلعت قوته من حبل ما نزل به ، ولم يجد صبرا . والسمة : العلامة . والوفاء : ضد النذر . والأحقاد : جمع حقد ، وهو الضغن (بكسر فسكون فيها) ، والإلتواء على العداوة والبغضاء .
 (٢٣٨) البليّة : المصيبة ، وهي اسم من ابتلاء : أى اختبره . وسامه الأمر (من باب قال) كلفه إلقاء ، وألزمه به ، وحمله عليه . والأسى : الحزن ، وأخو الأسى : الحزين . والرعى : مصدر رعيت أمره : أى حفظته ، كراعيته . والتجلّد : الصبر . وهو فى الأصل مصدر تجلّد : إذا تكلف الجلد (بفتح الحاء) : وهو الصلابة والشدة والقوة ، ورعى التجلّد : المحافظة على الصبر .
 (٢٣٩) هيات : كلمة معناها البعد . وتقرّ (بكسر التاء وفتحها) : تستقر وتيسر ، وثبتت ، وتطمئن . والجوانح : أشلاخ الصدر ، الواحدة جناحة . والأسف : أشد الحزن . والمهاد : الفراش ، وهو يكنى بمشقة مهاده ، وعدم استقرار جوانحه عن اضطراب أمره ، وشدة همه ولباله .
 (٢٤٠) الوله (بفتح الواو واللام) : الحزن ، أو ذهاب العقل من الحزن . والمسيرة : السير ، كالسير والتسار . ويريد بالمسيرة : بقطة النهار . والوساد : المتكا ، والمهدة : كالبرادة .
 (٢٤١) انتبه من نومه : استيقظ . والذكر (بضم الذال) : ضد النسيان ، كالذكر ، والذكرى (بكسر الذال فيها) : وأنت أول ذكرتي أى أنت أول شيء أذكره بقلبي ولساني . وأوى إلى المنزل ونحوه : سكن وأقام . والزائد فى الأصل : الضمان يتخذ المسافر لسفرو . ويقصد بأخبر زاده : أنه ينتمى نهاره يذكرها قبل نومه .
 والمعنى : أنه يذكرها بالأسمى والحسرة نهائيا وليلا ، وأن الجزع لا يكاد يفارقه ، أو يهادنه .

أَتَسَبَّبْتُ بِغَدَلِكِ عِزَّةً لِدَوَى الْأَمَى فِي يَوْمٍ كُلُّ مُصِيبَةٍ وَجَدَاوُ (٢٧٨)
مُتَحَشِّمًا أَمْسَى الضَّرَاءَ ، كَأَنَّنِي أَخْشَى الْقُجَاعَةَ مِنْ حِيَالِ أَعَادِي (٢٧٩)
مَا بَيْنَ حُزْنٍ بَاطِنٍ . أَكَلَ الْحَنَاءَ بِلَهَيْبِ سَوَرَتِهِ ، وَصَفْمِ بَادِي (٢٨٠)
وَرَدَّ الْبَرِيدُ بِغَيْرِ مَا أَمَلْتُهُ تَعَسَّ الْبَرِيدُ ، وَشَاءَ وَجْهُ الْحَادِي (٢٨١)
فَسَقَطَتْ مَغْشِيًا عَلَى كَأَنَّمَا نَهَشَتْ صَيِّمَ الْقَلْبِ حَيَّةٌ وَادِي (٢٨٢)
وَيَلْمُو رُزْءًا أَطَارَ نَيْبُهُ بِالْقَلْبِ شُعْلَةٌ مَارِجٌ وَقَادِي (٢٨٣)

(٢٨) العبرة (بكر العين) : اسم من الاعتبار : وهو الالتطاب والعبرة (أيضاً) : السبب ، واعتبرته : تعجب . ودو الأمى : المحزونون . والحداد (بكر الحاء) : الحزن ، وهو في الأصل : مصدر حدث المرأة تحداً (بضم الحاء وكسرهما) حداداً (بالكسر) : إذا امتنعت عن الزينة والحضاب بعد وفاة زوجها . يقول : لقد صرت بعدك مثار عجب للمحزونين في كل مصيبة وحزن . والمعنى : أن حزنه شديد جداً ، بحيث يتعجب منه كل محزون ، ثم هو دائم متكرر يتجدد عند كل حزن ، ويوم كل مصيبة .

(٢٩) متحشماً : متضرعاً متذللاً . والضرء (بفتح الضاد) : الاستخفاف ، وأمسى الضراء : أمتستخفياً . وأخشى : أخاف . والقجاعة : الهجوم والمفاجأة والمباينة . والحيال (بكر الصاد) : مصدر صال على قلبه : إذا سطا عليه حسراته ، ووثب في القتال . أو هو مصدر صاوله : أي واثبه وغالبه . (٣٠) حزن باطن : أي حزن خفي غير ظاهر . والحشا : ما اشتملت عليه الضلوع ، أو هو ما حواه الجوف . وسورة الحزن (بفتح السين وسكون الواو) : حديثه وشدة . والسقم : المرض . وباد : ظاهر . (٣١) ورد : راق وحضر . وأمسته : رجوته وترقبته . وتيس : هلك أو سقط . وشاء : قبح . والحادي : اسم فاعل من حدا الرجل بالإبل ، وحدا الإبل : إذا حثها على السير بالحداد (بضم الحاء) : وهو اللناها لها . يتخيل أن الرسالة التي وردت عليه نقلها الإبل ، على حدة الرب في ذلك .

(٣٢) غشى عليه (بالبناء المجهول) : أغشى عليه . ونهشته الجليئة : لسته ، (و بابه قطع) . وصيم القلب . وسطه . والوادي : كل منفرج بين جبال أو تلال أو آكام ، يكون مفضلاً للسيل . وسية الوادي : أغشيت الحيات ، وأشد ما تنكأ ، ولهذا يقولون : فلان حية الوادي : إذا كان داهياً ، غيباً ، شديد الشكية ، حاكياً لحوزته .

(٣٣) ويله (بكر اللام وضمها) : أسلها ويل لأمه ، فركبوه وتجهلوه كالشيء الواحد . والويل : حزن الشئ ، أو هي كلمة عذاب . والرزة : المصيبة . ونهى الرزة : أي : نبهه والإنذار به ، أو ناعبه والغبر به . والشعلة : لهب النار . والمارج : النار لادخان لها . ووقاد : صيغة مهالفة من وقدت النار (من باب وعد) أي توقدت واشتملت .

قَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهُ الْعَيْنُ ، كَأَنَّمَا كَحَلَ الْبَكَاءُ جُفُونَهَا بِقَتَادٍ (٣٤)
عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ عَلَى بِقَدَرِ مَا عَظُمَتْ لَدَيْ شَانَةِ الْحُسَادِ (٣٥)
لَا مَوْتَ عَلَى جَزَعِي ، وَلَمَّا يَتَلَمَّوْا أَنَّ الْمَلَامَةَ لَا تَرُدُّ قِيَادِي (٣٦)
فَلَيْتَ لَيْبِدٌ ، قَصَى بِحَوْلٍ كَالْيَلِ فِي الْحُزْنِ ، فَهَوَّ قَضَاءَ غَيْرِ جَوَادِ (٣٧)
لَيْسَ الزَّمَانُ عَلَى اخْتِلَافِ صُرُوفِهِ دَوْلًا ، وَقَلَّ عَرَائِكَ الْأَبَادِ (٣٨)

(٣٤) منه : أى من الرزق المذكور في البيت السابق ، والمعنى بسببه . وكحل عينه (من باب نصر) : وضع فيها الكحل . والجفون : جمع جفن (يفتح فسكون) : وهو غطاء العين من أعلاها وأسفلها . والقتاد : شجر صلب له شوك كالإبر .

(٣٥) مصيبته : أى مصيبة الرزق ، والمرداد : وقوعه وتأثيره . ولدى : عنى . والشانة : الفرح بلبنة العفو ومصيبته . والحساد : جمع حاسد .

(٣٦) لامة على كذا (من باب قال) لوباً ويلاماً ويلامة (يفتح الميم فيها) : عدله . والجزع ضد الصبر : مصدر جزع (من باب طرب) : إذا ضعفت قدرته عن حمل ما نزل به ، ولم يجد صبراً . والقياد (ككتاب) : حيل تقاد به الدابة ، كاللقيد ، وريد القياد : كناية من المنع . يقول : إنهم لا موئى على جزعى ولم يعلموا أن اللوم لا يمنعنى من الجزع .

(٣٧) منع وليده من الصرف ضرورة شريفة . وهو ليبيدين ربيعة من بنى عامر بن صعصعة أحد بطون هوازن من مضر ، وأمه من بنى عيس ، كان في الجاهلية شريفاً جواداً شجاعاً شاعراً حكيماً ، وقد أدرك الإسلام وأسلم ، وعمر طويلاً حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وقيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة . والبارودي في هذا البيت يشير إلى أبيات لبيد المشهورة التي قالها لابنته عند ما حضرته الوفاة وهى :

تمنى ابتلى أن يعيش أبوها وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر ؟
فقبوا فقولا بالذى قد علمنا ولا تخشوا وجهاً ، ولا تحلفا الشعر
وقولا هو المرء الذى لا خيليه أضعاف ، ولا خان الصديق ، ولا غدر
إلى الحول ، ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

فكانتا تزيئانه ولا تتدبانه ، وأقامتا على ذلك حولاً ، ثم انصرفتا . وقصى يقضى قضاء : حكم . والحول : السنة . وغير جواد : غير كريم ولا بنى .

يقول : إذا كان لبيد العامرى قد حكم بأن المرء إذا حزن عاماً على من يموت من أهله وأحبائه فقد صار ذا عطر ، فإن لبيداً كان في هذا الحكم بخيلاً غير كريم .

(٣٨) لبس الزمان : تملّكه . وهذا من قولهم : فلان قد لبس الناس : إذا عاش معهم ، وليس قوباً : تملّى بهم دحراً . وصروف الزمان : أحداثه ، واحداً صرف (يفتح فسكون) . والدول : جمع دولة .

كَمْ بَيْنَ عَادِيٍّ تَمَلَّ عُمَرُ حَقْبًا : وَبَيْنَ حَلِيقَةِ الْمِيلَادِ (٣٩)
هَذَا قَضَى وَطَرَ الْحَيَاةِ ، وَتِلْكَ لَمْ تَبْلُغْ شَيْبَةً عُمَرُهَا الْمُعْتَدِ (٤٠)
فَعَلَامَ أَتْبَعُ مَا يَقُولُ ؟ وَحُكْمُهُ لَا يَسْتَوِي لِتَبَايُنِ الْأَصْدَادِ (٤١)
يَمْرَ يَا نَسِيمَ قَبْلُغِ الْقَبْرِ الَّذِي يَحِمِّي الْإِمَامَ تَحِيَّتِي وَوَدَادِي (٤٢)
أَخْبِرُهُ أَنِّي بَعْدَهُ فِي مَعْشَرٍ يَسْتَجْلِبُونُ صَلَاحَهُمْ بِفَسَادِي (٤٣)
طُبِعُوا عَلَى حَسَدٍ ، فَأَنْتَ تَرَاهُمْ مَرْضَى الْقُلُوبِ أَصْحَةَ الْأَجْسَادِ (٤٤)

وهي انقلاب الزمان ، ومن كلامهم : الدهر دول وعقب ودوب (بضم ففتح في الثلاثة) ، والله يدارل الأيام بين الناس مرة لم ، ومرة عليهم ، وتداولوا الشيء بينهم : إذا حصل في يدها قارة ، وفي يد هذا أخرى ، والاسم من كل ذلك الدولة (بفتح الدال وضما) . وفل : كسر . والمراثك . جمع عريكة وهي الطليعة ، أو النفس . يقال : هو لبين العريكة : إذا كان سلس الخلق . والآباد : جمع أهد (بفتحين) : وهو الدهر . والمعنى : أن ليبدأ العامري عمر طويلا ، وتقلب على الزمان .

(٣٩) عادي : قديم ميمر ، كأنه منسوب إلى عاد قبيلة دود عليه السلام ، وهي من قبائل العرب = القديسة البالغة . وتمل عمره : استمتع به . وحقبا : سنين كثيرة ، وأحلتها حقبة (بكر فسكون) ، والحقبة من الدهر : مدة لا وقت لها . والميلاد : وقت الولادة . يقول : إن الفرق بعيد ، واللبين شاسع بين لبيد ألقى عمر ، وتمتع بعمره مدة طويلة ؛ وبين زوجته القصيرة العمر ، الحديثة الميلاد . والمعنى : أنه إذا كان مثل لبيد يحزن عليه سنة ، فإن مثل زوجته جدير بأن يحزن عليه دهرا طويلا . (٤٠) قضى وطره : بلغه وناله . والوطر : الحاجة . وقضى وطر الحياة : نال بنيت وحاجته منها . والشبيبة : الحدأة ، وكذا الشباب ، وهو خلاف الشيب .

يقول : إن ليبدأ العامري نال من الحياة حاجته وبغيته ، أما المراثية بهذه القصيدة فإنها ماتت ولم تبلغ نهاية الشباب

(٤١) لا يستوي : لا يستقيم ، ولا يصح ولا يفسر . والتباين : التباعد والاختلاف والافتراق . والأصدقاء : جمع ضد ، وهو الخائف ، يقال : هذا ضد هذا : أي خلافه . يقول : على أي شيء أتبع ما يقوله لبيد من الاكتفاء بسنة ييكيا المرء على الميت العزيز ؛ وحكمه هذا لا يستقيم هنا ؛ لاختلاف الحالين .

(٤٢) الحمى (في الأصل) : المكان الحمى الذي لا يقرب ، ولا يبتعد ، والمراد بحمى الإمام : مقبرة الإمام الشافعي (رضي الله عنه) بالقاهرة في جنوبها الشرق . وبلغ القبر : أي بلغ من فيه ، ويريد زوجه . (٤٣) أخبره : أي أخبر القبر . والمعشر : الجماعة من الناس . وودني الشطر الثاني : أن هؤلاء الناس يطعنون ما ينفعهم ، ويصلح شأنهم من طريق الإغراء في ، وإفساد أمورهم .

(٤٤) هو مطبوع على القوم وغيره ، وقد طبع على كذا : أي نظر عليه ونظر . والحسد : أن =

وَلَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا خَبِيْثَةَ مَا طَوَى . لَهُمُ الرَّذَى ، لَمْ يَقْدَحُوا بِزُنَادٍ^(٤٥)
 كُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا مُلَاقٍ رَبِّهِ . وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مِيقَادٍ^(٤٦)
 وَكَفَى بِعَادِيَةِ الْحَوَادِثِ مُنْذِرًا ، لَوِ اسْتَفْهَمُوا بِتَوَادِي^(٤٧)
 فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ نَظْرَةً عَاقِلٍ لِمَصَارِعِ الْآلِيَاءِ وَالْأَجْدَادِ^(٤٨)
 عَصَفَ الزَّمَانُ بِهِمْ ، قَبَدَ شَمْلَهُمْ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ تَهَالِمٍ وَنِجَادٍ^(٤٩)
 دَفَرُ بَكَانًا مِنْ جَرَائِرِ سَلَمِهِ فِي حَرٍّ يَوْمَ كَرِيْهِهِ وَجِلَادٍ^(٥٠)
 أَفْنَى الْجَبَابِرِ مِنْ مَقَاوِلِ جَمِيْرِ ، وَأُولَى الرُّعَامَةِ مِنْ «ثُمُوْدٍ» وَ«عَادٍ»^(٥١)

= يَمْنَى الحامد زوال نعمة المصود ، وانتقالا إليه ، (وبابه دهل) . ودرى : جميع مريض . وأصم : جمع صحاح (يفتح الصاد) ، معنى صحاح . يقال : دهل صحاح وصحاح ، ولوم صحاح وأصم . وأصم : الخبيثة : ما عصى واستر وغاب . وطوى : أغنى وكتم . والرك : الملك . وقبح بالزائد : أخرج به النار . والزناد : جميع زلد ، وهو الحديدة أو العمود الذى تقذف به النار . ومنى لم يقدرسوا بزناد : لم يحكموا أنفسهم عنه السعى المشوب بالطمع والحسد .

(٤٦) معنى الشطر الثانى من هذا البيت : أن الناس يعيشون في الدنيا إلى أجل محدود ، فإذا جهل أجلم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون ، شرها وشدها ، وجميعها عواد ، وهى اسم فاعل من عدا عليه علواً (يفتح العين) وعادوا (يفتح العين) : إذا ظلم ، وتجاوز الحد .

(٤٨) مصارع : جمع مصرع (يفتح فسكون) : اسم مكان ، أو مصدر ميمي من صرعه (كمنه) ؛ أى أهلكه ، والصرع (فى الأصل) : الطرح على الأرض .

(٤٩) بقد شملهم : فرقهم . وتهالمة : مكان بعينه بجزيرة العرب ، ولعل الشاعر أطلقه على كل منخفض من الأرض ؛ ولذلك سأل جمعه على تهالمة . والنجاد : جمع نجدة (يفتح فسكون) : وهو ما ارتفع من الأرض . (٥٠) الجرائر : جميع جريرة : وهى الجناية والذنب . والكرية : الحرب . والجلاذ : القتال ، وأصله القتال بالسيف .

يقول : إذا سالم الدهر : فإنه يتبع سلمه مصائب وتوياً لها ما للحرب من شدة وفلك .

(٥١) أفنى : أى الدهر . والجبابر : جميع جبار : وهو العظيم القوى ، والملك ، والملكوت . والمقارن : جمع مقول (بكسر فسكون) : وهو الملك ، أو الملك من ملوك حسير (بكسر فسكون ففتح) ، كالقيل (يفتح فسكون) . أو هو دود الملك الأمل . وحسير : قبيلة أو قبائل تنسب إلى حمير بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان : جد كثير من القبائل اليمنية ، وكانوا يسكنون أول أمرهم غرب صنعاء ، وأنشأ ملكة كانت عاصمتها (ظفار) ، واستمرت دولتهم من أواخر القرن الثانى قبل الميلاد إلى أوائل القرن السادس الميلادى ، وقد امتازت هذه الدولة بالفتوح ، وعارية الفرس والحيشة . وقد تسمى العرب كل دول اليمن الحيريين ؛ للبرص صيت حمير ، واتساع شهرتها قبيل الإسلام . والزعماء : الرياسة والشرف والريادة =

وَرَمَى قُضَاعَةً ، فَاسْتَبَاحَ دِيَارَهَا بِالسُّخْطِ مِنْ «سَابُور» ذِي الْأَجْنَادِ (٥١)
وَأَصَابَ عَنْ عُرْضِ إِيَادَ فَمَا صَبَحَتْ مِنْكُوسَةُ الْأَعْلَامِ فِي «سِنْدَاد» (٥٢)
فَسَلَّ الْمَدَائِنَ ، فَهِيَ مَنَجُّ عَيْبُورَ عَمَّا رَأَتْ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي (٥٣)
كَرَّتْ عَلَيْهَا الْحَادِثَاتُ ، وَلَمْ تَدْعُ إِلَّا بِقَابَا أَرْسَمٍ وَعِمَادٍ (٥٤)
وَاغْكُفْ عَلَى الْهَرَمَيْنِ ، وَاسْأَلْ عَنْهُمَا «بَلْهَيْب» فَهُوَ خَطِيبُ ذَلِكَ الْوَادِي (٥٥)

وعمود : قوم صالح . وعاد : قوم هود ، وهما قبيلتان من قبائل العرب البائدة جاء ذكرهما في القرآن كثيراً ، وكانت الأولى تسكن الحجر (بكر فسكون) المسمى الآن بمدائن صالح أو وادي القرى بين الحجاز والشام ، وكانت الثانية تسكن الأحقاف في جنوبي الجزيرة العربية .

(٥٢) رى : أى الدهر . وقضاعة : قبيلة يمنية ، تنسب إلى عمرو بن مالك بن حنبر (بكر فسكون فتحت) ، وقضاعة : لقبه . وكانت تسكن شالي الحجاز ، وجنوبي الشام . واستباح ديارها : استعملها ، وتقلب عليها . والسخط : الغضب . وسابور : معرب «شاه بور» ، ولقبه «خوست» : وهو ابن أوشير ، واحد الأكاسرة : ملوك الفرس . وقد بنى مدينة على بعد خمسة وعشرين فرسخاً من شيراز . والأجناد : جمع جنه : وهم العسكر والأعوان والأمنار .

(٥٣) أصاب : أى الدهر ، وأصاب عن عرض (بكر فسكون ، أو بضم فسكون) : أى من غير مبالاة ، ولا اكتراث . وهو من قولهم : يضر بون الناس على عرض : أى لا يبالون من يضر بون . وإياد : إحدى القبائل المناطية ، وتنسب إلى إياد بن نزار بن معد بن عدنان ، وكانت تسكن قرب الأيلة جنوبي العراق العربي . ومنكوسة : اسم مفعول من ذكسه : أى قلبه على رأسه ، كذكته تنكباً . وسنداد : منازل لإياد ، نزلتها لما قاربت الريف ، وهو أسفل سواد الكوفة ، سميت باسم سنداد من ملوك الفرس .

(٥٤) المدائن : مدينة على نهر دجلة ، جنوبي بغداد ، تبعد عنها بنحو ستة فراسخ ، سميت بذلك لعظمها ، وتنسب إلى كسرى أنوشروان بن قباد ، وبها إيوانه المشهور ، وكانت حاضرة ملكة الفرس قبل الإسلام . ومنجى عبدة : مطلق اعتبار ، ومظهر عظمة . وحاضر : مقيم بالمحاضرة ، وهى خلاف البادية . وياد : مقيم بالبادية .

(٥٥) كرت : حملت ، وهجمت ، وقردت ، وأصله من قولهم : كرت الفارس في الحرب (بن باب ردة) : إذا قر للجولان ، ثم عاد للقتال . والأرس : جمع رسم : وهو الأثر أو بقية ، أو ما لا شخص له من الآثار . الأبنية الرزمية : وأصلها عمادة (بكر التين) .

(٥٦) حكف على التوى (من بابي دخل ، وبلس) أقبل عليه ، ولزبه ، ولم ينصرف عنه . ويريد بالهرمين :

هرم الملك «خوف» ، وهرم خليفته الملك «خفر» ، وهما من ملوك الأسرة الرابعة التي حكمت مصر قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام بنحو ثلاثة آلاف عام . وكان عصرها أنقى عصور الدولة المصرية القديمة . ر «بهبوب» : «أبو الهول» : نصب فرعونى ضخم هائل ، وأثر رائع بديم خالده على مقربة من هرم «خوف» و «خفر» . نحت من صخرة واحدة . جسمه جسم أسد ، ووجهه وجه إنسان . وكانوا يرمزون بها إلى عظمة فرعون ، وشدة بأسه ، ورياسة عقله . طوله نحو سبعة وخمسين متراً ، وارتفاعه نحو عشرين متراً ، وعرض وجهه نحو أربعة أمتار . يروى فيه الضخامة ، مع جمال الفن ودقة النحت وحسن التصوير ، والإغراق في القدم ، والخلود على الزمن . وهو من آثار الأسرة الرابعة ، وتقول : بل أقيم في عهد الأسرة الثالثة أو وادى (ن الأصل) : كل متفرج بين الجبال ، والتلال ، والأكام . يكون مسلماً للسيل وينفذاً =

تُنْبِئُكَ أَلْسِنَةُ الشُّمُوتِ بِمَا جَرَى فِي اللَّعْرِ مِنْ عَدَمٍ وَمِنْ إِيجَادٍ (٥٧)
 أُمٌّ خَلَتْ ، فَاسْتَعْجَمَتْ أَخْبَارُهَا حَتَّى غَدَتْ مَجْهُولَةً الْإِسْنَادِ (٥٨)
 فَعَلَامَ يَخْشَى الْمَرءُ صَرَعَةَ يَوْمِهِ ؟ أَوْ لَيْسَ أَنَّ حَيَاتَهُ لِنَفَادٍ (٥٩)
 تَعَسَّ أَمْرُو نَسِيَّ الْمَعَادِ ، وَمَا جَرَى أَنَّ الْمَنُونُ إِلَيْهِ بِالْمُرْصَادِ (٦٠)
 فَاسْتَهْلِكُوا بِأَمَامِ مُحَمَّدٍ رَيْكَ بَوَالْحَيْشِ مِنْهُ الْمَعُونَةَ ، فَهُوَ نِعَمُ الْهَادِي (٦١)
 وَاسْأَلْهُ مَغْفِرَةً لِمَنْ حَلَّ الثَّرَى بِالْأَمْسِ ، فَهُوَ مُجِيبُ كُلِّ مُنَادِي (٦٢)
 هِيَ مُهْجَةٌ وَدَعَتْ يَوْمَ زِيَالِهَا نَفْسِي ، وَعَاشَتْ بِحَسْرَةٍ وَبِعَادٍ (٦٣)

ويراد به هنا : المكان الذي يجمع ذلك النصب أو العنم ، أو النشال ، والأهرام الثلاثة الأكبر ، والأوسط ، والأصغر ، بالقرب من مدينة البصرة ، في جنوبيها الغربي .

(٥٧) تنبئك : تخبرك ، وهو أمر مجزوم في جواب « أسأل » في البيت السابق . والصموت : مصدر صمت : بمعنى سكت (من باب دخل) .

ولمعنى : أن " ألسنة هذه الآثار الصامتة تخبرك بما حدث على مر الزمان من مظاهر العدم والوجود ، والموت والحياة ، والخراب وال عمران .

(٥٨) خلت : مضت وذهبت . واستعجمت أخبارها : استعجبت وخفيت ، وأصله من قولهم : استعجم الرجل : إذا سكت ، ولم يقدر على الكلام أصلاً . والإسناد (بكسر الهزة) : مصدر أسند الأقرب إلى قائله : أي نسب إليه . أو هو بفتح الهزة : جمع سند (بفتحيتين) ، والسند في الأصل : معتمد الإنسان ، وأسناد الأخبار : أصولها التي تعتمد عليها ، وتستند إليها .

(٥٩) الصرعة : اسم مرة من صرعه (كتمه) : أي أهلكه ، والصرع في (الأصل) : الطرح على الأرض .

(٦٠) تمس (من باب قطع ، وقعب ، عثر ، وسقط ، وأكب على وجهه ، وشق ، وهلك . وللماد : الآخرة ، والمرجع ، والمصير . والمنون : الموت ، وهي مؤنثة ، وتكون واحدة وجسماً ، وأصلها من المن : بمعنى القطع ، أو النقص ، لأنها تقطع اللحد ، وتقتصم العمد . والمرصاد : الطريق ، والمكان يرصد فيه العدو ، وقعد له بالمرصاد : أي بطريق الارتعاب والانتظار .

(٦١) الهدى : الرشاد ، واستهديت الله تعالى : ملئت هدايته . والانتماش : التلصص .

(٦٢) حل : نزل ، يقال : حل بالبلد ، وحل البلد ، يتمدى بنفسه وبألباءه (وبأهائه) .

والثرى (بوزن الحمى) : الأرض ، أو الأرض الندية .

(٦٣) المهجة : الروح والنفس . والزوال (بكسر الزاى) : المفارقة : مصدر زايه مزايلاً وزايلاً :

أي فارق . والحسرة : التأسف والتلهف الشديد على الشيء الفاتت . والبعاد (بكسر الباء) : البعد ، أو الإبعاد ، أو المجانبة ، أو التفرقة : مصدر باعده مباعدة وبعاداً ، كبتاعده منه وابتعد .

تَاللّٰهِ مَا جَعَلْتَ دُمُوعِيْ بَعْلَمًا ذَهَبَ الرَّدىٰ يَلِكِ يَابُنَّةَ الْأَمْجَادِ (٦٤)
 لَا تَحْسَبْنِيْ مِلْتُ عَنْكَ مَعَ الْهَوَى مَيِّهَاتَ ، مَا تَرَكُ الْوَفَاءَ بِعَادِي (٦٥)
 قَدْ كِدْتُ أَقْضِيْ حَسْرَةً لَّوْ لَمْ أَكُنْ مُتَوَقِّعًا لِّقِيَاكَ يَوْمَ مَعَادِي (٦٦)
 فَعَلَيْكَ مِنْ قَلْبِي التَّحِيَّةُ كُلَّمَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ عَلَى الْأَعْوَادِ (٦٧)

(٦٤) الردى : الهلاك ، وفعله (كسدى) . والأعجاد : جمع على غير قياس لمجد أو ماجد ، وهما صفتان من المجد ، وهو الكرم والبر والشرف .

(٦٥) الهوى : ميل النفس وانحرافها نحو شهواتها ، ويطلق على الميل المأموم . وميّهات : كلمة معناها البعد . والمعاد : جميع عادة . يقول : إن ترك الزّناء ليس من عاداته .

(٦٦) أقضى : أموت . والحسرة : الحزن ، والتأسف ، وشدة التلهّف على الفائت . (وفعله من باب تمع) . ومتوقّع : اسم فاعل من توقّعت الأمر : بمعنى انتظرت حصوله . والقياء : الققاء ، والمقابلّة . ويوم معاده : يوم آخرته ، أو يوم رجوعه إلى الله تبارك وتعالى .

(٦٧) ناحت الحمالة : سمجت ، أى ردّدت صوتها . والمطوّقة : الحمالة ذات الطوق ، وهى التى لى عنقها ريش يتألف لونه لون باقى جسمها ، ويشبه الطوق . والأعواد : الأغصان ، واحدها عود .

القصيدة الحادية والعشرون

وَقَالَ يَرْنُو وَلَدَهُ * :

كَيْفَ طَوَّنَكَ الْمُنُونُ يَا وَلَدِي ؟ وَكَيْفَ أَوْدَعْتُكَ الثَّرَى بِيَدِي ^(١) ؟
وَاجْبِدِي يَا عَلِيَّ بَعْدَكَ ! لَوْ كَانَتْ نَبْلُ الْقَلِيلِ (وَاجْبِدِي ^(٢))
فَقَدْكَ صَلَّ الْعِظَامُ مِنِّي ، وَرَدَّ الصَّبْرَ عَنِّي ، وَتَتْ فِي عَضْدِي ^(٣)
نَحْمٌ لَبَلَّةٍ فِيكَ لَا صَبَاحَ لَهَا سَهْرُنَهَا بِأَجَا بِلَا مَدَدٍ ^(٤)
تَمُتْ وَسَهْدٌ ، وَأَيُّ نَاطِرَةٍ تَبْقَى عَلَى الْمُدْمَعَيْنِ وَالسَّهْدِ ^(٥) ؟

(٥) تَوَلَّيْتُ بالقاهرة سنة ١٨٨٣ « عذيلة يكن » زوجة البارودي ، وبعد وفاتها تزوج في المنى « أمية يعقوب ساي » في أواخر سنة ١٨٨٥ وهو من نحر السادسة والأربعين . وهي ابنة زبيل في المنى والجهاد اللواء « يعقوب ساي » : أحد قادة الثورة العراقية . ومن أولادها في المنى « علي » المثلث بهذه القصيدة . وفي بعض أبياتها دلالة على أنه مات في طفولته .

(١) المُنُونُ : الموت ، وهي مؤنثة . والثَّرَى : الأرض ، أو التراب . والاستفهام في شطري البيت : التمجيد والتعظيم .

(٢) القليل : شدة العطش وحراره ، والمراد به (هنا) : حرقه الوجد ، وشدة الحزن .

(٣) السَّلَّ : (يفتح السين) : انتزاع الشيء وإخراجه في رفق ، والمراد بـ « السَّلَّ » : إضعاف الجسم ، واستلاب قوته . وتَتْ في عضده : كسر قوته ، وأضعفه . والبال الأول في « رد » آخر الشعر الأول .
(٤) لا صَبَاحَ لَهَا : طويلة ، طَوَّنَهَا الحزن ، والحلم ، والسهرة . وبِلا مَدَد : بلا معين ، ولا مساعد .

(٥) السَّهْدُ (بضم السين وسكون الهاء ويفتحها) : الأرق ، والسهرة ، كالسهاد (وبابه طرب) . وناظرة : العين . والمدمعات : مثنى مدمع ، وهو يجري الدمع من العين . والمعنى : أن العيون لا يمكن أن تبقى سليمة مبصرة مع شدة الحزن ، وكثرة البكاء ، وطول السهر .

لَهْفِي عَلَى لَمَحَةِ النَّجَابَةِ ! لَوْ دَامَتْ إِلَيَّ أَنْ تَعُوزَ بِالسَّدِيدِ (١)
مَا كُنْتُ أَذْرِي إِذْ كُنْتُ أَخْتَنِي عَلَيْهِ لَكَ الْغَيْنَ أَنْ الْجَمَامَ بِالرَّصْدِ (٢)
فَأَجَانِي الدَّهْرُ فِيكَ مِنْ حَيْثُ لَا أَغْلَمُ خُتْلًا ، وَالْدَّهْرُ كَالْأَسَدِ (٣)
لَوْ لَا اتِّقَاءُ الْحَيَاءِ لَا غَنَضْتُ بِإِيَّاهُمْ هَيْمًا يَحِينُ بِالْجَلْدِ (٤)
لَكِنْ أَبَتْ تَفْعِي الْكَرِيمَةَ أَنْ أَتْلِمَ حَدَّ الْعَزَاوِ بِالْكَتْمِ (٥)
فَلْيَبِكْ قَلْبِي عَلَيْكَ ، فَالْعَيْنُ لَا تَبْلُغُ بِالدَّمْعِ رُبَّةَ الْخَلْدِ (٦)
إِنْ يَكْ أَخْنَى الرَّدَى عَلَيْكَ ، فَقَدْ أَخْنَى أَلِيمُ الْفَضْنَى عَلَى جَسَدِي (٧)
عَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ تَوْدِيعَ لَا قَالَ ، وَلَكِنْ تَوْدِيعَ مُضْطَهَدِ (٨)

(١) لهف (كفرح) : سزن وتمسّر ، ويالمق : كلمة للتمسّر . واللسة : واحدة اللامع ، وهو المشابه ، وما بدا من عحاس الوجه . والنجابة : الكرم . والسدد : الاستقامة والصواب ، والمراد الكمال وبلوغ الناية .

(٢) يريد بالعين (هنا) : الإصاغة بالعين . والحمام (بكسر الحاء) : قضاء الموت وقدره . والرصد : الانتظار .

(٣) الختل : مصدر خطله (من باب ضرب) : أى خدعه ، وأود به المكره من حيث لا يعلم .
(٤) احتاض : أخذ العوض : وهو البدل ، واعتضت هنا : بمعنى استبدلت . والحلم : الأناة ، والمقل : الصبر . والحيام : الجنون من الخزع والحزن ، وأصله الجنون من الشق . ويحيق به : يحيط به ، ويصيبه ، ويأتى عليه . وهو مضارع حاق (من باب باع) أو أحاق . والجلة : القفرة والصبر .
(٥) تلمه (من باب ضرب) : كسره . والنزاد : الصبر . والكسد : الحزن المكوم ، (وبابه طرب) .

(٦) الخلد (بفتح الحاء واللام) : القلب . يريد أن يحزن العين الذى يظهر فى إرسالها دمعها لا يصل إل منزلة حزن القلب .

(٧) أخنى عليه : أهلكه . والردي : الملاك . والفنى : المرض (وبابه صدى) ، وهو يريد المرض الذى جلبه إليه الحزن .

(٨) قال : مهبط كاره : وهو اسم فاعل من قتله يقلبه (كرواه يريه) قل (بكسر فتح) : أى ابتغى . ومضطهد : مهوور ، مغلوب على أمره .

القصيدة الثانية والعشرون

وَقَالَ فِي النَّسِيرِ (٥) :

مَا لِقَلْبِي مِنْ لَوْعَةٍ لَيْسَ بِهِدَا ؟ أَوْ لَمْ يَكْفِ أَنَّهُ ذَابَ وَجَدًا ؟^(١)
وَسَمَنِي بِنَارِهَا الْغَيْدُ حَتَّى تَرَكَنِي فِي عَالَمِ الْحُبِّ فَرْدًا^(٢)
فَضْلُوعِي مِنْ قَدَحِ الزُّنْدِ أَوْزَى وَدُمُوعِي مِنْ صَفْحَةِ الْقَيْمِ أَنْذَى^(٣)
مَا عَلَى الْبَرْقِ لَوْ تَحْمَلَ عَنِّي بَغْضَ مَا خَفَّ مِنْ سَلَامٍ فَأَدَى^(٤)

(٥) النسيب : مصلو نسب الشاعر بالمرأة (كضرب) نسباً (بفتحين) ونسياً : إذا شَبَّ بها ن الشمر ، يمزج بها زوجها .

(١) القوعة : حرق في القلب ، وألم من حبٍّ أو همٍّ ، ولاحه الحبُّ : أمرضه . وهذا (بإبدال الحزنة ألفاً) : يسكن ويطن . والوجد : الحب .

(٢) الوم : أثر الكى ، ووسه (من باب وعد) : جعل فيه بالكى أثراً وعلامة . والثيد : جمع غيداء ، وهي الحساء الناعمة المشوية لينا ، والفعل غيد (كفرج) : إذا مالت عنقه ، ولانت أعضائه . ومعنى الشطر الثاني : أنه أصبح في عالم الحب منفرداً متميزاً من سواه بشدة ما يعانیه من حرقه المحوى والصبابة ، وتباريح المشق والفرام .

(٣) القدسة : اسم مرة من قلع الزند : أى أخرج منه ناره . والزند : العود الذى تقذف به النار ، وهو الأعل ، والزندة السفلى ، وما زندان . وأوزى : اسم تفضيل من روى الزند يرى ورى (كوى يى وياً) : إذا خرجت ناره . والصفحة : الوجه ، وصفحة كل شيء : جانبه . والنيم : السحاب ، الواحدة نيمة (بفتح فسكون) . وأندى : أكثر ندى : وهو المطر والبال .

وللمعنى : أن حرقه الوجد بين ضلوعه أشد اتقاداً من نار الزند ، وأن دموعه أغزر من المطر .
(٤) أدى السلام : أوصله ، وبلّغه .

أَبَها السَّاهِرُونَ حَوْلَ وَسَادِي لَسْتُ مِنْكُمْ أَوْ تَذْكُرُوا لِي نَجْدًا^(٥)
وَعَهْدًا لَمْ يَتْرِكِ النَّهْرُ مِنْهَا لِأَخِي صَبْرَةً فِيمَا وَعَهْدًا^(٦)
وَنَيْمًا إِذَا سَرَى ضَوْعُ الْآ فَأَقِمْ سَكًا ، وَعَطَّرَ الْجَوَّ نَدًا^(٧)
لَا تَخُوضُوا فِي غَيْرِهِ مِنْ حَدِيثٍ فَهَوَّ حَسْبِي ، وَأَيُّ مَاءٍ كَصَدَا ؟^(٨)
هِيَ أَحَدُوَّةٌ تُسَاقُ وَلَكِنْ رَبِّمَا اسْتَوْجِبْتَ ثَنَاءً وَحَمْدًا^(٩)
أَوْ مِنْ لَوْعَةٍ أَطَارَتْ بِقَلْبِي شُعْلَةٌ شَفَعَتِ الْجَوَانِحَ وَقَدْ^(١٠)
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ تَنَاهَى غَرَامِي عَادَ مِنْهُ مَا كَانَ أَضْمَى وَأَزْدَى^(١١)

(٥) الرصاد والريادة (بكر الروا فيهما) : المخذة والخسكا . وكل ما يتوسده الإنسان . ونجد : اسم للأراضي العالية في وسط الجزيرة العربية ، ونصته الشاعر بالذكر ، لأنه كان موطن الحب "العنيف العنيف" .

(٦) المهود : جميع عهد : وهو المنزل المهدود به الشئ ، والمروق ، والحفاظ . والصبرة : جهلة الفتنة ، أو الميل إلى جهل الفتاة وحرية وهوى ومرح ، والمراد بأخى الصبرة : الشقيق المرح . والذمام : الخط . والحمة .

(٧) سرى : سار . وضوع المطر : نشره ، فقول الشاعر (سوع الآفاق) لا يتجبه اتجاهاً صحيحاً ، ولعله ضنّ القدر معنى ضميخ أو عطير . والآفاق : جميع أفق ، وهو الناحية . والمسك : طيب معروف ، وهو أفضل الطيب عند العرب ، وكانت تسميه المشعوم ، وهو فارس "مرتّب" . والتد : نوع من الطيب ، أو هو

العنبر (٨) خاض في الحديث : دخل فيه . وفي غيره : أى في غير ما ذكرت من نجد ، ومن عهد ... ، ومن نسيم ... وحسى : يكفى . وصداً بالفصر لضرورة وزن الشعر : أصله صداه : اسم وكنية ، أو عين لم يكن عند العرب أعذب منها . ومن أشألم : « ماء ولا كصداه » .

(٩) هي : أى قصّة الحب . والأحدوة : ما يتحدث به . والثناء : وصف بمديح . يقول : إن حبي سيكون حديث الناس ، ولكن هذا الحب قد يجلب إلى ثناء الناس ويحمدهم لأنه من الحب الشريف العفيف .

(١٠) اللوعة : حرق في القلب ، وألم من حب ، أو هم . ولاه الحب : أمرضه . والشعلة : حب النار ، والمراد حرقه الحب ، وشفه ألمه ونحوه . هزله وأنحله . والجوانح : أصلاح الصدر ، واحدها جانحة .

والثقة : اتقاد النار . (١١) تناهى : انتهى . وذهب . وأصمى : أشد وأضفى ، اسم تفضيل من الصبيان (يفتح الصاد والهم) :

وهو المصمى ، والوثب ، والسرعة . وأردى : أسرع وأكثر إصابة ، اسم تفضيل من ردى الفرس (كرى) ودياً وردبائاً إذا رجم الأرض بمجاولفه ، أو هو بين العدو والمشي . ودى فلان فلاناً : صدده ، وريده بمجر : دله به . ويجوز أن يكون « أصمى » و « أرى » فليين ماخيين .

والمعنى على هذا : كلما قلت إنني صهرت من الغرام عاد إلى منه ما كان قد أصابني وقتلني في أول

عهدي به .

يَا زَيْقِي إِذَا عَرَانِي خَطْبُ
أَصْبَحْتَ حَاجَتِي إِلَيْكَ ، فَخُذْ
وَجَدَ الْقَلْبَ خَالِيًا . فَاخْتَوَاهُ
وَكَذَلِكَ السُّلْطَانُ إِنْ عَلَنَ بِالْأَلَةِ
فَأَقْلِنِي مِنْ عَثْرَةِ الْحَبِّ إِنْ أَوْ
فَمِنْ الْعَارِ غَضَّ طَرَفَكَ عَنِّي
وَيَنْفِئِي حُلُوَ الثَّمَائِلِ ، مَرُّ أَلِ
ذُو قَوَامٍ أَعْدَى مِنَ الرُّمَحِ لِينًا
وَنَصِيرِي إِذَا خَصِمْتُ تَصَلَّى (١٣)
بِحَقْوِي مِنْ ظَالِمٍ قَدْ تَعَدَّى (١٣)
وَرَأَى النَّفْسَ طَوَعَهُ فَاسْتَبَدَّ (١٤)
عَجْزًا سَطَا عَلَيْهَا وَشَدَّ (١٥)
نَيْتَ حُكْمًا ، أَوْ قُلْ لِقَلْبِي يَهْدَا (١٦)
إِنْ يَخِيرَ الصَّحَابِ أَنْفَعُ وَدَا (١٧)
هَجْرٌ ، يُخَيِّ وَصَلًا ، وَيَقْتُلُ صَدَا (١٨)
وَلِيَحَاطَ أَمَضَى مِنَ السَّيْفِ حَدَا (١٩)

(١٢) عراه كذا (من باب عدا) ، واضراه : غشيه ، وأصابه . والمطرب : النازلة ، والشديدة من نزول
الذعر وشدا لده . والحصم : الخصم . وتصدى له : تعرض . يتجه في هذا البيت على عادة العرب إلى صديق
يستجده به ، ويحدثه حديث غرامه .

(١٣) تعدى : جار وظلم .

(١٤) احتواه : استولى عليه ، وقسم إليه .

(١٥) سطا عليها : استلال عليها ، وقهرها بالبطش . وشد : فعل ماضٍ من انشدة (يفتح الشين) ،
وهي الحيلة في الحرب ، أو من الشد ، وهو الإيقاع والتقييد ، شد : أوثقه وقيدته .

(١٦) أقال الله عثرته : رفعه من سقوطه . وهذا (يسهل الهزلة) : يسكن ويطمئن .

(١٧) الطرف : العين ، ونفس طرفه : غفسه ، وهذا كناية عن إهمال شأنه . وعدم مساعدته .
يقول لرفيقه : إن من العار أن تتخطى عني ، وتهمل شأني ، وإن خير الأصحاب من كان حبه فافعا ،
ووده مشرعا .

(١٨) الثمائل : جمع ثمال (بكسر الشين) بمعنى النكاح والطبع . والصد : الإعراض والهجران .

يقول : أهدى ينفي حبيبا حلوا الطباع ، مر الهجر ، يخفى وصاله ، ويقتلني صده وهجرانه .

(١٩) قوام الإنسان (يفتح القاف والواو) : قده ، وقلمته ، وحسن طوله . وأعدى : اسم تفضيل
من عدا عليه : بمعنى أعدى عليه ، وظلمه ، وسبوازل الحد . والرمح : قناتة في رأسها سنان يطمئن به . ويضرب
المثل بالرمح في العين ، والبروثة ، والاحتدال . والمعاظ (بكسر الكلام) : مصدر لاحتد : أي راقبه ،
وراحبه . و (بكسر اللام ، وفتحها) : مؤخر العين مما يلي الصدغ . ويراد بالمعاظ هنا : النظرة الساحرة
الفاتنة . وأمضى : أهد وأفقد وأسرع قلما . وسد السيف ونحوه : طريق الرقيق الحاد القاطع .

في الشطر الأول تغزل بقدر الحبيبة ، وحسن طولها ، واعتدال قامتها ، مع العين والمرودة ، وقوامها
كالرمح ، ولكنه يفوقه في العدون ، وقوة التأثير في نفس العاشق المستهام . وفي الشطر الثاني أن
نظرها فاتنة ساحرة تفوق السيف في جدته ومضائه .

كَانَ قَلْبِي وَدِيمَةً عِنْدَ عَيْنَيْهِ
مَا عَلَى قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ حُرًّا
غُصْنُ بَابٍ، قَدْ أَطْلَعَ الْحُسْنَ فِيهِ
مَا هِلَالُ السَّمَاءِ؟ مَا الظُّبَى؟ مَا الْوَزْ
مَوْ أَبْتَقَى وَجْهَهَا . وَأَقْتَلَّ الْحَا
قْدَعُ اللَّوْمَ يَا عَدْلُكَ ، فَلَمَنِي
لَا تَخْلِنِي عَلَى غَرَائِكَ . سَهْلًا
لَسْتُ أَقْوَى عَلَى الصَّدُودِ . وَإِنْ كُنْتُ
إِنْ تَكُنْ رَحْمَةً فَمَنْفِصِي أَوَّلُ

٢٠. قَالَى وَالسَّخِرِ الْأَيُّرُؤُ (٢٧)
أَنْ دَعْنِي لَهُ الْمَحَبَّةُ عَيْدًا (٢٨)
يَسِيرُ السَّخِرُ جُلُنَارًا وَوَرْدًا (٢٩)
دُجْنِيًّا؟ مَا الْغُصْنُ إِذْ يَتَهَدَّى؟ (٣٠)
ظَا ، وَأَنْدَى خَدَا . وَالْأَيْنُ قَدَا (٣١)
لَسْتُ أَبْنِي مِنَ الْعَوَازِلِ رُشْدًا (٣٢)
أَنَا أَذْرَى بِمَزْعَتِي مِنْكَ جِلْدًا (٣٣)
تُ عَلَى سَوْرَةِ الْحَوَارِثِ جِلْدًا (٣٤)
أَوْ تَكُنْ ضَلَّةً فَرَبِّي أَخَذَى (٣٥)

(٢٠) آل : سلف .

(٢١) يقول : ماذا يصير قوم هذه اليهودية إذا شبيت بها بعد أن صيرتني الحب لها صيداً .
(٢٢) أَيْنُ : شجر يشبه بفسطاط قد استبدل في الاعتدال والين والرشق . والجُلُنَارُ (بضم الجيم) وشج
اللام المشددة) : زهر الرمان : سَرْبٌ « كَلَنَار » ،
(٢٣) المِلُولُ : القصر البينين أو ثلاث من أول النهر . وَالظُّبَى : الغزال . وَجِنِيًّا : غُصْنًا نَضِيرًا ، قد
جنى من ساعته . وَيَسِيرُ : يريده يشهد ويُنَازِلُ . ولم نجد هذه الكلمة استعمالاً بهذا المعنى . والمراد
بِالاستفهام هنا : المحقق والمفسر الثاني .
(٢٤) ١ : أي المهرب . وَأَبْنِي : أبجل . وَالْأَخَاطُ : جمع خَطٍّ : وهو النظر بموضع العين كما يلي
الصلح ، ومن كلام العرب : فتفتي أخاها ولطفها ، وأندى : اسم تفضيل من قَدِي (كرومي) : إذا أبجل ،
والمراد أنفسر وأب . وَالْقَدَّ : القامة ، وحسن التقطيع ، والاعتدال .
يقول : إن « بيه أبجل من القصر وجهها » ، وأقتل من الغزال الخاطأ ، وأندى من الورود خدًا ،
وَأَيْنُ من الفصن قَدَا .
(٢٥) مَلُولٌ : صفة من عدله (من بلان نصر وسرب) : أو لاد . وَأَبْنِي : أطلب . وَالْعَوَازِلُ :
جمع عَازِلَةٌ ، ولشاعر يريده جسمًا لمثله . ولا تعرف له وجهًا في نصيب الكلام . والرشد : الهدى والصلاح ،
وهو خلاف الذي والفساد .
(٢٦) لَا تَخْلِنِي : لَا تَفْلِنِي . وَتَفْلِنُ : تَفْلِنُ تَفْلِنُ : اسم من أخرى فلان بين القوم ، أي ألد ،
وَأَبْنِي بينهم العداوة . وَالرَّوِيَّةُ : سرقة في القلب ، وألم من حب أو غيره .
يقول لماذا : لَا تَحْبِسْنِي أَتَأْتِرُ بِإِسْكَادِكَ ، وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ بِمِثْلِ مَا أَشْعُرُ بِهِ .
من لوحة الواحد وسرقة الحب
(٢٧) الصَّدُودُ : الإعراض والمجر . وسورة الحوادث : شدتها وسلطانها . وجله : قوي . صبور .
(٢٨) الْقِلَّةُ (بفتح القاف) : الحيرة ، أو هي اسم دُرَّة من اللؤلؤ . وهو عهد أخدو والرشاد ، أو
مي (بكر السداد) : بمعنى اللؤلؤ أيضًا . وَأَعَايُ : اسم تفضيل من هداى يهديه هدى ، وهو الرشاد واللالة .
وعمل هذا يكون المعنى : إِنْ تَوَسَّعْتُ فِي الْحَبِّ فَتَنْسَى أَحَقَّ وَأَجْلَدُ بِهَا ، وَإِنْ يُوَجِّدُ بِهِ ضَلَالٌ
وحيرة فآله تعالى خير من يهديني إلى سبيل الرشاد ؛ ومفهوم البيت أنه ليس في حاجة إلى عدل
المعاذل .

القصيدة الثالثة والعشرون

قَالَ :

دَعِ الدُّنْيَا فِي الدُّنْيَا لِيَمُنَّ عَافَ حَتْفَهُ فَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى أَدَى^(١)
وَلَا تَضْلُجِبْ إِلَّا أَمْرًا إِنْ دَعَوْتَهُ لَدَى جَمَرَاتِ الْحَرْبِ ، لَبَّاءُ الْوَاحِدَى^(٢)
يُسْرَكَ عِنْدَ الْأَمْنِ فَضْلًا وَحِكْمَةً وَيُرْضِيكَ يَوْمَ الرُّوْعِ نَبِيلاً مُقَلَّدَى^(٣)
فَمَا حَبَدًا الْخِلُ الصَّنِىُّ ! وَهَلْ أَرَى نَمِيبًا مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُلْتُ حَبَدًا^(٤)
لَعْنَتِي لَقَدْ نَادَيْتُ ، لَوْ أَنَّ سَامِعًا وَنَوَفْتُ بِالْأَحْرَارِ ، لَوْ أَنَّ مُنْقَلَدَى^(٥)

(١) الحنف : الحلاك والموت .

(٢) جمرات النار : قطعها الملتببة ، الواحدة جمر (يفتح فسكون) ، ولدى جمرات الحرب : عند انقضاء نازها . وليباك : أجاهك ، وأقام على الصنك . واحتلى مثلك : اقتضى بك .
(٣) يوم الروع : يوم الفرع والخوف في الشدة والحرب ونحوها . والنيل : السهام الرمية ، وهي مؤنثة ، ولا واحد لها من لفظها ، بل الواحد سهم : وهو ما يرى به الصائد ويحسوه عن القوس ونحوها . ومقلد : مسوي : اسم مفعول من قلد الرجل السهم تقليداً : إذا سواه ، وأحكم بره .

يقول : إن هذا الصاحب يسرك عند الأمن بفضلته وحكمته ، ويرضيك يوم الفرع بحسن دفاعه عنك .
(٤) النمل : الصديق القصر . والصن : الحبيب المصافي الصادق الإخاء .

يملح النمل الصن ، ويتمنى وجوده ، ويقول : إن كل شيء مملوح محبوب في الحياة قليل بعيد المثال .

(٥) لسنرى : اللام لتوكيد الابتداء ، أو هي لام القسم . والسر : المصلحة والحياة ، وهو مبتدأ غيره محذوف . والتقدير لسنرى نفسى ، أو لسنرى ما أنسى به . ولزء به تدريجاً : دعاه وولاه . يقول : وسيفي ، لقد ناديت لو أن سامعاً يحميني ، ودعوت الأحرار ، وولفت بدمع شأنيهم ، لو أن منقلداً منهم أتبعني .

وَمَلَّوْنَتْ بِأَلَا قَاتِي ، حَتَّى كَانَتْنِي
فَمَا وَقَعَتْ عَيْنِي عَلَى غَيْرِ أَحَقِّي
إِذَا مَا رَأَيْتُ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
فَحَسْبِي مَتَى يَا ذَهْرٌ أَكْتُمُ لَوْعَةً
أَلَمْ يَأْنِ لِلْأَيَّامِ أَنْ تُبْعِرَ الْهَلْدَى
إِذَا لَمْ يَكُنْ بِالْذَهْرِ خَبِلٌ لَمَّا عَدَا
أَحَاوِلُ مِنْ هَلْدَى الْبَسِيطَةِ مَنَفَذًا^(٦)
غَوًى ، يَظُنُّ الْمَجْدَ فِي الرَّئِىِّ وَالْعَدَا^(٧)
وَلَمْ أَسْتَطِعْ رَدًّا ، طَرَفْتُ عَلَى قَلْدَى^(٨)
تُكَلِّفُ قَلْبِي كُلْفَةَ الرِّيحِ بِالشَّدَا^(٩)
فَتُخْفِضُ مَا فُونَا ، وَتَرْفَعُ جَهْدًا^(١٠)
بِيسِيرٍ بِنَا فِي ظُلْمَةِ الْجَوْرِ هَكَذَا^(١١)

(٦) طرف : أكثر التصرف . والآفاق : التواحي ، واحدها أفق (بضمين) . والبسطة : الأرض . ومنفذ : اسم مكان من نفذ السهم نفوذاً (من باب قعد) ونفاذاً ، أى غرق الرميّة ، وخرج منها ، أو هو مصدر ميمي بمعنى النفاذ : وهو الخروج .

(٧) أحق : قليل العقل . وشئ : ضالّ ، منهك في الجهل . والجند : الكرم والمزّ والشرف . والرّى (يفتح الراء) : مصدر روى من الماء يروى (كرشى يروى) رياءً ، والاسم الرى (بكسر الراء) والنفا : مقصور النفاذ : وهو ما ينطلى به من الطعام والشراب .

(٨) طرف بصره (من باب ضرب) : أطبق أحد جفنيه على الآخر . والقلى : ما يسقط في العين فيجبها ، ويسيل دمعها . والمراد أنه يحتدل ذلك على كراهية ، ويترّم ، ويضعف .

(٩) اللوعة : حرقّة في القلب ، وألم من همّ وضوء . وكلّنه تكليفاً : أمره بما يشقّ عليه . والكلفة (بضم فسكون) : ما يتكلّفه الإنسان : أى يصمّمه على مشقّة . والشدا : قوة ذكاء الرائحة .

يقول : إلى متى أكتم لوعة الحزن التى ضاقت بها نفسى ، والتى تكلف قلبى المستحيل في صونها وتكتمها ، كما تكلف الريح صياقة ما بها من عطر شذى .

(١٠) ألم يأن : ألم يحين ، ولم يقرب ، مضارع أن الشئ أنياً (من باب روى) : أى دنا وقرب ، وجاءه سيئه وروته . والمأفون : الضعيف الرأى والعقل . والجهد (بكسر فسكون فكسر) : التفاد الخبير بهوطن الأمور .

(١١) الخبل (يفتح فسكون) : فساد الأضواء حتى لا يدرى المختبل كيف يمضى ، والتخيل (يفتح الخاء والياء) : الخنثى وشبهه ، كالمهوج والبله (يفتحين فيهما) . والجور : الظلم والحيل عن النعمد وقرع اللام (هنا) في جواب إذا غير صحيح .

القصيدة الرابعة والعشرون

قَالَ يَصِفُ أَيَّامَ الرَّبِيعِ ، وَيَذْكُرُ مَوَاسِمَ اللَّهْوِ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ .
وَمَتَّ بِخَيْطِ نَوْرِ كَهْرَبَةِ الْفَجْرِ وَنَمَتْ بِأَسْرَارِ النَّدَى شَقَّةُ الزَّهْرِ (١)
وَسَارَتْ بِأَنْفَاسِ الْخَمَائِلِ نَسْمَةٌ بَلِيلَةٌ مَهْوَى الدَّلِيلِ ، عَاطِرَةٌ النَّشْرِ (٢)
فَقَمَّ نَفْتَنُ صَفْوِ الْبُكُورِ ، فَإِنَّهَا غَدَاةُ رَبِيعٍ زَهْرُهَا بِاسِمُ الشَّعْرِ (٣)
تَرَى بَيْنَ سَطْحِ الْأَرْضِ وَالْجَوِّ نَسْبَةً تُشَاكِلُ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَالْقَدْرِ (٤)

(١) نَمَّ السَّحَابُ وَالرَّيَّانُ : أَسَاعَهُ وَأَفْشَاهُ . وَالنَّدَى : الْبَلَلُ ، وَالْمَطَرُ الْقَلِيلُ ، وَقَطَرَاتُ الْمَاءِ تَسْقُطُ مِنْ السَّمَاءِ آخِرَ اللَّيْلِ
يَصِفُ طُلُوعَ الْفَجْرِ وَهُوَ يَكُونُ وَقْتَهُ مِنْ ائْتِشَارِ نُورِ الصَّبَاحِ وَتَفْتَحُ الْأَزْهَارُ وَظُهُورُ قَطَرَاتِ النَّدَى عَلَيْهَا
(٢) الْإِنْفَاسُ : جَمْعُ نَفْسٍ (بِفَتْحَتَيْنِ) . وَالْخَمَائِلُ : جَمْعُ خَيْلَةٍ (بِفَتْحِ فَكْرٍ) ، وَهِيَ الشَّجَرُ الْمُجْتَمِعُ الْكَثِيفُ ، وَالْمَوْضِعُ الْكَثِيرُ الشَّجَرِ وَالنَّسْمَةُ (بِفَتْحِ السِّينِ) ، وَإِنَّمَا سَكَنَتْ هُنَا لِمُضَرَّةِ وَزْنِ الشَّعْرِ : نَفْسٍ (بِفَتْحَتَيْنِ) الرِّيحُ ، إِذَا كَانَتْ مُعْتَدِلَةً طَيِّبَةً ، كَالنَّسِيمِ . وَهَوَى الدَّلِيلِ : طَرَلَهُ ، أَسَمَ مَكَانَ مِنْ هَوَى يَهْوِي (كَرَى يَهْوِي) أَيْ سَقَطَ . وَالنَّشْرُ : الرَّاغِمَةُ .
وَالْمَعْنَى أَنَّ النَّسِيمَ يَحْمِلُ رِيحَ أَزْهَارِ الْخَمَائِلِ يَلِيلًا عَطْرًا .
(٣) أَغْمَتِ النَّهْيُ : أَصَابَهُ غَنِيْمَةٌ ، وَهِيَ مَا يَفُوزُ بِهِ الْإِنْسَانُ بِلَا تَنْبٍ وَلَا مَشَقَّةٍ . وَالصَّفْوُ : الصُّدُ الْكَامِنُ . وَالْبُكُورُ : مُصَدَّرٌ بِكَرٍ عَلَيْهِ وَإِلَيْهِ ، أَيْ أَتَاهُ بِكَرَةٍ ، وَهِيَ أَوَّلُ النَّهَارِ ، وَالتَّبَكُّيرُ مِثْلُ الْبُكُورِ ، وَكَذَلِكَ الْمُبَاكِرَةُ . وَالغَدَاةُ : أَوَّلُ النَّهَارِ ، أَوْ مَا بَيْنَ صَلَاةِ النَّجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ .
يَدْعُو مَنْ يَخَاطَبُهُ إِلَى التَّبَكُّيرِ لِاخْتِمَامِ صَفَاءِ الْحَيَاةِ . وَالِاسْتِمْتَاعُ يَحْمِلُ الطَّبِيعَةَ زَمْنَ الرَّبِيعِ ، وَيُشِيرُ إِلَى تَفْتَحِ الْأَزْهَارِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ .
(٤) النَّسْبَةُ (بِكَسْرَتَيْنِ وَفَتْحَةٍ) : التَّنَسُّبُ وَالْقَرَابَةُ ، وَالْمُرَادُ الصَّلَةُ . وَفِي ثَلَاثَةِ الْآيَاتِ الْآخِيَةِ بَيَانٌ وَتَفْصِيلٌ لَهَا . وَتَشَاكَلُ : تَشَابَهٌ وَتَضَارُعٌ وَتَوَاقُفٌ . وَالسَّحَابُ : جَمْعُ سَحَابَةٍ . وَالْقَدَرُ : جَمْعُ خَدِيرٍ ، وَهُوَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْمَاءِ يَفُودُهَا السَّيْلُ ، أَيْ يَتَرَكُّهَا .

فَفِي الْجَوِّ هَتَانٌ يَسِيلُ ، وَفِي الثَّرَى سِيلٌ تَرَامِي بَيْنَ أَوْدِيَةِ غَزْرٍ^(٥)
 عَمَّامَانِ قِيَاصَانِ : هَذَا بِأَفْقِهِ يَسِيرُ ، وَهَذَا فِي طِبَاقِ الثَّرَى يَسْرِي^(٦)
 وَقَدْ مَاجَتْ الْأَغْصَانُ بَيْنَ يَدِ الْعُصْبِ كَمَا رَفَرَفَتْ طَيْرٌ بِأَجْحَةٍ خُضِرٍ^(٧)
 كَانَ النَّدَى فَوْقَ الشَّقِيقِ مَدَامِغٌ تَجُولُ بِحَدٍّ ، أَوْ جَمَانٌ عَلَى نَبْرِ^(٨)
 إِذَا غَارَ لَتَهَا لَمْعَةٌ ذَهَبِيَّةٌ مِنْ الشَّمْسِ رَفَّتْ كَالشَّرَارِ عَلَى الْجَمْرِ^(٩)

(٥) سحاب هتان كثير المني ، وهو المطل (يفتح فسكون) والانصباب والتابع . والثرى : الأرض . وتراى أصله ترمى : أى تطول وتمتد . والأودية : جمع الوادى . وفزر : كثيرة الماء .

(٦) غمامان : منى غمام ، وهو السحاب ، وأحده غمامة . والأفق (هنا) : مجال السحب . والطباق : جمع طبق ، أو جمع طبقة (يفتحين نيها) . وطباق الثرى : طبقاته التى يملأ بعضها بعضاً . ويسرى يسير .
 (٧) : ماجت : تحركت واهتزت . والصبأ : ربح تهب في بلاد العرب من جهة المشرق . وفرفرف الطائر : حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه .

(٨) الندى : الليل ، والمطر القليل ، وقطرات ماء تسقط من السماء غر الليل . ويريد بالشقيق : شقائق النعمان ، وهو زهر معروف أحمر اللون ، وقد أضيف إلى النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة ، لأنه أعجب بهذا النوع من الزهر ، فحماه وكثره . أو هو مضاف إلى النعمان بمعنى الدم . ولم نجد كلمة « الشقيق » فيما نعرفه من المعجمات ، ولكنها وردت في كلام بعض المولدين ، كقول أبي بكر الصنوبرى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ .
 وكان محسراً الشقيق ق إذا تصوب أو تصد

أعلام ياتسوت نثر ن على رباح من زيرجند

ويريد بالمذامع : الدموع ، وهى في الأصل المآقى ، أى أطراف العين حيث تسيل الدموع . وتجول : تهتز وتتحرك . وإحسان حب من فضة يعمل حل شكل اللؤلؤ ، وقد يسمى به اللؤلؤ ، الواحدة جمانة (بهم الجيم) . والتبر : ما كان من الذهب غير مقصوب ولا مصوغ .

(٩) غازلتها من المغازلة ، وهى في الأصل معادة النساء ، والهو معهن ، والتبديد للجن ، والكلام هنا على المجاز . واللمعة : اسم مرة من لمع البرق ونحوه (من باب قطع) أى أضاء ، والمواد بها الشاعرة عن أشعة الشمس . ورفقت برقت وتلاذت . والشرار : ما يتطاير من النار ، الواحدة شرارة . والجمر : القطع الملتبئة من النار ، الواحدة جمرة .

يقول إن أشعة الشمس الذهبية تسطع أول النهار فوق شقائق النعمان ، فترق وتبرق ، كأنها شرار على جمر .

فَقِي كُلُّ مَرَعَى لَحْظَةً وَشَيْ دِيمَةً وَفِي كُلِّ مَرَمَى خَطْوَةً أَجْرَعٌ مُثْرَى ^(١٠)
مُرُوجٌ بَجَلَا مَا الزُّهْرُ ، حَتَّى كَانَتْهَا مَسَاكَةً تَرُوقُ الْعَيْنُ بِأَلَا نَجْمُ الزُّهْرِ ^(١١)
كَبَانٌ صِحَافُ النَّوْرِ وَالطَّلُّ جَامِدٌ مَبَاسِمٌ أَصْدَافٍ تَبَسُّمْنَ عَنْ دُرٍّ ^(١٢)
وَقَدْ شَمَلَنِي وَالصَّبِيحُ فِي خَيْدَرٍ أُمٍّ حَتَيْنُ حَمَامَاتٍ تَجَاوَبْنَ فِي وَسْكَرٍ ^(١٣)
مَتَفَنَ فَأَطْرَبْنَ الْقُلُوبَ ، كَانَتْهَا تَعْلَمُنَ الْحَانَ الصَّبَابَةَ مِنْ شِعْرَى ^(١٤)

(١٠) المرعى: الموضع تستقل فيه الماشية لأكل الكلأ، وهو اسم مكان من رعى الماشية الكلأ إذا سرحت فيه. والصحفة (هنا): النظرة. والمراد بمرعى الصحفة: مجال النظر. والوشى: نقض الثوب، ويكون من كل لون، وشى الصانع الثوب (كوشى) وشياً وشية (كوشة وشدة) أى نقشه ونقشه وحسنه. والديمة: مطر يدم في سكونه فلا يعد ولا يرق. والمرعى: اسم مكان من رعى. والأجرج: الرملة السهلة المستوية. والطنبة المنبت: والمثرى الكثير الخير.

يقول إنه في كل موضع تقع عليه العين نبات نظير، يختلف الألوان، كثير الأزهار، من وشى الأمطار الزرية،، والياه الدائمة، وفي كل خطوة يخطوها الإنسان أرض طيبة النبات كثيرة الندى والخير.

(١١) المروج: جميع مرج (يفتح فسكون)، وهو أرض ذات نبات ويرعى. ويجلاها الزهر: زينها وزجها، أو علاها، أو أوضح بحاسنها. وتروق: تعجب. والزهر (بضم فسكون) النيرة المشرقة، البيض الحسان، واحدها أزهر.

(١٢) الصحاف: جميع صحفة (يفتح فسكون): وهى إناة يؤكل فيه. والنور: الزهر، واحده نورة، و صحاف النور: النور الشبيه بالصحاف. والطل: المطر الخفيف، أو أضعف المطر، والمراد به قطرات الندى فوق ورق الزهر. والمباسم: جميع مبسم (كنزل) وهو الثغر (يفتح فسكون)، والمبسم فى الأصل اسم مكان من البسم (يفتح فسكون) وهو أقل الفسح وأحسنه، كالأبسم والتبسم. والأصداف أغشية الدر، جمع صدف (يفتحين)، وواحدة الصدف صدقة. والدر: اللؤلؤ، واحده درة (بضم الدال وتشديد الراء).

(١٣) شاتى: هيج شوق. والخلد: السر. ووصف الصبح بأنه فى صدر أمه: تعبير يراد به أنه فى أول ظهوره، على التشبيه بالطفل. والحئين: صوت الطرب، من حزن أو فرح. وتجاوين: جابوب بعضها بعضاً. والركر: عش الطائر حيث كان فى شجر أو جبل.

(١٤) هتفت بالحياة تهنيت (من باب ضرب) صاغت وصيغت. والطرب: خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور، (روياه فرح)، ويمدّى بالحمة، يقال: أطربنى المفتى ونحوه. والأغانى: الأصوات المصنوعة الموسومة، يرسلها المفتى بعد ضبطها ووزنها، أو من الأغاني. والصبابة: الشوق، أو رقة وحرارة، أو رقة الهوى.

وَقَامَ عَلَى الْجُذْرَانِ أَعْرَفَ لَمْ يَزَلْ يُسَدِّدُ أَحْلَامَ النَّيَامِ وَلَا يَذُرِي^(١٥)
تَخَايَلَ فِي مَوْشِيَّةٍ عَبْقَرِيَّةٍ مُهْدَلَّةِ الْأَرْذَانِ سَابِغَةِ الْأُزْرِ^(١٦)
لَهُ كِبَرَةٌ تَبْدُو عَلَيْهِ ، كَأَنَّهُ مَلِكٌ عَلَيْهِ التَّاجُ يَنْظُرُ عَنْ شَزْرِ^(١٧)
فَسَارِعٍ إِلَى دَاعِي الصُّبُوحِ مَعَ النَّدَى لِنَجْنِي بِأَيْدِي اللَّهِ بِأَكُورَةِ الْعُمَرِ^(١٨)
فَقَدْ نَسَمَتْ رِيحُ الشَّالِ ، فَتَبَهَتْ عُيُونُ الْقَمَارِي وَهِيَ فِي سِنَةِ الْفَجْرِ^(١٩)

(١٥) أعرف: له عرف (بضم فسكون) والمراد بالأعرف (هنا): الديك ، وعرفه (بضم فسكون)

لحمة حمراء مصطيلة في أعل رأسه . ويبدد: يفرق .

(١٦) تخايل: تكبر . وموشية منقوشة ، اسم مفعول من الوش ، وهو نقش الثوب ، وفي الصانع الثوب (كوى) وشياً وشية ، أي منمنه ونقشه وحسنه ، كوشاة ثوبية ، والمراد ما يكو جسمه من الريش المختلف الألوان . وعبقريّة: تامة الحسن ، نسبة إلى عبقر ، وهو - فيما تزم العرب - موضع كثير الجن ، ينسبون إليه كل شيء تعجبوا من حسنه وكأله ، أو هي منسوبة إلى قرية لها في غاية الحسن ، اسمها عبقر: وبهذه - مسترمة مرخاة طويلة . والأردان: جمع ردن (بضم فسكون) وهو أصل الكم ، والمراد به هنا: الكم . وسابغة: واسمة طويلة تامة . والأزر (بضم فسكون ، وبضمين): جمع إزار ، وهو الثوب ، والملحفة ، وكل " ماستر الجسم ، كالإزر (بضم فسكون) . والمعنى أن الديك يزهى ويعجب بنفسه ، وقد طال جناحاه وذيله ، ولبس من الريش ثوباً جميلاً مختلف الألوان .

(١٧) الكبرة (بكر الكاف وسكون الياء): العظمة والتجبر والكبرياء ، كالكبر (بكر فسكون) والتأنيث في الكبرة المبالغة . وتبدو: تظهر . ونظر إليه شزراً: إذا كان مؤخر عينه ، وهو نظر فيه إعراف وتكبر ، كنظر المبالغين والفضبان .

(١٨) الصبوح (يفتح الصاد): شراب الصباح . والندى: المطر القليل يسقط آخر الليل . وجنى فلان الثمرة (من باب ري) واجتناها: انتقطها . وبأكورة الفاكة: أول ما يدرك منها . يدعو إلى مباركة الصبح ، والمسارة إلى الشرب في أول النهار ، والاستمتاع باللهو ، وملاذ الحياة في زمن الصبا ، وريهان الشباب .

(١٩) نسمت الريح: هبت لينة ضعيفة لطيفة . والقهارى (بتشديد الياء) ، جمع قمرية (بضم فسكون) فكر قياه شديدة: نوع من الحمام ، وشفقت الياء هنا لفرورة وزن الشعر ، والقمرى في الأصل البياض ، أو هي لون إلى الخضرة ، أو بياض فيه كدرة . والسنة (بكر السين): الناس أو أول النوم .

وَنَادَى الْمُنَادَى لِلصَّلَاةِ بِسُحْرَةٍ فَأَحْيَا الْوَرَى مِنْ بَعْدِ طَلْحَى إِلَى نَشْرِ (٢٠)
فَبَادَرَ لِمِيقَاتِ الصَّلَاةِ ، وَبَلَ بَنَّا إِلَى الْقَصْفِ مَا بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالنَّهْرِ (٢١)
إِذَا مَا قَفَيْنَا وَاجِبَ اللَّيْلِ حَقَّهُ فَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْخَلَاعَةِ مِنْ وَزْرِ (٢٢)
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ كَانَ تَارِيخُ صَبْوَةٍ مَضَى غَيْرَ لَائِرٍ فِي الْمَخِيلَةِ أَوْ ذِكْرٍ (٢٣)
عَصَيْتُ بِهِ سُلْطَانَ جِلْمِي ، وَقَادَنِي إِلَى اللَّهْرِ شَيْطَانُ الْخَلَاعَةِ وَالسُّكْرِ (٢٤)
لَدَى رَوْضَةِ رِيَّا الْقُصُونِ ، تَرَنَّنَتْ مَعَاطِفُهَا رَفْصًا عَلَى نَعْمَةِ الْقُمْرَى (٢٥)

(٢٠) السحرة (بضم فسكون) : السحر (بفتحين) وهو آخر الليل قبل الصبح ، والمراد وقت الفجر . والورى : الخلق والناس . والمراد بإحياء الورى : إيقاظهم وتنبيههم من نومهم . والمراد بالطلح : النوم . والمراد بالنشر : البقعة والانتشار في الأرض .

(٢١) ميقات الصلاة : وقتها المشرروب لأدائها . ومعنى المبادرة إلى ميقات الصلاة : المسارعة إلى تأديتها ، وقتها . والقصف : الهجوم والعقب . ويريد بالجزيرة : روضة القياس في نهر النيل ، شرق الجزيرة ، وغربي مصر القديمة .

يقول أد الصلاة ، وسر بنا بعلها إلى اللهو : منتقلا ما بين الجزيرة والنهر .

(٢٢) الخلاعة : المهيون وعدم المبالاة . والوزر : الإثم والذنب .

(٢٣) الصبوة : الميل إلى الجهل والفتنة . واللائر (بكسر الهمزة) : الأثر (بفتحين) ، والمراد الصورة . والمخيلة : الوم والخيال . والذكر (بكسر فسكون) : التذكر ، والشيء يجري على اللسان .
يحن إلى أيام كان فيها ناعماً لاهياً مرحاً مستمتعاً بما يستمتع به الفتيان ، متقاداً لأسباب الهوى والخلاعة ، ويقول إن هذه الأيام قد ذهبت ، وبعد عهدى بها ، حتى لم يبق منها غير أثر يراعى في خيالي ، أو حديث يجري على لساني .

(٢٤) به : أى في ذلك اليوم الذي كان تاربخ صبوته . والحلم : الأناة والمقل . والخلاعة : الهجاة وعدم المبالاة .

(٢٥) الروضة : أرض ذات شجر وشب وزهر . ورياً : صفة من الرى (بكسر الراء وفتحها) وهو ضد العطش ، يقال : هو ريان ، وهى رياء . وترننت : تميلت . ومعاطفها : جوانبها حيث تمتص وتتثنى . والقمير يمدح على الفصون . والنشمة جرس الصوت وحسه . والقمرى : نوع من الحمام ، والجملع قمر (بضم فسكون ، كروى وروم) ، والأثني قمرية .

تَدُورُ عَلَيْنَا بِالْمُدَامَةِ بَيْنَهَا تَمَائِلُ ، إِلَّا أَنَّهَا بَيْنَنَا تَجْرِي (٢٦)
تَرَى كُلَّ مَيْلَاءِ الْخِمَارِ مِنَ الصَّبَا هَفِصِمَةٍ مَجْرَى الْبَنْدِ ، نَاهِيَةِ الصَّدْرِ (٢٧)
إِذَا انْفَتَلَتْ فِي حَاجَةِ خِلْتِ جَوْذَرًا أَحْسَنَ بِصَيَادٍ فَاتْلَعَ مِنْ دُغْرِ (٢٨)
لَوَى قَدَمًا سَكْرَ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا فَمَالَتْ بِشَطْرِ ، وَاسْتَقَامَتْ عَلَى شَطْرِ (٢٩)
وَعَلِمَهَا وَخَى الدَّلَالِ كَهَانَةً فَإِنْ نَطَقَتْ جَاءَتْ بِشَىءٍ مِنَ السَّخْرِ (٣٠)
أَحْسَتْ بِمَا فِي نَفْسِهَا مِنْ مَلَاةٍ فَتَاهَتْ عَلَيْنَا ، وَالْمَلَاةُ قَدْ تُغْرَى (٣١)

(٢٦) المدامة : الحسر . وبينها ، أى بين الفصن ، أو بين نواحي هذه الروضة . وأراد بالتمايل اللقيحات الحسان اللاتي يستقيمن .

(٢٧) ميلاء مائلة . والخمار : ثوب تغطي به المرأة رأسها . والصبا : الشباب . ومعنى ميلاء الخمار من الصبا : أنها تميل من زهو الصبا فيميل خمارها . وهفصية : ضامة خيصة نحيفة لطيفة . والبند : النطاق . ويجرى البند : الخاصرة والوسط . وفائدة صفة من نهذ الثنى (كنع ونصر) نهوذاً إذا ظهر وأرتفع .
(٢٨) انفتلت : انصرفت . والجوذر (بضم الدال وفتحها) : ولد البقرة الرحيشة تشبه به المرأة الحسانة في الرشاقة وجمال العينين وازدحامها . وأطلع الظبي ونحوه : سما بجيده ، وبدء عنقه يتناول .
والدغر : الخوف ، وهو اسم من دغره (من باب قطع) إذا أزعجه وأخاله .
والمعنى أنها حينئذ تقوم لعمل شيء تنهض في رشاقة وخفة مرتفعة الرأس ، كأنها الظبي أحسن صياداً .

(٢٩) القد : القوام (بفتح القاف) والاعتدال . والملاحة : المحوّن وعدم المبالاة . والصبا : جهلة الفترة والشرق والحنين والمرح والهوى ، أو الصبا : الصغر . وشطر كل شيء نصفه .
(٣٠) الرسي : الإيحاء والإشارة والإلهام ، وكل ما ألقى إلى غيرك ليحمله . ودلال المرأة ودلتها : رشاقتها ، وجمال حركتها ، وسنن هيتها ، وأصله من دلت المرأة على زوجها ، إذا أرتة جرأة عليه في تكسر وتشكل ، كأنها تتخالفه وما بها خلاف . والكهانة مصدر كهن له (كنع ونصر وكرم) إذا قضى له بالنيب والمراد بالكهانة هنا : السحر ، أو علوية القول ، ولطف الحديث ، لأن الكاهن يستعمل من يكنهن له بكلام مناسر شديد التأثير .

(٣١) الملاحة : الحسن ، والبارية الملية هي التي إذا كررت فيها بصرك زادتك حسناً ، وقيل الملاحة : حنوية النفس ، والظرف والطف ، وخفة الدم والظلل . وتاهت تكبرت . وأغراء بالشيء : أولمه به ، وحفره إليه .

وَأَعْجَبَهَا وَجَدَى بِهَا ، فَتَكَبَّرَتْ عَلَى دَلَالَا ، وَهِيَ تَصْدُرُ عَنْ أَمْرِى (٣٣)
فَنَاقَةُ يَجُولُ السَّحَرُ فِي لَحَظَاتِهَا مَجَالُ الْمَنَآيَا فِي الْمُهَنْدَةِ الْبُئْرِ (٣٤)
إِذَا نَظَرْتَ ، أَوْ أَقْبَلْتَ ، أَوْ تَهَلَّلْتَ قَوْلُ مَهَاةِ الرَّمْلِ ، وَالْفُضْنِ ، وَالْبُذْرِ (٣٥)
فَمَا زِلْنَا بُغْرَيْنَ الطَّلَا بِعُقُولِنَا إِلَى أَنْ سَقَطْنَا لِلْيَدَيْنِ وَلِلنَّخْرِ (٣٦)
فَمِنْ وَاقِعٍ يَهْلِي ، وَآخَرَ ذَاهِلٍ لَهُ جَسَدٌ مَا فِيهِ رُوحٌ سِوَى الْخَمْرِ (٣٧)
صَرِيحٌ يَظُنُّ الشُّهْبَ مِنْهُ قَرِيبَةً فَيَسْتَدُو بِكَفَيْهِ إِلَى مَطْلَعِ النَّسْرِ (٣٨)

(٣٣) الوحيد : المحبة . وتصدر : تربع وتنصرف ، والواو هنا الحال . وتصدر عن أمره . تعليمه ولا تنالقه .

يقول إنها تحسّس بجمالها ، ويشقه بها ، فتزهو عليه وتتكبر وإن كانت في كنفه ، وتجب عليها طاعته .

(٣٣) يحل : يطوف ويرتد . والحظّات : جمع لحظة ، اسم مرة من لحظة (كنهه) ، ولحظ إليه لحظاً (يفتح لكونه) ولحظاً (يفتحين) إذا نظر إليه بمؤثر عينه . ومجال : مصدر ميسر بمعنى المولان (يفتح الجمل والواو) وهو الطواف والدوران . والمنايا : جمع منية ، وهي الموت . والمهندة السيوف المطبوعة من حديد الهند ، وهي أجود السيوف ، يقال سيف هندوان يهند ، أو المهندة المشحونة ، اسم لمعدن من هند الصيقل للسيف ، أى شحذه وأحده . والبئر : جمع بئر ، أى نافذ قاطع . والمعنى أن نظراتها فائقة ساحرة جذابة .

(٣٤) تهلكت : تلالاً وجهها وأشرق . والمهابة : البقرة الوحشية ، تشبه بها الحسناء في جمال الميرون واتسامها .

والمعنى أنها إذا نظرت كانت كالبقرة الوحشية ، جميلة العين ، ساحرة النظر ، وإذا أقبلت كانت كالفضن مثنية ، جميلة القد ، ليثة الأعطاف ، وإذا أشرق وجهها وتلالاً ، كانت كالبلر باهرة الضياء ، تامة البهاء .

(٣٥) أغراء بالنوى : أولمه به ، وحمله عليه ، وسخره إليه ، والطلا : (بكسر الطاء) : الخمر ، وقصرت هنا لفروية وزن الشعر . والتسر : موضع القفلة من الصدور .

(٣٦) يهلى : يتكلم بين مقول . وذاهل : اسم فاعل من ذهل عن الشيء (كنه) ذهلاً (يفتح فسكون) وذهلاً (كعمود) إذا نسيه ونقل عنه .

(٣٧) صريح : مطروح عل الأرض . والشهب : ككتب ، ويموز تسكين عينه) : النجوم السبعة المعروفة بالدور ، والمراد بها هنا : النجوم مطلقاً . وسدا يده يسد : مدّها . والنسر : كوكب معروف ، وما اثنان ، يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر النسر الواقع .

إِذَا مَا دَعَوْتَ الْمَرْءَ دَارَ بِلَحْظِهِ إِلَيْكَ ، وَغَشَاهُ الدُّهُولُ عَنِ الْجَهْرِ (٣٨)
 بَعِيدٌ عَنِ الدَّاعِي وَإِنْ كَانَ حَاضِرًا كَأَنَّ بِهِ بَعْضَ الْهَنَاتِ مِنَ الْوَقْرِ (٣٩)
 تَحَكَّمَتِ الصَّهْبَاءُ فِيهِمْ ، فَغَيَّرَتْ شَمَائِلَ مَا يَأْتِي بِهِ الْجِدُّ بِالْهَنْدَرِ (٤٠)
 فَيَا سَامَحَ اللَّهُ الشَّبَابَ وَإِنْ جَنَى عَلَيَّ ، وَحَيًّا عَهْدَهُ سَبِيلُ الْقَطْرِ (٤١)
 مَلَكَتْ بِهِ أُمْرِي ، وَجَارَيْتُ صَبَوِي وَأَصْبَحْتُ مُرْهُوبَ الْحِمِيَّةِ وَالْكِبَرِ (٤٢)
 إِذَا أَبْصَرَوْنِي فِي النَّدَى تَحَاجَزُوا عَنِ الْقَوْلِ وَاسْتَغْنَوْا عَنِ الْعُرْفِ بِالْهَنْكِرِ (٤٣)

(٣٨) اللحظ : مصدر لحظه (كنهه) ولفظ إليه ، إذا نظر إليه بمؤخر عينه . ومعنى دار يلحظه إليك : نظر إليك نظرات حائرة . وغشاه : غطاه وغطيه . والدُّهُولُ : النَفْلَةُ . والجهر : رفع الصوت بالكلام .
 (٣٩) الهنات : جمع هنة ، وهى الشيء اليسير . والوقر : ثقل فى الأذن ، أو ذهاب السمع كله . والمعنى كأنَّ به شيئاً من الصمم .

(٤٠) الصهباء : الحمر ، أو المعصورة من عنب أبيض ، وهو اسم لها كالعلم . والشمال : جمع شمال (بكر الثنين) بمعنى الملقى والطبع : والخدر : مصدر حدر فى منطقته (من باب ضرب ونصر) إذا خلط وتكلم بما لا ينبغي ، والاسم الخدر (بفتح الهاء والذال) وهو الخديان .
 يقول إن الحمر قد سيطرت على عقولهم ، فبدلتهم بصفات الجلد هلياناً واختلاطاً .

(٤١) عهده : زمانه . وألهمه أيضاً : المنزل الموهوب به الشيء ، كالمعهد . والسبل (بفتح السين وإلواء) المطر الغزير المسيل ، أى الذى أرسل دقعه وتكاثف ، كأنما أسبل سترًا ، أى أرسله وأرشاه ، أو هى سبل جمع سبله ، (كثرت جمع غرفة) ، والسبله : المطرة الواسعة . والقطر : المطر .

(٤٢) به : فى زمن الشباب . والصبوة : جهلة الفتوة ، وانقياد الفتى لداوى الهرم والمرح ، ويبريه فى سبل الفتى والجمانة . ومرهوب : مهيب مخوف . والحمية : الأتفة والاستكبار .

يبين فى هذا البيت سبب دعوته للشباب ، فىقول : إنَّه كان مصدر قوة ولذة وهيبة .

(٤٣) الندى : مجلس القوم ، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه كالنادى والمنتضى . وتحاجزوا عن

القول : منع بعضهم بعضاً . والعرف (هنا) ما يستحسن من كرم الآداب . والنكر : المنكر .

والمعنى أنه مهيب مخشى بأسه ، إذا أبصره الناس فى مجالسهم سكتوا عن الكلام احتياجاً وإجلالاً ، ولم يجرؤ واحد منهم أن يستنكر ما هو فيه من عبث وطو .

وَقَالُوا قَتَى مَا لَتَ بِهِ نَشْوَةُ الصَّبَا وَلَيْسَ عَلَى الْفَتَيَانِ فِي اللَّهِوَيْنِ حَجَرٌ ^(١١)
يَخَافُونَ مِنِّي أَنْ تَتَوَرَّ حَنِينِي فَيَبْغُونَ عَظْفِي بِالْخَلِيعَةِ وَالْمَكْرِ ^(١٢)
أَلَا لَيْتَ هَاتِيكَ اللَّيَالِي وَقَدْ مَضَتْ تَعُودُ ، وَذَلِكَ الْعَيْشُ يَأْتِي عَلَى قَدَرٍ ^(١٣)
مَوَائِمُ لَذَاتٍ تَقْضَتْ ، وَلَمْ يَزَلْ لَهَا أَثَرٌ يَطْوِي الْفَوَادَ عَلَى أَثَرٍ ^(١٤)
إِذَا اغْتَوَرَّتْهَا ذُكْرَةُ النَّفْسِ أَبْصَرَتْ لَهَا صُورَةً تَخْتَالُ فِي صَفْحَةِ الْفِكْرِ ^(١٥)
فَذَلِكَ عَصْرٌ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَخَطْفَنِي أَرْعَى الْكَوَاكِبَ فِي عَصْرِ ^(١٦)
لَعَمْرُكَ مَا فِي الدَّهْرِ أَطْيَبُ لَذَّةً مِنَ اللَّهِوِ فِي ظِلِّ الشَّيْبَةِ وَالْيَمْرِ ^(١٧)

(٤٤) النشوة : السكر (يضم فسكون) ، والمراد المرح والطرب . والصبأ : الصفر والفتاء ، أو الميل إلى الجبل والفترة ، والانقياد لدواعي الهوى والمرح . والحجر المنع والكف (وبابه نصر) .

(٤٥) الحمية : الأنفة والنفس . ويغني : يظلمون .

(٤٦) القدر : النقي واليسار ، والقوة والقدر ، أو القدر : التقدير ، ومعنى « يأتي على قدر » : على تقدير مني ، أو على موعده ، أو على حسب ما أهرى وأحب .

(٤٧) تقفت : ذهبت وانقضت . والأثر (بفتحين) : بقية الشيء ، وما بق من رسمه . ولأثر (يضم فسكون) : أثر الجراح يبقى بعد البرء .

(٤٨) اعترتها : تدارتها ، والضمير يعود إلى مواسم اللذات في البيت السابق . والذكرة : ضد النسيان . وتختال : تزهي وتغتر وتتكبر ، من الاعتيال ، وهو الكبر والإعجاب .

(٤٩) أرمى الكواكب : أراقبها وأنتظر منيها ، وهذا كناية عن الحيرة والحيرة . و « عصر » في الشطر الأول بمعنى الزمان واللعن ، وفي الشطر الثاني بمعنى الحبس والمنع واليس ، وهذه كلها من لوازم الشيفوخة والحرم ، وقد كثر « عصر » الأخيرة بمعنى الأول . فهو يقول متحسراً : إن زمن الشيبية قد مضى ، وتركني أرمى النجوم في زمن آخر ، هو زمن الشيب والحرم .

(٥٠) الشيبية : حداثة السن قبل الكهولة ، كالشباب ، وما خلاف الشيب .

القصيدۃ الخامسة والعشرون

وقال *

بِنَاظِرِكَ الْفَتَّانِ آمَنْتُ بِالسَّحْرِ وَهَلْ بَعْدَ إِيمَانِ الصَّبَابَةِ مِنْ كُفْرٍ؟^(١)
فَلَا تَغْتَمِدْ بِالْهَجْرِ قَتْلَ مُتَيْمٍ فَإِنَّ الْمَنَابِتَا لَا تَزِيدُ عَنِ الْهَجْرِ^(٢)
فَلَوْلَاكَ مَا حَلَّ الْهَوَى قَيْدَ مَدْمَعِي وَلَا سَبَّ نِيرَانَ اللُّوَاعِجِ فِي صَدْرِي^(٣)
وَلَا نِيَّ عِلَى مَا كَانَ مِنْكَ لَصَابِرٍ لِيَعْلَمِيَ أَنَّ الْفَوْزَ مِنْ ثَمَرِ الصَّبْرِ

-
- * هذه القصيدة من الرندييات الالمة الممتعة ؛ نظمها البارودي وهو أشيب ، في السابعة والخمسين ، أى في نحو سنة ١٨٩٦ ، وقد أضاع له الشيب سهل الحياة ، وبدد من حوله الظلمات ، ووقاه الضلالات ، ووسعت له منه دائرة المعارف والتجارب ؛ فاهتدى إلى ما لم يجد إليه غيره .
- (١) الفتنان : صيغة مبالغة من فتنت المرأة الرجل إذا دلته واستأثله وأعجبته . والصبابة : رقة الهوى ، وحرارة الشوق . والاستفهام في الشطر الثاني معناه التنى .
- (٢) تغمّد : تغمّد وتقصد ، عمده واعتمده وتعصده بمعنى . ومتيمّ : اسم مفعول من تيمّه العشق ، أى عبده وذلقه . والمنابيتا : جمع منية ، وهى الموت .
- (٣) الهوى : الحب والغرام . والمدمع : الدمع . وحلّ قيد مدمعه : كناية عن صبه وإسائه . وشبّ النار : أذكاهما وأوقدها ، وشبّت النار : ذكّت وتوقّدت ، فالقول لازم تمدد . واللواعج : جمع لاعج ، صفة من لعبه الهرم والحب ونحوهما ، أى أحرقه وآله ، (وبابه منع) ، وبه لاعج الشوق ولواعجه ، أى حرقه وتبارجه .

فَلَيْتَ الَّذِي أَهْدَى السَّلَامَةَ فِي الْهَوَى تَوَسَّمْ خَيْرًا ، أَوْ تَكَلَّمْ عَنْ خَيْرٍ (٥)
 رَأَى كَلْفِي لَا يَسْتَفِيقُ ، فَظَنَّ بِي هَنَات ، وَسُوهُ الظَّنَّ دَاعِيَةَ الْوِزْرِ (٦)
 وَمَاذَا عَلَيْهِ وَهُوَ خَالٍ مِنَ الْجَوَى إِذَا هَمَّتْ شَوْقًا ، أَوْ تَرَنَّتْ بِالسَّخْرِ (٧)
 فَإِنْ أَكَّ مَشْغُوفًا فَلَوْ الْجَهْلُ رُبَّمَا أَطَاعَ الْهَوَى ، وَالْحُبُّ مِنْ عَقْدِ السَّخْرِ (٨)
 وَأَيُّ امْرِئٍ يَقْوَى عَلَى رَدِّ لَوْعَةٍ إِذَا التَّهَبَّتْ أَرَبَتْ عَلَى وَهَجِ الْجَمْرِ (٩)
 عَلَى أَنْبَى لَمْ آتِ فِي الْحُبِّ زَلَّةٌ تَعْصُ بِذِكْرِي فِي الْمَحَافِلِ أَوْ تَزْرِي (١٠)

(٥) تَوَسَّمْ الشيء : تخيله وتفكره . والجهر : العلم والمعرفة .

يتمنى أن يكون الذي فتده ولامه على حبه ممن يظنون بالناس خيراً ، ولا يتكلمون إلا عن علم ويقين . ومعنى هذا أن لائمه كان في لومه وتقنيده باغياً آثماً ، سبى الظن : خاطئ الحكم . ويصريح بشئ من هذا في البيت الآتي .

(٦) الكلف : المشق والويلوع والغرام . ولا يستفيق : لا يهدأ ولا يغادر ، والأصل : استفاق الرجل من مرضه ، ومن سكره ، إذا أفاق وصحا . وهنات : خصال سوء ، يقال : فيه هنات (يفتح المهاد) ، وهنات (كسرات) ، جمع هنة (كسنة) ، وهنيتات ، جمع هنية . والوزر : الإثم والذنب . (٧) الجوى : هوى باطن ، والخرقة : وشدة الوجد ، وتبريح الغرام . وهام بهم هيا (يفتح فسكون) وهياماً (يفتحين) أحب ، أو صار كالمجنين من المشق . وترنمت تنقمت وطرب .

(٨) مشغواً مستهماً عاشقاً ، وأصله اسم مفعول من شغفه الحب ، أى أصاب شغاله (يفتح الشين) وهو غشاء القلب وغلافه . والحلم : الأناة والعقل . والهو : المشق . والعقد (يفتح) جمع عقدة (يفتح فسكون) وهى موضع العقد (يفتح فسكون) ، وأصله أن السحرة يعقودون عقداً يزعمون أن فيها السحر ، ون أجل هذا سمى الساحر معقداً ، وقيل : أهبط باق من شر المعقّد . والمعنى أن الحب كالسحر ، فهو من الأمور التى لا طاقة للإنسان بدفعها ، ولو كان راجع

العقل ، سليلد الرأي .

(٩) الوجة : سحرة في القلب ، وألم من حب أو هم . وأربت : زادت . والبرج : اسم من وهجت النار (من باب وعد) تيج وهباً (يفتح فسكون) وهبجاً (يفتحين) أى انقذت . والجمر : جمع جرة وهى القطعة الملتبقة من النار .

(١٠) زلة : خطأ ، وهى اسم مرة من زل المرة فى منطقه أو فعله . (باب ضرب وتعجب) أى لاقى وسقط وأخطأ . ونفس منه : نفسه وعابه ووضع من قدره (رواها رد) ، وهذا القمل يمتدّى من لا بالباه . والذكر : البيت والشاء والشرف . والمحافل : جميع محفل (كجلس) وهو المجتمع ، اسم مكان من حفل القوم (من باب ضرب) أى اجتمعوا . وتزرى : مضارع زرى عليه فعله (من باب زرى) إذا عابه وعشقه كآزرى ، وأزرى بأخيه : أدخل عليه عيباً ، وسحقه .

وَلَكِنِّي طَوَّفْتُ فِي عَالَمِ الصَّبَا
سَجِيَّةُ نَفْسٍ آثَرَتْ مَا يَسُرُّهَا
مَلَكَتْ يَدَيَّ عَنْ كُلِّ مَوْهٍ وَمَنْطِقِي
وَأَحْسَنْتُ ظَنِّي بِالصَّالِحِي ، وَرَبِّمَا
فَأَصْبَحْتُ مَأْثُورَ الْخِلَالِ مُحِبِّمَا
فَمَا أَنَا مَطْلُوبٌ بِوَتَرٍ لِمَعْشَرٍ
رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كُنْتُ مَثْرِيَا
وَأَخْلَصْتُ لِلرَّحْمَنِ فِيمَا نَوَيْتُهُ

(١١) طَوَّفَ : أَكْثَرَ التَّلَوُّفَ . وَالصَّبَا : الْمَجِلُّ إِلَى الْجَهْلِ وَالْفَتْرَةِ . يَطُقُ الشُّكَّ وَنَحْوَهُ بِالتَّوْبِ
(مِنْ بَابِ تَوَبَ) وَتَمَلَّقَ : نَشَبَ بِهِ وَاسْتَمَسَكَ . وَالْفَانِصَةُ : النَّفْسِيَّةُ ، فَضَحَهُ فَانْطَحَ ، أَيْ كَشَفَ
مَسَاوِيَهُ ، (وَبَابُهُ قَطَعَ) . وَالْأَذَرُ (بِمِثْلِ فَسَكَنْ) : جَمِيعُ إِزَارٍ ، وَهُوَ التَّوْبُ ، وَكُلُّ مَا سَوَّكَ .
وَالْمَعْنَى أَنَّهُ سَلَكَ طَرِيقَ الْمَرْحِ وَاللَّهْوِ ، وَجَرَى فِي أَسَالِيبِ الْمَوَدِّ وَالْفِرَامِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ فِي لَهْوِهِ
وَهَوَاهٍ خَفِيفًا ، بِمَبْدَأٍ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ .
(١٢) السَّجِيَّةُ : الْخَلْقُ وَالطَّبِيعَةُ . وَأَثَرَتْ : فَضَلَتْ وَقَدَمَتْ . وَعَلَّ وَفَقَهَا : عَلَّمَ حَسْبَهَا وَمَوَاقِفَهَا .
(١٣) الدُّنْسُ (بِفَتْحَتَيْنِ) : الْقَذَرُ ، وَأُرَادَ بِدُنْسِ الْعَدْرِ : الْإِعْتِدَارُ مِنَ الْعَيْبِ وَالْبِقَائِعِ الَّتِي تَضَعُ مِنَ
قَلْبِ الْمَرْءِ ، وَيَتَلَسَّسُ عَرَضُهُ .

(١٤) الطَّلَاقَةُ : مُصْدَرُ طَلَّقَ الرَّبِيْعَ (مِنْ بَابِ طَرَفَ) ، وَرَجُلٌ طَلَّقَ (بِفَتْحِ فَسَكَنْ) الرَّبِيْعَ :
فَرَحَ ظَاهِرَ الْبَشَرِ ، مَهْلِكٌ بِسَامِ .
(١٥) مَأْثُورُ الْخِلَالِ : خُصَالُهُ مَحْمُودَةٌ ، وَفَضَائِلُهُ مَشْهُورَةٌ ، يَأْثُرُهَا النَّاسُ ، أَيْ يَنْقَلِبُونَهَا ، وَبِحَدِّثُونَهَا
بِهَا . وَالسَّرِيَّةُ : السَّرَّ .

(١٦) الْوَتَرُ (بِفَتْحِ الْوَاوِ وَكَسَرِهَا) . الذَّنَلُ ، وَهُوَ النَّارُ (بِفَتْحِ فَسَكَنْ لِيَمَا) . وَالْمَعْشَرُ : جَمَاعَةُ
النَّاسِ . وَالْمَلْهُوفُ : الْمُنْتَحِيرُ الْمُسْتَطَرِبُ .
وَالْمَعْنَى أَنَّهُ مُطْمَئِنٌّ هَادِئٌ الْبَالُ ، يَسَالِمُ النَّاسَ وَيَسَالِمُونَهُ ، فَيَلْهُوُ مَطْلُوبٌ بِرَةِ تَرْجِعُهُ ،
وَتَنْقُصُ عَلَيْهِ عَيْشُهُ ، وَلَا هُوَ مَطْلُوبٌ غَيْرُهُ بِنَارٍ يَقْضَى عَلَيْهِ مُضْجِعُهُ ، وَيَمْلَأُ قَلْبَهُ ضَرْفِيَّةٌ وَحَقْدًا
وَحِيْرَةً وَمَهْمًا .

(١٧) مَثْرِيَا : غَضًّا كَثِيرَ الْمَالِ . وَالْأَوَّلُ : الْمَالُ الْكَثِيرُ .

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ خَيْرًا بَعْبِهِ هَذَاهُ يَنْوِرُ الْيُسْرَى ظِلْمَةَ الْعُسْرِ
فَيَايَنَ أَبِي (وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ وَاحِدٍ) تَقَلَّدَ وَصَاتِي ، فَهِيَ لَوْلَا الْفِكْرُ (٢٠)
إِذَا شِئْتُ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلَا تُكُنْ لَدُودًا ، وَلَا تَدْفَعْ يَدَ الْيَمِينِ بِالْقَسْرِ (٢١)
وَلَا تَحْتَقِرْ ذَا فَاقَةٍ ، فَلَرُبَّمَا لَقِيتَ بِهِ شَهْمًا يُبْرِئُ عَلَى الْمُثْرِى (٢٢)
قَرُبٌ فَقِيرٌ يَمْلَأُ الْقَلْبَ حِكْمَةً وَرُبٌّ غَنِيٌّ لَا يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي (٢٣)
وَكُنْ وَسَطًا ، لَا مُشْرِفًا إِلَى السُّهْلِ وَلَا قَائِمًا بَيْنِي التَّزَلُّتُ بِالْصَغْرِ (٢٤)
فَاخْمَدُ أَخْلَاقِي الْفَتَى مَا تَكَافَأَتْ بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ التَّوَاضِعِ وَالْكِبْرِ (٢٥)

(٢٠) يابن أبي: فداء لكل إنسان. والناس أبناء واحد: يريد أبناء رجل واحد ، وهو آدم عليه السلام . وتَقَلَّدَ وصاتي : احرص على وصيتي ، وانتفع بها ، من قولهم : تقلد الإنسان الفلانة ، أى جعلها في عنقه ، وتقلدته السيف ، إذا ألقته حاله في عنقه ، فتقلده .
(٢١) لدوداً : شديد الخصومة . والقسر : القهر والشدّة . ومعنى « لا تدفع يد اليمين بالقسر » : لا تخاف من يداك .

(٢٢) الفاقة : الفقر والحاجة . والشهم : السيد الذكى الفؤاد المتوقد ، الجلد (يفتح فسكرين) ذوال مروية . وير : مضارع أبر الرجل على خصمه ، أى غلبه وفاقه . والمثرى : الكثير المال . ومعنى « يبر » على المثرى : « يلبه في الفضل والبر » ، ويفوقه في المروية والمير .

(٢٣) لا يريش ولا يبرى : لا ينتفع ولا يضر ، وأصله من ريش التابل السهم يريشه ، إذا ألزق عليه الريش ، ومن الهجاز ريش فلان فلاناً ، أى قوى جناحه بالإحسان إليه ، وراش الرجل غيره : أطمعه وسقاه ركساً ، وأصلح حاله ونفعه . وبرى السهم يبريه برماً : نحته . وبراه السفر : هزله . قال الشاعر :

فروشى بخير ، طالما قد يبرئنى فغير الموالى من يريش ولا يبرى

(٢٤) اشرباب : إليه : مدّ عنقه لينظر ، أو رفع رأسه كهية الشارب . والنسب : كوكب خفى ، من بنات نض الصغرى ، يمتحن الناس به أبصارهم . والقناص : صفة من القنوع ، بمعنى الرضا بالقسم ، والمراد الرضا باليسير القوت : ويبنى : يطلب . والتزَلَّت : التقرّب . والصغر (بضم فسكون) : الدلّ والصغير والمهانة كالصغار . يقول : كن وسطاً فى أمرك ، فلا تتطلّع إلى ما لا يدرك فيردك الطمع ، كما لا ينبشئ أن ترضى فى معيشتك باليسير الدنين ، وتتقرّب إلى من فوقك بإذلال نفسك وامتنائها .

(٢٥) أحمد الأخلاق : أرواها بالحمد والشكر ، وأجدها بالرضا وإلزاء . وتكافأت : تساوت وتماثلت . ومعنى تكافؤ الأخلاق : أنها أصبحت بمكان متوسط بين التواضع والتكبر .

وَلَا تَعْتَرِفْ بِاللَّدِّ فِي طَلَبِ الْغَنَى
وَأَبَاكَ وَالتَّسْلِيمَ بِالْقَيْبِ قَبْلَ أَنْ
وَدَارِ الْإِلَهِي تَرْجُو وَتَخْشَى وَدَادَهُ
فَقَدْ يَغْدِرُ الْخُلُ الْوَرَى لِهَفْوَةٍ
وَفِي النَّاسِ مَنْ تَلْقَاهُ فِي زِيٍّ عَائِدٍ
إِذَا أَمَكَّنَتْهُ فُرْصَةٌ نَزَعَتْ بِهِ
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْحِلْمَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ
فَهَلْزَى وَصَاقِي ، فَاحْفَظْهَا تَفَزَّ بِمَا
فَلَمَّا امْرُؤٌ جَرَبْتُ دَهْرِي ، وَزَادَنِي
(٢٦) تَعَرَّفَ : تَصَبَّرَ ، أَوْ تَقَرَّرَ .

والمعنى على الأول : لا تصبر على الحياة وأنت منتصف بالدل . وعلى الثاني : لا تفر لخلق
إقراراً بفهم منه أنك ذليل . وفي طلب الغنى ، أى في سبيل نيله .
(٢٧) يقول : إذا غابت عنك حقيقة أمر ، فاحذر التسليم بها قبل أن تطيل النظر فيها ،
وتكشف بالحجة غامضها ، وتظهر بالبرهان خافيتها .
(٢٨) داريته مداراة : لاطفته ولايته . والوداد : الحب والمودة . والميزات : جمع مودة . والحدو
(يكسر فمكون) : التمرز والاحتراس كالحدو (بفتح حين) . ومغلول تخشى عذوب ، أى عداوته أو بابه .
أو المعنى : تخشى مغبة وداده ، وترى هذا الوداد منظوياً على الخلل والخلابة ، وكأنما يدعو بالشرط
الثاني إلى التفرقة بين أنواع المودة ، وتمييز الخالص الصادق من المموة الكاذب .
(٢٩) في هذا البيت والى قبله لف ونشر مرتب ، فالشرط الأول : فقد يندرج الخلل يمود
إلى الصديق الذى ترجو وداده وجبه ، والشرط الثانى : ويحلو الرضا يمود إلى الدر الذى تخشى
عداوته وبابه .
(٣٠) الأحشاء : جميع شأ ، وهو ما اجتمعت عليه الضلوع ، أما سواه البطن ، والمراد الفسير
والقلب ، حيث يكون الضغن والندابة . وتسمى : خبير .

(٣١) نزعته به : ماله وذبحته . والنذر : الحقد (وزناً ونهياً) .
(٣٢) الحلم : الأناة والعقل .
والمعنى : أن الحلم قد يكون منه الأذى على الرغم من التضاد والاختلاف بين الحلم والأذى ،
كالحجر يورى النار ، ويتفجر منه الماء ، على رغم ما بين النار والماء من تضاد .

بَلَغَتْ مَدَى حَمْسِينَ ، وَازْدَدَتْ سَعَةً
 فَكَيْفَ تَرَانِي الْيَوْمَ أَخْتِي ضَلَالَةً
 أَقُولُ يَطْبَعُ لَسْتُ أَخْجَاجُ بَعْدَهُ
 وَلِي مِنْ جَنَانِي - إِنْ عَزَمْتُ - وَمَقُولِي
 إِذَا جَاشَ طَبْعِي قَاضٍ بِالْأَلَمِ مَنْطِقِي
 تَذَبَّرَ مَقَالِي إِنْ جَهِلْتُ خَلِيقَتِي
 وَلَا تَعْجَبَنَّ مِنْ مَنْطِقِي إِنْ تَارَجْتُ
 جَعَلْتُ بِهَا أَمْسِي عَلَى قَدَمِ الْخَضِرِ (٣٥)
 وَشَيْبِي مِصْبَاحَ عَلَى نُورِهِ أُسْرِي (٣٦)
 إِلَى الْمَنْهَوْلِ الْمَطْرُوقِ ، وَالْمَنْهَجِ الْوَعْرِ (٣٧)
 سِرَاجٌ وَعَصَبٌ ، ذَايُضِي ، وَذَايُفْرِي (٣٨)
 وَلَا عَجَبٌ ، فَالْأَلَمُ يَنْشَأُ فِي الْبَحْرِ (٣٩)
 لِيَتَعَرَّفَنِي ، فَالْسَيْفُ يَعْرِفُ بِالْأَثَرِ (٤٠)
 بِهِ كُلُّ أَرْضٍ ، فَهُوَ رِيحَانَةُ الْعَصْرِ (٤١)

(٣٥) الخضر : صاحب موسى عليهما السلام . وقصتهما في القرآن مشهورة ، من قول الله تعالى :
 « فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا
 عِلْمًا ... » إلى قوله تعالى : « ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا »
 ٦٥ - ٨٢ سورة الكهف . والشاعر الثاني من هذا البيت كناية من علمه ، واعتدائه إلى ما لم يمتد إليه غيره .
 (٣٦) سري يسري (كجري يحري) سري (بضم السين) : سار عامة الليل .
 والمعنى أن شيبه كسبه الخبر (بضم فسكون) والهداية ، وأثار له طريق الحياة .
 (٣٧) المنهل : المورد ، وهو عين الماء التي يستقى منها ، وأصله اسم مكان من النهل (يفتحون) وهو الشرب
 الأول (وبابه طرب) . والمطروق : الذي تطرقه الدواب والناس . والمنهج : الطريق . والوعر : الصعب (وزناً ومعنى) .
 والمعنى أنه شاعر مطبوع مخترع ، لا ينسج على منوال غيره ، ولا يغترف من بحر سواه ، ولا
 يتكلف القول تكلفاً ، كمن يسير في طريق وعر .
 (٣٨) الجمان (بفتح الجيم) : القلب . والمقول : اللسان . والعصب : السيف القاطع . ويفري :
 يقطع (وبابه ري) ، وفي البيت لفٌّ ويشتر مرتب .
 (٣٩) جاش طبعه : اهتز وتحرك ، وصله من جاشت القدر ، إذا غلت ، ومن الهجاز : جاش البحر
 بالأمواج .

(٤٠) الخليفة : الطبيعة . والأثر (بفتح الهمزة وكسرهما) : فرند السيف وروقه وديباجته .
 (٤١) تآرجت : تعطلت وتعلبت ، وأصله من الأرج (يفتحون) وهو توهج ريح الطيب ، أرج
 الطيب (كفتح) وتآرج . والريحان : كل نبت طيب الرائحة ، والريحانة : واحدته ، أو اللطاقة منه .

مَبْدُكُرُنِي بِالشَّعْرِ مَنْ لَمْ يُلَاقِنِي وَذِكْرُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنَ الْعُمَرِ (١٢)

(١٢) معنى الشعر الأول: أنه مذكور بشعره، خالد بخليده، نابه بأدبه، معروف لمن لاقاه ، =
ولن لم يلاقه . والشطر الثاني تلميح جار مجرى المثل ، مؤكدة لهذا المعنى؛ فالذكر للإنسان عمر ثمان ،
والموت يعطى حياة الأحياء ، وتبقى للعظيم بعد مماته حياة أدبية خالدة ، مأثورة منشورة ، يتحدث
الناس بها ، ويفيدون منها ، ويذكرون صاحبها بالإطراء ، وحسن الثناء .
وفي ستة الأبيات الأخيرة (٣٧ - ٤٢) فخر صادق بمجده الأدبي ، وطبيعته الشاعرة المتفجرة
ومثل هذا الفخر كثير جداً في شعره .

القصيدة السادسة والعشرون

وقال .

أَبَى الشَّوْقُ إِلَّا أَنْ يَحْنُ ضَمِيرُ وَكُلُّ مَشُوقٍ بِالْحَيْنِ جَدِيرُ^(١)
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ كَيْمَانَ لَوْعَةٍ يَنْبِثُ عَلَيْهَا مَذْمَعٌ وَزَفِيرُ^(٢)
خَضَعْتُ لِأَحْكَامِ الْهَوَى ، وَلَطَالَمَا أَبَيْتُ فَلَمْ يَحْكَمْ عَلَى أَمِيرُ^(٣)

(٥) قصد أبو نواس من يتباد الخسيس بن عبد الحميد العجبي ، أمير مصر في عصر هارون الرشيد ، فلهذه برائية مشهورة مظلما :

أجارة يبيتنا ، أبوك غيور وميسور ما يربى لديك عسير

فما رضى البارودي بهذه القصيدة ، أى أتى بمثلها ، ونسج على منوالها في وزنها ورويها .

(١) يحن : يئزع ويميل ويهيم ويشواق ، من الحنين ، وهو الشوق وتوقان النفس إلى لقاء من تحبه ويهوى إليه . والضمير : السر ، والشئ الذي تضمنه في قلبك ، أى تخفيه ، والمراد بالضمير (هنا) :

القلب . يقول إن اشتياقه إلى من يحب قد جعله مستهام الفؤاد ، فهو يتزع ويميل إلى محبوه ، ويهوى قلبه في إثره ، ولا غرو فكل مشوق حقيق بأن يحن إلى من شاقه . ومشوق : مشتاق ، وهو اسم مفعول من

الشوق ، يقال : شاقني الشئ (من باب قال) فالشئ شاق ، وأنا مشوق . وجدير : حقيق وخلق .

(٢) اللوعة : حرقه في القلب ، وألم من حب أو هم أو مرض أو نحو ذلك . وينبث عليها : يدل

عليها ويظهرها ، من قولهم : نمت على المسك رائحته (وفعله كقتل وضرب) . والمذمع : مسيل الدمع ،

أو هو مجتمع الدمع في نواحي العين ، وجمعه المذامع ، وهى المآق وأطراف الميرون . والمراد بالدمع هنا :

الدمع . والزفير : إخراج النفس طويلا ممدودا ، ويكون ذلك عادة إذا اشتدت اللوعة ، وعظم الألم .

ومن كلام العرب : رأيته يئزع زفرة التكل . والاستفهام في أول البيت معناه النفي .

يقول : إن الإنسان لا يستطيع إطفاء حرقه في قلبه يظهرها بكأوه ودمعه . وتدل عليها زفراته .

(٣) الهوى : الحب .

يقول : إنه خضع واستكان لأحكام الحب ، على الرغم من إبانته وعزّة نفسه ، وعدم انقياده حتى

لن ينقاد له الناس عادة كالأمراء والحاكمات . وهذا المعنى كثير في كلام الشعراء .

أَفْلُ شَبَابَةِ اللَّيْلِ وَهُوَ مُنَاجِزٌ وَأَرْهَبُ لَحْظَةِ الرَّثْمِ وَفَوْهُ غَرِيرٌ^(٥)
وَيَجْزَعُ قَلْبِي لِلصُّلُودِ ، وَلَأْتَنِي لَدَى الْبَاسِ إِنْ عَلَّاشُ الْكَيْ صَبُورٌ^(٥)
وَمَا كُلُّ مَنْ خَافَ الْعَيُونَ يَرَاعَةً وَلَا كُلُّ مَنْ خَاضَ الْجُثُوفَ جَسُورٌ^(٥)
وَلَكِنْ لِأَحْكَامِ الْهَوَى جَبَرِيَّةٌ تَبْخُحُ لَهَا الْأَنْفَاسُ وَفِي تَفُورٍ^(٥)

(٤) قلّ الشيء : كسره (وبابه رد) . وشبابه كل شيء : حده ، وظل شبابه : قهره وظله .
واليث : الأسد . ومناجز : اسم فاعل من المناجزة ، وهي المقاتلة . والحظ : النظر ، وأصله النظر
بمؤخر العين ، مصدر لحظه (كنهه) ولحظ إليه . والرثم : اللقي الخالص البيضاء ، تشبه به النساء الملاح في
الرشاقة وجمال الجيد والعينين . والمراد بالغرير (هنا) : الحادى الوديع ، من قيلم : شاب غرير ، أو
لا تجربة له ، وبش غرير ، أى رعى لا يفرح أهله .

يقول : إنه قوى شجاع شديد البأس ، يقهر الليث وهو يصارعه ويقاومه ، غير أنه لا يقوى
على مغالبة سلطان الحب ، فهو يمشى فطرات الحبيب على الرغم من حلوته ورقته وداعته .
(٥) الجزع : تقطيس الصبر ، جزع (من باب تعب) إذا ضعفت منه ، أى توته من حمل ما
نزل به ، ولم يجد صبراً . والصمود : المجران والإعراض . والبأس : الشدة في الحرب . وطاش : ضعف
وجبن وفر ، والطيش في الأصل : الترق والغفلة ، وذهب العقل ، وانحرف السهم من الهدف . والكفى :
الشجاع المتكسب في سلاحه ، أى المتعطى المستر به .

(٦) يريد بالعينين : عين الحسن ، وما فيها من بحر وقنة وجمال . ويراعة : جبان . والحطوف :
جميع حشف ، وهو الموت والحلاك . والجسور : الشجاع المقام .

يريد أنه وإن ضعف عن احتمال قوة الهوى وتأثيره — ليس بجبان ، وأنه إذا خاض الحروب
كان أشجع الشجعان إذا خام غيره وجبن ، إذ ليس كل من يلاقى الحروب يستطيع الصبر عليها
وهو في البيتين السابقين يلح قول الشاعر :

نحن قوم تلبينا الأعين النجى ل على أننا نلبي الحديدا
وتروانا لدى الكريمة أحرا وأ فى السلم الحصان عبيدا

(٧) جبرية (يفتح الجيم والياء ، أو بكسرهما ، أو بكسر السين ، أو بفتح فسكون) : شدة
وقوة وسطية وجبروت . وتبوخ : مضارع باخت النار ، أى سكنت وهدمت وطفقت . وفى تفور به
أى رعى في شدتها .

يقول : إن العاشق قد تفور نفسه غيظاً مما يلاقى من هجر المحبوب وإدلاله ، غير أن
سلطان الحب وقوته تهدئ هذه الثورة ، فيستسلم لأحكام الغرام .

وَأَتَيْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَرَفِ الْهَوَى لَدُو تَذَرُّلِي فِي النَّائِبَاتِ مُبِيرٌ^(٨)
يُرَاقِبُنِي عِنْدَ الْخُطُوبِ إِذَا عَرَّتْ جَوَادٌ ، وَسَيْفٌ صَارُمٌ ، وَجَفِيرٌ^(٩)
وَيَضْحَكُنِي يَوْمَ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا نَدِيمٌ ، وَكَأْسُ رِيَّةٍ ، وَمُذِيرٌ^(١٠)
فَطَوَّرَا لِفُرْسَانِ الصَّبَاحِ مُطَارِدٌ وَطَوَّرَا لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ سَمِيرٌ^(١١)
وَيَا رَبِّ حَتَّى قَدْ صَبَحْتُ بِغَارَةٍ تَكَادُ لَهَا شَمُّ الْجِبَالِ تَمُورٌ^(١٢)

(٨) سرف الهوى : شدة الحب وضرواته . وجبل ذو تدرأ وهو تدرأة (بضم فسكون) ففتح فيها :
مفاع ، ذو عز ومنعة وقوة ، ، والمرب تقول : فلان ذو تدرأ ، إذا كان قوياً على دفع أعدائه . ومبیر :
اسم فاعل من أغار البيل على عدوه إغارة ، أى دفع عليهم الخيل ، وأغار الفرس : اشتد عدوه ، والمراد
بالإغارة هنا النجدة ، والمجروح على العدو ..

(٩) عريت : نزلت وبقيت ، عراء . كلذا (من باب عدا) أى غشي وأصابه . وصارم : قاطع .
والجفیر : الجمعة (يفتح فسكون) ، وهى كثافة الشباب ، أى النبل والسهام ، وتكون عادة من الجلد ،
وقد تصنع من خشب لا يجلد فيها .

(١٠) الخلاعة : المجانة وعدم المبالاة ، والآنهارى الهوى والمرح . والصبا : الميل إلى الجهل والفتوة ،
والجرى فى أساليب الهوى والخلاعة . والنديم : المنادم ، فعل بمعنى مفاعل ، من نادمه منادمة ونداماً ،
إذا جالسه على الشراب . وكأس رية : مملوءة ، أو كثيرة الشراب ، من قوم : هذه عين رية ، أى كثيرة
الماء . ويريد بالمذير : الساقى الذى يدير كئوس الشراب على التمام والشاربين .

(١١) الفرسان : جمع فارس ، وهو راكب الفرس ونحوه . ومطاردة الأقران : أن يعمل بعضهم على
بعض فى القتال ، يقال : هم فرسان الطراد ، أى القتال والنزال . والسمر : الميل بمعنى مفاعل ،
من المسامرة ، وهى الحديث بالليل .

يريد أنه قد يجمع بين جد الحرب وهو الشباب ، وخص المطاردة بالصباح لأنه وقت
الإغارة عند العرب عادة .

(١٢) الحى : القبيلة من قبائل العرب ، أو هالطن من بطونهم ، ويقال أنساب العرب ست مراتب :
أكبرها الشعب ، ثم القبيلة ، ثم البعارة ، ثم البطن أو الحى ، ثم الفخذ ، ثم الفصيلة . وصبحهم (كنهم)
أثم صباحاً . والغارة : المجرم ، اسم من أغار على القوم إغارة ، أى دفع عليهم الخيل . وشم الجبال :
الجبال المرتفعة العالية ، يقال : جبل أشم أى طويل شاقق ، وجبال شم . وتمور : تتحرك وتبتز .

وَلَيْلٍ جَمَعَتْ اللَّهُوَ فِيهِ بِغَادَةٍ لَهَا نَظَرَةٌ تُسَدِّى الْهَوَى وَتُتِيرُ^(١٣)
عَقْلَنَا بِهِ مَا نَدَّ مِنْ كُلِّ صَبْوَةٍ وَطَرْنَا مَعَ اللَّذَاتِ حَيْثُ تَطِيرُ^(١٤)
وَقَلْنَا لِإِسْقِينَا أَدْرَاهَا ، فَلَمْنَا بِقَاءِ الْفَتْنَى بَعْدَ الْأَسْبَابِ يَسِيرُ^(١٥)
فَطَلَفَ بِهَا شَمْسِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ لَهَا عِنْدَ أَلْبَابِ الرِّجَالِ ثُورُ^(١٦)
إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا أَقَمْنَا مَكَانَنَا وَظَلَّتْ بِنَا الْأَرْضُ الْقَضَاءُ تَدُورُ^(١٧)
إِلَى أَنْ أَمَاطَ اللَّيْلُ نِثْنَى لِنَائِمِهِ وَكَادَتْ أَسَارِيرُ الصَّبَاحِ تُنِيرُ^(١٨)

(١٣) الغادة : المرأة الناعمة المشية اليانة الأعطاف . وتسدى : مضارع أسدى التساج الثوب ، أى أقام سداً ، وهو ما يمد منه طولاً فى التسج ، وهو خلاف لسته . والهوى : الحب . وتدير : مضارع أثار الثوب ، كثاره ويثيره ، أى يجعل له نيراً (يكسر النون وسكون الياء) وهو لغة الثوب (يضم اللام ويضمها) أى ما ينسج منه عرساً ، والثير أيضاً : علم (يفتح السين) الثوب ويذهب (يضم فسكون) . وتسدى الهوى وتدير : تزيده ، وتحكم أسبابه .
ومعنى الشطر الثانى : أن نظراتها ساحرة فائقة ، يراها الإنسان ، فيقع فى شرك الحب ، وجبال الغرام .

(١٤) عقلنا : قيدنا ، وأصله من عقلت البعير (من باب ضرب) أى ثنيت وتبلغه مع ذراعه ، وشدهتها جميعاً فى وسط الذراع بجبل ، ويسمى هذا الجبل عقلاً . وبه : أى بالليل . ونَدَّ : نفر وشرد ، ويذهب على وجهه ، والصبوة ، جهلة الفتوة ، وأتباع الهوى .
والمعنى أنهم جمعوا فى هذا الليل كل أسباب الهوى واللغو ، وجروا فى مجال اللذات والشهوات ، واستمتعوا بمرح الفتوة ، ودواعى الشباب .
(١٥) أدرها : أى انفسر . ويسير : قليل .

(١٦) شمسية ذهبية : كالشمس والذهب فى اللون والصفاء والإشراق . وألْبَاب : جمع لب ، وهو العقل . وثُور : جميع ثار .
والمعنى أنها تذهب بعقول الرجال ، كأنها تثارأ عندها ، فهى تترك بذلك ثأرها .
(١٧) يصف فى هذا البيت ما يصيب الشارب من الخمار والنفوار .

(١٨) أَمَاطَ : كشف ولبس . والثنى : واحد أثناء الثوب ونحوه ، وهى تضاعفه وأطوافه ، يقال : سدته فى ثنى ثوبه ، وكل ثنى ثوبه على بعض أطرافه ، فكل طاق من ذلك ثنى (يكسر فسكون) .
والثام (يكسر اللام) : ما يكون على اللق من الثياب ، والشطر الأول كناية عن ذهاب الليل وانكشاف ظلمته .
والأسارير : شاشن الوجه .

وَنَهْنَهَا وَقَعَ النَّدى فِي عَمِيلَةٍ لَهَا مِنْ نُجُومِ الْأَقْحَوَانِ ثُغُورٌ^(١٩)
تَنَاعَتْ بِهَا الْأَطْيَارُ حِينَ بَدَا لَهَا مِنَ الْفَجْرِ خَيْطٌ كَالْحُسَامِ طَرِيرٌ^(٢٠)
فَهَنَ إِلَى صَوْنِ الصَّبَاحِ نَوَاطِرُ وَعَنْ سُدْفَةِ اللَّيْلِ الْمُجَنِّحِ زُورٌ^(٢١)
خَوَارِجُ مِنْ أَبْنِكَ، دَوَاخِلُ غَيْرِهِ زَاهَنُ ظِلِّ سَابِغٍ وَغَدِيرٌ^(٢٢)
تَوَسَّدَ هَامَاتٌ لَهُنَّ وَسَانِدًا مِنَ الرَّيْشِ فِيهِ طَائِلٌ وَشَكِيرٌ^(٢٣)

(١٩) الندى : مطر ضعيف ، وقطرات ماء تسقط آخر الليل . والحليلة : الشجر الكثير الملتف ، والموضع الكثير الشجر . والأقحوان (بضم الحنة والحاء) : البايونج ، وهو نبت طيب الرائحة ، حواليه ورق أبيض ، ووسطه أصفر ، وأوراق زهره صفيدة مفلجة تشبه بها الأسنان . والنفور : جمع ثمر ، وهو النعم ، أو مقعد الأسنان .
والمعنى : أنهم باتوا غارقين في الهوى واللذة والشراب ، لاهين بدواعي الصبوة وجهلة الفتنة والشباب حتى نبههم على إندبار الليل ومطلع الصبح تساقط قطرات الندى في خيلة لها ثور من زهر الأقحوان الشبيه بالنجوم .

(٢٠) تناعت : المراد صدحت وتجاوبت وتجاوبت ، والذي في اللسان وغيره : ناغت المرأة ولدها ، إذا كتمت بما يحببه ويسره . وبدا : ظهر . والحسام : السيف القاطع . وطرير : جميل ذو منظر وزوا .
(٢١) سدفة الليل (بفتح السين وضمةها) : ظلمته . والمجنح : ذو الجناح ، على تشبيه الليل بالطائر الأسود . وهو من قول العرب : قدّم فلان إلينا ثريدة لها جناحان من عراق ، وبجنته بالعراق . انظر أساس البلاغة لأبي القاسم الزنجشري ، مادة «جنت» . وزور : مائلات عن ظلمة الليل ، جمع أزور ، أو جمع زوراء ، وفي رواية أخرى «صور» (بضم الصاد وسكون الواو) جمع أصور ، أو صوراء ، وهما صفتان من جود . (كفروح) أي مال .

(٢٢) الأنيك : الشجر الكثير الملتف ، الواسطة أنيكة . وزاهن : دمان إلى الزهو وهو الإحسان والتبهي والفتن ، وأمه من زهت الريح النبات إذا هزته ، والمراد أمهرهن . وسابغ : ممدود متسع طویل ظليل . والغدير : القطعة من الماء يغادرها السيل ، أي يتركها .
(٢٣) توسد : أصلها توسد ، وحذفت إحدى التابيين تخفيفاً ، وتوسد النائم الوسادة : اتكأ عليها وقام . والواصل : جمع وسادة ، وهي المتكأ والمخدة . وهامات : جمع هامة ، وهي الرأس . والمراد بالمتائل : الطويل ، أو الكبير ، وهو اسم فاعل من طاولى فطاولته (من باب نصر) ، أي فقه في الطول . والشكير : من الريش : صفاره بين كباره .

كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ حَبِيبِكَا تَمَامَ لَمْ تُقْعَدْ لَهُنَّ سُيُورُ (٢٤)
 إِذَا ضَا حَكَّتْهَا الشَّمْسُ رَفَتْ ، كَأَنَّمَا عَلَى صَفْحَتَيْهَا سُنْدُسٌ وَحَرِيرُ (٢٥)
 قَلَمًا رَأَيْتُ اللَّيْلَ وَتَى ، وَأَقْبَلْتُ طَلَانِعٌ مِنْ خَيْلِ الصَّبَاحِ تُغِيرُ (٢٦)
 دَهَبْتُ أَجْرُ اللَّيْلِ نَبِيهَا ، وَإِنَّمَا بَيْتُهُ الْفَتَى إِنْ عَفَّ وَهُوَ قَلِيلُ (٢٧)
 وَلِي شَيْمَةٌ تَأْبَى الدَّنَايَا ، وَعَزَمَةٌ تَقُلُّ شَبَابَةَ الْجَطْبِ وَهُوَ عَمِيرُ (٢٨)

(٢٤) الأظلاف : الجوانب . والحبيك : الحبيكة ، وهو ما أحكم لوجه ، ويراد به هنا : ريش الأظلاف والجناحين ، على تشبيهه بالثوب . والتأم : جمع تامة ، وهي عضة (بضم العين وسكون الواو وفتح الدال) تملق على الصبي ، يمزجها من اللبن والفزح ولحمهما . والسيور : جمع سير ، وهو ما يقدر من الجلد ونحوه ، ويريد به التأم ونحوها .

يشبه ما على أجنحة هذه الطيور من ريش يخالف لونها بياض لم تشد بسيور .

(٢٥) ضاحكتها الشمس : طلعت عليها وقت الصباح بنورها وبريقها . ورفت : حركت أجنحتها . وصفحتها : جانبها . والسندس : ما رق من النسيج ، وهو الحرير الخالص .

يشير إلى ابتهاج الطير بالصباح ، وإلى أن ما توصله الشمس من أشعة على أجنحتها عند طيرانها يحدث بريقاً كبيراً كالحرير . أو البيت في وصف الجميلة عند الشروق .

(٢٦) وتى : ذهب وأدبر . والطلانع : جمع طليعة ، وهو من يبيت في مقدمة الجيش ليطلع طلوع العدو الواحد والجميع . وأغوات الخيل : اشتد عليها في الغارة ، وهي الهجوم على العدو .

(٢٧) التيه : التكبر (بكسر فسكون) والزهو والفتور ، تاه بيه تياً . وصف : كفت عما لا يحل ولا يحل .

يقول إن الذي يعف عن الحرمان وهو قادر على غشيانها جدير بأن يمر ذيله تياً وفخرًا ، لأنه كبح جماح نفسه ، وانتصر على هواه .

(٢٨) الشيمة : الثريزة والطيعة والجلبلة والخلق . والدنايا : النقائص والميوب . وتقل : تكسر ، (وبابه رد) . وشبابة الخلب (يفتح الشين) : شدته ، وشبابة كل شيء : حده . والخطب : النازلة الشديدة من فوازل الدهر . وصير : صلب شديد .

مَعُوذَةٌ إِلَّا نَكُفَّ عَنَّا نَهَا
لَهَا مِنْ وَرَاءِ الْقَنْبِ أَذُنٌ سَمِيعَةٌ
وَلَا تُنْزِلُ أَمْرُؤُ صَغَبُ الشَّكِيمَةِ بِالْبَيْعِ
وَقِيَّتُ بِمَا ظَنَّ الْكِرَامُ فِرَاسَةً
فَمَا أَنَا عَمَّا يُكْسِبُ الْغِرَّ نَاكِبٌ
إِذَا صُلْتُ كَفَّ الدَّمْرُ مِنْ غُلَوَائِهِ
عَنِ الْجِدِّ إِلَّا أَنْ تَتِمَّ أُمُورٌ (٢٩)
وَعَيْنٌ تَرَى مَا لَا يَرَاهُ بِصِيرٌ (٣٠)
يَنْفُسِي شَأْوًا لَيْسَ فِيهِ نَكِيرٌ (٣١)
يَأْمُرِي ، وَمِثْلِي بِالْوَفَاءِ جَدِيرٌ (٣٢)
وَلَا عِنْدَ وَفْعِ الْمُخْفِظَاتِ حَسِيرٌ (٣٣)
وَأَنْ قُلْتُ غَصَّتْ بِالْقُلُوبِ صُدُورٌ (٣٤)

(٢٩) النبان : سير العجائب الذي تمسك به الدابة .

وصف عزيمته ، أى إزادته فى البيت السابق بالقوة والصلابة ، والتغلب على حوادث الدهر ونكباته ، وهو فى هذا البيت يصفها بالمثابرة والاجتهاد حتى تترك الغاية ، ويتم المراد ، وتتكبر كلمة « أمور » هنا له مرعى بلاغى بعيد .

(٣٠) المعنى أنه ساء الحواس ، صائب الرأى ، صادق النظر فى الأمور .

(٣١) الشكيمة : الطبع ، وصعب الشكيمة : شديد النفس أنف (يفتح فكر) أى لا ينقاد . ولشأو : الثغاية والأمد . والنكير : الإنكار والجمل ، نكر فلان الأمر (كنفخ) نكروا ونكروا ، وأنكرو واستنكروا ونفكاره ، إذا جهله . ومعنى « ليس فيه نكير » : أنه شأو رفيع عظيم ، لا ينكر ولا يجهل . يفخر بشدة شكيمته ، وعزة نفسه ، وعظم بأسه ، وأفته وإبائه ، وبعد همته فى الحياة .

(٣٢) الفراسة : اسم من قولك تفرست فيه الخير ، إذا تمرنته بالظن الصائب . والأمر : الشأن والحال . وجدير : حقيق وتليق .

يفخر بأنه حقق ما تفرسته الكرام فيه من الكرم والخير ، وأنه جرى على أساليبهم ، وفى بظنهم ، ومثله جدير بالوفاء .

(٣٣) ناكب : متعرج ومائل ، اسم فاعل من نكب عنه (كنصر وفرح) أى عدل . والمخفطات : جمع مخفطة ، اسم فاعل من أخفطه ، إذا أخفضه ، والمراد الملوان ، والأمور التى تثير الغضب . وحسير : عاجز ضيف .

يقول : إنه لا يجيد ، ولا ينصرف عن كل ما يكسبه العز والمجد والعلام ، وإنه لا يضعف ، ولا يعجز عن دفع الملوان ، ورد الشر .

(٣٤) صال : سطا ورثب للقتال ، واستطال وقهر وبطش . والقنواء : النلق ، أى الشدة ومجاورة الحد . وضعت : أصيبت بالعمّة ، وهى ألم يمتدى الآكل والشارب عند البليغ .

يتمدح بالشجاعة والإقدام ، ثم بالبلاغة وحسن البيان ، حتى إنه إذا قال كبت حاسديه ، ففصحت صدورهم خفداً وكذا .

مَلَكْتُ مَقَالِيدَ الْكَلَامِ ، وَحِكْمَهُ لَهَا كَوَكَبٌ فَخْمُ الضِّيَاءِ مُنِيرٌ (٢٥)
فَلَوْ كُنْتُ فِي عَصْرِ الْكَلَامِ الَّذِي انْقَضَى لَبَاءُ بِفَضْلِي وَجِرْزَلٌ (٢٦) وَجَرِيرٌ (٢٧)
وَلَوْ كُنْتُ أَذْرَكْتُ النَّوَاسِي لَمْ يَقُلْ (أَجَارَةٌ بَيْتَيْنَا أَبُولُكُ غَيُورٌ) (٢٧)
وَمَا ضَرَّرَنِي أَنِّي تَأَخَّرْتُ عَنْهُمْ وَقَضَلِي بَيْنَ الْعَالَمِينَ شَهِيرٌ (٢٨)
فَيَا رَبِّمَا أَخْلُ مِنْ السَّبْقِ أَوَّلُ وَبَدَّ الْجِيَادَ السَّابِقَاتِ آخِيرٌ (٢٩)

(٢٥) مقاليد الكلام : مفاتيحه ، واحدها مفلاذ (كفتح) وزناً ومعنى . تلك مقاليد الكلام ؛
تمكّن من أسباب البيان ، واستطاع التصرّف في فنون القول . والحكمة : قول وجيز رائع يتضمن حكماً
صحيحاً سليماً ، ويكون ثراً ، كما تكون نظماً . وفخم : عظيم .

والمعنى أن حكمه بالغة واضحة كالكوكب اللزى ، قضى للناس ظلمات الحياة .
(٢٦) باد بفعل : أقرّ به واعترف . وجرّول : لقب الخطيئة ، وهو شاعر مشهور مخفّر م ،
أجاد في كلّ ضرب من ضروب الشعر ، ولا سيما الهجاء والمفح ، ومات سنة ٥٩ هـ . وجريز بن عطية
ابن المغنّي : شاعر واسع الشهرة ، عظيم الصيت ، من بني يربوع ، أحد أسياد قبيلة تميم ، ولد بالهامة ،
ولشأ بالهامة ، وملك عبد الملك بن مروان بدمشق ، وكانت بينه وبين الفرزدق والأعطل مهاجاة طويلة
مشهورة ، لم يلق فيها غير الموت ، ومات جرير بالهامة سنة ١١٠ هـ .
والمعنى أنه لو تقدّم به الزمان ، فأدرك الخطيئة وجريراً وأمثالهما من فحول الشعراء لأقرّوا
بنبوغه وتفوّقه ، واعتزّلوا بفضلهم عليهم .

(٢٧) يريد بالنواصي : أبا نواس الحسن بن هانئ ، الشاعر الممتنّن ، الجادّ الماسج ، صاحب
الصيت الطائر ، والشعر السائر ، ورأس المحدثين بعد بشّار ، وهو قارص الأمل ، وله بقية من كورة
خوزستان سنة ١٤٥ هـ ، ومات ببغداد سنة ١٩٩ هـ ، وملك الرشيد وابنه عضداً الأمين ، وكان يقصد
بعض عمال الولايات ويمدحهم . والشطر الثاني من هذا البيت مطلع قصيدة أبي نواس في مدح الخليفة أمير
مصر في عهد الرشيد ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .
والمعنى أنه لو أدرك النواصي لقاءه وأخذه ، وكفّه عن القول .

(٢٨) عنهم : عن متقدمي الشعراء ، أمثال الخطيئة وجريز وأبي نواس . وشهير : مشهور معروف .
(٢٩) أشل : خلا . وبذ : غلب وسبق (وبابه رد) . والجياذ : جمع جواد ، وهو القوس
الرائع السباق .

القصيدة السابعة والعشرون

قَالَ يَقْرَظُ* ديوان حافظ بك إبراهيم
هيهات ، لئس لحافظ من مثبيه في القول غير سبيه الشيرازي^(١)

* يقرظه : يمدحه ، ويشي عليه .

• حافظ بك إبراهيم الشاعر المصري المشهور ، كان مستخدماً بوزارة الحربية ، ثم وزارة الداخلية ، ثم رئيساً لقسم الأدب بدار الكتب المصرية ، توفى في يولييه سنة ١٩٣٢ م وتولت وزارة المعارف طبع ديوانه سنة ١٩٣٧ بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .

وقد جمع « حافظ » في حياته بعض شعره ، ونشره في ثلاثة أجزاء : الأول سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) والثاني سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) . والثالث سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) :

ويلاحظ أن البارودي عاد من منفاه إلى مصر في اليوم السادس من جمادى الأولى سنة ١٣١٧ هـ (الثاني عشر من سبتمبر سنة ١٨٩٩ م) وأنه توفي أصيل يوم الاثنين السادس من شوال سنة ١٣٢٢ هـ (الثاني عشر من ديسمبر سنة ١٩٠٤ م) ومن هذا يتضح أنه قرظ الجزء الأول من هذا الديوان سنة ١٩٠١

بعد عودته من سجنه ببحرستان ، وقبل وفاته بنحو ثلاث سنوات . ومن مدائح حافظ للبارودي :

أَمِيرَ الْقَوَائِي ، إِنَّ لِي مُسْتَهَامَةً بِمَدْحٍ ؛ وَمَنْ لِي فِيهِ أَنْ أَبْلُغَ الْمَدَى ؟
أَعِزَّنِي لِمَدْحِكَ الْبِرَاعَ الَّذِي بِهِ تَحْطُ ، وَأَقْرَضَنِي الْقَرِيضَ الْمُسَدَّدا
وَمَنْ كُلُّ مَعْنَى فَارِسِي بِطَاعَتِي وَكُلُّ نَفْوٍ مِنْهُ أَنْ يَتَوَدَّدا
وَهَبْ لِي مِنْ أَنْوَارِ عِلْمِكَ لَمَعَةً عَلَى صَوْنِهَا أَسْرَى ، وَأَقْفُو مِنْ اهْتَدَى
وَأَزْبُو عَلَى ذَاكِهِ الْفُحُورَ بِقَوْلِهِ إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الذَّهْرُ مُنْشِدًا

(١) سميه : لفظه ، وبين اسمه كاسمه . والشيرازي : هو شمس الدين محمد ، الشير بمحافظ الشيرازي ، المتوفى سنة ٧٩٢ هـ ، وله ديوان شعر باللغة الفارسية ، يعرف بديوان حافظ ، متداول مشهور ببلاد فارس ، والناس هنالك يتشكرون بأبياته ، ويسمجون بشعره .

جَارَاهُ فِي حُسْنِ الْبَيَانِ ، وَقَاتَهُ فِي الْمَنْطِقِ الْعَرَبِيَّ بِالْإِعْجَازِ^(٢)
لَبِقَ بِتَصْرِيفِ الْكَلَامِ يَسُوقُهُ مَا شَاءَ بَيْنَ سُهْلَةٍ وَعَزَازٍ^(٣)
فَإِذَا تَغَزَّلَ فَالْتَفُوسُ نَوَازِعَ وَإِذَا تَحَمَّسَ فَالْقُلُوبُ نَوَازِي^(٤)
كَالصَّارِمِ الْبَتَّارِ فِي إِفْرَنْدِيهِ وَصِفَالِهِ ، وَالْمَارِنِ الْهَزْمَانِ^(٥)
حَاكَ الْقَرِيضَ بِلَهْجَةٍ عَرَبِيَّةٍ أَغْنَتْ عَنِ الْإِسْهَابِ بِالْإِيجَازِ^(٦)

(٢) جاراه : جرى معه ، وشاكله وشابه . وقاته : سبقه . وفي هذا البيت إشارة إلى فضل اللسان العربي على سائر الألسنة واللغات ، وتفوقه بالبلاغة والإعجاز .

(٣) لبى : رقيق حاذق . وتصريف الكلام : تنويعه وتقليبه وتوجيهه . والعزاز (كسحاب) : ما صلب من الأرض واشتد .

يقول : إنه رقيق حاذق بتصريف الكلام ، مالك لأعنته ، خبير بوجوه القول ومقتضياته ، فهو يورده رقيقاً ليناً سهلاً إذا شاء ، ويجعله صلباً قوياً جزلاً إذا أراد .

(٤) تغزل الشاعر : تحدث في شعره بأوصاف النساء ومحاسنهن ، وتفتنى بصبوته اليهن ، وذكر أحوالهن ، وبما جرى بينه وبينهن من هجر ووصال وغير ذلك ، وهو قريب من النسيب والتشبيب . ونوازع : مشتاقه متصاية ، جمع نازع ، وهي صفة من النزوع والنزاع ، بمعنى الشوق والحزن . وتحمس : اشتد . وصلب في قوله ، ونفس على الحماسة والشجاعة . ونوازع : متوثبة متحمسة طامحة .

والمراد أن شعره جيد في جميع الأغراض ، شديد التأثير في النفوس .

(٥) الصارم ، والبتار ، والسيف القاطع . وإفنديه : جوفه وشبهه وماؤه وورقه . وصفاله : سيله (بكسر الهمزة) ، وهو اسم من صقل الصيقل السيف (من باب نصر) أى جلاء وأتم صتمه . والمارن : من صفات الربع ، يقال : ربع مارن ، إذا كان مع صلابته لدناً (يفتح فسكون) أى ليناً . والهزماز : المهتر .

شبه كلام الممدوح وشعره بالسيف القاطع في وشبهه وماؤه وورقه وصفاله ، ثم بالرمح المهتر في المرونة والجلودة .

والغرض بيان جماله وقوته وشدة تأثيره في النفوس ، كما تقدم في البيت السابق .

(٦) حاك القريض : نزع الشعر (بكسر فسكون) ولام بين أجزائه ، وأجاد صياغته . وتأليفه . والإسهاب : مصدر أسهب المتكلم ، أى أكثر الكلام وطأله . والإيجاز : إقلال الكلام في بلاغة وفاء بالعرض ، والمعنى : أن للممدوح يحرك الشعر وينسجه على منوال عربي سليم ، ويصوره بأسلوب فصيح ، ولغة مختالصة ، تغنى بإيجازها وبلاغتها عن الإسهاب والتطويل .

الْفَاظُهَا نَمَتْ عَلَى مَا تَحْتَهَا
فَإِذَا تَلَاَهَا قَارِئٌ لَمْ يَشْتَبِهْ
عَرِيقَتْ كَأَنفَاسِ التَّوَسِيمِ تَعَلَّقَتْ
قَدْ كَانَ جَيْدُ الْقَوْلِ عَطْلًا قَبْلَهُ
مَلَكَتْ مَوَدَّتُهُ الْقُلُوبَ، فَأَصْبَحَتْ
لَا زَالَ يَبْلُغُ شَأْوُ كُلِّ فَضِيلَةٍ
وَصُدُورُهَا دَلَّتْ عَلَى الْأَعْجَازِ^(٧)
فِي الْقَوْلِ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازِ^(٨)
بِالرُّوضِ غَيْبُ الْعَارِضِ الْمُجْتَازِ^(٩)
فَجَبَاهُ أَحْسَنَ حِلْيَةٍ وَطَرَّازِ^(١٠)
تَلَقَّاهُ بِالتَّوْقِيرِ وَالْإِعْزَازِ^(١١)
بِمَضَاءِ صَمَصَامٍ، وَصَوْلَةِ بَازِ^(١٢)

(٧) الفاظها : أى الفاظ الهمزة العربية التى تقدم ذكرها فى البيت السابق . ونمت على ما تحتها : المراد دللت دلالة واضحة على معانيها ويماراد منها . وصدورها : أوائلها ، جمع صدر . وأعجازها : أواخرها ، جمع عجز (يفتح فصح) .

واللحنى : أنها فصيحة شالية من الإيهام والغموض ، واضحة غاية الوضوح ، سهلة تشع
عن معانيها ، ويدلّ أولها على آخرها ، فليس فى قوافيها تكلف ولا اعتساف .
(٨) تلاها : قرأها . يقول : إن مانها من الحقيقة والمجاز سواء فى الجمال والروعة والوضوح .

(٩) عريقت : لصقت وبقيت ، من قولهم : عرق به الطيب (كطرب) أى لرق ، والمراد : بقيت
فى نفس القارئ آثارها العليقة . والتسيم : الريح الطيبة . وأنفاسها : نسباتها وحركاتها اللطيفة المهادنة .
والرّوض : الحدائق والفياض وباشليهما ، ومثابت الشجر والزهر ، الواحدة روضة (يفتح فسكون) .
وغب : بعد . والعارض : السحاب يمتدّ فى الأفق . والمجتاز : اسم فاعل من قولهم : أجتاز فلان الطريق ،
أى اجتأه وسلكه . والمراد بالعارض المجتاز : السحاب الذى مرّ بهاء هذه الرياض فأطربها وجادها ،
وكساها لياپ الغضارة والنضارة ، ونمت به أشجارها ، وتفتحت أزهارها .

(١٠) الجليد (بكسر الجيم) : العلق (يفتحنى) . وطل (يفتح فسكون) : خال من الخلل
والزينة . وسباه : أمطاه ومنحه . والخلية (بكسر فسكون) : مانتزعت به المرأة من مصوغ المدينيات
والحجارة الكريمة ، والخلية أيضاً : الزينة . والطراز (ككتاب) : علم الثوب ، وما يكون فيه من
وشى وزينة ، وطرّزت الثوب تطريزاً : جمّلت له طرازاً .

واللحنى : أنه سبق إلى إحياء الشعر وتجويده وتنميقه ، وبلغ من ذلك غاية لم يبلغها غيره .
(١١) مودته : محبته ، أى محبة الناس له . والتوقير : الإجلال والإكبار والتعظيم . والإعزاز : الإكترام .

(١٢) الشار : الأسد والغاية . وسيف صمصام : صارم قاطع لا يثنى ولا ينبر . والصولة : الثوب
والسطوة . واليازى والباز : شرب من الصقور ، يضرب المثل بقوته وإيماده فى الطيران .

يدعو له بالاستمرار فى بلوغ غابات الفضائل بعزم شديد تأفلد بمضى مضاء الصمصام ،
وهمة رفيعة عالية قويّة كصولة البازى

القصيد الثامنة والعشرون

وقال *

نَزَعْتُ عَنِ الصَّبَا ، وَعَصَيْتُ نَفْسِي وَدَافَعْتُ الصَّرَايَةَ بِالتَّاسِي (١)
وَقُلْتُ لِيَصْبِرَنِي - وَالْعَيْنُ غَرَقَى بِأَذْمِهَا - رُوَيْدُكَ ، لَا تَمْسُ (٢)
فَقَدْ وَلَّى الصَّبَا إِلَّا قَلِيلًا أَنَاذِعُ سُورَهُ بِفُضُولِ كَأْسِي (٣)
وَمَنْ يَكُ جَاوَزَ الْعِشْرِينَ تَتَرَى وَأَرَدَقَهَا بِأَرْبَعَةٍ وَخَمْسِ (٤)

* نظم البارودي هذه السيرة سنة ١٨٦٨ موفى الثامنة والعشرين ، بعد أن تزوج وعليلة يكن بنحوسة . وفي هذه القصيدة أن يومه وأسه ، أي حاضره وماضيه متباينان مختلفان ، وأن سنة ١٨٦٨ فصلت بين طويين مختلفين متناقضين من أطوار حياته : طور الفجر والغواية ، وطور الهدى والهداية .

(١) نزعت عن الشهوة : أقلمت عنه وتركته . والصبا (بكسر الصاد) : جملة الفتوة ، كالصيرة . ودافعت : دفعت وأزالت . والغواية : الجهل والضلال . والتأسي : التزنى والتسلل والتصبر ، أو هو مصدر تأسيت بفلان ، أي اتخذت به ، واتبعت نملة ، وجعلته أسقى .

يقول : إنه عصى نفسه ، فأقلم عن الصيرة والهو والهو والغواية والضلال ، وصبر على ترك هذه اللذات مقتلباً بمن يقتل به في هذا .

(٢) رويدك : أمهل وتأني وارتق . ولأسي : لاتقريب .

يصور الشاعر في هذا البيت مدافعة لصبره ، ومغالته لهواه .

(٣) ولَّى : أدير ويذهب . والصبا (بكسر الصاد) : الصفر، والمراد الفتاة والشباب . وأناذع : أجادب . وسور الصبا : بقرته . وفضل الكأس : بقاياها ، أي ما فضل فيها من الشراب .

يقول : إن شبابه قد ذهب وأدير ، ولم يبق منه غير بقية قليلة ، وهو يحاول المحافظة على القليل الباقي من هذا الشباب بالتسامح في قليل من الهو ، عبر عنه بفضل الكأس .

(٤) تدرى : متواترة . وأردقها : أقيمها .

يريد أنه بلغ من العمر تسعاً وعشرين سنة ، وجواب « من » في البيت الآتي .

فَقَدْ سَفَرَتْ لِعَيْنِي اللَّيَالِي وَبَانَ لَهُ الْهُدَى مِنْ بَعْدِ لَيْسٍ^(٥)
نَظَرْتُ إِلَى الْمِرَاةِ فَكَشَفْتُ لِي فِنَاعاً لَاحَ فَيَدُ فَتِيرُ رَأْسِي^(٦)
وَسَكُنْتُ وَكَانَ فَيْنَانَا أَثِيئاً أَنَا زَعُ شِرْتِي ، وَأَذُوذُ بَأْسِي^(٧)
فَعُدْتُ وَقَدْ ذَوَى مِنْ بَعْدِ لَيْسٍ أَدَارِي صَبَوَتِي ، وَأَيْسُ يَأْسِي^(٨)
فَمَا أُنْسِي كَبِيرِي حِينَ أَغْدُو عَلَى كَبِيرٍ ، وَمَا يَوْنِي كَأُنْسِي^(٩)
وَمَا الْأَيَّامُ إِلَّا صَائِبَاتٌ تَمُرُّ بِكُلِّ سَابِقَةٍ وَتُرْسٍ^(١٠)
أَبَادَتْ قَبْلَنَا إِرْماً وَعَادَا وَطَارَتْ بَيْنَ دُثْيَانٍ وَعَهْبِسٍ^(١١)

(٥) سفرت : اتقصت وظهرت ، من قولهم : سفرت المرأة ، إذا كشفت عن وجهها .
والمراد : ظهر له ما كان مخفياً من أمور الحياة . وبان : ظهر . ولبس : غرض وإيهام
واختلاط . (٦) الفناع : ما ينفتح به الرأس ، أي ينطلي ، والمراد الشعر . ولاح : بدا وظهر . والفتير : أول ما يظهر
من الشيب . يقول : إنه نظر إلى المرآة ، فأظهرت له ما منحنى شعره من الشيب .
(٧) شرفيان : كبير ، له أنثان كأنثان الشجر ، أي أغصانه . وأثيت : كبير طويل ، من قولهم : أث-
النبات ، إذا كثرت والتفت . والشدة : النشاط وقوة الشيب . وأذيع : أذيع . والبأس : الشدة والقوة والإقدام .
يقول : إنه كان قبل أن يلوح فيه الشيب قينان الشعر أثيثه ، شديد شدة الشباب ، عظيم
القوة ، كثير الإقدام ، حتى إنه مع جهل الشباب كان يرى أن شرته وإقدامه قد جاوزا الحد ،
فيعمل على كبجهما .

(٨) عدت : صرت . وذوى : ذبل وضعف ، أي الشعر ، على تشبيهه بالنبات والأغصان ، كما تقدم
في البيت السابق . ويريد بالعين : التفصاة والنفاسة . وأداری : أشق . ويريد بالصبوة : اللوح بالشلل ،
والحيرة على فواته ، والحين إلى مرجه ودواعيه . والياس : انقطاع الرجاء بسبب ما صار إليه من ضعف وشيب .
(٩) أغدو على كبير أصير كبيراً ، وتعلو لي السن .

واللحنى : أني حينما تعلو لي السن يكون أمسى خيراً من بوي ، ويوي شرّاً من أمسى .
(١٠) صائبات : مصيبات ، من قولهم صاب السهم الغرض (من باب قال وباع) أي أصابه ،
ولم يخطئه . والسابقة : الدرع الواسمة . والرحن : الحنّ ونحوه ، مما يتشربه المغال ، لانتقاء النبال وغيرها .
يقول : ليست الأيام إلا سهاماً صائبة تخترق السوابغ والترزوس .

واللحنى : أن الاحتراس والحيلة والوقاية لا تدفع حوادث الأيام ، ولا تصدّ خطوب الزمان .
(١١) أبادت : أهلك ، أي الأيام . وإدم (كمنب) : قبيلة عاد الأولى ، وهي من القبائل القريية
البائدة ، تسمى لها باسم جدّها إدم بن سام بن نوح ، وقيل إدم بلدتهم ، وحاضرة ملكهم ، ويقربونهم وعظمتهم ،
وفي القرآن الكريم : "السم تَرَكَهِنَّ قَمَاصَ رَبِّكَ بِمَأْدٍ . إِرْمَ ذَاتِ الْمَسْكَرِ . الِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا
فِي الْبَلَادِ" الآيات ٦ - ٨ من سورة الحجر . وعاد : من سلالة إدم السابقة ، وتسمى عاداً الأخرى تسمية =

وَأَلَوْتَ بِالْمُضَلِّلِ ، وَاسْتَمَالْتَ عِمَادَ الشَّنْفَرَى ، وَهَوَتْ بِقَسِّ (١٢)
فَلَا «جَمَشِيدُ» دَافَعَ إِذْ أَتَتْهُ بِحَادِثُهَا ، وَلَا رَبَّ الدَّرْفِيسِ (١٣)
عَلَى هَذَا يَسِيرُ النَّاسُ طُرًّا وَيَبْقَى اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ نَفْسٍ (١٤)

== لها باسم جد «عماد بن» وصلى لهم بن سام بن فوج ، وكانت تسكن الأحقاف شرق بلاد اليمن ، وقسمتها مذكورة في القرآن الكريم . وطارت بينهم : فرقتهم وأهلكتهم ، أى الأيام . وعيسى وذبيان : قبيلتان عظيمتان من العرب المستعربة ، وهما أختان من سلالة قبيلة غطفان ، وغطفان من قيس عيلان ، وقيس عيلان من مضر أعظم القبائل الثلاثة وأشهرها ، وكانت بينهما في الجاهلية حروب طويلة مشهورة ، أشهرها حرب داحس والغبراء ، وقد وصفها زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة ، ومنها : ==

== لقدار كذا عيساً وذبيان يملأ تقانوا ، ودقوا بينهم بغير عشم يخاطب حرم بن سنان الذيباني «المزى» ، والجارث بن عوف ، لسليمان في الصلح بين القبيلتين .

(١٢) ألوت به الأيام : أهلكه . والمضلل : امرؤ القيس الكندي ، أشهر شمره الجاهلية ، وكان يلقب بالملك الفضيل (كسكين) والمضلل . واستمالت عماده : كناية عن إبادته وإهلاكه . والشنفري : شاعر جاهلي «تطاعن» من الأزد ، وكان فاتكاً شجاعاً عدواً ، ولهذا ضرب به المثل ثقيل : «أعدى من الشنفري» . وهوت به : أهلكته . وقس : بن ساعدة الإيادي : خطيب العرب وحكيمها في الجاهلية ، وقد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم يخطب بمكان قبيل البيضة ، فأعجب به ، وأثنى عليه .

(١٣) جمشيد : لقب سلك عظيم من ملوك الفرس الأقدمين ، قيل إنه أول من علم الناس اتخاذ الأسلحة ، وكانوا يجارون قبلها بالحجارة والحصي ، وأول من كشف صناعة النسيج ، واستخرج اللؤلؤ من البحر ، والمعادن من بطن الأرض ، وكان من الممصرين . وأتته : أى الأيام . والدرفيس : العلم الفارسي الكبير . ولعل الشاعر يعنى «برب» الدرفيس : كسرى أنوشيراز ، من أعظم ملوك الفرس ، وأبدم صيتاً ، وأسيرهم ذكراً ، أقام بالمداين حاضرة ملكه نحو ٧٠ سنة ، وفي أيامه وصلت بلاد فارس إلى غاية مجدها وارتقائها ، وفي عصره ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإليه ينسب القمر الأبيض والإيران ، وكان من عجائب الدنيا ، وفي وصفه يقول البحتري في سيئته المشهورة :

فإذا ما رأيت صورة ألقا كية ارتعت بين روم ودين

والنابيا موائل ، وأنوشير وان يزجي الصفوف تحت الدرفيس

وصف الشاعر في هذا البيت وثلاثة أبيات قبله صورة الأيام ، وبطش الدهر ، ونوازل الزمان ، ومثل بعض الأمم والملوك ، وبعض ذوى السير الخالدة ، والذكرات الباقية ، وكل هؤلاء فتك بهم الدهر ، وأبادتهم صروف الليالي ، ولم يبق بعدهم غير العبرة لمن أراد أن يعتبر .

(١٤) طرّاً : جميعاً .

القصيد التاسعة والعشرون

قال وهو يسرنديب :
مَتَى تَرِدُ إِلَيْهِمُ الْخَوَامِيسُ مَنَهَلًا
أَرَى النَّيْثَ عَمَّ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَهَلْ نَهْلَةٌ مِنْ جَنَوَلِ النَّيْلِ تَرْتَوِي
وَهَلْ مِنْ مَقِيلٍ تَحْتَ أَفْنَانٍ يَسْدِرُهُ
تَبْلُ بِهِ الْأَكْبَادَ وَفِي عِطَاشٍ ؟^(١)
وَمَوْضِعٌ رَخْلَى لَمْ يُعْبِئْهُ رَقَاشٌ ؟^(٢)
بِهَا كَبِدٌ ظَمَانَةٌ وَمُشَاشٌ ؟^(٣)
لَهَا مِنْ زَرَائِبِ النَّبَاتِ فِرَاشٌ ؟^(٤)

(١) ورد البير وبغيره الماء يردده ويردأ : أشرف عليه ، وبلته ، ووافاه . وإليه : الإبل العطاش ، المفرد أمي ، أو بهاء . وانغواس : الشديدة الظما ، جميع خامسة ، صفة من حست الإبل ، أى وردت الماء اليوم الخامس ، واسم هذا الضرب من الظما : النفس (بكسر فسكون) ، ومن كلامهم : النفس شر الأنعام . والمنهل : المشرب . وبلته : لداه ، (وبابه رد) .

والشاعر يشبه حاله في غربته ، وانقطاعه عن وطنه وأهله ، وشدة كلفه بهم ، واشتياقه إليهم بالإبل التي اشتد بها العطش ، وطال انقطاعها عن الماء ، وهو يمتنى عودة تطمئن بها نفسه ، وتندى كبده الحرقى .

(٢) النيث : المطر . والرجل : المسكن ، وما يستصحبه المروء من الأثاث . والرشاش (بفتح الراء) مارتشش من الماء ، (وبالكسر) : جمع الرش (بفتح الراء وتشديد الشين) وهو المطر القليل .

(٣) نهلة : اسم مرة من النهل (يفتحين) ، وهو أول الشرب . والمشاش : رويس المظالم اللينة ، الواحدة مشاشة (بضم الميم) . والمشاش أيضاً : النفس .

(٤) مقيل : اسم مكان من قال . (من باب باع) . أو هو مصدر بمعنى القليلة ، وهي لومة لصف النهار ، أو الاستراحة في هذا الوقت إذا اشتد الحر . والأفنان : الأغصان ، واحدها فن (يفتحين) . والسدر : شجرة اللب ، وجمعها سدر (بكسر فسكون) . وزرايى النبات : النبات الشبيه بالزرايى ، وهي البسط (يفتحين) والتمارق ، الواحدة زربي (بكسر فسكون) ، والزرايى من النبات : ما أصغر وأحر وأقصر . يمتنى أن يقبل تحت أغصان سدره لها فراش من النبات الشبيه بالبسط والتمارق ، فهو يمتنى العودة إلى وطنه ، لأن السدر يكثر في بعض أراضي مصر

لَذَى أَبْكَةٍ رَبِّهَا الْغُصُونِ ، كَانَتْهَا
تَرَى الزُّهْرَ الْوَانَا ، يَطِيرُ مَعَ الصَّبَا
عَلَيْهَا مِنَ الزُّهْرِ الْجَنِيِّ رِيَاشٌ ^(٥)
كَمَا هَاجَ لِإِبَانِ الرَّبِيعِ فَرَاشٌ ^(٦)
وَأَطْلَبُ أَرْضِ اللَّهِ حَيْثُ يُعَاشُ ^(٧)
فَقَدْ يَسْتَقِيمُ السَّهْمُ حِينَ يُرَاشُ ^(٨)
فَيَارِبُ ، رِشْنِي كَيْ أَعِيشَ مُسَدَّدًا

(٥) الآية: الشجر الكثير الملتف. ورياً: مؤنث رِيَّان، صفة من الري، والمراد غضة ناضرة. والجنى: الجنى، أى المقتطف مادام غصناً طرياً، والمراد بالزهر الجنى: المتفتح الناضر. والرياش: لباس الحسن الفاخر، والزينة.

(٦) الصبا: ريح تهب من مطلع الشمس في بلاد العرب، وهى أحب الرياح إليهم. وهاج: احتاج ونار. وإبان الربيع: زمانه. والفراش (يفتح الفاء): جمع الفرائش التى تنهات حول السراج ونحوه. يشبه الزهر المختلط الألوان يطير مع ريح الصبا بالفراش الذى يهيج ويكثر في وقت الربيع.

(٨) رشنى: أمر للدعاء، من راشت الله تعالى، إذا أنشتم أمانه وقواه، وأصلح حاله، ويسر أمره. وأصله من راشت النابل السهم (من باب باع) إذا ألزق عليه الريش. وسدد: موفق للسداد والقصد والصواب. والسهم: واحد النبل (يفتح فسكون)، وهو ما يرمى به الصائد ونحوه عن القوس ونحوها.

يدعو الله أن يرشيه، ويقوى جناحه بالإحسان إليه، كى يعيش موفقاً للسداد، كما يستند السهم ويقوى ويستقيم، ويصيب إذا ريش.

القصيدۃ الثلاثون

وقال في الحكمة :

بَادِرِ الْفُرْصَةَ ، وَاحْذَرْ قَوَّتَهَا فَبُلُوعُ الْبِزِّ فِي نَيْلِ الْفُرْصِ^(١)
وَاعْتَنِمْ عُمُرَكَ إِبَّانَ الصَّبَا فَهُوَ إِنْ زَادَ مَعَ الشَّيْبِ نَقَصُ^(٢)
إِنَّمَا الدُّنْيَا خَيْالٌ عَارِضٌ قَلَمًا يَبْقَى ، وَأَخْبَارُ نَقَصِ^(٣)
تَارَةً تَدْجُو ، وَطَوْرًا تَنْجَلِي عَادَةُ الظِّلِّ : سَجَا ، ثُمَّ قَلَصُ^(٤)
فَابْتَدِرْ مَسَاعِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ بَادَرَ الصَّيْدَ مَعَ الْفَجْرِ قَنَصُ^(٥)

(١) بادر الفرصة : عاجلها ، وسارع إليها . وقوتها : قواؤها ، مصدر فاته الشيء . (من باب قال).

(٢) اعنم عمرك : المراد انتفع به ، ولانفسه ، وأصله من اعنم المرء الشيء ، إذا عده غنيمة ، وفاز به بلا مشقة . وإبان الصبا : وقت الصغر . ومعنى الشطر الثاني : أن العمر إذا زاد نقصه الشيب وطواه . يريد الحفص : على الانتفاع بالحياة ، وتقديم صالح الأعمال في زمن الفتاة والشباب ، قبل أن يحلّ المشيب ، فيحلّ معه الضعف والفتور .

(٣) الخيال : كل شيء تراه كالظل ، وخيال الشيء : صورة مثاله . وعارض : باد ، ظاهر .
نقص : هلك ، ويحدث بها .

(٤) تدجو : تظلم ، والمراد تسو : وتنجلي : تنكشفه وتضيح ، والمراد تحسن وتزدهر ، وتوافق صاحبها . وسجا : امتهن وسكن ودام . وقلص : انقبض وانزوى وانضم .

(٥) ابتدر الإنسان الشيء . وبادره : عاجله وسارع إليه . ومسالك : سبيل في الخير وصالح الأعمال .
والصيد : يكون مصدر صاد (كباع) ويكون اسماً لكل ما يصاد . وقنص الصائد الصيد (من باب ضرب) : صاده .

لَنْ يَنَالَ الْفَرَسَ بِالْعَجْرِ النَّسَى إِنَّمَا الْفَرَسُ لِمَنْ مِمَّ نَفَسٌ^(٦)
 يَكْدَحُ الْقَاوِلُ فِي مَأْتِيهِ فَلِذَا ضَاقَ بِهِ الْأَمْرُ شَخَصٌ^(٧)
 إِنَّ ذَا الْحَاجَةِ مَا لَمْ يَغْتَرِبْ عَنْ حِمَاهُ يَمْلُ طَيْرٌ فِي قَفْصِ^(٨)
 وَلَيْكُنْ سَفِيكَ مَجْدًا كُلُّهُ إِنَّ مَرَعَى الشَّرِّ مَكْرُوهُ أَحْصَى^(٩)
 وَأَتْرَكَ الْجِرَاصَ تَعِيشَ فِي رَاحَةٍ فَلَمَّا نَالَ مَنَاهُ مِنْ حَرَرِ^(١٠)
 قَدْ يَصُرُ الشَّيْءُ تَرْجُو نَفْعُهُ رَبُّ ظِلْمَانَ يَصْفُو الْمَاءَ غَضٌ^(١١)
 مَيِّزُ الْأَشْيَاءِ تَعْرِفُ قَدَرَهَا لَيْسَتْ الْفَرَّةُ مِنْ جَنِينِ الْبَرَصِ^(١٢)
 وَاجْتَنِبْ كُلَّ عَيْبٍ مَاتِي فَهُوَ كَالْقَيْرِ ، إِذَا جَدَّ قَمَصٌ^(١٣)

(٦) يريد بالعجز : التوافق وصف المساء . والمضى : الأماني والآمال ، واحداً منها (بضم فسكون) وهم بالثي : أراؤه ، (وبابه رد) . ونفس : المراد أنفذ مأمور به ، من قولهم : نفس الرجل نأته (من باب رد) : إذا استخرج أقصى ما عنده من الخير ، ونفس الشيء : حركته . ونفسه أظهره . ونفس فلان فلاناً : إذا استقصى مسأله عن الشيء .

(٧) يكدح : يكد ، ويجهد ، من الكدح ، وهو السعي والكذب والكسب والشدة والغروب في العمل ، (وبابه قطع) . وبأت : مكان أت ، والمراد ببلده وطنه . والمراد بضيق الأمر : الفقر والفشل وسوء الحال . وشخص (كذهب) : انطلق وأرحل ومهاجر .

(٨) يغترِب : يخرج من وطنه ويهجره . والمضى : المكان المظنون الذي لا يقرب ، والمراد به هنا : الوطن .
 (٩) الحيد : المنزلة والشرف والكرام والملاذ ، بمعنى الشطر الأول : ليكون سبيلك كله في سبيل الحيد . والمرعى : الكلاء ، أو هو مصدر بمعنى الرعي ، أو هو اسم مكان من الرعى (يفتح فسكون) والكلام على التشبيه . والأحصى : التكة المششوم الويل الذي لا خير فيه . والأصل : حصن القصر (كل) : أي تساقط ، وتأثر ، فهو أحصى ، وهي حصاة .

(١٠) المرمس (بفتح فسكون) : الجشع والشره (يفتحين فيها) بلد حرمس (بفتح فسكون) ، وسبع) ، فهو سريص . والمضى : الأماني والآمال والمطالب ، وحديثاً منها (بضم فسكون) .

(١١) ظلمان : صفة من الظلمة (يفتحين) وهو العطش ، أراؤه . وصفر الماء : ماصفا منه ، وهو متعلق بنفس . ونفس بالماء (من باب تعب) : شرق به ، أو وقف في حلقه ، فلم يكده يسخه .
 (١٢) قدر الشيء : مقداره وبهله ودرجته . والفرقة : بياض مستحسن في جهة القفوس . والبرص (يفتحين) : بياض يظهر في ظاهر البدن لقضاء مزاج ، وهو من الأدواء الوبيلة القبيحة . (وبابه تعب) .

(١٣) مائق : أخفق ، فبق ، سيقى الملقق . والمير (يفتح فسكون) : الحمار . وجرد في السير : أسرع واجتهد . وقصص الحمار ونحوه : اضطرب في سيره واستن ، وهو أن يفرح يديه ، ويطرهما معاً ، ويهجن برجليه ، (وبابه ضرب وقتل) .

إِنَّمَا الْجَاهِلُ فِي الْعَيْنِ قَلْبِي حَيْثُمَا كَانَ ، وَفِي الصَّدْرِ غَضَضٌ ^(١٤)
 وَاخْذَرِ النَّسَامَ تَأْمَنُ سَكِينَهُ فَهَوَ كَالْبَرْغُوثِ إِنْ دَبَّ قَرَضٌ ^(١٥)
 يَرْقُبُ الشَّرَّ ، فَإِنْ لَاحَتْ لَهُ فَرَصَةٌ تَصْلُحُ لِلْمُخْتَلِ قَرَضٌ ^(١٦)
 سَاكِنُ الْأَطْرَافِ ، إِلَّا أَنَّهُ إِنْ رَأَى مُنْتَسِبَ أَظْفُورِ رَقَصٌ ^(١٧)
 وَاخْتَبِرَ مَنْ شِئْتَ تَعْرِفَهُ ، فَمَا يَعْرِفُ الْأَخْلَاقَ إِلَّا مَنْ فَحَصُ ^(١٨)
 هَلْوَ حِكْمُهُ كَهَلِي خَابِرٍ فَاقْتَنِصْهَا ، فَعَيَّ نِعَمَ الْمُقْتَنِصِ ^(١٩)

(١٤) القلى : ما يقع في العين فيجبها ويأذيها . والنمص (يفتحين) : مصد غصصت بالطعام
 والشراب (من باب تمب) ، والنمص (يضم العين وتشديد الصاد) : ماغص : به الإنسان من طعام ، وقد
 يسمى البئط غصة على التشبيه ، وجمعها غصص (كقرفة وقرف) .
 (١٥) النّام : صفة من اللّم والثنية ، وهي يلغ الحديث على وجه الإشاعة والإنساد ، أو تزجيز
 الكلام بالكليب . والكيد : الختل والكدية والروغان (يفتحين) والبرغوث (بوزن المصور) : ضرب
 من سائر الحوام ، غصص : شديد الرقيب . في صورة الفيل . وجمعه براغيث . ودب : سار على
 هيئته (بكسر الهاء وسكون الياء) سيرا لئلا . وقرص : لسع ، (وبابه قتل) .
 (١٦) يرقب الشر : (من باب قد) : ينتظره ويرصده ويعوقه . ولاست : بانثت وولست
 وظهرت . والختل : مصدر غتله (من باب ضرب) ، أى خدعه وزاد به المكروه من حيث لا يعلم . وقرص
 الفرصة (من باب ضرب) : انبهرها وأصلها واغتنتها .
 (١٧) الأطراف : المراد الأعضاء . ومنشب (بوزن مذبح) : اسم مكان من شب الشيء في
 الشيء . (من باب فرح) أى خلق فيه ، وأسلك به . والأظفور : الظفر (يضم فسكون) والمراد بمنشب
 الأظفو : مجال الشر ، ووضع السماية والثنية مهما ستر .
 يقول : إن النمام يبلو هادكا ساكن الأطراف ، ولكنه يرقب الشر ، فإذا رأى مجاله رقص
 وطرب ، وسارع إليه .

(١٨) فحص : بحث .

(١٩) الحكمة : العلم ، والقول الرائع يتفحص حكما صحيحا مسلما . والكهل : الرجل إذا رطخه
 الشيب ، أى خالطه ، والمراد المجرب النازل . وخابِر : عالم . واقتنصها : أمر من الاقتنص ، وهو
 الصيد . والمقتنص : اسم مفعول من الاقتنص

القصيدۃ الحادية والثلاثون

قال يَرُوضُ القَوَلُ :
 مَلَّ فِي الزَّمَانِ لَنَا حُكْمٌ فَتَشْتَرِطُ ؟ أَمْ تِلْكَ أُمْنِيَّةٌ فِي طَيْهَا قَطَطُ (١)
 نَبْكِي عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ ، ثُمَّ يَضْحِكُنَا مَا لَيْسَ فِيهِ لَنَا بُقْيَا فَتَخْلِطُ (٢)
 وَكَيْفَ نَرْجُو مِنَ الْأَيَّامِ عَافِيَةً وَصِحَّةُ الْمَرْءِ مَقْرُونٌ بِهَا السَّقَطُ ؟ (٣)
 نَرَعَى مِنَ الدَّهْرِ غَيْثًا نَبْتُهُ أَسْفُ لِلرَّائِدِينَ ، وَرَوْضًا زَهْرُهُ سَطَطُ (٤)

(١) الأُمْنِيَّةُ : ما يتمناه الإنسان ويرجو ويقدّر حصوله . وفي طيها : فيما انطوت عليه . وقطط : قنوط ويأس ، مصدر قنط (كفرح) . وه أم « في الشطر الثاني بمعنى « بل » .
 يقول : هل لنا على الزمان حكم وسلطان ، لتشتري عليه أن يجري كما نحب ونهوى ؟ بل تلك أُمْنِيَّةٌ تنطوي على اليأس والقنوط ، أي أمل ميثوس منه ، لا رجاء فيه .
 (٢) البقيا (بضم فسكون) : اسم بمعنى الإبقاء . ويصح أن تقرأ بقياً (بالتفوين مع فتح الباء وسكون القاف) وهو مصدر بى (كسى) . وتختلط : من الاختلاط ، وهو ساد العقل .
 يقول : إننا في حياتنا نبكى على غير شيء ، ثم يضحكننا ما يفنى ، ولا نستطيع لإبقائه ،
 فنفسد عقولنا .

والمعنى : أننا ننخدع بزخرف الحياة الدنيا وباطلها ، فنحزن على ما لا يستحق الحزن ،
 ونفرح بما لا يبقى ، فنوصم بضعف العقل واختلاطه .
 (٣) العافية : السلامة من العلل والبلاء . ويقرون : اسم مفعول من قرئت الشيء بالشيء ، إذا
 وصلته به ، (وبابه ضرب ونصر) . والسقط : الثمرات والزلات .

والمعنى : أنه لا يرجي من الأيام استمرار الصحة والعافية والسلامة من العلل والآفات ؛ لأن
 هذه صفات عارضة غير ثابتة ، تنهى حتماً إلى المرض والضعف والسقام .
 (٤) فرعى : مضارع رعى (كسى) من قولهم : رعت الماشية الكلأ ، أي أكلته . والنبت :
 الكلأ ، وأصله المطر . والنبت : النبات . والمراد بنبتة : ثمره . والأسف : أشد الحزن . والرائد =

فَلَا يَغْرُنْكَ مِنْ دَفْعِ بَشَائِئِهِ
لَا يُدْرِكُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى سِوَى رَجُلٍ
إِنْ مَسَّهُ الضَّيْمُ نَاجَى السَّيْفَ مُتَّصِراً
فَاقْلِفْ يَنْفَعُكَ فِي أَقْصَى مَطَالِبِهَا
قَدْ يَظْفَرُ الْغَايَةَ الْأَلْوَى بِحَاجَتِهِ
وَإِنْ شَاتَكَ الْمُنَى فَاقْنَعْ بِأَقْرَبِهَا
فَلِإِنَّمَا هُوَ بِشَرِّ تَحْتَهُ سَخَطٌ^(٥)
ثَبَّتَ الْعَزِيمَةَ مَاضٍ حَيْثُ يَنْخَرِطُ^(٦)
أَوْ هَمَّهُ الْأَمْرُ لَمْ يَتَلَقَّ بِهِ التَّيْمُطُ^(٧)
إِنَّ النَّجَاحَ يَسْعَى الْعَرَهُ مُرْتَبِطُ^(٨)
وَلَيْسَ يُدْرِكُهَا الْهَيَّابَةُ الْخَلِطُ^(٩)
فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ يُدْرِكُ الْوَسَطُ^(١٠)

— إلى يرسل في طلب الكلا . والروض : جمع روضة ، وهي أرض ذات بقل وعشب وزهر وماء .
والسخط : الجور والظلم وبجائرة القدر في كل شيء .

يشير إلى أن الدنيا كخضراء الدمن في حسن المنظر وصوره الخبير ، وأنها تخدع أصحابها ، ثم
نذيقهم مرارة الحسرة والحمران .

(٥) لا يغرنك : لا تبتغيك . والبشائ : البشر والفرح وطلاقة الوجه . والسخط : الغضب .
(٦) ثبت : ثابت قوي . والعزيمة : العزم والإرادة . ماضٍ : نافذ مقدام . وينخرط : يتجه
ويسرع ، من قولهم : انخرط في العدو (يفتح فسكين) إذا أسرع .

(٧) مَسَّهُ الضَّيْمُ : أصابه الظلم . وفجأه : سارّه ، والمراد بتجلبط السيوف : الاعتماد عليه في دفع
الظلم . ومتصراً : اسم فاعل من الانتصار ، بمعنى الانتقام ، أي متصراً عن ظلمه . وهَمَّهُ الْأَمْرُ : حزنه
وأقلقه . ويملق : ينشب (وبأيهما تمب) . والتيط (يفتحين) : الضعف والتواني والكلل .
(والفعل من باب تمب) .

(٨) مرتبط (بصيغة اسم الفاعل ، أو بصيغة اسم المفعول) : مربوط مشدود بالرباط ، وهذا
كناية عن الملازمة وشدة الاتصال .

يخص على السعي والمخاطرة بالنفس في طلب الغايات البعيدة والمطالب الرفيعة ؛ إذ النجاح
موصول بالسعي ، وقرعة من شمار .

(٩) يظفر : يقرز . والقاتك : الجري . والألوى : الجدل (يفتح فسكر) الشديد المخصوصة ،
والمراد الجريء الشجاع المقدم . والهيابة : الخائف الجبان . والخلط : الأحمق الضعيف .

(١٠) شَاتَكَ : سبقتك ، (وبابه عدا) ، والمراد بمدت عنك ، ولم تواتك . والمضى : الأمان والآمال
والمطالب ، وأحلتها منية (يفتح فسكين) . والوسط : منتصف الشيء الذي بين طرفيه . والوسط أيضاً :
الخير . يقال : فلان وسط في قومه ، ومعون أرباب الناس : أي من خيرهم .

وللمنى : وإن فانتك الأمانى ، وعز عليك إدراكها ، فاقنع بما واثق منها ، وقرب مأخذها ،
إذ الوصول إلى الغايات ، أو منتصف الغايات — فضلاً عن هياتها — غير ميسور في كل
الأحيان :

لَا تَعْمَلْنَ إِذَا أُمْنِيَّةٌ عَرَضَتْ فَإِنَّمَا الْعَيْشُ فِي هَذَا الْوَرَى لَقَطٌ (١١)
 إِنِّي وَإِنْ سَكَتِ الْأَيَّامُ قَدْ أَخَذْتُ مِنِّي ، وَأَخْنَى عَلَى الضَّعْفِ وَالشَّمْطِ (١٢)
 فَقَدْ أَذُو السَّيْنَتِي عَنْ فَرِيَسْتِهِ وَأَفْجَأَ الْبَطْلَ الْحَاكِي فَأَخْطِطُ (١٣)
 وَأَصْدَعُ الْجَيْشَ وَالْفُرْسَانَ مِنْ مَرَحٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ بِأَطْرَافِ الْقَتَا نَحْطُ (١٤)

(١١) غفل عن الشيء (من باب قعد) : تركه يساه عنه . والأمنية : واحدة الآمان والآمال
 وعرضت : ظهرت وسنحت . والعيش : المعيشة والحياة . والورى : الخلق (يفتح فسكون) .
 والقبط (يفتحين) : ما لقط (بالبناء للمجهول) ويصح أن تقرأ هكذا : لقط (بضم ففتح) جمع لقطة
 (كفرة) هى : ما يلتقط .

يقول : إذا سنحت لك أمنية فانهزها واغتنمها ، ولا تنفل عنها حتى تضع ، فإنما الحياة في
 هذا العالم فرص تفتنم .

(١٢) أخذت الأيام منه : أضفته . وأخنى عليه : بلغ منه ، ونقل عليه . وبالل ، من قلم : أخنى
 عليهم الدهر ، إذا بلغ منهم بشدائمه أهلهم . والشط (يفتحين) : يبيض شعر الرأس يتخالط سواده ،
 والمراد الشيب .

(١٣) أذود : أذع وأطرد . والسبني : الفرس ، أو الأسد لمراهته وشدة بأسه . والبطل : الشجاع .
 وأنجؤ : أحمى عليه بفتح . والحاكى اسم فاعل من حميت الشيء (من باب رى) أى منعه ودافعت
 عنه ، والحاكى : الشجاع الذى يحمى سوزته . وأخططه : أضربه ضرباً شديداً ، وأخطط الرجل عدوه :
 جلده بالسيف .

يقول : إنه وإن نالت منه الأيام ، وأخنى عليه الضعف والشيب ، فقد يدفع الأسد أو الفرس
 عن فريسته ، ويهجم على البطل الشجاع الذى يحمى حوزته ، فيضربه بسيفه .

والمعنى : أنه ما زال قريباً فاتكاً شجاعاً على الرغم من شيبه وضعف جسمه ، وعلوان الأيام عليه .
 (١٤) أصدع : أثنى وأفرق . والفرسان : جمع فارس ، وهو راكب الفرس . والمرح : شدة الفرح
 والنشاط ، أو هو التبخر والاختيال . والبجاج : الفبار تشبه سنايك الخيل ، وسرعات المتحاربين . والقنا :
 الرماح ، الواحدة قناة . ونقط (يفتحين) : لاعبون بالرماح شجاعة وبطولة . يقول : إنه جرى شجاع يغوص
 غمار الحرب ، ويقسم فارها ، والفرسان لا يبالون أهوالها ، ولا يكثرثون لويلاتها ، كأنهم تحت عجاجها
 يلعبون بالقنا والرماح من المرح والنشاط .

والمعنى : أنه يستطيع بشجاعته وشدة بأسه أن يهزم الجيش القوي الباسل الشجاع .

فَمَا يَنْصَلِ إِنْ لَأَقَى صَرِيْبَتَهُ نَكَلٌ، وَلَا فِي جَفِيرِي أَسْهُمٌ مُرْطٌ^(١٥)
وَرُبُّ يَوْمٍ طَوِيلٍ الْعُمَرُ قَصْرُهُ جَرَى السَّوَابِقِ وَالْوَحَاةُ النُّشْطُ^(١٦)
كَأَنَّمَا الْوَحْشُ مِنْ تَلْهَابِ جَمْرَتِهِ مُبَدَّدًا تَحْتَ أَشْجَارِ الْغَضَى خَبِطُ^(١٧)
تَرَى فِي الْقَوْمِ صَرْعِي لَا حَرَكَ بِهَمٍ كَانَهُمْ مِنْ عَتِيقِ الْخَمْرِ قَدْ سَقَطُوا^(١٨)
وَكَيْلَةُ ذَاتِ تَهْتَانٍ وَأَنْدِيَةِ كَانَمَا الْبَرْقُ فِيهَا صَارِمٌ سَلِطٌ^(١٩)

(١٥) النصل : حديدة الرمح والسهم والسيف ونحوها . والغريبة : ما ضربته بالسيف ونحوه ،
(فيلة بمعنى مفعولة) . ونكل : قبو وتباعد ، مصدر نكل عن عدوه (من باب تمب) إذا جبن ونكس وتأخر .
والجفير : الجمجمة (يفتح نكسون) ، وهي كثافة السهام . وأسهم مرط : لا ريش عليها ، المفرد أسرط (كأحر وجهر) .
يشمدح بتمام أهبة واستعداده ، وقدرته على القتال والجلاد والترحال .

(١٦) السوابق : العاديات من الخيل ، المفرد سابق أو سابقة . والوحادة : المسرعة ، صفة من الوعد ،
وهو سعة الخلو في المشي مع الإسراع ، أو هو أن يرى الجير ونحوه بقوامه كفى النعام . ونشط : المعروف
أن الصفة من الفعل نشط (كسع) ناشط ونشط ، وكلاهما لا يجمع على نشط ، والذي يجمع من الصفات
على فعل (بضمين) ما كان على وزن فعل كنفور ، وجاء في القاموس : والنشط (بضمين) ناقضو الجبال ،
من نشط (من باب ضرب) . فكأنه جمع نشوط ، أما نشط (كسع) فلا تعرف له وصفا بهذا الوزن .
والمعنى : أن ماركبوه من سابقات التحليل والإبل المسرعة النشيطة قد قصّر ذلك اليوم
الطويل ، فلم يشعروا بطوله ، ولم يحسّوا في سفرهم تعباً كثيراً .

(١٧) الوحش : ما لا يتأقن من دواب البر . وتلهاب جمرته : اتقاد ناره واشتعالها ، والفسير الجرور
يعود إل « يوم » في البيت السابق ، والمراد بتلهاب جمرته : اشتداد حره . ومبدداً : مفرقا . والغضى :
شجر من نبات الأراضى الرملية ، وغشبه من أصلب الخشب ، الواحدة غضاة . والخبط (بفتحين) :
ما سقط تحت الشجر من ورق ونحوه (فعل بمعنى مفعول) .

يقول : كأنما الوحش من شدة حرّ ذلك اليوم خبط متناثر تحت أشجار الغضى .

(١٨) صرعى : جمع صريع ، وهو الملقوح على الأرض . وما به حركة : ما به حركة . وعتيق الخمر
الحمر النقية القديمة الجميدة .

يقول : إنك في هذا اليوم الشديد الحرّ ترى القوم صرعى لا يتحركون ، كأنهم سكروا بخمر
معتمّة ، واشتدّ بهم السكر فسقطوا .

(٢٩) التهان : مطر ضعيف دائم ، أو هو مطر ساعة ، ثم يفرّ ، ثم يعود . وأندية : جمع ندى ، وهو
البلل . والصارم : السيف القاطم . والسלט (بفتح فكسر) : الذي لا تنوّ في نصه .

لَفَ الْقَمَامُ أَقَاصِيهَا يَبْرُكِيهِ . وَأَنْهَلَ فِي حَجَرَتَيْهَا وَأَيْلُ سَبِطُ (٢٠)
 بَهْمَاءَ لَا يَهْتَدِي السَّارِي بِكَوْنِهَا مِنْ الْقَمَامِ ، وَلَا يَبْنُو بِهَا نَمَطُ (٢١)
 يَكَادُ يَجْعَلُ فِيهَا الْقَوْمُ أَمْرَهُمْ لَوْ لَا صَوِيلُ جِيَادِ الْخَيْلِ وَاللَّغَطُ (٢٢)
 يَطْفَى بِهَا الْبَرَقُ أَحْيَانًا ، فَيَزْجُرُهُ مُخَرَّنَطٌ زَجَلٌ مِنْ رَعْدِهَا خَمِطُ (٢٣)
 كَأَنَّمَا الْبَرَقُ سَوِطٌ ، وَالْحَيَا نُجُبٌ يَلُوحُ فِي جِسْمِهَا مِنْ مُسْهِ خَمِطُ (٢٤)

(٢٠) القمام : السحاب ، الواحدة غمامة . والمراد بالأقاصي : الأطراف والنجاسات وأفاق السماء .
 والبردة : كساء يلتحف به . وأنهل : أنصب . وسال بشدة . وحجرتها . ناحيتها مشى حجرة
 (يفتح فسكون) . وأيل : مطر غزير شديد . وسوط (يفتح فكسر) : شديد متدارك .
 يصفها بكثرة الغمام وانتشاره ، وغزارة المطر وتتابعه وانهماره .

(٢١) بهماء : سواد مظلم ، وهي صفة الليلة . والساري : السائر ليلا . والنمط : الطريق .
 ومن القمام في الشطر الثاني : تحليل لعدم اعتناء الساري بكونها .
 يصفها بشدة الظلمة ، وإطباق الغمام وكثرته وتراكمه .

(٢٢) معنى الشطر الأول : يكاد المرء لا يرى أمهه ، فيجهل أمره وسكانه لشدة الظلمة ،
 واحتجاب النجوم وراء السحاب للتراكم .

والصويل : صوت الفرس . وبياد الخيل : كرامها ، وما راعك منها ، الواحد جواد . واللفط : الأصوات
 المبهمة المختلطة والجلجلة (يفتحين) .

(٢٣) يطفئ : يزيده ويحفف ويشد . ويَزْجُرُهُ : يمنعه وينهاه وينتهره . ومخرنط : غصبان ، وهو
 اسم فاعل من اخرنط الرجل ، أي رفع ألفه واستكبر وقضب . وزجل : عالي الصوت . ومن رعدا : بيان
 لزجل . وخمط : غصوب ثائر .

(٢٤) السوط : الذي يجده به ، كالمنقرة ونحوها . والحيا : المطر ، والمراد السحب . والنجب (يفتحين) :
 كرام الخيل والإبل وعناقتها وبيادها ، المفرد نجب . ويلوح : يبدو ويظهر . ومن مسه : يسب مسه وأذاه
 وضره ، أي السوط . والخبط (بالتحريك) : آثار السياط باليدن ، أو الآثار الواورة التي لم تمشق .
 جعل البرق متألعا في السحاب ، كالسوط تضرب به نجائب الإبل والخيل ، لما
 يشاهد في كلا الحالين من حركة سريعة متوالية متعقبة ، وجمل ما يظهر من غلظ السحب
 وتراكمها في بعض نواحي السماء ، كأثار السياط في أجسام هذه النجب .

كَأَنَّهُ صَارِمٌ يَرْفُضُ مِنْ عَلَقٍ بِالْأَفْقِ يُغَمِّدُ أَحْيَانًا وَيُخْطَرُ (٢٥)
 مَزَتْ جَلْبَابَهَا بِالْمَخِيلِ طَالِمَةً مِثْلَ الْحَمَائِمِ فِي أَجْيَادِهَا الْعُلُطِ (٢٦)
 وَقَدْ تَخَلَّلَ خَيْطُ النُّورِ ظِلْمَتَهَا كَمَا تَخَلَّلَ شَعَرُ اللَّعَةِ الْوُخْطُ (٢٧)
 كَأَنَّهَا وَصْدِيقُ الْفَجْرِ يَصْدَعُهَا مِنْ جَانِبِ أَدْهَمَ قَدْ مَسَّهُ نَبَطُ (٢٨)
 وَمَرْتِعٍ لِنَسِيمِ الْفَجْرِ هَيْئَةً فِيهِ ، وَلِلطَّيْرِ فِي أَرْجَائِهِ لَقَطُ (٢٩)

(٢٥) كأنه : أى البرق . وصارم : سيف قاطع . ويرفض : يسيل وينهل . ويقطر ويترشش ويتفرق . والعلق : الدم . والأفق : ناحية السماء ، وأفاق السماء : نواحيها . وينفذ : يدخل في غدة (بالبناء للمجهول فيها) . ويختارط : يسلّ ويجرد من غمده .

شبه البرق في طوله ولامانه وتألقه وتفرق الحمرة في جوانبه بسيف قاطع يقطر منه الدم ، ثم جعل ظهور البرق واختفاءه كسجريد السيف وإخماده .

(٢٦) الجلباب : القميص ، أو هوثوب واسع دين الملعقة ، أو هو الملاءة . ويريد بتزيينه جلباب هذه اليلة : أنه سار في ظلماتها في سرعة وبضياء . والحمام : جمع حمامة . وأجياها : أعناقها ، جمع جيد (بكسر الجيم) . والعلط (ككتب) : جمع علاط (ككتاب) وهو من الحماة طوقها في صفحتي عنقها بسواد ، والعلاط أيضاً : حبل يجعل في عنق البعير ونحوه .

يقول : إنه مزق جلباب هذه اليلة ، وشق ثيابها بالخيال طالعة كالحمام ، في خفيها وسرعة جريها ، ثم شبه ما يكون في أجياها من المقاريد والأعنة ونحوها بأطواق هذه الحمام .
 والمعنى : أنه ركب وسافر في هذه اليلة الليلية المظلمة الماطرة .

(٢٧) تَخَلَّلَ النور الظلمة : ثقبها وخالطها . ويريد بخيط النور : بياض الصباح . واللعة : ماجاوز شمة الأذن من شعر الرأس . والوخط : الشيب القليل . والبيت وصف لظلال الفجر في تلك اليلة .

(٢٨) كأنها : أى اليلة . والصدع : الفجر ، لأن الليل ينصدع ، أى ينشق عنه ، والصدع أيضاً : انصداع الصبح ، أى انقطاعه وانفلاقه . ويصدعها : يشقها . وأدم : فريس أسود . والنبط (بفتح النون والباء) : بياض في بطن الفرس .

يقول : كأن هذه اليلة ونور الفجر يشقها من بعض جوانبها فرس أدم في بطنه بياض .

(٢٩) المريع (كقعد) : الموضع يرتفع القوم فيه ، أى يقسمون به زمن الربيع . والمينة (بفتح فسكون ففتح) : صوت كأنه كلام غنى لا يفهم ، أو قراءة غير بيّنة . والأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية والقطب : الجلبة والأصوات المختلطة .

كَأَنَّمَا الْقَطْرُ دُرٌّ فِي جَوَانِبِهِ يَكَادُ مِنْ صَدَفِ الْأَزْهَارِ يُلْتَفَطُ (٣٠)
وَلَيْلَيْسِمِ خِلَالَ النَّبْتِ غَلْظَةً كَمَا تَغْلُظُ وَسَطَ اللَّيْلِ الْمَشْطُ (٣١)
وَالرَّيْحُ تَمَحُّو سَطُورًا ، ثُمَّ تُثَبِّتُهَا فِي النَّهْرِ لِأَصْحَةِ فِيهَا وَلَا غَلْظُ (٣٢)
وَلَيْسِمَا خِيُوطٌ غَيْرُ وَاهِيَةٍ تَكَادُ تُجْمَعُ بِالْأَيْدَى فَتُرْتَبَطُ (٣٣)
كَأَنَّمَا وَأَكْفُ الرِّيحِ تَضْرِبُهَا سُلُوكُ عِقْدٍ تَوَاحَتْ ، فَهِيَ تَنْخَرُ (٣٤)

(٣٠) يريد بالقطر : الندى وقطرات الماء التي على أوراق الشجر والزهر . والدر : اللؤلؤ ، الواحدة درة . والصدف : المحار (كسحاب) ، وصف الدرّة : غشاها التي يشتمل عليها ويلطّها ، الواحدة صدف (يفتحين) .

شبه القطر والندى المتناثر في جوانب هذا المربع بالدرّ في صفاته وبقائه ولعانه ، وجعل الأزهار المشتملة على الندى صدفًا لذلك الدرّ وغلافًا ، ثم أغرق في التشبيه فقال : إن هذا الصدو يكاد يؤخذ ويلتقط من صدف الأزهار .

(٣١) النسيم : الريح الطيبة الطيفة ، أو هو نفس الريح إذا كان ضميًا ، أو هو ابتداء كلّ ريح قبل أن تقوى . وغلال النبات : بينه ووسطه وسواليه . وظلّة : إيمان وسرمة . وتغلظ : دخل . والاصّة : الشعر المجاوئ شحمة الأذن ، والمراد شعر الرأس مطلقًا . والمشط (كمق) : آلة يمشط بها الشعر ، أي يمسح . يقول : إن النسيم يتغلظ خلال النبات ، كما يتغلظ المشط وسط الشعر .

(٣٢) السطور : جمع السطر (يفتح فسكون) ، وهو الصف من الكتابة .

يشير إلى حيث الريح يمياه الجداول والأنهار ، فهي تثبت على سطح الماء موجات خفيفة هادئة تشبه سطور الكتابة ، ثم تمحو ما أثبتته ، وهكذا دواليك . ومعنى «لا صحة فيها ولا غلط» : أنها ليست كتابة ، فلا توصف بصحة ولا غلط .

(٣٣) يريد بخيوط السماء : ماساقت وتتابع من مطرها كالسلوك . وواحية : ضعيفة . وترتبط : تربط وتشد .

(٣٤) كأنها : أي الأمطار الشبيهة بالخيوط والأسلاك . والأكف : جمع الكف . والسلوك : الخيوط . والعقد : القلادة . وتواحت : بليت وضعت ، ولم تجدها فيها بين أيدينا من المجامات . وتنفطر : تنتثر وتنفترق ، مطلوع خوط الرجل الشجر ، إذا اخترع الورق منه اصطحابًا .

يقول : إن الريح تضرب بأيديها بخيوط المطر ، فتفترق وتنتثر ، كأنها سلوك قلادة واهية يتناثر درّها .

فَالضُّرَّةُ مُخَيَّسٌ ، وَالْمَاءُ مُنْطَلِقٌ
لَدُنَّا بِأَطْرَافِهِ وَالْعَبِيرُ عَاكِفَةٌ
فِي إِيْتِيَةِ رَحِيمِنَا ذِي الْوَفَاقِ ، فَمَا
تَحَالَفُوا فِي صَفَاءِ الْوُدِّ ، وَاجْتَمَعُوا
كَالْقَيْنِثِثِ إِنْ وَهَبُوا ، وَاللَّيْثِ إِنْ وَثَبُوا
تَكَشَّفَ الْبَغْرُ عَنْهُمْ بَعْدَ غُمِّهِ
مِيلٌ بِأَبْصَارِهِمْ نَحْوَى لِيَسْتَمِعُوا
وَالْجَوْ مُنْقَبِضٌ ، وَالظَّلُّ مُنْبَسِطٌ (٣٧)
عَلَيْهِ ، وَالنُّورُ بِالظُّلُمَاءِ مُخْتَلِطٌ (٣٨)
فِيهِمْ إِذَا مَا انْتَشَرُوا جَوْرٌ وَلَا شَطَطٌ (٣٩)
عَلَى الْوَفَاءِ طَوَالَ الدَّهْرِ ، وَاشْتَرَطُوا (٤٠)
وَالْمَاءُ إِنْ عَدَلُوا ، وَالنَّارُ إِنْ قَسَطُوا (٤١)
كَمَا تَكَشَّفَ عَنْ مَكْنُونِهِ السَّفْطُ (٤٢)
قَوْلِي ، وَكُلُّ لَأَمْرِي طَائِعٌ نَشِطٌ (٤٣)

(٣٥) محبوس : محجوب . ومنقبض : المراد كدغبر صاف . ومنبسط : ممدود .

(٣٦) لاذبه (من باب قال) : بلغا إليه وماذا به . وأطرافه : نواحيه ، أي المربع ، الواحد طرف (بفتح ح) . وما كفة عليه : مقابلة مقبلة به لنفسه ونفساؤه . ويشير باختلاط النور بالظلماء إلى مطلع النجم .

(٣٧) قية : قتيان (بكسر فسكون فيهما) ، جمع قى . وانتشروا : سكروا . والجور : الظلم ، وهو ضد القصد . والشطط : مجاوزة القدر ، والميل عن القصد .
وصف أصحابه بالوفاق والاتلاف ، وكرم الخلق ، وأنهم إذا شربوا لم تظهر الخمر في أخلاقهم جوراً ، أو خروجاً عن جادة الطبع الكريم .

(٣٨) تحالفوا : تعاقدوا . واليد : المحبة والمودة . والبطاء : نقبض القدر ، والخلق الشريف الرقيق المال . وطوال النهر : مداه وغايته . واشترطوا : شرط كل منهم أصحابه على الود والصفاء والوفاء ونحو هذا ، فهو قريب من معنى « تحالفوا » في أول البيت .

(٣٩) الليث : المطر . وهبوا : أعطوا . واليث : الأسد . ووثبوا : المراد هجموا في الحرب والقتال . وقسطوا : جازوا وظلموا ، والمراد : انتقموا من أعدائهم .

(٤٠) تَكَشَّفَ : انكشف . والقبصة : الكربة والشدّة . ومكنونه : مستوره وما خفي فيه . والسفط : الذي يمتد فيه الطيب (بكسر الطاء) وما أشبهه من أدوات النساء .

(٤١) ميل : مائلون ، جمع أميل . وطالع : اسم فاعل من طاع له ، بمعنى انتقاد . ونشط : صوابها نشيط ، سقة من النشاط وهو الخفة والسرعة ، وطيب النفس للعمل .
يتمدح باتجاه أصحابه إليه ، وإقبالهم عليه ، وإنصاتهم لكلامه ، وإطاعتهم لأمره ، في مرة وارتياح ونشاط .

إِنَّ بَرْتُ سَارُوا ، وَإِنْ أَصْعَدَ إِلَى نَشْزٍ
 يَمْشُونَ حَوَى ، كَمَا يَمْشَى الْقَطَا بَدَا
 إِنَّ يَكْنُفُونِي مِنْ حَوَى فَلَا عَجَبُ
 نَمْشِي بِوَيْبِنَ أَشْجَارٍ كَأَنَّ عَلَى
 يَمْشِي الطَّوَاوِيسُ فِي أَذْنَابِهَا عَجَبُ
 كَأَنَّهُنَّ جِمَالَاتٌ مُوقَّسَرَةٌ
 كَانُوا أَصْعَدُوا ، وَإِنْ أَهْطَ بِهِمْ هَيْطُوا (١٢)
 فَإِنْ مَضَى بَقَطُ مِنْهُمْ أَتَى بَقَطُ (١٣)
 لَا يَسْقُطُ الطَّيْرُ إِلَّا حَيْثُ يَلْتَقِطُ (١٤)
 أَفْنَانُهَا مِنْ بُرُودِ الْيَمْنَةِ الرِّيطُ (١٥)
 لِلنَّاطِلِينَ ، وَفِي أَجْيَادِهَا عَنَطُ (١٦)
 تَمُورُ مَوْرًا عَلَى أَثْبَاجِهَا الْغُبُ (١٧)

(١٢) النشز : ما ارتفع من الأرض . وصعداً : مصدر صد (كسع) وهو صفة لموصوف
 حطوف ، أى كانوا قريباً صعداً ، أى صاعدين ، كالتقيل : رجال عدل ، أو أنه أراد المبالغة في طائفة
 فقال إنهم كانوا الصعد نفسه .

(١٣) القطا : ضرب من الحمام ، الواحدة قطاة . وبدأ : متفرقاً ، من قولهم : جاءت الخيل بدأ
 بدأ ، أى متفرقة . واليهبط : التفرقة (بكسر فسكون) ، والقطعة من الشيء ، والجماعة المتفرقة .

(١٤) يَكْنُفُونِي : يحيطون بي .

يتمدح بكرمه وصفاته ، ويقول : إن أصحابه يحيطون به لما تعزوه من بذله وعطائه ، كالطير تسقط
 إذا وجدت ما تلتقطه من الحب . وهذا البيت قريب من بيت بشَّار المشهور :

تسقط الطير حيث ينثر الخبْءَ ، وتغشى منازل الكرماء

(١٥) به : أى بذلك المربع . وأفنانها : أغصانها . والبرود : الثياب المرقومة المطرزة المشوية .
 واليمنة : اليمن ، وكان مشهوراً بصنع البرود الجميلة . والريطة (بفتح فسكون) : الملافة إذا كانت قطعة
 واحدة ، وهى كل ثوب ليّن رقيق ، وجمعهما في المصجمات ريط (بفتح فسكون) ورياط (بكسر الواو)
 ويظهر أن الشاعر جمعهما على فعل (بكسر ففتح) جرياً على جمع عيبة وشيعة ، ولكننا لانعرف أن هذا قياس .
 يقول : إننا نمشى بهذا المربع بين أشجار ، على أغصانها زهر كثير كالأهال الرياط من برود
 اليمن .

(١٦) مثل : صفة لأشجار في البيت السابق . والطواويس : جمع الطاووس ، وهو طائر ممتاز بمنظره ، ويرى
 جميل ، وذيل عجيب يشبه المروحة إذا بسطه . والأذنا ب : جمع ذنب (بفتح تن) وهو الذيل . وأمر عجيب
 (بفتح تن) : يتجسب منه . والأجباد : جمع جبد (بكسر الجيم) وهو اللق . وعنط (بفتح تن) : طول
 وحسن وملاحة . شبه الأشجار المزهرة بالطواويس في بهائها وجمال ألوانها .

(١٧) كأنهن : أى الأشجار . وجمالات : جمع جمال ، وهذه جمع جمل (بفتح تن) . وموقرة :
 مثقلة بأحساها . وتمور : تتحرك وتهتز وتضطرب . وأثباجها : ظهورها ، جمع ثيج (بفتح تن) وديماين =

وَلَمَّا رَأَيْتُ فِي أَفْنَانِهَا هَزَجٌ قَدْ مَاجَ مِنْ لَحْنِهَا السَّهْلُ وَالْفَرْطُ^(٤٨)
خَضِرَ الْجَنَانِ وَالْأَطْوَاقُ ، تَحْسَبُهَا أَطْفَالَ مَلَكَ لَهَا مِنْ سُنْدُسٍ قُمُطُ^(٤٩)
حَتَّى إِذَا حَلَّ صَاحِي الْيَوْمِ حَبْوَتَهُ وَكَادَتْ الشَّمْسُ بَيْنَ الْقُرْبِ تَنْهَيْطُ^(٥٠)
رُخْنَا نَجْرٌ ذُبُولُ الْيَزْ ضَافِيَةً وَكُلُّنَا يَنْعِمُ الْعَيْنِشِ مُغْتَبِطُ^(٥١)
يَوْمٌ مِنَ الدَّهْرِ أَهْوَى لَوْ بَدَّلْتُ لَهُ مَا شَاءَ فِي مِثْلِهِ لَوْ كَانَ يَشْتَرِطُ^(٥٢)

« الكامل إلى الظهور . والتبسط (يمتد) : جمع غبيط ، وهو الرجل (يفتح فسكون) يوضع على ظهر البعير ويشد عليه المودج .

يشبه الأشجار المثمرة يجمال محملة ، تيمز الرجال على ظهورها ، لتقل أحمالها .

(٤٨) الفواخت : ضرب من الحمام المطوق ، الواحدة فاختة . وهزج : صوت مطرب . والمزج : من الأغاني وفيه ترنم . والمراد : هديلها وتطريها وتغريدها . وملاج : أضطرب ، والمراد اهتز طرباً . والحن : من الأصوات المصنوعة الموسومة ، وبجمله ألحان ولحن ، والمراد غردها (يفتح حين) . والفرد : الأكمة تكون دون الجبل .

(٤٩) خضر : صفة للفواخت في البيت السابق ، الواحدة خضراء ، والأطواق : جمع طوق (يفتح فسكون) وهو حل يميل في العنق ، والمطوق من الحمام : ما كان في عنقه شبه الطوق من الريش . وتحسبها : تظنها . والسندس : رقيق الدبيلج وفيه : والقسط (ككتاب) : جميع قساط (ككتاب) وهو ما يلف فيه الطفل من الثياب . وصف الفواخت بخضرة وريش الأطواق ، ولحن الحين ، وشبهها بأطفال الملوك لقوت قمتها وثيابها الحريرية الناعمة الرقيقة . وهو يشير بهذا إلى بهاء منظر الفواخت ونعومة ريشها . وفي الأصل المخطوط : « خضر الجنان » ؛ وهو تحريف ظاهر .

(٥٠) حل العقدة ونحوها (من باب رد) : نقضها وفتحها . والضاسي : المشرق المضيء ، وأصله البارز للشمس في غير ما يظله ويمكنه . والاحتباء بالثوب : الاشتغال به ، واحتجى الرجل : إذا جمع بين ظهوره وماتيه بسمامة ونحوها . والحبوة (يفتح الحاء وضمة) : اسم من الاحتباء ، وهي يسا (بكسر الحاء وضمة) الثوب الذي يمتحن به ، وسل اليوم حويله : كناية عن ذهابه وإدباره . وتنهيط : تنزل وتنشط .

(٥١) رخنا : حدنا آخر النهار . وضافية : سائفة واسعة . ونعيم العيش : رفاهة الحياة وطيبها ولينها . ومغتبط : مسرور وحن الخال .

(٥٢) هوى (من باب صكرى) : أحب وتعنى .

والمعنى : أن ذلك اليوم كان يوم هو مروح ومتمتع ونعيم ، ولذا يهزى الشاعر ويتمنى أن يهب له الدهر مثله ، على أن يعطيه ما شاء من نمن ، إذا اشتراط عليه نمتاً أو بدلا .

القصيد الثانية والثلاثون

قَالَ فِي الْفَزَلِ :

سَكِرْتُ بِخَمْرِ حَبِيبِكَ الْأَلْفَاظُ وَتَكَلَّمْتُ بِصَمِيرِكَ الْأَلْحَافُ (١)
يَا دُمِيَّةَ لَوْلَا التَّقِيَّةُ لَأَسْتَوْتُ فِي حُبِّهَا الْفَتَاكُ وَالْوَعَاظُ (٢)
مَالِي مَنَحْتُكَ خُلَّتِي ، وَجَزَيْتَنِي نَارًا لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ شَوَاظُ (٣)
مَلَأَ مَنْنَتِي إِذْ امْتَلَكْتَنِي ! ، فَطَالَ مَا مِنْ الْكَرِيمِ وَقَلْبُهُ مُعْتَاطُ (٤)

(١) خمر حديثك : حديثك الشيء بالخرم ، والمراد أنه عذب شيء "بذآب" ، حسن التأني فسأل في نفس السامعين ما تغفل الخمر . وألحافها : نظراتها القائمة الساحرة .
ومعنى الشطر الثاني : أن نظرات هذه المحبوبة تدل على ما تضره وتخفيه .

وصفها بعذوبة الحديث ، وجمال العينين ، وأنها تدل على مكنونها بوحى إلحافها .

(٢) الدمية : الصورة المنقشة من العاج وغيره ، ويكنى بها عن المرأة الحسنة والتقية : التقوى ، وهي أن ترضى الله تبارك وتعالى ، وتحفظ نفسك مما يفسده ويضال أمره . والفتاك : جمع فاتك ، وهو القتال الجريء . والوعاظ : جمع وعاظ ، وهو الناصح الذي يعظ الناس ، ويلين قلوبهم بالقرل المؤثر ، والحكمة البالغة .

يقول لها : لولا خشية الله تبارك وتعالى لأقتن بك الوعاظ ، وشغلوا بحبك ، وتسارى جميع الناس في هواك والتعلق بك . يشير إلى أنها فائقة الجمال ، بأرعة الحسن .

(٣) منحك : أعطيتك . وغلتي : صدقتي المختصة . وجزيتني : كافأني . والشواظ (بضم الشين وكسرهما) : شئ لادخان فيه .

(٤) "حلا" : كلمة حث وتخفيض . وبشت : أنست ، يريد منتت على "بالوصال . وامتلكت : يريد أنها امتلكت أمره ، وسيطرت عليه بسلطان الحب والغرام .

فَلَقَدْ هَجَرَْتَ إِلَيْكَ جُلَّ عَشِيرَتِي
وَنَقَيْتَ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامَ ، فَمَالَهَا
هَذَا ، وَمَا اخْتَصَبْتَ لِغَيْرِكَ أَنَّهُمْ
فَعَلَامٌ تَسْتَمِعِينَ مَا يَأْتِي بِهِ
فَصِلِي مُجِيبًا ، مَا أَصَابَ خَطِيئَةً
فَقُلُوبُهُمْ أَبَدًا عَلَى غِلَظٍ (٥)
غَيْرَ الْمَدَامِ وَالسَّهَادِ لَمَّاظُ (٦)
بِدِي ، وَلَا اخْتَكَمْتُ عَلَى لِحَاطُ (٧)
عَنِّي إِلَيْكَ الْحَاسِدُ الْجَوَاطُ (٨)
فِي دِينِ حُبْلِي ، وَالْفَرَامُ حِفَاطُ (٩)

(٥) جلّ الشئ : عظمه . ويشير في : أهل وقوى . وغلاظ : جمع غليظ ، صفة من الغلظة ، وهي ضد الرفق والرحمة والحنان .

يستعطفها بقوله : إنه هجر بسبب حبه لها أكثر أهلها ، وفقد عطفهم ومودتهم ، ولم يبق بينهم وبينهم غير القطيعة والبقاء .

(٦) المنام : النوم . والمنام : المآق ، وهي أطراف الميول حيث تسيل الدموع ، الواحد مدع (كذهب) ، والمراد بالمنام هنا : الدموع نفسها . والسهاد : الأرق والسر ، وهو نقيض الرقاد . ولماظ (كسحاب) : شيء تلوّقه ، من قولهم : ليس له لماظ ، أي شيء يذوقه ويتلصّظ به .
يقول : إن هيامه بها فني عنه النوم ، فأتلوّق عينها غير السهاد والدموع ، فهو يبيت ساهراً باكياً .

(٧) الخضاب (بكسر الخاء) : ما يختضب به كالحناء ونحوه . واختصبت* الأسهم بالدم : صببت به ، كأنه الخضاب فوقها . والأسهم : جمع سهم ، وهو ما يرمى به الصائد ونحوه عن القوس ونحوها ، وتشبه نظرات الحسان بالسهم في شدة تأثيرها في قلوب المشأق . واختكمت على : سيطرت ، وكان لها الحكم والسلطان . ولحاط (بكسر اللام) : كأنه جمع لحظة (يفتح فسكون) ، اسم مرة من لحظه (كنهه) لفظاً (يفتح فسكون) ، إذا نظر إليه يؤخّر عينه . والمراد بالحماظ : النظرات الفاتنة الساحرة . ومن كلامهم : فتنته ألحاطها ولحظاتها .

ومنى البيت : أني لم أفتن بك ، ولم أشتق سواك .

(٨) الجوّاط (كشدّاد) : الكثير الكلام في الشرّ . يلويها على الاستماع لكلام الرثاة والحاسدين .
(٩) صل : أمر من الوصل ، وهو ضدّ المجران ، (وبابه وعد) . وما أصاب خطيئة : ما ارتكب إثماً ولذلياً . والندام : الحب والشوق . والحفاظ (بكسر الحاء) : المحافظة على العهد ، والدفاع عن المحارم ، والوفاء ، والتمسك بالوعد .

بمضتها على وصاله ومراعاة أمره ، ويتمدح بأن حبه لها علويّ شريف عفيف ، لم يشوّه جماله ثمّ ، ولم ينقص جلاله ذنب ، ويقول في آخر البيت : إن الغرام ينهي أن يلازمه الحفاظ والوفاء .

يَهْوَكَ حَتَّى لَا يَمِيلُ يَطْبَعُو فِي حُبِّكَ الْإِيذَاءُ وَالْإِحْفَاطُ^(١١)
 نَابِي الْمَضَاجِعِ ، لَا تَزُورُ جُؤُنُهُ سِنَّةُ الْكَرَى ، وَأُولُو الْهَوَى أَبْقَاطُ^(١٢)
 مُتَحَمِّلٌ مَا لَوْ تَحَمَّلَ بَعْضُهُ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ وَالْغَرَامِ لَقَاطُوا^(١٣)
 فَلَمَّا اسْتَهَلَّ تَرَبَّعُوا فِيمَا جَرَى مِنْ دَمْعِهِ ، وَإِذَا تَنَفَّسَ قَاطُوا^(١٤)
 هَذَا هُوَ الْحُبُّ الَّذِي ضَاقَتْ بِهِ تِلْكَ الصُّدُورُ ، وَقَلَّتِ الْحِفَاطُ^(١٥)

(١٠) يهواك : يحبك . والإحفاظ : مصدر أحفظه ، أي أغضب .

ومعنى البيت : أنه يحبك حباً شديداً ، حتى أن الإيذاء والإحفاظ والمجر والإعراض ونحوه لا يميل بطبعه ، ولا يهوج سجيته وخليقته ، ولا ينقص حبه وغرامه ووفاءه . أولئك يريد ما يصيبه ويعاقبه من إيذاء العاذلين ، وإحفاظ اللاتمين .

(١١) نبا الشيء : تجافى وتباعد ، وتباجنه من الفراش : لم يطمئن عليه . والمضاجع : جمع مضجع (كذهب) ، وهو مكان الضجوع ، أي النوم على الجانب . ونابي المضاجع : تلقى أرق سبب لائتام . والجفون : جمع جفن (يفتح فسكون) وهو غطاء العين من أعلاها وأسفلها . وسنة الكرى : أوائل النوم . ولولو الهوى : الماشقون المهيئون . وأبقا : جمع يقط (يفتح فكسر) صفة من اليقظة (يفتحجن) .
 (١٢) قاطوا : حلكوا وماتوا .

يقول : إنه يحصل من لواجم الحب وتباريح الغرام ما لا يستطيع احتمال بعضه المهيئون .

(١٣) استهل : انصب ، وجرى ، أي دمه ، من قولهم : استهل المطر إذا اشتد انصبابه . وتربّع البعير : أكل الرّبيع ، أي الكلا ، وتربّع النّوم : يمكن كذا : أقاموا فيه زمن الرّبيع ، والفسير في تربّعوا : يمدد على أهل المحبة في البيت السابق ، وتربّعهم فيها جرى من دمه : كناية عن كثرة بكانه ، وشدة لوعته ، وغزارة دمه . وقاط النّوم بالمكان : أقاموا به زمن القيط ، وهو صميم الصيف حين يشتد الحر .
 ومعنى « وإذا تنفس قاطوا » : أن أنفاس حارة لأعجة محرقة ، لشدة ما يخاضونه من لواجم الحب ، وتباريح الوجد والذام .

(١٤) الحافط : جمع حافظ .

يقول : إن حبه عظيم شديد لا تتسع له ، ولا تقوى على مثله صدور المحبتين ، ويقل من يحفظه ويصونه ويرعاه .

القصيدة الثالثة والثلاثون

قَالَ يَرَوْضُ الْقَوْلَ * :

مَتَى أَنْتَ عَنْ أَحْمُوقَةَ الْقَى تَنَازِعُ وَفِي الشَّيْبِ لِلنَّفْسِ الْآيِيَّةُ وَازْعُ^(١)
 آلا إِنَّ فِي تِسْعٍ وَعِشْرِينَ حِجَّةً لِكُلِّ أَخِي لَهْوٍ عَنِ الْبُهْوِ رَادِعُ^(٢)
 فَحَتَّامٌ تُصْبِيكَ الْقَوَا فِي بَدَلُهَا وَتَهْفُو بِلَيْتِكَ الْحَمَامُ السَّوَا جِعُ^(٣)

(١) نظم الشاعر هذه العينية الطويلة الرائعة الخالدة سنة ١٨٦٨ م ، وهو في التاسعة والعشرين ، بعد عودته من حرب « كريد » ، وبعد أن تزوج « عدلية يكن » بنحو ستة .
 (٢) الأحسوقة : اسم من الحماقة ، وهي قلعة العقل ، ووضع الشيء في غير موضعه ، مع العلم بقبضه . والقى الجهل والضلال . وتنازع : اسم فاعل ، من قيلم : نزع فلان عن الأمر ، إذا كذب عنه وانتهى . والآيئة : صفة من الإباء ، وهو كراعية الشيء والامتناع منه . ووازع : اسم فاعل من وزعه ، أي كفه وزجره وينعه . يقول : إن الشيب ينزع النفس الآيئة الكبيرة ، ويكفها عن الغواية والفساد ، ولهذا كان جديراً بمن ظهر الشيب في رأسه أن يقلع عن أعمال الحق والجهل والضلال . وهو مخاطب نفسه ، أو يسوق الكلام على سبيل الحكمة والموعظة الحسنة ، ويرجعه لكل قارئ وسماع .
 (٣) حجة : سنة . واللهو : اللعب ، وما طوت به وشكك من هوى وطرب ونحوها . وراذع : اسم فاعل من رذعه عن الشيء (من باب قطع) أي كفه وزجره .
 والمعنى : أن من بلغ من العمر تسعاً وعشرين سنة كان جديراً بترك اللهو واللعب ، والرجوع إلى الرشد والصلاح .
 (٤) تصبيك : تشوقك وتفتتك ، وتدعوك إلى الصبا والحب والفرام . والنواف : جميع غائية : وهي المرأة التي غنيت بحسبها عن الزينة . ودل المرأة : حسن حديثها ، وحسن مزجها ، وجمال هيئتها . وتهفوه : تميله وتمحركه . والبيتان : صفحتا المتن ، متى الليث (بكسر اللام) وهو صفحة المتن وبجانبه . والسواجع : جمع ساجعة ، اسم فاعل من سجمت الحماة ، إذا هدلت وطربت في صوتها ، ورائته على طريق واحد . والظفر الثاني كناية عن طربه وشدة تأثره بالذناء ونحوه .

أَمَّا لَكَ فِي الْمَاضِينَ قَبْلَكَ زَاجِرٌ يَكْفُكَ عَنْ هَذَا ؟ بَلَى ، أَنْتَ طَامِعٌ^(٤)
وَهَلْ يَسْتَفِيقُ الْمَرءُ مِنْ سَكْرَةِ الصَّبَا إِذَا لَمْ تَهْدُبْ جَانِبَيْهِ الرِّقَاعُ^(٥) ؟
يَرَى الْمَرءُ عُنْوَانَ الْمَنُونِ بِرَأْسِهِ وَيَنْدَهَبُ يُلْهِى نَفْسُهُ وَيُصَانِعُ^(٦)
أَلَا إِنَّمَا هَذِي اللَّيَالِي عَقَارِبٌ تَدِبُ ، وَهَذَا الدَّهْرُ ذُنُبٌ مُحَارِعُ^(٧)
فَلَا تَحْسِبَنَّ الدَّهْرَ لُعْبَةً هَازِلٍ فَمَا هُوَ إِلَّا صَرْفُهُ وَالْفَجَائِعُ^(٨)

(٤) زاجر : كافٍ رادع ، اسم فاعل من زجره عن كذا ، إذا كَفَّه ونهاه ومنعه .

والمعنى : أن المرء يرى في سير الماضين وأحوال السابقين من العبر والعظات ما يزجره ويكفّره عن اللهو والعبث والغواية ، ولكنه مع ذلك يتغافل ويتخدع ، لطعمه وشدة حرصه على ملاهى الحياة ولذاتها .

(٥) يستفيق : يفيق ويصحو . ويريد بسكرة الصبا : مايقن المرء ويستميله ويشغله من دواعي الصبا وأحواله كالهو والغزل ، لأن الإنسان إذا انهك في هذه الأحوال كان كالذئب أو السكران . والتهديب : التنقية والإصلاح والتطهير . والمراد بالرقائع : صروف الدهر وسواده ونوازله .

يقول : إن المرء لا يصحو من سكرة الصبا إلا إذا نبهته حوادث الأيام ، وهذا بت نفسه نوازل الزمان ، وبخلفه المحن من عوامل الغواية والجهل والفساد .

(٦) المنون : الموت (وهى مؤنثة) . وعنوانها : دليلها الذى يظهر أمرها ، ويشير إليها ، ويذكرها ، والمراد به الشيب . ويلهى نفسه : يشغلها ، أو يحملها على اللهو . ويصانع : يدارى ويدهن ويخادع ، أى نفسه . يقول : إن المرء يرى في رأسه الشيب المؤذن بموته وانتهاء حياته ، ولكنه على الرغم من ذلك يلهى نفسه ويخادعها .

(٧) تدب : تسير سيرا ليئنا .

والمعنى : أن الليالي تتجأ الناس بما تخفيه من المكارهِ ، وأن مثلها في هذا كمثل العقارب تدب فطسح ، وأن الدهر يخدعهم كأنه اللدب يخدع فرائسه .

(٨) هو : أى الدهر . وصفه : حدثانه ونوائبه . والفجائع : للمصائب الشديدة الفادحة ، الواحدة فجيحة . يقول : لا تنفّر بالدهر في أوقات مرحك ونعيمك ظاناً أنه صغركه ، فإنما هو — لمن حقق وجرت — محن وخطوب ، وليست السعادة فيه إلا طليقاً عارضاً .

فَبَارِئُ مَا بَاتَ الْفَتَى وَفَوَّ آمِينَ وَأَصْبَحَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِيعُ
 فَعِيمَ اقْتِنَاءِ الدَّرْعِ وَالسَّهْمِ نَافِلٌ؟ وَفِيمَ ادِّخَارِ الْمَالِ وَالْعُمْرِ ضَائِعٌ؟^(١١)
 يَوَدُّ الْفَتَى أَنْ يَجْمَعَ الْأَرْضَ كُلَّهَا إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ يَكْرِ مَا اللَّهُ صَانِعٌ^(١٢)
 فَقَدْ يَسْتَحِيلُ الْمَالُ خَفًّا لِرَبِّهِ وَتَنَاقَى عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْمَطَامِيعُ^(١٣)
 أَلَا إِنَّمَا الْأَيَّامُ تَجْرَى بِحُكْمِهَا فَيُحْرَمُ ذُو كَدٍّ وَيُرْزَقُ وَادِيعٌ^(١٤)

(٩) المطاليع : المسالك والطرق ومواضع الطلوع ، واحدا مطلع (يفتح اللام وكسرهما) وهو اسم مكان من طلع (كتح نصر) .
 والمعنى : أن الدهر متقلب غدا ، فقد يمضى الإنسان بالخير والأمن والطمانينة ، ويصيرته بالشر والخوف والهلاك .

(١٠) الدرع : لبوس الحديد ؛ يلبسها المحارب ؛ ليتحصن بها بالسهم والسيوف والرمح ونحوها . والسهم : واحد النبل ، وهو ما يرمى به المسالك ونحوه عن القوس ونحوها ، والمراد باقتناء الدرع : الاحتراز والحذر والتوقي ، والمراد بالسهم : قدر الله وقضاه الذى لا يرد شئ .
 والمعنى : أنه لا قيمة للحذر والاحتراز وشدة الحرص على الحياة وجمع المال وادخاره ، لأن المقدور لا يبدل من وقوعه ، والحياة لا يبدل من زوالها .

(١١) المعنى : أن الإنسان لو علم صنع الله تعالى وقضاه وتديره ما اشتد جشعه ، ولا أفرط فى طمعه وحرصه .

وفى البيت الآخر تفسير وتوضيح لمعنى هذا البيت .

(١٢) يستحيل : يتحول ويصير . وحتم : هلاك . ورب : صاحبه ومالكه . وتناقى على أعقابهن المطامع : المراد أنها تزداد فلا يتركها مؤتمكها .
 يقول : إن المال قد يصير مصلر هلاك لصاحبه ، وإن المطامع قد تخيب . وهذا كله لا يعقب غير الحسرة والأسف والتدامة .

(١٣) الكد : الشدة فى العمل ، وطلب الكسب ، والإلحاح فى محاربة الشئ . والوادع : الساكن الهادئ يريد أنه لا فائدة من الجشع والحرص والتكالب على جمع المال ، وأن الخير فى الاعتدال والقصد والتقناعة .

فَلَا تَقْعُدَنَّ لِلدَّهْرِ تَنْظُرُ غَيْبَهُ
 فَلَوْ أَنَّ مَا يُعْطَى الْفَتَى قَدَّرُ نَفْسِهِ
 وَدَعَّ كُلَّ ذِي عَقْلٍ بِسِيرٍ بِعَقْلِهِ
 فَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالَّذِي أَنَا عَلَيْهِمْ
 وَلَسْتُ بِعِلَامٍ الْغُيُوبِ ، وَإِنَّمَا
 وَدَرْتُمْ بِخُوضُوا ، إِنَّمَا هِيَ فَتْنَةٌ
 لَّهُمْ بَيْنَهَا عَمَّا قَلِيلٍ مَصَارِعُ^(١٤)
 عَلَى حَسْرَةٍ ، قَالَهُ مُعْطَى . وَمَانِعُ^(١٥)
 لَمَّا بَاتَ رَبُّبَالُ الشَّرَى وَهُوَ جَائِعُ^(١٦)
 يُنَازِعُ مِنْ أَهْوَاؤِهِ مَا يُنَازِعُ^(١٧)
 قَدِيمًا ، وَعِلْمُ الْمَرْءِ بِالْمُشَى نَافِعُ^(١٨)
 أَرَى بِإِلْحَاطِ الرَّأْيِ مَا هُوَ وَاقِعُ^(١٩)
 لَهُمْ بَيْنَهَا عَمَّا قَلِيلٍ مَصَارِعُ^(٢٠)

(١٤) غَيْبَهُ : عاقبته وآخره . والحسرة : أشد التلهف على الشيء الفائت .

والمعنى : دع المقادير تجري في أمثالي ، ولا تنحسر على ما فات ، واستسلم لقضاء الله تعالى ، فهو الذي يعطى ، وهو الذي يمنح .

(١٥) الرُّبَال : الأسد . والشري : موضع تكثر فيه الأسد (بضم فسكون) وتنسب إليه ، قيل هو جانب الفرات وناحيته حيث تكثر الفيلان والآجام ، وهو جبل (بصفة التصغير) بهيمة ، أو طريق في سلمي (كسكون) من أراضي نجد .

يقول : لو أن الفتى يعطى من الرزق على قدر قوته وبأسه ما بات أسد الشري وهو جائع .

(١٦) ينزع : يجاذب . والأهواء : جمع الهوى ، وهو ميل النفس وإرادتها .

يدعو إلى ترك الناس وشأنهم ، وعدم تكليف النفس ما لا تطيق من الاهتمام بأمور غيرها ، فقد وهب الله لكل ذي عقل عقلاً يقوده ويرشده ويهديه ، ويكافح أهواء النفس ويتكافحها .

(١٧) يشير إلى أن أحوال الناس متقاربة متشابهة في قديم الزمان وحديثه ، فأكثرهم ميل بطبعه إلى الفتنه والشر والفساد ، ويقول : إن علمه بهم يفيدهم وينفعه ويحفظه من كيدهم وأذاهم .

(١٨) الرأي : العقل والتدبير والبصيرة والحفك بالأمور ، وشاطط الرأي : ملاحظته ، وحسن النظر فيه .

يقول : إنه لا يعلم الغيب ، ولكنه يرجحان عقله . وحسن تدبيره ، وقوة بصيرته ، وصدق نظره ، وحذقه بالأمور — يستطيع معرفة الشيء قبل وقوعه ، كمن يحسن اسباب النتائج من مقدّماتها ، وقياس الغائب على الحاضر ، والمستقبل على الماضي .

(١٩) ذرهم : اتركهم ، أي الناس . والمعنى : لا تلبأ بهم ، ولا تكثرت لهم . وغاض الناس في الحديث :

دخلوا فيه وتفاضلوا ، والمراد أنهم يخوضون في أحاديث الفتنه والشر والباطل . والفتنة : الابتلاء والاختبار والامتحان ، وهي أيضاً المحنة واختلاف الناس بالآراء . وصارع : مهلك ، جمع صرعه ، وهو اسم مكان ، أو مصدر ميمي من قوّم : المنية تصرع الحيوان ، أي تزيده وتهلكه ، وأصل الصرع (بفتح فسكون) : الطرح على الأرض .

فَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ كَائِنْ لَمَّا نَامَ سُمَّارٌ ، وَلَا هَبْ هَاجِعٌ^(٢٠)
وَمَا هَدِيهِ الْأَجْسَامُ إِلَّا هَيْأَ كُلِّ مُصَوَّرَةٍ ، فِيهَا النُّفُوسُ وَدَائِعُ^(٢١)
فَائِنِ الْمُلُوكِ الْأَقْدَمُونَ تَسْنَمُوا فَلَالِ الْعَمَلَا؟ فَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بَلَّاقِعُ^(٢٢)
مَضَوْا ، وَأَقَامَ الدَّهْرُ ، وَانْتَابَ بَعْدَهُمْ مُلُوكٌ ، وَبَادُوا ، وَاسْتَهْلَتْ طَلَائِعُ^(٢٣)
أَرَى كُلُّ حَيٍّ ذَاهِبًا بِيَدِ الرَّدَى فَهَلْ أَحَدٌ مِمَّنْ تَرَحَّلَ رَاجِعُ؟^(٢٤)

(٢٠) السُّمَّارُ : جمع سامر ، اسم فاعل من السر (كالسهر) وهو حديث الليل. أوى « سَارَ »
(بفتح السين وتشديد الميم) ، صيغة مبالغة . وهب : انتبه واستيقظ . وهاجع : نائم .

يقول : لو علم الإنسان ما يكون من أمور الغيب ، وأحوال المستقبل ما نام يقظان ، ولا انتبه
نائم . والمعنى : لتغطت أسباب الأمل ، وبطلت حركة الحياة .

(٢١) الهياكل : جمع هيكل (يفتح فسكون ففتح) وهو القسطن من كل شيء ، والبناء المشرف
العالى ، والمراد بالهياكل هنا : الأوعية ونحوها .

يريد أن الأجسام كالأوعية المصوّرة ، والنفوس فيها كالودائع التى لا يلبث مودعها أن
يستردّها . وهو يشير إلى فناء الأحياء ، وفارقة الأرواح للأجساد .

(٢٢) تَسْنَمُوا : ركبوا وعلوا . وقلال الملا : ذراعا وأعالها ، جمع قلّة (بالضم والتشديد) ، وهى رأس
كل شيء وأعله . وبلاقع : خالية مقفرة ، جمع بلقع (كجعفر) .

يقول تعريفاً للمعنى السابق : أين الملوك الأقدمون الذين سمو إلى أرفع درجات العلاء ؟
لا ريب أنهم هلكوا وبادوا ، فالأرض خالية منهم .

(٢٣) انتاب بعدهم ملك : أى توالى بعدهم ملك ، من قولهم : انتاب فلان القوم ، إذا تألم مرة بعد أخرى .
وبادوا : هلكوا . واستهلت : ظهرت ، أوفست أصواتها . والطلائع : القوم الذين يبعثون ليطلعوا طلع الدرّة ،
المفرد طليعة ، للواحد والجمع . يقال : هو طليعة الجيش ، وهم طليعته ، والمراد بالطلائع هنا : جماعات الناس .
يقول : إن هؤلاء الملوك الأقدمين ذهبوا وبادوا وهلكوا ، وأقام الدهور على حاله ، ثم توالى
بعدهم ملك آخرون فبادوا ، ثم ظهرت جماعات أخرى ، هم خلافت المرق ، وهم فى طريق الفناء
دائرون ، وهكذا يفنهم الدهر جيلا بعد جيل .

(٢٤) الردى : الملك والموت . وترحّل : انتقل وذهب ، والمراد مات .
والمعنى : أن الأحياء جميعاً يموتون ، ولا يعود منهم أحد إلى الحياة الدنيا ، سنة الله فى خلقه ،
ولن تجد لسنة الله تبديلا .

أَنَادَى بِأَعْلَى الصَّوْتِ ، أَسْأَلُ عَنْهُمْ قَهْلٌ أَنْتَ يَا دَفْرَ الْأَعْجَابِ سَامِعُ؟ (٢٥)
فَلِنْ كُنْتُ لَمْ تَسْمَعْ نِدَاءَهُ ، وَلَمْ تُحِرْ جَوَاباً ، فَأَيُّ الشَّيْءِ أَنْتَ أَتَانِزُ؟ (٢٦)
نَحْمَالُ لَعَمْرِي ، لَيْسَ يُجْلِي طَلَابُهُ وَمَا سَفَةُ تُدْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابُ (٢٧)
فَمَنْ لِي وَرَوَعَاتُ الْمُتْنَى طَيْفُ حَالِمٍ - يَلْزِي خُطَى تَزْكُو لَدَيْهِ الصَّنَائِعُ؟ (٢٨)

(٢٥) عنهم : ممن مات من الملوك وغيرهم .

يقول : إنه ينادى بأعلى صوته سائلاً عن هؤلاء الموتي ، ويتمنى أن يسمعه الدهر ذو العجائب ، فيجيبه ، ويعرفه بأحوالهم ، وما صار إليه أمرهم .

(٢٦) لم يجر جواباً : لم يرجع ولم يرد ، مضارع أحرث عليه جوابه ، أو أحرث له جواباً ، إذا رددته . وأتأنازع : أجادب وأخاصم ، والمراد أحاور .

يقول مخاطباً الدهر : فلن كنت لا تسمع نداءه ، ولا تحير جواباً ، فأى شيء أنت ؟ وما حقيقة ذلك الذى أحذره فلا يجب ؟ والفرض تصوير عجائب الدهر ، والإشارة إلى خفاء سر الموت ، وغموض حقيقته .

(٢٧) النحبال : ما تشبه لك في القطة أو الحلم من صورة ، وهو أيضاً الشخص والطين ، وما تراه لكل شيء كالظل ، وشيخال الإنسان في المراتيق المتنام : صورة تمثاله . ويجدى : ينفع وينفى . والطلاب : مصدر طالبه بكنا مطالبة وطلاباً ، والاسم منه الطالب (بفتحين) . والأسف : وهو المبالغة في الحزن والجزع والتلهف على ما فات . وتدنى : تخرج فيسيل منها الدم ، والمراد أن الأسف ، يشتد بصاحبه حتى بعض أصابه ويسمىها .

رجع الشاعر في هذا البيت إلى نفسه ، وصحا من ذعره ، فقال : إن مخاطبة الدهر ، وسؤاله عن حوتهم القبور خيال لا تقع فيه ، وهم لا ينفى تطلبه ولا يفيد ، وليس من ورائه إلا إثارة الأسمى وتجليد الأسف والحزن الشديد .

(٢٨) الروعات : جمع روعة : اسم مرة من راعه الشيء ، أى راقه وهره وأعجبه . والمتنى : الأمان والآمال ، وروعات المتنى : الأمان الراتمة . والطين : النحبال الطائف في المنام . وسالم : اسم فاعل من حلم الإنسان بالشيء (كنصر) إذاراه في النوم . والغلة : الصداقة المختصة بالخالصة . وتزكو : تنمو وتزيد . والصنائع : جمع صنعة ، وهى الطيبة والكرامة والإحسان واليد والمعروف تنديه إلى إنسان لصنعه به ، وبجملة « وروعات المتنى طيف حالم » جملة حالية ، ومعناها أن الأمان الراتمة التى يجب بها المرء ، ويتوق إليها كالنحبال الطائف في المنام ، يراه الحالم ، ثم لا يلبث أن تكذب اليقظة .

أَشَاطِرُهُ وَدَى ، وَأَفْضَى لِسَمْعِهِ بِسَرَى ، وَأَمْلِيهِ الْمُنَى وَهُوَ رَابِعٌ (٢٩)
لَعَلِّي إِذَا صَادَفْتُ فِي الْقَوْلِ رَاحَةً نَضَعْتُ غَلِيلاً مَا رَوَتْهُ الْمَشَارِعُ (٣٠)
لَعَمْرُ أَبِي ، وَهُوَ الَّذِي لَوْ ذَكَرْتُهُ لَمَا اخْتَالَ فَخَارٌ ، وَلَا اخْتَالَ خَادِعٌ (٣١)

(٢٩) أشاطره دى : المراد أحب له محبى وودادى ، من قولهم : شاطرته مالى ، أى ناصفته ، فأسكت شطره ، وأصليته شطره الآخر . وأفضى إليه بسرى : أظهره عليه . وأمليه المنى : أمته بها ، من قولهم : أملاه الله العيش ، أى متحه به . أو أمل عليه المنى والآمال ، بمعنى أفضى إليه بها ، من قولهم : أملت الكتاب على الكاتب . ورابع : اسم فاعل من ربح (كذهب) بمعنى وقف وتحبس وانتظر ، أو بمعنى أقام وأطمان .

(٣٠) صادفت : وجدت . وفى القول ، أى فى حديثى إليه . ويراد بالراحة : الاتياع الذى يحس الإنسان إذا شكأ أمره إلى شئ مروه . ونضعت : أرويت . والغليل : شدة العطش وحرارته ، وربما سميت حرارة الحب والغزل غليلاً . وروته : يريد أروته ، أى أزالته عطشه ، والمفهوم من المعجمات أن الفعل بهذا المعنى لازم ، روى من الماء (من باب رضى) ، ويعطى بالمعزة والتضعيف ، فيقال : أرويته ورويته ، فتدبى الفعل هنا إلى الضمير المنصوب المائل على الغليل غير معروف فى نصيب الكلام . وفى لسان العرب : يقال رويت القوم أرويه ، إذا استسقيت لهم . وتسميتهم المزايدة فيها الماء بالراوية ، وهو اسم فاعل من روى - يشفع لاستعمال هذا الفعل متعدداً . والمشارع : موارد الشاربة ، والمواضع التى ينحدر المستقى منها إلى الماء ، والمراد بالمشارع : مياهها الغزيرة ، الواحدة مشرعة (يفتح فسكون ففتح) .

يرجو أن يجد ما يريحه فى محادثة هذا الخليل ، وبذلك يروى غليلاً لم تروه المياه الغزيرة . (٣١) اختال : زهى وتكبر . وفخار (يفتح الفاء وتشديد الخاء) صيغة مهالفة من القفر ، وهو الخدح بالتحصال ، وعد القديم ، والمبالغة بالمكازم والمناقب من حسب ونسب وغيرها . واختال : من الاحتيال ، وهو طلب الحيلة ، أو الخلق وسيرة النظر ، والقدرة على التصرف ، والمراد بالاحتيال هنا : الخدعة . وخادع : اسم فاعل من خدعه (من باب قطع) إذا خله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم . يقسم بأبيه ، ويفتخر بأنه كان رفيع القدر ، جيد الرأى ، جامعاً للمناقب ، نهى ذكره كل فخور مختال ، وتسكت كل خادع مختال .

وكان الشعر الثانى من هذا البيت فى الأصل المخطوط : « على الموت لم يجزع من الموت جازع » فضرب عليه ، أى عدل عنه ، وكتب بإزائه فى الهامش بدلاً منه : « لما اختال فخار ، ولا اختال خادع » . وهذا مثال من أمثلة التبديل والتذهيب التى نصادفها فى هذا الأصل .

لَمَّا نَارَ عَيْنِي النَّفْسَ فِي غَيْرِ حَقِّهَا وَلَا ذَلَّلْتَنِي لِلرُّجَالِ الْمُطَامِعِ (٣٢)
 وَمَا أَنَا - وَالِدُ نَبَا نَعِيمٍ بِلَيْ تَرَفٍ تَحْنُو عَلَيْهِ الْمُصَاحِجُ (٣٣)
 فَلَا السِّيفُ مَقْلُوبٌ وَلَا الرَّأْيُ عَازِبٌ وَلَا الزُّنْدُ مَقْلُوبٌ وَلَا السَّاقُ ظَالِمٌ (٣٤)
 وَلَكِنَّنِي فِي مَغْشَرٍ لَمْ يَقُمْ بِهِمْ كَرِيمٌ، وَلَمْ يَرْكَبْ شِبَا السِّيفِ خَالِجٌ (٣٥)
 لَوَاعِبُ بِالْأَسْمَاءِ يَنْتَدِرُونَهَا سَفَاهَا، وَبِالْأَلْقَابِ، فَهِيَ بَصَائِعُ (٣٦)

(٣٢) نازعتني : جاذبتني وخاصتني . وذلكه : أخضه وحمله على الذلّ والهراب . والمطامع : جمع مطمع (كلمب) وهو الطمع ، والرأي الذي يطمع فيه . « ما نازعتني ... » الخ جواب القسم في البيت السابق ، وجملة « وهو الذي لو ذكرته . . » جملة مقترنة بين القسم وجوابه . ولا تعرف وجهاً لتوقع اللام في جواب القسم هنا .

(٣٣) « أنا » في أول هذا البيت مبتدأ ، خبره « بلى ترف » ، وجملة « والدنيانعم » جملة حالية . والترف : الرفاهية والتنعم . وتحنو عليه : تميل إليه ، وتططف عليه وتشفق . والمصاحج : جمع مضجع (كلمب) وهو مكان النوم ، أي النوم ، يقال : مضجع الرجل (كقطع وضجع) أي وضع جنبه بالأرض . يتمدح بأنه حيناً أقبلت عليه الدنيا بنعيمها ولذا لم يكن مترقفاً رافها يؤثر الدعة والراحة في ظلّ الحمل .

وفي البيت الآتي تفصيل وتوضيح لمعنى هذا البيت .

(٣٤) مقلوب : مثلم متكسر . والرأي : العقل والتدبير ونفاذ البصيرة والخلق بالأمور . وعازب : غائب بعيد . والزند : موصل طرف الفراع بالكف ، والمراد اليد . ومقلوب : مقبوض مقيد مزبوع من العمل . والساق من الإنسان : ما بين الركبة والقدم ، والمعروف أنها مؤنثة . وظالم : صفة من الظلم (كالتميم) وهو غمز في الشيء يشبه العرج .

يفخر بشجاعته ، وتمازى أهبطه واستعداده للحرب والدفاع ، ثم بحجود تدبيره ، وحسن رأيه ، وحصافة عقله ، ثم بانسباط يده في الخير ، وانطلاقها في المكرمات ، وعدم تأخره عن الغايات (٣٥) المعشر : الجماعة من الناس ، والمراد جماعة من قومه وبني وطنه . وشبابة كل شيء : حدة . وجميعها شبابة (كثناة وقناة) . وشغال : المراد شاب قوي قادر على حمل السلاح والمجاهدة والقتال . وركوب شبابة السيف : كناية عن ركوب الأخطار ، واتحام المخاوف .

(٣٦) لواعب : جمع لاعة ، وقد أراد الشاعر جمع لاعب ، والمعروف أن فاعلاً لا يجمع على فواعل قياساً إلا إذا كان وصفاً لغير عاقل . ويبتدرونها : يمالونها ويسارعون إليها . والسفاه : (بفتح السين) الجهل وخفة العقل والخلق ، وهو تفتيش الحلم .

يريميم بالسفاهة والحماقة والاشتغال بما لا يفيد ، والتباهي بالأسماء والألقاب ، فهي بضائهم وسلمهم التي فيها يتجرون .

وَهَلْ فِي التَّحَلِّي بِالْكُنَى مِنْ فَضِيلَةٍ إِذَا لَمْ تُزَيَّنْ بِالْفِعَالِ الطَّبَاعُ؟ (٣٧)
 أَعَاشِرُهُمْ رَغْمًا ، وَوَدَى لَوْ أَنَّ لِي بِهِمْ نَعْمًا أَدْعُو بِهِ فَيَسَارِعُ (٣٨)
 وَفِي الدَّهْرِ طُرُقٌ جَمَّةٌ وَمَنَافِعُ (٣٩)
 عَدِيدُ الْحَصَى ؟ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ (٤٠)

(٣٧) التحلَّى : التزيين . والكُنَى : جمع كنية (يضم الكاف في المفرد والجمع ، والكسرة في السالبة ، مثل يرمة ويرم ، وسدرة وسدر) ، والمراد بها : ما يطلق على الرجل التعظيم والتوقير . والفعل (يفتح الفاء) : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم والمروءة ونحوها ، أو هو الفعل (بالكسر) جمع فعل (بكسر فسكون) والمراد الفعل الصالحة . والطباع : جمع طبعة ، وهي الخليفة والسجية التي جبل الإنسان عليها .
 والمعنى : أن الكُنَى المشعرة بالتعظيم ، والألقاب الرفيعة — لا تعد من الفضائل التي يزدان بها الناس ، وترتفع من أجلها أقدارهم ومرتبتهم ، إلا إذا استقامت طبائعهم ، وحسنت أخلاقهم ، وزينت بالفعل سجياهم .

(٣٨) أعاشرهم رَغْمًا : أي أخاصهم وأعش معهم على كره مني . وبهم : أي بدلم ، وعرضاً منهم .
 والنم : الإبل ونحوها . وأدعوه : أصبح به وأناديه ، وهو متدّ بنفسه ، ولعلّ الشاعر عدّاه بالباه على تفسيته مني صاح .
 يقول : إنه يعاشر هؤلاء الناس على الرغم منه ، ويودّ لو يبدله الله بهم نعماً يدعوه فيسارع إليه . وهذا قريب من قول طرفة :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قبّتنا تخور

والرغوئ (بفتح الراء) : كلّ مرضعة . والحوار (يضم الحاء) : صوت البقر ونحوه .

(٣٩) ميّوا : انتهوا واستيقظوا ، يشير إلى ما هم فيه من قفلة كأنها النوم . والطرق (بضم طين) ويجوز تسكين وسطه كما في البيت) : جمع طريق . وبعّة : كثيرة . والمراد بالطرق الجمّة : الوسائل الكثيرة المختلفة التي يكسب بها العامل المجتهد الثروة والنباهة والفرصة في الحياة .
 يحضهم هل ترك الغفلة والحصول ، وإنهاز فرصة العمر ، والعمل المثمر الصالح ، لكسب المنافع بشئ الوسائل والأساليب .

(٤٠) الاستفهام في أول هذا البيت للإنكار والتوبيخ . والحوار : الذلّ والخزى . وعديد الحصى : مثله في العدد والكثرة ، يقال : هم عديد الحصى ، إذا كانوا لا يحصىون كثرة ، كما يعزّ الحصى على الإحصاء . .

بعد أن ذكر حطام من احتمال الذلّ والمهانة مع كثرة عددهم ردّ ما يقوله اليائس الحزين من عبارات الرجوع إلى الله ، والاستسلام لحكمه ، وكأنّه يشير بهذا إلى موت صفات الرجولة فيهم .

وَكَيْفَ تَرَوْنَ اللَّذْلَ دَارَ إِقَامَةٍ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَامِيعٌ^(١١)
أَرَى أَرْضًا قَدْ أُبْنِيتْ لِحَصَادِهَا فَأَيْنَ وَلَا أَيْنَ السُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ^(١٢)
فَكُونُوا حَصِيدًا خَامِدِينَ ، أَوْ افْرَعُوا إِلَى الْحَرْبِ حَتَّى يَنْدَفِعَ الضَّبَبُ دَافِعٌ^(١٣)
أَهَبْتُ ، فَعَادَ الصَّوْتُ لَمْ يَقْضِ حَاجَةً إِلَيَّ ، وَلَبَّائِي الصَّدَى وَهُوَ طَائِعٌ^(١٤)
فَلَمْ أَدْرِ أَنَّ اللَّهَ صَوْرَ قَبْلِكُمْ تَمَائِيلَ لَمْ يُخْلَقْ لَهُنَّ مَسَامِعٌ^(١٥)
فَلَا تَدْعُوا هَذِي الْقُلُوبَ ، فَإِنَّهَا قَوَارِيرُ مَخْنِي عَلَيْهَا الْأَصَالِيعُ^(١٦)
وَدُونَكُمْوهَا صَعْدَةٌ مَنْطِقِيَّةٌ تَقُلُّ شَبَا الْأَرْمَاحِ وَهِيَ شَوَارِعُ^(١٧)

(١١) يوبخهم على الرضا بالذل ، والإقامة في داره ، والإخلاد إلى الهوان ؛ والحال أن فضل الله ورزقه واسع كثير يملأ الأرض .

(١٢) أروى : جمع رأس . وأبنت : أدركت ونفجت وحن قطائها ، أي الروس على تشبهها بالثار . والحصاد (يفتح الحاء وكسرهما) : مصدر حصت الزرع والنبات (من باب ضرب وقتل) أي قطعت بالنجل ونحوه . ومعنى « أبنت لحصادها » أنها أدركت ، وأن لها أن تحصد . والقواطع : جمع القاطع . و « لا أين » : جملة معترضة يستشهد بها ويؤيد السيف .

يقول : أرى رموماً قد أبنت وحن حصادها ، واستحقت القطاف ، ويتمنى لو توجد السيوف التي تهرها ، وتستأصل شاقها ، ولكن لا توجد .

(١٣) الحصيد : الزرع المحصود ، (فعيل بمعنى مفعول) . وخامدين : موقى ساكنين هامين ، وأصله من خدت النار (كخمدت) إذا سكن لها ، ولم يطلأ جمرها . وافزعوا : الجثوا ، أمر من فزعته إليه أي لجأت . والضبيب : الضمير .

(١٤) أهاب يصاحبه : دعاء وناداه وصاح به . ولَبَّائِي : أجباني . والصدى : الصوت الذي يرتد إليك مائلاً لصوتك في الجبال ونحوها .

والمعنى : أنه دعا قومه ، وأهَاب بهم فلم يفد دعاؤه ، ولم يرجع إليه طائفاً غير صلي صوته .

(١٥) المسامع : جمع سمع (ككبر) وهو الأذن . يرميهم بالصمم ويهدم الإحساس .

(١٦) لا تدعوا : لا تتركوا . والقوارير : جمع قارورة ، وهي الزجاجية يقر فيها الشراب ونحوه . ومخني : مطوف . ويريد بالأصالح : أشلاخ الصدر التي تنضم على القلب وتنسى .

يسخر منهم ، ويشبه قلوبهم بالقوارير في الضعف .

(١٧) دونكموها : غشوها ، أي غشوا هذه القصيدة المشتعلة على المشورة والنصيحة . والصعدة :

القناة التي تثبت مستوية ، فلا تحتاج إلى تثقيف . ومنطقية : نسبة إلى المنطق أي الكلام . وتقل : =

تَسِيرُ بِهَا الرُّكْبَانُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَتَلْتَفُّ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهَا الْمَجَامِعُ^(٨٨)
فَمِنْهَا لِقَوْمٍ أَوْشَعٌ وَقَلَادِحُ^(٨٩) وَمِنْهَا لِقَوْمٍ آخَرِينَ جَوَامِعُ^(٩٠)
أَلَا إِنَّهَا تِلْكَ النَّبِيُّ لَوْ تَنَزَّلَتْ عَلَى جَبَلٍ أَهْوَتْ بِهِ ، فَهَوَّ خَاشِعُ^(٩١)

= تظلم وتكسر ، (وبابه رد) . وشيعة الرمح ونحوه : حدة وسنانه ، والجمع شيا . والأرواح : جمع روح . وشوارع : مديدة موصلة إلى الأعداء ، مفردتها شارع ، وهو اسم فاعل من شرع الرمح ، إذا قرب من المعين .

جعل هذه القصيدة في قوتها وشدة تأثيرها كالقناة ، ثم قال إنها قناة صلبة قوية ، تظلم أسنة الريح وهي مشرعة .

(٤٨) الركبان : جماعة الراكبين في السفر ، الواحد راكب . وفي كل منزل : في كل مكان ينزلون به . وتلتف : تجتمع وتردح وتتكاثر . والمجاميع : جمع جمع (كالعجب) ، وهو اسم للجمعين من الناس . وصف قصيدته بالليزر والانتشار ، وتهاقت الناس عليها ، وصفوا أسامعهم إليها .

(٤٩) منها : أي من الصلابة المنطقية المكتن بها من هذه القصيدة . والأوشع : جمع وشاع (بكسر الواو وضمها) ، وهو كرسان (بكسر فسكون) ، أي نظان أو فرعان من لؤلؤ وجوهر منظومان غلاف بينهما ، مطوَّف أحدهما حل الآخر تتوشع المرأة به . والشواح أيضاً : شبه قلادة ينسج من أديم عريضة ويرسغ بالجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشعها . واللى نعرفه أن مثل « وشاح » لا يجمع قياساً على أوشع . والقلادح : جمع قلادة (بكسر القاف) ، وهي ما يميل في المنق للزينة كالعمد (بكسر فسكون) ونحوه . والجواميع : الأغلال ، وهي الأطواق الحديدية التي تجمل في الأعناق . الواحدة جامعة .

يقول : إن من قصيدته هذه زينة وجمالاً لقوم ، وإن منها أغلالاً وأطواقاً لقوم آخرين . وهو يشير بالشطر الثاني إلى ما يركبه شعره البليغ الرائع في قفوس حاسديه من الضيق والحلم ، ومضاغة ما يمانيه هؤلاء الحساد من الضغينة والحقد .

(٥٠) تنزلت : نزلت . وأهوت به : أسقطه ، والمراد أثرت فيه تأثيراً شديداً . وشاع : ساكن جاضع ، والمراد أنه تصدح وتقدم واستوى بالأرض .

يشير إلى شدة تأثير شعره ونصحه حتى في الجساد . وهذا قريب من معنى قول الله تبارك وتعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً » من شدة « اهتر » الآية ٢١ من سورة الحشر .

تعليق وحيز :

نظم الشاعر هذه القصيدة ونظائرها بعد أن هدّبت جانبيه الوقائع ، وهاله ما تضانيه بلاده من المذلة والشفقة ، وأقس عليه مضجعه سوء الأحوال السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، فاستفاق من سكرة

الصبا ، ولهو الشباب ، واستنكف أن يحيا لنفسه وملأه وأهوائه ، وآثر أن يحيا لوطه وعزته ووعاته ؛ فحاشت نفسه بانتمالات وصالف تنهج بها تنهج الثائرين الأحرار ، والمكافحين للمستبشرين ؛ وأنتج بها مثل هذا الشعر الحماسي الغائر؛ الغزير الثائر . ثم رأى أن يطويه إلى حين إشاراً للملاينة والمهادنة ؛ وأثر بص والأستراس ؛ فلما توقعت الثورة المرأية ، وحمل الوطنيين السلاح في وجه الطغيان والمدونان - ظهر مثل هذا الشعر وانتشر ، وأنجذ وأتهم ، وفزع وشاع ، وبلا البقاع والأصابع .

إن البارودي في هذه العينة ثار هذه الثورة العارمة حوالي سنة ١٨٦٨ وهو ابن تسع وعشرين ، قبل أن يثور الناس بنحو أربعة عشر عاماً ؛ فرصد الحاكم وإسرافه وانحرافه ، والحكم ونساده واستبداده ، وهجبا الحاشية الفاسدة المفسدة ، ورث الفلاح المسخر المذنب ، وأشفق على العامل المحروم المظلوم . ونبه وأيقظ ، وسدّر وأفاد ، ودأب وحالج ، ولان واشتد ، وهدد وتوعد ، ووعظ ونصح . وتنى وأمل ، وأسف وتحسّر ، وهجا وانفخر ، وشكا وسخر ، وأنبأ اللاعبين بالأسماء والألقاب ، وحرّض على دلع الظلم بالكفاح وقوة السلاح ، وندّد بالمقيمين على الضيم والهيوان .

وكثير من أبيات هذه القصيدة يجرى مجرى الحكم والأمثال ، وكثير من أبياتها يمزج العواطف والمشاعر حزناً عنيفاً ينبّه الغافلين ، ويحسّس المستضعفين ويردّ إلى المتردّد عزيمته وحزمه ، ويحمل الخائر لبليان على الإقدام والاستبسال . وبعضها يدفع بصريح العبارة إلى الثورة العامة المسلحة .

وما يسترعى النظر والانتباه ، ويدعو إلى الاعتبار والإكبار أن البارودي صاهر أسرة « يكن » بزويته : « عديلة يكن » فانمقت له بهذا الزواج قرابة وصلّة وثيقة بالأسرة الخديوية . وقبل هذا وبعده حتى عند الخديو « إسماعيل » ، وقال ثقته وتقديره ، وورّق في المناصب والمراتب العسكرية والإدارية ترقيات واسعة متتابعة سريعة كثيرة ، وعاش قبل الثنى والاختراب عيشة الترفين السعداء ، الراضين الأعزاء ، واستمتع كل الاستمتاع بامتيازات السيادة والجاه ، والنفى والثروة ، والنفوذ والسلطان ؛ فثورته مع هذا كله على الفساد والطغيان تستأهل تقدير الوطن ، وحنن ثناء الناس .

وقد تكون هذه القصيدة من الشعر الذي لم يقصد به الشاعر غير مجازاة نزعة الحماسية النخيرية ، ومحاكاة من أولع بهم من شعراء الحماسة والفتخر . ويلاحظ أن البارودي نظم هذه العينة الطويلة تحت عنوان : « قال يروض القليل » .

القصيدة الرابعة والثلاثون

وَقَالَ فِي الْغَزْلِ :

لَوَى جِيْدُهُ وَأَنْصَرَفَ فَمَا ضَرَّهُ لَوْ عَطَفَ؟^(١)
غَزَالَ لَهُ نَظْرُهُ أَعَانَتْ عَلَى الْكَلْفِ^(٢)
تَبَسَّمَ عَنْ لَوْلُؤٍ لَهُ مِنْ عَقِيقٍ صَدَفَ^(٣)
وَنَآةٍ فَلَمْ يَلْتَفِتْ وَشَانُ الْجَمَالِ الصِّلَفِ^(٤)

(١) لوى : أزال . والجيد : العنق ، ولّ الضرب : كناية عن الضرب والإعراض . وعطف عليه : حشا عليه ، ويال إليه .
(٢) الغزال من ولد النبل : الشادن إذا تحرك وشى وقوى وأستنى عن أمه . وفي الغزل : أو النسب ، أو التشبيه يشبه الشاعر المتغزل حبيبه بالغزال في جمال الجيد واتساع العينين وحسبها ، والرشاقة ولطف الحركة وحسن التثنى . والكلف : الغرام والحوى والحب الشديد ، مصدر كلف المرء بالشيء (من باب تعب) أى لمج به وأولع وأعزم .
يشبه الحبيب بالغزال ، ويصف نظره بأنها فاتنة ساحرة ، جعلته أسير الحوى ، صريع الغرام
(٣) التيسم : أقل الفسك وأحسنه . واللؤلؤ : الدر ، وتشبه به الأسنان في البياض والنقاء والصفاء الواحدة للؤلؤ . والعقيق : حجر كريم تتخذ منه فصوص الخواتم ، ويكثر باليمن ، وأجود أنواحه الأحمر . والصدف : غشاء الدر وغلافه ، الواحدة صدقة (بفتحين) دوى المحارة (بفتح الميم) .
شبه أسنان الحبيب باللؤلؤ ، يشفيه بالعقيق الأحمر .
(٤) ناة : تكبر ، من التيه (بكسر التاء) يكون (الياء) وهو التكبر ، (وبابه باع) . والشان : الأمر والحال . والصلف : التمدح بما ليس منك ، أو هو مجازاة قدر الظرف ، والأدعاء فوق ذلك تكبراً ، وإيراد به هنا : التيه والتكبر .

يقول : إنه انصرف عني ، ولم يلتفت إلى تيباً وكبراً ، وفي الشطر الثاني شبه بيان لعلو هذا الحبيب ، إذ الجمال يفرى صاحبه بالمعجب والصلف والتيه والخيلاء .

جَرَى الْبَنْدُ فِي خَصْرِهِ عَلَى حَرَكَاتِ الْهَيْفِ^(٥)
وما ذَاكَ خَالٌ بَدَا وَلَكِنْ بِسَامُ التَّرَفِ^(٦)
رَأَى بِهِ مُوَلِّعًا فَعَاتَيْنِي وَانْحَرْفِ^(٧)
وَلَمْ يَنْدِرْ أَنِّي بِهِ عَلَى جَمَرَاتِ التَّلَفِ^(٨)
فَقُلْتُ لَهُ : سَيْلِي ا تَرَكْتُ يَصْبُ ذَنِفِ^(٩)
فَقَالَ : أَخَافُ الْعِدَا فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَخَفِ^(١٠)
فَأَنَّى عَفِيفُ الْهُوَى وَمَا كُلُّ صَبٍّ يَعِيفُ^(١١)

(٥) البند : كلمة فارسية معربة ، ويراد بها هنا : المنطقة والحزام وشبهها . والخصر : وسط الإنسان . والهيئ : رقة الخصر ، وضوم البطن ، وهرمن عاصن النساء .

وصفه برقة الخاصرة ، وضوم البطن ، واهترلز البند في وسطه ، تبعاً لاهترلز الخاصرة وحركات الرشاقة .

(٦) الخال : شامة أو نكتة سوداء تكون في خد الإنسان ، وقد تفسه المرأة الزينة . وبدا : ظهر . والوسام (في الأصل) : العلامة توضع بها العاقبة ، وبثله السمة ، يقال : مائة دابك ؟ وبساتك إياك ؟ وقد استعمل الوسام حديثاً فيما ينم به الملوك على من يستحقون التكريم ، كالأنواط ونحوها . والترف : النجم والرغامة .

جعل الشامة السوداء الظاهرة على خد الحبيب وساماً وعلامة على توفه وتتمحه .

(٧) مولى : مفرباً ، من اللولوع (كصبور) وهو الإغرام وشدة التعلق بالشئ . وانحرف : مال وانصرف . وإنما عاتبه لأنه يشهره ، ويهتف باسمه .

(٨) به : بسبب تعلق به ، وسحب إياه . والجمرات : قطع النار المتقدة ، الواحدة جمرة (كسجلة وسجدات) . والطف : الهلاك والمطب .

(٩) صب : عاشق مشتاق ، صفة من الصباغة ، وهي حرارة الشوق ، ورقة الهوى . وذنف : براه المرض حتى أشق على الموت ، صفة من الذنف (يفتح الدال والذين) وهو المرض الملازم القاسم ، وأكثر ما يستعمل فيمن يبرح به الهوى والحب ، وأضيقه الصباغة والدمار .

(١٠) الدا : الأعداء ، وجميع لا نظيره ، أو هوامس جميع لعدو .

(١١) عفيف : صفة من العفة ، وهي الكف عما لا يحل ولا يحمل ، يقال : عفا المرء عن المحارم والدنايا يفت (كخف يخف) إلى كف نفسه عنها ، فهو عفيف . والهوى : الحب والعشق . يقول : إن هواه علوي عفيف لا تشوبه رية .

وَأَشَدُّهُ قِطْعَةً وَشِعْرِي لِخَدَى الطَّرْفِ^(١٢)
فَأَضْفَى لَهَا بَاسِمًا وَبَانَ عَلَيْهِ الْأَسْفُ^(١٣)
وَنَمَتْ بِهِ خَجَلَةٌ تَذُلُّ عَلَى مَا اقْتَرَفَ^(١٤)
وَقَالَ : أَهَذَا الضَّنَى جَنَاهُ عَلَيْكَ الشَّعْفُ؟^(١٥)
فَقُلْتُ : نَعَمْ ، سَبْدِي ! وَأَبْرَحُ وَمَا أَصِفُ^(١٦)
فَصَدَّقَ ، لَكِنَّهُ تَجَاهَلُ لَمَّا عَرَفَ^(١٧)
وَقَالَ : أَطَعْتَ الْمُنَى وَبَغَضَ الْأَمَانِي سَرَفَ^(١٨)
وَمَا كُلُّ ذِي حَاجَةٍ يَقُورُ بِهَا إِنْ عَكَفَ^(١٩)

(١٢) أشد الشعر : قرأ بصوت مسجع . والطرف : جمع طرفة (كثرة وغرر) وفي الشعر :

المسحط الطرف المتع المجب .

يقول : إنه أشد هذا المحبوب مقطوعة من شعره الطريف البديع المعجب الرائع .

(١٣) أضفى لها : مال بسمه إليها ، أى إل المقطوعة الشعرية . وبان : ظهر واتضح . والأسف

الحزن الشديد . ويظهر أن القطعة كانت تتضمن وصف ما يلاقيه الشاعر من الوجد والوعة .

(١٤) نمت : ظهرت . وخجلة : اسم مرة من الجبل (بفتحين) وهو التحير والدهش من الاستحياء .

واقترف الإنسان اللب وغيره : اكتسبه وأتاه . وفطه .

والمعنى : أن الحبيب لما سمع شعره تأثر به فاستحيا وخجل ، وأسف على ما اقترفه من تعديبه بالصدء والإعراض والمجبران .

(١٥) الضنى : مرض غامر كلما غلب برؤه نكس . وجناه عليك : جرء عليك ، وجلبه إليك .

واشفت : مصدر شفه الحب ، أى أشرق قلبه ، أو أمرغه ، أو اخترق شفاف قلبه (بفتح الشين) وهو غلاله وسجاىه وفطاه .

(١٦) أبرح : أشد برحاً (بفتح فسكون) وشدة وطأاً ، ومراسم تفضيل على غير قياس من قولهم :

برح به الشوق والحوى ، أى قوى وشق واشتد ، وسجاوز الحد .

(١٧) تجاهل : أظهر الجهول ، أو أرى من نفسه الجهول وليس به .

والمعنى : أنه عرف حقيقة أمرى ، فصعدنى وآمن . ولكنه أظهر الجهول دلالة أو صدوداً .

(١٨) المنى : جمع منية (بضم فسكون) أى ما يتناه الإنسان ، ويترق إليه ، ومنها الأنية ، وجمعها

الأماني (بتشديد الياء في المفرد والجمع ، وتلينفك الجمع بترك التشديد) . والرurf : مجازة التقصد ،

وضد الاعتلال ، كالإسراف .

والمعنى : أنه تعلق بأمنية بعيدة المثال ، وأمل لا يرجى تحقيقه ، وهو التلاقى والوصال .

(١٩) عكف على الشيء : أقبل عليه مثابراً مواظباً (وبابه دخل)

يشير إلى أن أملة في وصاله من الحاجات البعيدة المستتمة التي لا يظفر بها ، ولا يصل إليها ،

ولو عكف عليها ، وأهتم بها ، وتأثر على أسبابها .

فَأَشْفَقْتُ مِنْ قَوْلِهِ وَلَكِنْ رَبِّي لَطَفٌ (٢٠)
 فَلَمَّا رَأَى أَدْمَعِي قَوَّالَتْ ، وَقَلْبِي رَجِفٌ (٢١)
 تَبَسَّمَ لِي ضَاحِكًا وَمَنَعَ ، ثُمَّ انْعَطَفَ (٢٢)
 فَأَغْرَمْتُهُ قُبْلَةً عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ (٢٣)

(٢٠) أشفقت : خفت وجزعت . ولطف : رفق ، من اللطف ، بمعنى الرحمة والرفق والإحسان .
 (٢١) قوالَتْ : تتألمت . ورجف : خفق واضطرب .
 (٢٢) تبسم : جراب لما في البيت السابق . وانعطف : مال ، وهو مطاوع عطفه ، أي أماله وحناؤه .
 (٢٣) أغرمته قبلة : المراد قبلته وثنته ، وقد جعل القبلة كالفرامة التي يلزم أداؤها . وسلف : مضي
 وذهب . والشرط الثاني اقتباس من القرآن الكريم ، قال تعالى :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّدًا
 فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ . يَعْحَكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ، أَوْ
 كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ، عَفَا اللَّهُ عَمَّا
 سَلَفَ ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ » الآية ٩٥ من سورة المائدة

القصيدة الخامسة والثلاثون

وقال :

أَيُّ قَلْبٍ عَلَى صُدُوكَ يَبْقَى ؟ أَوْ لَمْ يَكْفِ أَنْي دُبْتُ عَشَقًا ؟^(١)
لَمْ تَدْعُ مِنِّي الصَّبَابَةَ إِلَّا سَبَحًا شَفَهُ السَّقَامُ فَدَقًا^(٢)
وَدُمُوعًا أَسَالَهَا الْوَجْدُ حَتَّى غَلَبَتْ أَدْمَعُ الْقَمَامَةِ سَبَقًا^(٣)
فَتَصَدَّقُ بِنَظَرَةٍ مِنْكَ تَشْفِي دَاءَ قَلْبٍ مِنْ الْغَرَامِ مُلْقَى^(٤)

(١) الصديق : الإعراض والصديق والمجران . والعشق : إفراط الحب (وفعله من باب علم) ، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن أول مراتب الحب " الهوى " ، ثم الملاقة ، ثم الكلف (يفتحان) ، ثم العشق ، ثم الشنف (يفتحان) ، ثم التيم (يفتح فسكون) ، ثم التيل (يفتح فسكون) ، ثم الوله (يفتحان) ، ثم الهيام (يفتح الهاء) .

والمعنى : أن قلبه لا يقوى على البقاء والحياة مع صلود الحبيب وإعراضه ومجرانه ، وأن العشق قد برّح به ، وأذا به وأضعفه وأضناه .

(٢) لم تدع : لم تترك . والصباية : رقة الهوى ، وحرارة الشوق . والشبح : الشخص . وشفته : أحله وعزله ، وأوهنه وأضعفه . والسقام : المرض . ودق : هزل وضعف ، من الدقة ، وهي النعوض والصغر ، فاعل دق ضمير الشبح .

(٣) الوجد : الحب . والقمامة : السحابة ، وأدمعها : المطر ، عل التجوّر .

يشكو ما فعلت به الصباية والوجد من الضنى والهزال والمهم والبكاء .

(٤) ملقَى : لا يزال يلقاه مكروه ، أو محزن مبتلى ، وهي صفة لقلب .

يسأله أن يفضّل عليه نظرة عطف وإقبال تشفي ما يعانيه من الجوى وحرق الوجد وتباريح الغرام .

كَانَ أَبْقَى مِنْهُ الْغَرَامُ قَلِيلًا
لَا تَسْلِنِي عَنْ نَقْصِ مَا أَنَا فِيهِ
سَلْ إِذَا بَشْتِ أَنْجِمَ اللَّيْلِ عَنِّي
نَفْسٌ لَا يَبِينُ ضَعْفًا ، وَجِسْمٌ
فَتَرَفَّقَ بِمُهْجَةٍ شَفَهَا الْوَجْهَ
إِنْ يَكُنْ دَابُّكَ الصُّلُودَ فَقَلْبِي
فَعَلَيْكَ السَّلَامُ مِنِّي ، فَإِنِّي
(٥) نَه : مِنْ قَلْبِهِ السَّلَامُ .

يقول : إن صلود الحبيب وإعراضه أفنى ما أبقاء الحب والغرام من قوة قليلة ، وحياة ضئيلة كانت في قلبه الملقى المعنى ، فهو قتل الحب ، صريح الغرام .
(٦) يشير إلى تبريح الهوى به ، وإضائه الغرام له ، حتى صار من الضعف بحيث لا يقوى على التطقن ، ولا يستطيع الإجابة إذا سئل .
(٧) أدري : أعلم وأعرف .

يصف ما يعانيه بسبب الحب والغرام من السهاد والسرور ورعيّة النجوم ، ولهذا يقول لمن يخاطبه : إذا أردت أن تسأل حتى نسل نجوم الليل ، فهي أدري بما أجده وألقيه وأقاسيه طوال الليالي من همٍّ ووجد وأرقٍ وجوى والتياح . . .

(٨) يبين : يظهر ويتضح . وضعفًا : من الضعف ، أى بهي . والفسى : المرض والخرال والضعف . وأصبح : صار . ومطروح مرى .
يقول : إن نفسه (يفتح التون والقاه) لا يظهر إذا تنفس ، لضعفه ونفاذ قوته ، وإن جسمه قد سار فيه الضمى ، ونهكه المرض ، وأذا به العشق والصبابة : فأصبح ملقى مطروحاً ، كأنه هالك .

(٩) المهج : الروح والنفس . وشفاها : أضعفها وأذاها . والريد : الحب . وليس ترقا : ليست ترقا (بالهمز) ، بمعنى تجف وتنتفخ ، أى السروح (وبابه نفع) .
(١٠) غدا : صار .

يقول : إن يكن صلودك وإعراضك من دأبك وعادتك ، قلبي راض عنك ، غير متبرم بك ، على رغم ما يكابده ويقاسيه من تمس وشفاء ، بسبب ذلك الصلود والإعراض .

(١١) يؤدعه بالتحية والسلام توديع المرئيل المفاوق ، وقد جعل ارتحال وفراقه موتاً سببه الشوق والصبابة ، ثم ذكى الكلام بقوله : « والله خير وأبش » وهو تدليل لا يظهر لنا وجه اتصاله بما سبقه من الكلام ، إلا أن يريد أنه بعد موته سيكون في الدار الآخرة متمتعاً بطرف الله ورحمته ، وذلك خير له وأبقى من الدنيا ومن فيها .

القصيدۃ السادسة والثلاثون

قَالَ فِي النَّزْلِ :

غَلَبَ الْوَجْدُ عَلَيَّ ، فَبَكَى وَتَوَلَّى الصَّبْرُ عَنْهُ ، فَشَكَا^(١)
وَتَمَنَّى نَظْرَةً يَشْفِي بِهَا عِلَّةَ الشُّوقِ ، فَكَانَتْ مَهْلَكًا^(٢)
يَا لَهَا مِنْ نَظْرَةٍ أَمَا قَارَبْتَ مَهِيْطَ الْحِكْمَةِ حَتَّى انْهَتَكَا^(٣)

(١) الوجد : الحب ، والوجد أيضاً : ألم والحزن . وتولى : أدير وذهب .
ولمعى : أن الحب والقيام بالحبيب ، أو الحزن وألم التاجم عن العشق قد غلبه ، واشتد عليه ،
فبكى ، وأنه لم يجد صبراً على هذا الأمر ؛ فشكا ما يكابده ويعانيه من تبريح الشوق ، ولواهج
الحب ، وهجر الحبيب . . .

(٢) هلك الشيء هلاكاً ومهلكاً (بتشديد اللام) : مات ونفى .
يقول : إنه تمنى أن يظهر من الحبيب بنظرة يشفى به علة اشتياقه إليه ، فكانت سبب موته وهلاكه .
ولمعى : أنها ضاغت وجهه وهيامه ، وزادت شوقه وغرامه .

(٣) يالها من نظرة : تبركبت يفيد التمتع ، وفراط انفعال النفس وتأثرها بالمتعجب منه ، وهو
النظرة . والمهيط (كتنزل) : موضع الهبوط ، وهو النزول . والحكمة : العلم والحلم ، وقد بكى بمهيط
الحكمة عن القلب . وانتهك : انشق وتقطع وتمزق .

يعجب من هذه النظرة القاتنة الساحرة التي لم تكند تصل إلى قلبه حتى هتكته ، والمراد أنها
أوقعته في شرك الهوى ، وحباط الغرام ، وأثرت في نفسه تأثيراً شديداً ، وتيمّنته ، وشغلت باله ...

نَظَرَةٌ ضَمَّ عَلَيْهَا هُدْبَهُ ، ثُمَّ أَغْرَامَا ، فَكَانَتْ شَرَكَا (٤)
 غَرَسَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ حَبَّةً وَسَقَتَهُ أَدْمَعِي حَتَّى زَكَا (٥)
 آه مِنْ بَرْحِ الْهَوَى ! إِنَّ لَهُ بَيْنَ جَنَّتِي مِنَ النَّارِ ذَكَا (٦)
 كَانَ أَبْقَى الْوَجْدُ مِنْهُ رَمَقًا فَاحْتَوَى الْبَيْنُ عَلَى مَا تَرَكَا (٧)
 أَنْ طَرَفِي غَرَّ قَلْبِي ، فَمَضَى فِي سَبِيلِ الشُّوقِ حَتَّى هَلَكَا (٨)

(٤) حذب العين : ما نبت من الشعر على أشفائها . وأغراها : المراد ملطها على الحب ، ووجهها إليه ، من قولهم : أغريت الكلب بالصيد ، أى ولّته به ، ودعوته إليه ، وحضفت عليه . والترك : حبال الصيد ، وما ينصب للير .

يقول : إن الحبيب ضمَّ أهله على تلك النظرة ، ثم أغراها به ، ووجهها إليه ، فكانت شركا له ، وكانت سبب الفتنة والحب والغرام .

(٥) غرست : أثبتت ، أى النظرة اللقائنة الساحرة التى وجهها إليه الحبيب ، وهو مستمارن من غرس الشجر . وزكا : نما وقرح .

يقول : إن نظرة الحبيب إليه غرست حبة فى قلبه ، ثم إنه سقى شجرة ذلك الحب بماء عينيه حتى نمت وزكت .

والمعنى : أن نظرة الحبيب إليه كانت سبب تعلق الشاعر بهذا الحبيب ، وحبّه إياه ، ثم كانت حلة ما ترتب على ذلك الحب من صباغة ووجد وهم وبكاء .

(٦) آه : كلمة تقال عند الشكاية ، أو عند التوجع والتحزن . وبرح الهوى : شدة الوجد ، وتبريح الغرام . ودكا (كفى) : مصدر ذكت النار (من باب سما) أى اشتدت لها ، وعظم اتقادها .

(٧) الرمي : بقية الحياة فى المخضر والمذبح ونحوهما . واحتواه : احتوى عليه : جمعه ، وأحضره ، وحازه ، واشتمل عليه ، والين : الفرقة (بضم فسكون) .

والمعنى : أن الوجد والملم والهيام والعشق أضناه وهزله وأذابه وبرح به ، حتى لم يبق منه إلا ريق من الحياة ، ثم إن الحبيب فارقه ، فلذهب القراق بذلك الرمي ، وتركه قتيل الحب ، صريع الغرام .

(٨) الطرف : العين . وغرة : خلعه ، وأطمعه بالباطل .

يقول : إن عينه نظرت إلى هذا الحبيب ، فخذعت بملك النظر قلبه ومنته الأمانى الكاذبة فافتقر ، وصار فى طريق الشوق والصباغة والغرام حتى هلك .

والغرض الإشارة إلى ما ترتب على رؤية الحبيب من تعلق قلب ، واشتغال بال ، وحب وهيام ، وفتنة وغرام ، وشوق مبرح . . .

قَدْ تَوَلَّى لَئِنَّ غِرْلَانَ النِّقَا لَيْتَ شِعْرِي ، أَىْ وَادٍ سَلَكَ^(٩)
لَمْ يَعُدْ بَعْدُ ، وَطَنِي أَنَّهُ لَجَّ فِي نَيْلِ الْمَنَى فَارْتَبَكَ^(١٠)
وَبَحَّ قَلْبِي مِنْ غَيْرِمَ مَاطِلٍ كُلَّمَا جَدَّدَ وَعَدًا أَفَكَ^(١١)
ظَنُّ بِي سَوْأًا وَقَدْ سَاوَمْتُهُ قُبْلَةً ، فَازْوَرَّ حَتَّى فَرَكَ^(١٢)
فَاغْتَفِرَهَا زَلَّةً مِنْ خَاطِي لَمْ يَكُنْ بِإِلَهِ يَوْمًا أَشْرَكَ^(١٣)

(٩) تَوَلَّى : ذهب . وإثره : عقبه وبعده ، من قولهم : جاء على إثره ، وخرج في إثره ، وكان هذا إثر ذلك ، أى بعده . وغرلان : جمع غزال (يفتح الغين) ، وهو ولد الظبية حين يتحرك ويتحرك ويمشى ، وبه تشبه الحسناء من النساء في الرشاقة ولطف الحركة ، وبجمال الجيد والعينين ، وفي التشبيه إشارة إلى حداثة سن المشبه ، وهذا أكل في الجبال . والنقا : الكتيب من الريل ، أو القطعة منه تنقاد محمودية . وليت شعري : ليخى أشعر وأعلم . وسلك الطريق : ذهب فيه وصار (وبابه دخل) .

(١٠) لَجَّ في الأمر : لازمه ، واطلب عليه ، وأمن فيه ، وألحَّ (وبابه تم) . والمنى : الأمان والآمال ، الواحدة منية (بضم فسكون) . وارتبك المرة في أمره : نشب فيه ، واختلط عليه ، ولم يكد يتخلص منه ، وارتبك الصيد في الحيلة : اضطرب .

(١١) ويح : كلمة رحمة . أبهى كلمة عذاب ، بمعنى « ويل » . والغريم (هنا) : الذى عليه الدائن (يفتح فسكون) ، وقد يستعمل الغريم بمعنى الدائن ، كقول كثير عزة :

قفى كل ذي دين ، فوفى شرجه وعزة مخطول معنى غريمها

وماطل : اسم فاعل من مطله بدينه (من باب نصر) أى سوفه بوعده الوفاء مرة بعد أخرى . وأفك (كغريب وعلم) : كذب .

جعل المحبوب مليناً يحمله بالوصل ، ويكرّر الوعد بلا وفاء ، وطلب لقلبه الرحمة من أوصاب الهجر ، وحسرات المطال .

(١٢) ساوته قبله : أودتها منه ، وعرضتها عليه ، وهو مستمار من المساومة في البيع والشراء . وازدأ : انحرف وأعرض . وفرك : أبغض وكره (وبابه سمع) ، يقال : فلاة فارك من الفوارك ، وهى خلاف العروب (بوزن العروس) ، وقد فركت زيوها فركاً ، نفى عشقته عشقاً .

(١٣) اغتفرها : تجاوز عنها ، ولا تؤاخض بها . والزلة : الخلية والبقعة . وخاطى : ملذب . والشاعر في الشطر الثانى من هذا البيت يلح قول الله تبارك وتعالى :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » ،

يَا غَزَالًا نَصَبْتَ أَهْدَابَهُ بِيَدِ السَّحْرِ لِيَصْنَى شَبَكَا (١٤)
 قَدْ مَلَكَتِ الْقَلْبَ ، لَأَسْتَوْصِي بِهِ إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى مَنْ مَلَكَ (١٥)
 لَا تُعَذِّبُهُ عَلَى طَاعَتِهِ بَعْدَ مَا تَيَسَّنَّه ، فَهَوَّلَكَ (١٦)
 حَلَبَ الْيَأْسَ عَلَى حُسْنِ الْمُنَى فَبِكَ ، وَأَسْتَوْصِي عَلَى الضَّحْلِ الْبِكَ (١٧)
 فَلِمَ مَنْ أَشْتَكِي مَا شَفَنِي مِنْ غَرَامٍ ، وَلِئِنَّكَ الْمُشْتَكِي (١٨)
 سَلَكَتُ نَفْسِي سَبِيلًا إِلَى الْهَوَى لَمْ تَدْعُ فِيهِ لِغَيْرِي مَسْلَكًا (١٩)

(١٤) الأهداب : ما نبت من الشعر على أشعار العين ، جمع هدب (بضم فسكون) . والقسم : الجمع ، وضمت الشبكة الصيد ، أوى احتوته ، وانطوت عليه ، ويراد بالقسم هنا : الاستقالة ، وتأثير المدحوق في نفس العاشق . والشبك : جمع شبكة (يفتحون) ، وهى ما ينصب لصيد الطير والسك وغيره ، ومثلها الشركة (يفتحون أيضاً) .

يشير إلى رشاقة المحبوب ، ولطف حركته ، وحسن تشبیه ، وحدادة سنه ، وجمال جيله ، وأن أسباب الفتنة والسحر والإعجاب والغرام تنبت من عينيه وأهدابه .

(١٥) استوصى به : قيل الوصية . ويقال : استوصى به خيراً : أى أراد الخير له ، ولعله . وحق : ثابت واجب . يقول للمحبوب : إنك قد ملكت قلبي ، واستوليت عليه ، فاستوص به خيراً ، فإنه من الواجب على المالك أن يستوصى بالمملوك ، ويرحمه ويحسن إليه . والضمير في : إنه ، يعود على الاستيهاء المفهوم من الشطر الأول .

(١٦) تيسنه : عينه وذليلته .

(١٧) المعنى : أنه كان يعنى نفسه بوصال هذا الحبيب ، ويرتقب إقباله ضاحكاً مستبشراً ، فلما لم يتحقق شيء من هذه الأمانى الحسان - انقطع أمله ورجاه ، واستولى عليه اليأس والقنوط ، وصاروه ألم والغم ، وغلظه الحزن واليكاء .

(١٨) شفه ألم المرض (من باب رد) : هزله وأدبته وأغضبه وأغمقه . والغرام : الحب المذهب لقلب . والمشتكى : مصدر ميمي بمعنى الاشتكاء أو الشكوى .

والمعنى : أنه لا يبعد أحداً غير الحبيب يثبته وجده ، ويشكوا إليه ما هزله وأغضبه من لواحق الحب ، وحرق الصباية ، وتياريح الغرام .

(١٩) يقول : إنه سلك في حبه سبيلاً لم يترك فيه موضعاً لسلك أحد غيره . ولعل المعنى : أنه احتمل بسبب العشق ما لا يقوى على احتماله عاشق سواه . أو أنه انفرد بنوع من الهوى لم يعرفه غيره من المحبين . أو أن ما كابده وعاناه من أوصاب الهوى وآلام الغرام يجعل غيره يحجم عن سلوك هذا السبيل .

القصيدة السابعة والثلاثون

وَقَالَ يَرُوضُ * الْقَوْلَ فِي بَغْيِ الْأَسَالِيبِ ** :

رَدَّ الصَّبَا بَعْدَ شَيْبِ اللَّعَةِ الْفَزْزُ وَرَاحَ بِالْجِدِّ مَا يَأْتِي بِهِ الْهَزْلُ (١)

• يروض القول : يعالج الشعر ، ويزاوله ، ويمارسه ، ويمرن نفسه عليه ؛ مستعار من راض الإنسان المهر (من باب قال) : أى ذله ، وطوعه ، وطمعه السير ؛ ومن كلامهم : « راض الشاعر القواني العيبة ، فارتاضت له : أى انقادت ، وانطاعت له ، وسهلت عليه .

• الأساليب : جميع أسلوب (بوزن عصفور) : وهو هنا : المذهب . وأساليب الكلام : مذاهبه ، وثقافته ، وأقواله .

والشاعر في هذه القصيدة الطويلة سلك مسلك الفحول من تداي الشعراء ؛ فآثر جزالة اللفظ ، وقوته ، وصلابته ؛ وحكاكم في أغراضهم ، ومعانيهم ، وأخيلتهم ؛ إذ افتتح قصيدته بالفزل ، ثم اقتصر بإلقائه وشجاعت في الحروب ، ووصف جواده وسيفه ، ثم وصف يرباً من أيام الطرد والصيد ، ثم أورد أبياتاً في الحكمة ، ثم غم القصيدة مفتخراً بأدبه وشعره ؛ كل هذا في ديباجة عربية نقية ، وفي تشبه تام بمن نتج تهجهم ، وضرب عل غرارهم ، وراض قوله بأساليبهم ، وفي تعبير وتصوير وثيق الاتصال بالبيئة العربية البدوية ، وجسري حل الطبيعة والسليقة الفياضة المتدفقة .

(١) رد الفزْلُ الصبا : رجسه ، وأعادته إلى الشعر ؛ فالفزل فاعل « رد » . والصبا بفعوله : وهو الصبر ، والحداثة ؛ ويراد به هنا : الفتوة والشباب . واللمة (بوزن القية) : الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن ؛ ويراد به هنا : شعر الرأس كله . وشيبه : بياضه . والفزل : مصدر فزل الرجل بالمرأة (من باب فرح) : أى سادتها ، وتودد إليها ، ولما معها ، وأفاض بذكرها ، وتغنى بحاسنها ومفاتنها . وراح به : =

ذهب به ، وأبعده ، وقضى عليه ، وأزله ، وأقصاه . وفاعله كلمة « ما » : وهى اسم موصول بمعنى الذى : أى راح الهزل وملابساته بالجد وملابساته . والجد (يفتح الجيم ، وتشديد الدال) : مصدر جد فى كلامه (من باب غرب) : ضد هزل ؛ والاسم منه الجد (بكسر الجيم) . وملابسات الجد : الصرامة ، والرزاقة ، والوقار

وَعَادَ مَا كَانَ مِنْ صَبْرٍ لِي جَزَعٌ بَعْدَ الْإِيَاءِ ؛ وَأَيَّامُ الْفَتَى دُولٌ ۝

والعلم ، ونحوه . وهزل في كلامه (من يائي ضرب وفرح) : مزح : وهو ضد الجد . وملاهبسات المزلج
توصيا يأتى به ، ويستجبه : الخفة ، والمرح ، والطيش ، والدمابة ، والمزاج ، وما إليه . والصلة بين شطري
هذا البيت : أن الجد والرزاقه والبقار والحلم والنقل والأناة ونحوها من ملاهبسات الشباب ودواميه ؛ أما المزلج
والمرح والمزاج والخفة والطيش والدمابة ونحوها فإنها من ملاهبسات الشباب ودواميه وتتألف في الكثير الغالب
والغزل كذلك يوائم الشباب ، ويشاكله ، ويسايره ، ويحاربه ، ولا يكاد يوائم الشباب ، أو يناسبه ،
أو يليق به ، أو يحسن فيه .

والمنى : أن غزله ، وعينه ، وطوقه قد رده إلى عهد الصبا والفتاه ، ونزوات الشباب وبيهااته ، بعد أن
وحنّ العظم منه ، واشتعل لئراس شيباً ؛ وأن ما يصدر عنه اليوم من ضروب المزلج والمزاج والمجاجة قد جرده
من الجد والبقار والرزاقه ؛ وصرمه ما يليق بمثله ، في جلال مشييه ، وتقدم سنه ، ورجحان عقله .

(٢) عاد الأمر كلما : صار إياه ؛ كما يقال : عاد الماء ثلجاً ، وعاد فلان شيباً ، ومثله عاد الصبر
جزعاً . والمزج : أشد الحزن ، أو هو حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ، ويقطعه عنه ، (يقطع من
باب تب) ، وتقضيه الصبر . والإياء : الامتناع ، والامتنعاه : مصدر أبي الشيء على ؛ أي امتنع ، وامتنع .
وأبيت الشيء : عيشتُه ، وكريته ، ولم أرضه . وأبيته : استكفْتُ منه ، وتركتُه عنه ، والدليل : جميع دولة
(يفتح لمسكون) : مصدر دال الزمان ؛ أي دار ، واقلب من حال إلى حال . أو هو جميع دولة :
بمعنى الشيء المتداول الذي يكون مرة لهذا ، ومرة لذلك . والدهر دُول : أي لآثبات له ، ولا استقرار فيه .
وأيام الفتى دُول : أي تسالطه أحياناً ، وتحاربه أحياناً ، وهكذا تهاجره وتهاجره ، وتصلحه وتخاصمه ،
وتُحْبِل عليه ، وتعرض عنه ، فرة له ، ومرة عليه ؛ لأن في طبيعها التحول والقلب . وهو تذييل جار مجرى
المثل . ويراد بالفتى هنا : الإنسان مطلقاً ، في كل أطوار حياته ، ومراسل سنه ومحوه .

يقول : إنه كان سعيداً أن وَصَّغَهُ الشباب ، وتقدمتْ به السن صبوراً ، لا يستجيب لغواحي الشباب ،
ولا يهزجه ما فات من صمه وملاهييه ؛ فلما عاد إلى الغزل والهو والمجاجة - انقلب صبره جزعاً بعد طول التأبى ،
والتحرج ، والتمنع . ويراد بالمزج هنا : ما يحوره ، أو يساوره أحياناً من الحزن ، والأسى ، وانقياض
النفس ، كلما استيقظ ويبداهم ، وطن لما غرق فيه من المزلج والبيت والمجون ، ولم أن هذا كله لا يليق بشييه
وتقدم سنه ، ورجحان عقله .

وقد يكون المنى : أنه كان في مشييه جاداً عازفاً عن القهر ، صابراً على حياة الجد والصرامة ؛ فلما
سأستاء الغزل والمزلج تلك الحياة ، وأعادته إلى شبابه وصباه - استشر المزج - أي الفجر والفتق ،
غوصاً من ضباب هذه التمتة الباردة ، وفوات هذه اللذة المستحقة ؛ لعلمه أن الأيام من شأنها التحول والقلب ؛
ويلاحظ أن هذا البيت وثيق الاتصال بالبيت الذي قبله .

فَلْيَصْرِفِ اللَّوْمَ عَنِّي مَنْ بَرِمْتُ بِهِ فَلَيْسَ لِلْقَلْبِ فِي غَيْرِ الْهَوَى شُغْلٌ (٣)
وَكَيْفَ أَمَلِكُ نَفْسِي بَعْدَ مَا ذَهَبَتْ يَوْمَ الْفِرَاقِ شِعَاعًا إِثْرَ مَنْ رَحَلُوا؟ (٤)
تَقَسَّمَتْنِي النَّوَى مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَعَدَتْ عَنْهُمْ عَوَادٍ ، فَلَا كُتُبَ ، وَلَا رُسُلَ (٥)
فَالصَّبْرُ مُتَحَلِّلٌ ، وَاللَّدْنُ مِنْهُوْلٌ وَالْعَقْلُ مُخْتَبِلٌ ، وَالْقَلْبُ مُشْتَغِلٌ (٦)

(٢) صرفه : دفعه ، وردّه . والقوم : الملئد . وبرم به (من باب تعب) : شتمه ، وطه .
وشجيرته ، وضاق صدره به . والهو : الحب ، والمشق . وشغل (يوزن عشق ، وسبب) : شد
الفرغ . وشغل عنه بكذا (حل ما لم يتم فاعله) : أى اشتغل ، وتعلق به ، وتلقى ، وانصرف إليه ،
وانهمك فيه ، وترك ما عداه .
والنوى : أن الحب شغل قلبه ، واستأثر به ، وصرفه عما عداه ؛ فإذا عذله عاذل تبرّم به ، وشجير
مه ، وضاق بالملئد ذرعاً ، وأمره بالكف عنه .
(٤) الاستفهام في أول هذا البيت : مناه النفي ؛ فالشاعر لا يملك نفسه بعد ارتحال أحبائه .
وذهبت نفسه شعاعاً : تفرقت ، وتبددت من الهم ونحوه . أو تفرقت معها وآرائها ؛ فلا تتجه لأمر جزم
وذهب في إثره ، وذهب إثره : ذهب في عقبه ، بلا توان ، أو ترواح . ورحلوا : ارتحلوا ، وساروا ،
وانطلقوا ، وبغروا .
يقول : لما فارقته أحبائي ، افرق شمل ، وتمزق من الوجد قلبه ، وذهبت نفسه عليهم حشرات .

(٥) النوى : البعد ، وهي مؤنثة ؛ ويريد بها : بعد أحبائه ، وارتحالهم عنه . وتقسمتني النوى :
فرقت شمل ، وشقت غواطري . وعداه عن الأمر (كدعاه) : صرفه عنه ، وشغله . والموادى : جمع
العادية ؛ وهي الشغل يعرضك عن الشيء . وعودى الدهر : عواقبه ، ولوائبه . والكتب : جمع كتاب ؛
وهو الرسالة . والرسل : جمع الرسول ، أو الرسيل : بمعنى الرسالة . أو من ترسله إلى غيره . و « تقسمتني
النوى من بعدهم » : شبه تكرار لمى البيت السابق ؛ فعل إثر رحيلهم برح به الوجد واليعد ، وتقسمته
الهموم والأوصاب .
يشكو فقرة هؤلاء الأحباب ، ويؤمدهم عنه ؛ فالفرقة والبعد شغلا باله ، ومزقا شمله ، وشقتا
غواطره ؛ وسالت بينه وبينهم الموادى والمواق ؛ فانبثت الصلوات ، وتقطعت الأسباب .

(٦) متخذل : ضعيف . ومنهمل : متصبغ زير . وشغل (بصفة اسم المفعول ، أو صيغة
اسم الفاعل) : مضطرب ، فاسد . ومشتغل : مشغول ، مهووم . وفي البيت محسن بديهي لفظي ،
يسمونه السجع المطرف ؛ ومن أمثله قول أبي تمام في المديح :
تجمل به رضى ، وأثرت به يدي وفاض به عدي ، وأورى به زلنى

أَرْتَاحُ إِنْ مَرَّ مِنْ تِلْقَائِهِمْ نَسَمٌ تَسْرِي بِهِ فِي أَرْبَعِ السَّنِينَ الْأَصْلُ (٧)
سَارُوا ، فَمَا اتَّخَذَتْ عَيْنِي بِهِمْ بَدَلًا إِلَّا الْخَيَالَ ، وَحَسْبِيَ ذَلِكَ الْبَدَلُ (٨)
فَخَلَّ عَنْكَ مَلَائِي يَا عَلُولُ ، فَقَدْ سَرَتْ قَوَادِي عَلَى ضَعْفٍ بِهِ الْبَلَلُ (٩)

يشير إلى ما يكابهه ويفاضيه بعد فرقة أحبابه من قلة الصبر ، وضعت التجلج ، وغلبة الخرج ، وكثرة البكاء ، واعتجال العقل ، واضطراب الفكر ، واشتغال القلب بمسورة الموم ، ومغالبة الأحران .

(٧) ارتاح الأمر : سر به ، ولشط . ومن تلقائهم : من تلقاه أحبابه : أي من جهتهم . ونسم الريح : أيضا حين تقبل يلين ، قبل أن تشتت . وتسري به : أي تسري بالنسيم : أي تحركه ، وتسيره ، وتنفذه . وقامه « الأصل » : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب . أو هو الوقت حين تصفر الشمس لمغربها . وفيه تسري الريح لطيفة لينة طيبة . وفي أربع المنبر : في مثل أربع المنبر : أي راحته الفاتحة ، المتوجية ، الطيبة ، الدكية ، الطرية . والمنبر : نوع من الطيور التي يستطير بها الحن رائحتها . أو هو مادة صلبة ، لا طعم لها ، ولا ريح إلا إذا سُحقت ، أو أحرقت . ويقال : إنه رَوَتْ دابة مخرية . يقول : إنه يسر وينشط ، وتطيب نفسه ، ويهدأ به ، ويستشعر الارتياح والانتراح إذا مر به من جهة أحبابه ، وقت الأصيل - نسيم لطيف ، لين هادئ ، طيب عطر .

ربط النسيم المطر بأحبابه ، لأن مثله لا يستقبل من تلقائهم غير هذا النسيم ، ولا يتلقاه إلا بالارتياح . واختار وقت الأصيل ، لأنه غير الأوقات في مثل هذا المقام . والبيت كله أسلوب لطيف من أساليب الفزول .

(٨) البذل من الشيء : الخلف ، والموض . والخيال : اللطيف . وما تشبه لك في البقطة والنام من صورة . ويريد بأنشئة أحبابه : صورهم الحية في ذهنه . وحسبي . يكتفي ، ويلتفي . واتخذت عيني خيالم بهم بدلا : أي جعلت عيني خيالم خلقا لهم ، وبدلا منهم ، وعرضا عنهم ، كما تقول : اتخذت فلانا خيلا . والمضى : ارتحل أحبابه ، وفابت عنه أشخاصهم ، وفرت التي بينه وبينهم ، وانتمى عليه لقائهم ، فلم يسه إلا أن يفتح برؤية أحيائهم ، ومناجاة أطيافهم ، ويبقى على الدوام حافظا لعهدهم ، مقبلا على ودعهم ، يتصليهم أثناء الليل ، وأطراف النهار ، ولا يرى بعد غيابهم غير صورهم ، ولا يشتغل قلبه بسواهم ، ولا تصرفه عنهم عوايد الدهر ، وصوائق الزمان .

(٩) خلَّ عنك ملاي : لا تلقى . خلَّى الأمر عنه تخلي : تركه . وعذول : صيغة مهالقة من العذل : وهو اللوم . وسره (من باب رد) : طعنه في سرته : أي في وسط بطنه . والمراد هنا : مطلق العطن والإسابة . وسره سرورا : أفرحه . و « قوادي » مفعوله . و « الملل » فاعله : جميع حيلة : وهي المرض الشافل ، ويراد بالملل هنا : أو صاب الحب ، وتباريح الشوق ، ومراره الفراق .

لَا تَحْسَبَنَّ الْهَوَى سَهْلًا ، فَأَيُّسِرُهُ خَطْبُ لَعْمَرَكْ لَوَيْزَتَهُ - جَلَلُ (١٧)

يَسْتَنْزِلُ الْمَلِكُ مِنْ أَعْلَى مَنَابِرِهِ وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ الرَّعِيدُ وَالْبَاطِلُ (١٨)
فَكَيْفَ أَذْرَأُ عَنْ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْ لَيْسَ لِي بِمُنَاوَاةِ الْهَوَى قَبْلُ (١٩)

ع يقول : إن قلبه - على وقته ، وصفت احتماله - قد أصابته أوصاب الهوى والفرام ، وأضنته تباريح الصباية والشرق ، وبرحت به مرارة أخرى والفرار. أو أنه يجد في هذا كله المشقة والقلقة ، والارتياح والسرور .
ومعنى هذا : أن المشق دله بئيمه ، والوجد وله وجهه ، وحال بينه وبين الاستراح لهذا الماذل ، والإنصات لرم اللأم ، وقد أعلن : البيت الثالث تبرمه به ، وضجيره منه ؛ فالماذل لعله عقيم ، لا ينتج ، ولا ينجى ؛ بل يضايقه ويمارسه ، ويضاعف أوصابه ومتاعه .

(١٠) لا تحسبن : لا تقآن . الهوى : الحب ، والمشق ، والفرام . وأيسره : أيسر الهوى ؛ أى أسهله ، وأخفاه ، وأقله . والخطب : الأمر الشديد ، والنازلة القادحة ، ويجمعه خطوب . وجلل : عظيم ، وهو لمت له « خطب » . و « لعمرك لو ميزته » : كلام معترض بين التمت وتمنوه . و « لعمرك » : قسم بحياة المخاطب ؛ وهم يرفقونه بالابتداء ، ويضمرون الخبر ؛ والتقدير : لعمرك نفسى ، أو يمينى ، أو ما أحلف به . واللام الداخلة على المبتدأ هنا : لام الابتداء ؛ وفالقتها تأكيد مضمون الجملة . ولو ميزته : لو عرفت ، وبلغت له ، وأدركت حقيقته .

يقول لكل مخاطب ، وبخاصة الماذل اللأم : إن المشق صعب المراس ، مستصعب على العلاج ؛ يزيد القوم ويضاعفه ، ويذكره الماذل ويؤججه ؛ ولو عرفت ، وأدركت حقيقته ، أو وقفت على شؤم من كنهه ، لعلمت أنه - فى أيسر حالاته ، وأقل مراتبه - خطب جلل ، وأمر شديد ، يدخل الماشق ويشفيه ، ويذهب بلمه ويبيته .

(١١) يستنزله : يُنْزِلُهُ ، ويحطه . وأعله شسير « الهوى » فى البيت السابق . والمنابر : جميع منابر (يؤذن مناجل ومتاجل) : وهو سرقة يرتقيها الخطيب ، أو الواعظ ؛ ليخاطب من فوقها جموع المستمعين ؛ ويراد بمنابر الملك هنا : مرتبته العالية ، ومنزله الرفيعة ، وبقاره المهيبة ، وحسنه الحصين .
= واستوى الشيطان : تساوى ، وتماثل ، وتشابه . وعنده : عند الهوى ؛ أى أمامه ، وفى مسرفته ، وحت إمرته وسلطانه . والرهديد : الجبان يشتد به الجبن ؛ فيكثر ارتعاده ، واضطرابه ، وأرتعاشه . وشدة البطل : وهو الجريح الشجاع المتقدم ، ويجمعه أبطال .

والمنى : أن سلطان الحب قاهر غلاب ، يستعبد الملوك والسوقة ، ولا تمسده أمامه البطولة والشجاعة ؛ فالبطل الشجاع كالرهديد الجبان ؛ يتساويان تحت سيطرة الحب وسلطوته .

(١٢) الاستغفار : أنزل البيت : معناه النسي . ودراه (كنهه) : دفعه ، وصدّه . وفناؤه مناوراة : عاداه ، وقاومه ، وفاحشه ؛ وأصله المنز . وفيحك (يؤذن عتب) : طاعة ، ومقدرة . وفى القرآن الكريم : « فلنأتينهم بجنود لا تحصى » الآية رقم ٣٧ من سورة النمل : أى لا طاقة لهم بها ، ولا قدرة لهم على مقاومتها .

فَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى شَيْءٍ هَمَمْتُ بِهِ فِي الْحُبِّ، لَكِنَّ قَضَاءَ خَطِّهِ الْأَزَلِ (١٣)
وَلِلْمَجْبَةِ قَبْلِي سُنَّةٌ سَلَفَتْ فِي الذَّاهِبِينَ، وَلِي فِيمَنْ مَضَى مَثَلُ (١٤)

= في البيت السابق أشار إلى ضخامة سلطان الهوى ، وسيطرته على الملوك والسوقة ، والأبطال والرعاعيد .
وفي هذا البيت شيء اعتذار ، واحتجاج لنفسه ، وقطع لما قد يأمله العاذلون من سلوانه ؛ فكيف يدرا عن نفسه ذلك السلطان القاهر ، وهو يعلم أن لا طاقة له به ، ولا قدرة له عليه ، ولا مناص منه ؟
(١٣) قدر على الشيء (كضرب ، وعلم ، ونصر) . ولم به (من باب رد) : أرادته ، وقصدته ، وعزم على القيام به ؛ ولكنه لم يفعله . و « في الحب » متعلق بمحذوف ، صفة لشيء . وجملة « همت به » جواب « لو » : أى فلو قوتيت على شيء مستطاع في أمر الحب ، يدفعه ، أو يصدّه ، أو يصرفه ، أو يحدّه - همتت به . ومعنى هذا : أنه لم يقدر ، ولم يتم . والتعبير بـ « همت » هنا يشعر بضعف هذا الحب أمام سلطان الحب وسيطرته ؛ فعل فرض أنه أقوى القوة ، والمقدرة على مقاومة هذا السلطان وسكافته ، لم يجرؤ على المقاومة نفسها ، ولم يتجاوز نطق الميم : وهو الإرادة ، أو الرغبة المحرّدة من الإقدام والعمل والتنفيذ . ولكن قضاء : لى ولكنّ الحبّ قضاء : أى حكم فاصل ، لا مردّ له ، ولا استثناء . وسخطه : كسبه ، ورسمه ، وقدره ، وقضى به . والأزَل : التقدّم ، ويراد بالقضاء الذى غطّاه الأزَل : أنه قضاء أزَلّ مُعْرِق في القدم ، لا سبيل إلى نقضه ، أو رده ، أو الفرار منه .

والمنى : أن الحبّ من الأمور المقدّرة المفضية إلى لا مبدى عنها ، ولا مفرّ منها ؛ وقد كتب عليه قبل أن يوجد ، ولو استطاع أن يتخلّص منه ، أو يُجَرِّيه على حسب مشيئته - لفعل ؛ ولكن هيات . ويلاحظ أن الشاعر عبّر عن غاية ظاهرة في البيت الثالث ، ثم في الأبيات (٩-١٤) بملاحاة عاذليه ، والاحتجاج لنفسه ، وتأكيد عجزه عن مغالبة الهوى ؛ ليستشوا منه ، وينصرفوا عنه .
(١٤) سنّة : مذهب ، وطريقة ، وسيرة . وسلفت : مضت ، وتقدّمت ؛ وقاعله ضمير « سنّة » ، وبالجملة صفة لما : أى والحبّ قبل سنّة سالفة في الذاهبين : أى الماضين من الناس في سالف الزمان . والمثل (بوزن سب) : المثل (بكسر فسكون) ، والشبّه ، والتأثيل ؛ و « فيمن » متعلق بمثل : أى مثل فيمن مضى .

والمنى : أن الحبّ شيء يعرفه الناس من قديم الزمان ؛ وله فيهم سنّة ثابتة ، وصفات متبيّنة ، وطريقة مرسومة ، وخصائص واضحة ، وأثار غفيرة وظاهرة ، وسيرة لا تتخلّف ؛ والشاعر أشياها ونظّراه من المحبين الماشقين في الذاهبين الأوّلين ؛ يسلك مسلكتهم ، ويجرى على منهم . والفرض من مثل هذا البيت محاولة إقناع العاذلين ، والاحتجاج لنفسه ، وتخفيف حركات اللذات ؛ وهو ختام سبعة أبيات دارت كلّها حول هذا الفرض .

فَإِنْ تَكُنْ نَازَحَتِي النَّفْسُ بِاطِلَاهَا وَأَطْلَعَتْنِي عَلَى أَسْرَارِهَا الْكِلَالِ^(١٥)
 فَقَدْ أَسِيرُ أَمَامَ الْقَوْمِ صَاحِبَةً وَالْجَوُّ بِالْبَاتِرَاتِ الْبَيْضِ مُشْتَعِلٌ^(١٦)
 بِكُلِّ أَشْقَرٍ قَدْ زَانَتْ قَوَائِمَهُ حُجُولُهُ غَيْرَ يُعْنَى زَانَهَا الْفَعْلُ^(١٧)

(١٥) جواب «إن» الشرطية في البيت الآتي: «فإن تكن نازحتي النفس باطلها فقد أسير...»
 ونازحتي النفس باطلها: علمتني نفس ذلك الباطل: أي ناولتني إياه: والمراد أنها مهدت لي
 سبيله، وسوّتته لي، وأفرقتني به، وأرقتني فيه. أو هو من قولهم: نازحته الثوب: أي جاذبته
 إليه، والمراد أني شاركتها في الباطل، وشاركتني فيه. ويراد بالباطل هنا: القهر، والحب، والفتن،
 والكيل: جمع كيل (وزن حلة وظل): وهي هنا ثوب رقيق، غطاء كالبيت، تستتر فيه المرأة.
 والمطلع الكيل لإيهام أسرارها: كناية عن إحاطة بشئون الحسان المحجبات، وقوله حل أسرارهن
 وظهورهن حل الحق المحكوم من أمورهن. وصلة الشطر الثاني بالشطر الأول: أن إطلاعه حل أسرار
 الغائبات من الأباطيل التي أرقعت فيها نفسه. وصلة هذا البيت بالأبيات السابقة كلها: أن ما رده
 الشاعر فيها من النزل وملاحة الماذلين شرب من غروب الباطل الذي نازحته نفسه إليه. وصلته بالبيت
 الذي بعده: أن الشاعر جمع في حياته بين المزل وإلجيد، والقهر والصرامة، والحب والقتال.
 جعل الشاعر هذا البيت تمهيداً لانتقاله من القهر والمزل، والحب والفتن إلى الشعر بشجاعة
 وبطولة الحربية، والابتهام بشيرة أمام المحاربين يقدمهم، ويتقدم صفوفهم.

(١٦) «قد أسير...»: جواب «إن» الشرطية في البيت السابق. ويريد بالقوم: جماعة
 المحاربين. وضاحية: حلالية، جهاراً. والجو: الفضاء بين السماء والأرض. وجو كل شيء: بطنه،
 ودخله. ويراد به هنا: جو الحرب، وساحة الوغى، وميدان القتال. والباترات: جمع باتر:
 وهو السيف القاطع. والببيض: جمع أبيض: وهو السيف. ومشتعل: ملتهب، متقد، مشطرم.
 وهو هنا من مجاز اللغة: فبريق السيوف، ولعائنها، واضطراب حركاتها في جو القتال يشبه
 اشتعال النيران وتوقدها. ولأول في أول الشطر الثاني: وأو الحال، والجملة الاسمية بعدها حالية،
 وصاحب الحال فاعل «أسير»، وبالباترات متعلق بمشتعل.

ومعنى هذا البيت والذي قبله: أنه إذا كان يتقاد للهي، ويمجى مع القهر أحياناً، ويغازل الغائبات
 من ربّات الحجال - فإنه إذا جدّ الجدّ، واتّقدت الحرب، وحسّ الوطيس، قدّم المحاربين،
 وقاد المقاتلين، وبرز لأعدائه في جراءة وشجاعة وإقدام؛ وفي غير مهالة، أو تردد، أو اكتراث.
 وفي عشرة الأبيات الآتية يصف للشاعر جواده.

(١٧) بكلّ أشقر: بكلّ فارس أو جواد أشقر، وهو متعلق بالفعل «أسير» في البيت
 السابق. وأشقر: صفة من الشقرة: وهي في الخيل: حمرة صافية، يحمرّ معها العروق واللاتب.
 والعرب تقول: «أكرم الخيل وذوات الخيل منها شقرها». وقوائمه: يدها، ورجلاه. والواحدة
 قائمة، وهو مفعول به الفعل «زان». وقاعله «حجوله»: جمع حبل (يكسر فسكون أو يفتح فسكون) =

كَانَهُ خَاضَ نَهْرَ الصُّبْحِ ، فَأَنْتَبَهَتْ ، وَأَنْبَتَ فِي أَغْطَايِهِ الطُّفْلُ (١٨)
 زُرْقُ حَوَافِرُهُ ، سَوْدُ نَوَاطِرُهُ ، خَضِرُ جَحَافِلِهِ ، فِي خَلْقِهِ مَيْلُ (١٩)
 كَانَ فِي خَلْقِهِ نَاقُوسٌ رَاهِبَةٌ ، بَاتَتْ تُحَرِّكُهُ ، أَوْ رَاعِدٌ زَجِلُ (٢٠)

« وهو البياض في قائمة الفرس ، يكون في موضع القيد منها ؛ وفي مثل الموضع الذي يكون فيه حبل المرأة ؛ وهو الخلل الذي تزيّن به رجلها . وفرس محجل : في قوائم حبل . وزانت حبله قوائم : جعلتها ، وحسنتها . وغير معنى : غير قائمة معنى . والجلل هنا : خلاف التحجيل . يقال : جللت المرأة (من باب فرح) ؛ إذا لم يكن عليها حل . والمراد أن معنى هذا الجواد غلت من التحجيل .

يقول : إنه يتقدم قومه محارباً بكلّ نبود أشقر ، أزدانت ثلاث من قوائمه بالتحجيل ، وشكلت منه الراهبة ، وهي رجلة اليمنى ؛ فزانتها هذا الخلل ، وحسنتها ، وجعلها .

(١٨) كأنه : كان هذا الجواد الأشقر . وشاخ الماء : دخله ، وشى فيه . ونهر الصبح : الصبح

الشبه بالنهر . وانتبعت : اعتزلت ، وتنتعت . يريد أنه خاض نهر الصبح ثلاث من قوائمه ؛ أمّا

الراهبة ، وهي اليمنى ، فلها انتبعت عن هذا النهر ؛ أي ابتعدت عنه ، ولم تخفه . وأنبت :

تفرق ، وانتشر . وأعطاه : جوانبه : جمع عطف (بكسر فسكون) ؛ ويراد بأعطاه : جسمه .

وصنك اللدة : ألقت بمسكة طلوع الشمس . وطكك العشي : قبيل غروبها ، حين اختلاف

أول الليل بآخر النهار . وشظي ، أو قريب منه الشفق : وهو بقية ضوء الشمس ، وسرعتها في أول الليل .

وهذا البيت تكرار لمعنى البيت السابق ؛ فالجواد مسجل في ثلاث من قوائمه ؛ وبياض تحجيلة

كبياض ضوء الصبح ؛ وشعره أعطاه وجسه كمسكة الشفق .

(١٩) زرق : جمع أزرق : صفة من الزرقة . والحوافر : جمع الحافر : وهو لدابة كالقدم

للإنسان . وسود : جمع سوداء . والنواطير : جمع ناظرة : وهي العين . وخضر : جمع خضراء : صفة

من الخضرة ؛ وهي في ألوان الخيل والإبل ؛ غيرة تغافلها دهمة ؛ أي سوداء . والحسائل : جمع

جسمفكة (بوزن كوكبة) : وهي لدوات الحافر من الخيل والإبل والغنم . كالتشعة من الإنسان .

وفي شكله : في خلقته ؛ أي في فطرته التي فطر عليها . الجليل : مصدر سئل (من باب فرح) ؛

أي كان مائلاً خيلته ، فهو أميل ، وهي ميله ؛ ويراد بالميل هنا : ما يُعرف في الصفات

الجواد ، ولجانب الخيل من التبختر ، والمائل ، والفتنى ، وحسن المشية .

استوصب الشاعر في هذا البيت وصف سوار جواده ، وبنيته ، وبجلته - بالزرقة - والسود ،

والخضرة على الترتيب ؛ وهي الألوان المروقة في لجانب الخيل وبجهاها . ثم أشار إلى بعض محاسن

الملكية الروائية المتأصلة فيه ، كالليل ، أي التبخر ، وبجمال المشية ، والحركة ، وحسن النسي .

(٢٠) في خلقه : في خلق جواده الأشقر . والناقوس : جرس كبير ، يضره النصارى في كنائسهم

لإدانة بجلول وقت صلاتهم . والراهبة : مؤنث الراهب من رهبان النصارى ؛ وهو من اعتزل الناس ،

وتفرغ للعبادة في دير أو صومعة . وبات يفعل كذا : أي فعله ليلًا . وباتت هنا : بمعنى صارت ،

يَمُرُّ بِالْوَحْشِ صَرَخِي فِي مَكَامِنَهَا. فَمَا تَبَيَّنَ لَهُ شَيْءٌ؛ فَتَنَحَّلُ (٢٧)
يَرَى الْإِشَارَةَ فِي وَحْيٍ؛ فَيَهْمُهُمَا وَيَسْمَعُ الزَّجْرَيْنِ بَعْدَ؛ فَيَمْتَثِلُ (٢٨)

أو جعلت. والجملتان لراعاة. وجملة «تحركه» خبر «بات» التامة. أو: حال من فاعل «بات» التامة: وهو ضمير الراهبة. و«راعد»: خبر لمبتدأ «غذوف». والتقدير: أو هو: أي الجواد الأشقر راعد: أي صالت كصوت الرعد. أو التقدير: في حلقته راعد: أي صاحب «راعد». وزجبل: صالح صاعب: صفة من زجل (من باب فرح): أي رفع صوته، وأجلبب: والبيت في وصف سهيل ذلك الفرس بالقوة والشدة؛ فهو كصوت أجراس الأديرة والكنائس، أو صوت السحاب الراعد الزاجل.

(٢١) الوحش: ما لا يأنس من دواب البر وسيراته؛ يذكر، ويؤث، واحدا وحشي، والجمع وحوش. وصَرَخِي: حال من الوحش: أي ملقاة على الأرض: جمع صريع: فبيل بمعنى مفعول. ومكائنها: مخايلها: جمع مكن (يوزن مذهب): اسم مكان من كن (كفد): أي توارى، وتستتر، واستغنى. وتبين: وتكشف، وتعرف؛ مضارع «بان» المتعدى، وفاعله ضمير الوحش، ومفعوله «شء»: أي عدوا، وجريا، وركشاً؛ مصدر شدّ «الفرس» = وفيه: أي عدا، وركش، وأحضر، وجري. وله: للفرس. وتنخلل: تقصف، وتنفار، وتسقط على الأرض ملقوبة «مأخوذة» أو تهزم، وتحاول للفرار والنجاة؛ وهو في الأصل مطاوع «خله»: أي تسكني من حوله وتصره.

والحق: أن هذا الفرس يمر بالوحوش وهي محتبة في مكائنها آمنة مطمئنة. لا تخاف عدواً؛ ولكنه يفاجئها ويهاجمها، قبل أن تلح ركفه، أو تحصن به؛ فلا تكاد تجد وسيلة للفرار منه؛ ولهذا تسقط بين يديه ملقوبة مأخوذة.

والفرس: وصفه بسرعة العدو، والفرس بالصيد، وإعانة راكبه عليه، وتمكنه منه؛ وقد غال في هذا المعنى، كما غال غيره من الشعراء؛ فقال: إن الصيد، أو الوحش تنصرع وتسقط في أمائها وهو يمر بها، ويطوي إليها الأرض طياً؛ وإنما سقطت؛ لأنها لم تكد تستبين ركفه، أو عدوه إليها؛ ولو استبانته، أو أحسب به لفرت من وجهه، وسأولت النجاة. وأبلغ من هذا قول امرئ القيس في معلقته، واصفاً جواده:

وقد أغشى والظير في وكنايتها بمنجرد، قيد الأوابد، هيكل

مكر، مفر، مقبل، مذهب مماً كجلويد صخر حله السيل من حل

(٢٢) يراد بالإشارة: إشارة صاحبه، أو راكبه؛ مصدر أشار إليه، وأشار بيده، أو نحرها؛ أي أومأ إليه؛ معبراً بالإيماء والإشارة عن معنى من المعاني التي يقصدها، كال دعوة إلى الدخول، أو الخروج، أو الركوب، أو السير، أو التفزع والتخطف... وفي «حجر» في سرعة، أو في خفاء. والظير: مصدر زيره (من باب نصر): أي منعه، وكفّه، ونهاه، وانتهره، وصاح به، وأثاره؛ أو حثّه، وحمله على السرعة. ويمثل: يطيح؛ ويقتاد.

لَا يَمْلِكُ النَّظْرَةُ الْمَجْلَاءُ صَاحِبِهَا
إِنْ مَرَّ بِالْقَوْمِ حَلُّوا عَقْدَ حَبْوَتِهِمْ
حَتَّى تَمُرَّ بِعُفَيْفٍ فَنُحْبَسُ (٧٦)
وَاسْتَشْرِفَتْ نَحْوَهُ الْأَلْبَابُ الْمَمْلُ (٧٧)

يقول : إنه يرى الإشارة في سرعة ، في فهمها ، ويستجيب لها مهما غفرت ؛ ويسمع الزجر ، فينتله ويحتذيه ، ويتقاه له ، ولو جاءه من مكان بعيد .
وصلة بدقة الإحساس ، ودهاء الحواس ، وقوة الإدراك ، وسرعة فهمه لإشارات صاحبه أو رآكبه ولو خفيت ؛ وسرعة السمع والطاعة ، والانتقاه له إذا اضطر إلى زجره في بعض الأحيان ؛ وهذه كلها من صفات كرائم الخيل ويجيئها .
(٧٢) النظرة : المرة من النظر ؛ بمعنى الإبصار . والمجئى (بوزن المكوى) : السريعة :

صفة من العجلة؛ أمّا «العجلاء» (بالفتح)؛ فلا تعرف وجهها؛ ولعلّ الشاعر لح مذهب الكوفيين الذين يميزون حدّ المقصور لفروقة وزن الشعر. وصفناه: جانباه. وعطف كلّ شيء؛ جانبه؛ ويراد بعطف الجواد: محاسن جسمه التي أشار الشاعر إلى بعضها في الأبيات السابقة. وفي جواد الخيل = محاسن تستحق انتباه المولىين بها، وتقيد أنظارهم. وتحليل (بالبناء المجهول)؛ تصاد. احتيل الصائد الصيد؛ نصب له الخبالة؛ وهي المصيدة؛ فصادها بها. أو هي «تحليل» (بالبناء المعلوم)؛ أي تقع في الخبالة. وفاعله، أو نائب فاعله غير النقرة العجاء. والمعنى: أن الناظر إلى هذا الجواد لا يكاد يلق عليه نظرة سريعة خاطفة، حتى تمرّ بطنفيه، تنصيدها بحاسنها، وسائر محاسن جسمه؛ فلذا يملك صاحب تلك النقرة استردادها، بل يظلّ شاغص البصر، راناً إلى الفرس في البهار وإعجاب. والبيت الآن يرضع هذا المعنى، ويبرزه. ويؤكدّه.

(٢٤) فاعل «مئة» : ضمير القوس ، أو الجنود الأشقر ، الموصوف في هذا البيت ، وسبغة الأبيات قبله ، واليحيى اللذين بعده . وصل «المئة» (من باب نصر) : نكحها ، ونقضها ، وفتحها . والفتحة : مصدر عقد الحبل ووصلو (من باب غزب) : أى جعل فيه حمة . وعقد طرفية : وصل أحدهما بالآخر بمئة حمة . وتسمى . والمئة : تقيس الحكة . والحبة (يفتح ألها وضمة) : الاسم من الاحتيا . مصدر احتى الإنسان بثوب ، أو حبل ، أو نحوها : أى أداره على ساقه وظهوره ، فجعل يبتها وهو جالس ، ليستند ؛ وذلك لأن الأعراب لم يكن لهم في ياديتهم حيطان أو نحوها يستندون إليها في مجالسهم ؛ فكان الرجل منهم يقيم ركبتيه في جلوسه ، ويعقد عليها يديه ، أو يشدها إلى ظهوره بثوب أو نحوه ، فيسترخ في جلسته ، ويقوم له هذا مقام الاستناد . ويقال : حكة فلان حيوته : أى ما يحيط به من ثوب وغيره : أى قام بنفس . وعقد حيوته : أى جلس ، أو قعد . ثم كثر «بجل» الحبة عن القيام للأمر ، والاحتياط به . واستشرقت : نظرت ، وطمعت ، وارتفعت . وظلمت : ونحوه : نسر الجنود : أى جهته . والألباب : العقول ، أو القلوب ، واحدها لب . والفعل : النور ، واحدها ملة (وزن فرفة) .

تَقْوَدُهُ يَنْتُ خَمْسٌ ، فَهَوَ يَتَّبِعُهَا وَيَسْتَيْبِطُ إِذَا هَا هِيَ بِوَ الرَّجُلِ (٢٥)
أَمْضَى بِوَ الْهَوَلِ وَقَدْ أَمَّا ، وَيَضْحَكُنِي مَا ضَى الْفِرَارِ إِذَا مَا اسْتَفْجَلَ الْوَهْلُ (٢٦)
يَمُرُّ بِالْهَامِ مَرَّ الْبَرْقِ فِي عَجَلٍ وَكُنْتُ الضَّرَابِ ، وَلَمْ يَتَلَقَّ بِوَ بَلْ (٢٧)

= في البيت السابق قال : إن النظرات السريعة العاجلة لتتلق بمحاسن جواده ، وتحتس فيها . وفي هذا البيت أكد هذا المعنى بقوله : إذا مرَّ يقوم جالسين نهضوا من مجالسهم . فأتقوا عليه ، واتجهوا إليه بهيمتهم ، وعظيمهم ، ولطوهم صبيحين ، متجهين ، مقتولين .

(٢٥) تقوده : تمشي أمامه أكلة ببقوده ، وضو يتبعها في يسر والقياد . وبنت خمس : طفلة بنت خمس سنوات ؛ يريد أنها جمعت بين نصف الطفولة ، ونصف الأولولة . ويستطيع : المراد يشتد نشاطه ، وتبدد قوته في ألد حالاتها ومن قويم اشتطاش في الحرب ؛ أي استقبل ، ولم يبال المهالك ، أو يستطع غضبا ، ويلتهب غيظا ، ويشتد هياج . وما هي به : دعاه وفاداه . أو زجره ، ونهره .

والمنى حل الأول : أنه كريم أسيل في السلم والحرب ؛ فلو السلم يتقاد لمن يقوده ولو كان أميضا = الناس . وفي الحرب يستجيب للفرسه إذا حسمك به حل الأعداء ، فيقتل معه ، ويستبست سبي يدرك النصر ، ويهدد الخيل . والبيت الآن يرجع هذا المعنى ، ويمزق .

والمنى حل الثاني : أن الذين يطويه ؛ فيخضع للضعيف . والمنتب يهيج ؛ أي يثور في وجه القوي ، ويستطيع مضيا إذا زجر أو التهور .

(٢٦) أمضى : أذهب ، وأزِيل : مضارع أمضيت الشيء ؛ أي أذهبته ، وأزله . أو هو : أمضى مضارح : مضى ، إل الشيء ؛ أي ذهب إليه . وبه : بهذا الجواد . والمحول : الخافق ، والفرع ، أو الأمر المحيى بالفرع القديم ، ويراد به هنا : الحرب ، وجمعه أهوال ؛ وهو منصوب على نزع الخافض ، والأصل : أمضى بجوادى إلى الخيل . أو تدمته هنا حل تفسيره معنى فعل متعد ، مثل : ألتهم ، و « أعتصم » . أو « المحل » مقبول لأجله . والمنى : أذهب بجوادى من أجل ملوحة الخيل . ومقدما : كثير الإقدام على العدو ، شجاعا ، جريئا في الحروب ؛ وهو حال من فاعل « أمضى » . ويصحبني (من باب سلم) : يصاحبني ، ويرافقني ، ويلازمي . والمأخى : الحاد ، البتار ، السريع القطع . والفرار (يوزن كتاب) : حد السيف والرمح ونحوهما . والشاعر هنا ينتقل من وصف فرسه إلى وصف سيفه . واستطاع الأمر : تفاقم واشتد ، وبسطم . والوَهْلُ : الخوف ، والذعر . والفرج .

يمتزا بشجاعته وإقدامه ، واعتياده على سلاحه وجواده إذا اشتد الفرع ، وتفاقم المطلب ، وقامت الحرب حل سابق ؛ وبهذا يستطيع مغالبة الأهوال ، وتبديد الخواف ، وكسب النصر .

(٢٧) فاعل « يمر » صغير مستقر ، يعود على « ماخى الفرار » ؛ أي سيفه البتار في البيت السابق . والملم هنا : رموس المحاربين من الأعداء ، وأجسادهم ، الواحدة حامة ، وهي الرأس ، أو أعله ، أو وسطه . وتجس أيضا حل « هانات » . وفي جبل : تكرار وتأكيده لمضى مرور البرق . والضرب : الجياد ، والقتال ؛

فَرَى الرَّجَالَ وَهُوَ بَعْدَ فَتْكِهِ بِهِمْ ، يُظَنُّونَ أَحْيَاهُ وَقَدْ قُتِلُوا (٢٨)
كَانَهُ شُعْلَةً فِي الْكَفِّ قَائِمَةً تَهْفُو بِهَا الرِّيحُ أَحْيَانًا وَتَغْتَدِلُ (٢٩)
لَوْلَا الْبَلَمَةُ الَّتِي يَسْقَى بِهَا نَهْلًا لَكَادَ مِنْ شِدَّةِ اللَّالَاءِ يَشْتَعِلُ (٣٠)

مصدر ضاربه : أى غالبه فى الضرب ، أو ضرب كل منهما الآخر . ولم يعلق به : لم يعلق بالسيف : أى لم يقتل به ، أو لم يصل إليه ، أو لم يصبه . والليل : الليل . وإلاد : ويراد به هنا : دم القتل ، وإلجسي من الأعداء . أنه يفلق بسيفه البتار حامات الحاربين من أعدائه إبان الجلاء والقتال تقليفاً عاجلاً سرعاً ، كأنه البرق الخاطف ، وسيفه لا يكاد يصيب مقتل الرجل حتى يفارقه قبل أن يتفجر منه الدم ، ليسب غيره ، وهكذا ؛ وهذه السرعة الخاطفة المذهلة ؛ والفرس الضفر بشجاعته وإقدامه ، والبيت الآن تكرر وتأكيده لحن هذه السرعة الخاطفة المذهلة ؛ والفرس الضفر بشجاعته وإقدامه ، وسرعة حركته فى الحروب ، ومهارته فى استخدام أسلحة القتال .

(٢٨) رقيقاً ، واقلعين : جمع واقف ، والفتكة : اسم مرة من فتك به (من بابى ضرب وقصر) : أى اقتله ، أو قتله بجراحة . يقول : إن سيفه يفتك بأعدائه فتكاً سريعاً عاطفاً ذريعاً ؛ وهذه السرعة الخاطفة المذهلة يظنون سرعة واقلعين بعد فتكه بهم ؛ ليعجل من يراهم أنهم أسياء ، وهم فى الحقيقة قتل ؛ وهو تكرر وتأكيده لحن البيت السابق . كانه : كأن « ماضى الفرار » : أى سيفه البتار ، والشعلة : حطب النار . وقائمة : ظاهرة . وفى الكف قائمة : تهفو بها الريح ، تحركها ، وتعملها .

يشبه سيفه فى يده - لأمماً ، مشرقاً ، متلألئاً ، مستطيلاً ، كثير الحركة ، سريعاً - بشعلة من النار قائمة فى كفه ، منتصبه ، ظاهرة ، يحركها الهواء ، فتصل وتضرب ، ويسكن ضياء ؛ فتستقيم ، وتختل ؛ وهذه صورة حقيقة صحيحة للسيف فى يده مثله وقت إجلاد والضرب .

(٣٠) « لولا » : حرف يدل على امتناع شيء لوجود غيره ، وهى هنا داخلة على خبرين : أسمية ، لعلية ؛ لربط امتناع الثانية بوجود الأولى ؛ فالاشتغال بمتن لوجود البلاء الذى يسق بها . وقالب فاعل « يسق » ضمير السيف ، الموصوف فى هذا البيت ، والبيت الآن ؛ وأربعة الأبيات السابقة . ويسق بها نهلاً : يسق بها سقياً مروحياً تاماً ؛ مصدر نيل (من باب فرح) : أى شرب حتى روى . وكاد يفعل كذا : هم به ، وقارب ، ولم يفعله . ويلاحظ أن هذا الفعل لا يلائم المبالغة المقصودة هنا ؛ إذ المراد : لولا البلاء الذى يسق بها ، ويروى منها « ماضى الفرار » : أى سيفه البتار ؛ لا شغل اشتغالا من شدة الالام . أما مقاربة الاشتغال فلا تنهض بالمبالغة ؛ ولو وضع « كانه مكان » : كاد ، لا مقام لما م يريده . واللالاء : ضروبه لمان واضطرابه وسرعة . ويشتمل : يتقد ، ويلتهب ، كما تشتعل النار .

يَقُلْ مَا بَقِيَتْ فِي الْكَفِّ قَبَضَتْهُ كُلُّ الْحَيِيدِ، وَلَمْ يَنْزَ بِهِ قَلْلُ (٣١)

بَلْ رُبَّ صَارِيَةٍ هَطَلَتْهَا دَلِيلِيَّةٌ تَنْمُو السَّوَامُ بِهَا، وَالنَّبْتُ يَكْتُمُهَا ٣٢

= وصف سيفه بشدة التآكل والتلف، والبريق والسمان، وأشار إلى كثرة ما يسيله من دماء أعدائه المحاربين، وكثرة قتله وجرحهم؛ وقال: إن هذه الدماء الكثيرة الغزيرة المنطققة تمنقيه وترويه؛ فتضد سدة ثأله وتلكته، ولولاها لا تشتعل اشتعالاً من شدة الغلظة وتوجهه.

(٣١) يقل: يقل، ويكسر. (وبابه رد). وفاعله ضمير «ماضي القراء»: أي السيف النبار في البيت السادس والثمشرين. ومفعوله «كل الحديد». و«ما»: مصدرية ظرفية: أي يقل مدة. = بقائه في كف صاحبه المقاتل به: وهو الشاعر؛ أي يقل ما بقيت قبضته في كفى. وقبضة السيف: مقبضه، حيث تمسكه كف للضارب به. ويراد: «كل الحديد»: الدروع، والبيضات، والخوذات، وسائر الخلق والأسلحة. وتأثر بالقتل (من باب منح): أخذ يدمه، وقتل قاتله. ولم ينأ به: لم ينأ بكل الحديد؛ لأنه هو الملل المثل، المشبه بالقتل. واللبل: التلثم سد السيف ونحوه: أي تكسر شفرته وتلفها. وفواصل: ينأ: أي ولم يصعب هذا السيف شيء من التلثم، أو التلثم، أو التلثم؛ فيكون كالنابر منه السديد الكثير الذي فله، وثلمه، وأثلمه. والوار في الشطر الثاني: وأو الحال. والجملة الفعلية بعدها حالية.

يقول: إن سيفه هذا يقل كل ما يصادفه، أو يقف في طريقه من أسلحة التلثم والقتال، ما دام مسكاً بمقبضه، ضارباً به، عجاذاً؛ ويبقى مع هذا كله، وبعد هذا كله سليماً قاطماً، لا تتلفلظ مضاربه، ولا يكاد يصيبه شيء من الانكلام.

عظم الشاعر بهذا البيت ستة أبيات في وصف سيفه؛ وانتقل في الأبيات الآتية إلى وصف يوم من أيام الطرد وألصقه.

(٣٢) السارية: السحابة تأتي ليلاً: فاعلة من السرى (بوزن المدى): وهو سير عامة الليل.

وهطلة: هاطلة: أي: مطيرة، هطل مطرها متتابعاً، متفرقاً، عظيم القطر. ودانية: قريبة. وتنمو: تزيد، وتكثر. والسوام: والسائمة: الماشية والإبل الزراعية. سامت الماشية (من باب قال): أي رعت، ورعت، وأكلت كيف شامت في عشب وصة. وبها: بالسارية الهطلة: أي بما ينبت مطرها من الكلال والمرى. والنبت: النبات. وأكبل النبت: تم طوله، وظهر لونه.

وصف هذه السحابة المليمة بأنها غزيرة المطر، عظيمة الفائدة، قريبة من الأرض، وأشار إلى بعض آثارها من كثرة المرى، وأكبل النبات، ونماء الماشية.

انتقل الشاعر في هذا البيت والأبيات التالية إلى وصف يوم من أيام الطرد والصيد، بعد أن وصف سيفه في ستة الأبيات السابقة. ويلاحظ أنه لم يمهّد لهذا الانتقال، كما يلاحظ أن الانتصاب، والظفرة، وضمت الروابط بين أمراض القصيدة، وبنو القول — من صفات الشعر الجاهل الذي يحاكيه الشاعر هنا، ويمرر على أسلوبه.

كَانَ أَثَارَهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ رَيْطٌ مُنْشَرَّةٌ فِي الْأَنْزِيرِ ، أَوْ حُلٌّ (٢٣)
يَمْتَنُّهَا بِرِفَاقٍ إِنْ دَعَوَتْ بِهِمْ لَبَسُوا سِرَاعًا ، وَإِنْ أَنْزَلَتْ بِهِمْ نَزَلُوا (٢٤)
قَصْدًا إِلَى الصَّبَدِ ، لَا نَبْغِي بِهِ بَدَلًا وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا فِي شَاتِيهَا عَمَلٌ (٢٥)

(٢٣) آثارها : آثار السارية المخلدة في البيت السابق . وفي كل ناحية : إشارة إلى اتساع هذه الآثار ، وضلعها . والريط : جمع ريفة : وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، ونسباً واحداً . وكل ثوب يشبه المخلعة . ومنشرة : منشورة ، مبسوطة ، غير مطوية : اسم مفعول من نشر الثوب ونشوه = = تنشيراً : أي نشر ، ونشط . ونشبهه بالكثرة والمبالغة . والمخلل : جمع خلّة (بوزن قلة وفلّ) : وهي الثوب الجيد الخفيف ، أو الثوب الساتر لجميع البدن ، أو الثوب بطلانه ، أو ثوبان من جنس واحد ، أو ثلاثة أثواب ، وقد تكون قميصاً ، وإزاراً ، وبداء . صور بالتشبيه آثار هذه السحابة المطيرة ، أو السارية المخلدة اللبانية : فيها أطلعت الأرض زعفرانها وازينت - في مساحة واسعة - بنضرة الكلال ونضرة ، وأقوار النبات وإزهاره ، فكانها اكتست بالجلود الجذبية من الخلل ، والفاخر البهيج من الثياب ، والمطرز الموشى من الرباط ، والملاحف ، والملاعات . (٢٤) يمّتها : يمّت آثار هذه السحابة : أي قصبتها ، وأزديتها ، واتجهت إليها . ويراد بآثارها :

المروج ، والمراعى ، والرياض التي جادتها هذه السارية ، وعمرتها بأسطارها . ويرفاق : مع رفاق : أي صحاب : جمع رفقة : وهم جماعة المرافقين : أي المصاحبين . ودعوت بهم : استحضرتهم ، وصحت بهم ، وفادتهم . ولَبَسُوا : ألبسوا ، وأطاعوا . وأصله الإقاعة . يقال : لب بالمكان (من باب رد) : أي أقام به ، ولزمه ، ثم توسلوا في استعماله : كأن من استسقى ، فلب - قال السنتحي : أنا مقيم على طاعتك ، مستجيب لك . أو هو « لَبَسُوا » . يقال : دعا المرء أضيافه ، فلباه تلبية : أي قال له : « لبيك » : وهو مصدر منصوب ، ثنى على معنى التأكيد : أي إجابة لك بعد إجابة ، وإقامة على طاعتك بعد إقامة . وسراعاً : حال من فاعل « لب » أو « لب » وهو وار الجبابة : أي لبوا سرعين . وبفرده سريع (بوزن ظريف وظراف) . وفزل (من باب جلس) : هبط من علو إلى سفلى . وفزل بالمكان ، وفزل فيه : حل به ، وأقام . و « بهم » : بمصاحبهم ، فالباء هنا المصاحبة . أو هي التندية : لتباسب « إن دعوت بهم لبوا سراعاً » : أي إن ناديتهم أجابوني سرعين ، وإن أنزلتهم في مكان نزلوا معي مطيعين . يقول : إنه قصد إلى المروج التي جادتها هذه السحابة ، ومنه رفقة يتجمعه ، ويسايرونه مطيعين ، مستجيبين سراعاً لتداعاته ودعواته .

وهو بهذا العهد لوصف يوم من أيام الطرد والصيد ، في غسمة الأهباب الآتية : في المروج والمراعى تكثر الغناء والوسوس ، وما يصاد من حيوان البر .

(٢٥) « قصداً » : حال ، بمعنى « قاصدين » من فاعل « يم » فالبيت السابق ، أو مفعول لأجله ، أو مفعول مطلق للفعل عنصرف : أي قصدنا إلى الصبد قصداً . والصيد : مصدر صاعده ، واسم لما يصاد . ولا نبغى : لا نبغى ، ولا نطلب . والثان : الأمر والحال .

حَتَّى إِذَا لَمَعَ الرَّوَادُ مِنْ بَعْدِ وَجَاءَ فَارِطُهُمْ يَمْلُؤُ وَيَسْتَعِيلُ^(٣٧)
تَقَاوَتِ الْخَيْلُ حَتَّى كَادَتْ مِنْ مَرَحٍ يَنْهَبْنَ فِي الْأَرْضِ زُولاَ الْخُمْ وَالشُّكْلُ^(٣٨)
فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ ، أَوْ بَعْضُ ثَانِيَةٍ إِلَّا وَلِلصَّيْدِ فِي سَاعَاتِنَا نُزُلُ^(٣٩)

== يقول : إنما عدنا إلى الصيد ، لا لنتبى فيه ، ولا نطلب بدلا منه ، ولا نريد شيئا سواه ، ولم نستعمل في ذلك اليوم إلا به . والشرط الثاني للخيال في هذا المعنى ، مؤكده له ، فكل نفس تعمل للأمر الذي تقصده . أو كل نفس لما عملها فيها يجها من شغف العيش والحياة .
(٣٦) « إذا » : ظرف لما يستقبل من الزمان ، وفيها معنى الإضرط ، وجواب الشرط في البيت الآتي ، وهو « تقاوت الخيل » . ويجعلنا للشرط والجزاء : « حتى إذا لمع الرواد تقاوت الخيل » . وألغى بيده أو يديرها أشار . والرواد : جمع الرائد : وهو من يتقدم القوم ، ليبصر لهم الكلال ، ويرود المرمى ، ويكشف مساقط النبت ، ويلتمس النجاسة ؛ وقد يرسل القوم وأكدهم في غير هذا من الأمور . والرواد هنا : من أرسلهم الشاعر ورفاقه للبحث عن الصيد : أي عما يستطاع صيده من النفاة وغيرها . ومن بعد : من مكان بعيد . أو من بعد (بضم فسكون) . فاطمهم : فاطمهم : أي متقدمهم ، وسابقهم ، ووسطهم الذي أرسلوا إلى الشاعر ورفاقه يشرحهم بما عرفوا عليه من الصيد ، بعد إلماهم بهذا من بعد . ويعلم ، ويستغل : يرتفع ، ويهبط : أي يختار في حده ، أو سيره إليهم التباد والرواد ، ومرقعات الأرض ، ويخلفها . واستغل يستغل : شد علا يعلو .

(٣٧) تقاوت (بالعين المحجمة) : جواب « إذا » الشرطية في البيت السابق . ومعناه : تآلفت ، وتجمعت ، وتشتتت لحداية الصيد ؛ لأنها أحست إشاوة الرواد ، وفطنت لما حمله فاطمهم من البشري . أو هو « تماوت » (بالعين المهملة) بالمعنى السابق أيضاً . والمرح : فرط النشاط ، وشدة الفرح . ويذهبن في الأرض : يبتلطن . والحجم : جمع لحام (بوزن كتاب وكتب) : وهو الحديدة في قم الفرس . ثم سمى بها ما يتصل بها من الحكتين ، والمذارين ، والسير - بلحاما . والشكل : جمع شكل (بوزن كتاب وكتب) : وهو القيد ، ويحل تشبهه قوائم الدابة ، ووثاق بين يد الدابة وربطها كالقيد . ومعنى هذا البيت وإلى قبله : أن الرواد أشاروا من بعد الشاعر وأصحابه بالشروع في الصيد ، وأرسلوا فاطمهم بطوى الأرض مبشراً ، مؤكداً إشارتهم ؛ فاشتد لهذا مرح الخيل ، وتجمست ، وتشتتت للفراد ، وكثرت حركاتها ؛ ولولا قيودها وأجسامها لانطلقت في الأرض ، وبسقت أصحابها إلى الطرد والصيد ؛ فإنها مدبرة عليهم ، متسرعة بهما ، ماهرة قيهما .

(٣٨) الساعة : جزء من أجزاء الوقت ، والحين وإن قل ، ويجز من أربعة وعشرين جزءاً من الليل والنهار : أي ستون دقيقة ؛ ويبدو أن هذا المعنى هو المراد هنا . و « أو » : حرف عطف ، ومعنى هنا بمعنى « الزاد » ، وتقيد مطلق الجمع . وبعض ثانية : أي وبعض ساعة ثانية : يريد أن أعمال الطرد والصيد لم تستغرق من الوقت غير ساعة واحدة ، ويبرز من ساعة أخرى . وإذا كانت « أو » هنا مفيدة للشك ، كما في قول الله تبارك وتعالى : « قالوا : لئن كنا يوماً ، أو بعض يوم » الآية رقم ١٩ من سورة الكهف - كان -

فَكَانَ يَوْمًا قَضَيْنَا فِيهِ لَلْتَمَنَّا كَمَا اشْتَهَيْنَا ، فَلَا غِش ، وَلَا دَغْلُ ٣٧
هَذَا هُوَ الْعَيْشُ ، لَا لَقَوُ الْحَيِّثِ ، وَلَا مَا يَسْتَفِيرُ بِهِ ذُو الْإِفْكَهِ النَّعِيلُ ٣٨

— المعنى : أن أعمال الطرد والصيد استغرقت من الوقت ساعة ؛ أو بعض ساعة ؛ فهم غير متيقنين في تقدير وقت الطرد ، وقد قدّروه على وجه الشك والظن والتخمين ، لا على الاحتياط والتثبت واليقين . ويراد بالصيد هنا : ما صادوه . والمصاحات : جميع ساحة : وهى المكان الواسع ، وفضاء بين الدور ، لا بناء فيه ، ولا سقف له . والنزل (يضمنين ، أو يفتحتنين ، أو يفتح فكسر) : المنزل ، أو المكان يُنْزَلُ فيه . ومعنى البيت على هذا : أننا على إثر ما بشرنا به فارطنا ، سارعنا بنقلنا إلى الطرد ، فإلى إلا بركة يسيرة ، حتى كانت ساحاتنا مستقرًا لما ظفروا به من الصيد النافر . والنزل (يضمنين ، أو يضم فسكون) : طعام مهمبًا للتزيل : أى الضيف . والمعنى على هذا : أننا أعددنا في ساحاتنا لصيد الذى صدناه ما يحتاج إليه من الطعام والشراب . والنزل (يضمنين ، أو يضم فسكون ، أو يفتحتنين ، أو يفتح فكسر) : الطعام الكثير ، الزاكي النامى ، ذو الخير والبركة ، أو نماء الطعام ، وزكاؤه ، وزيادته ، وبركته ، وكثرة ريعه . واللام في « للصيد » : بمعنى « من » . والمعنى على هذا : أننا جعلنا ما صدناه قِرمًا لمن ينزل بنا . أو : وكان لنا ما صدناه طعام زاك نام ، كثير الخير والفائدة .

(٣٩) فكان يوماً . . . يريد يوم الطرد والصيد الذى وصفه في هذا البيت ، وأربعة الأبيات السابقة . وقضى وطّره أو حاجته : بلهنا ، وفالما . وقضى لذته : أتمها ، وبلغ غايتها . واشتهى الشيء : اشتدّت رغبته فيه ، وتمناه . والفعل : الفساد ، والريبة . وجيب في الأمر يفسده .

ينوء بيوم الطرد والصيد ، واجتماعه فيه برفاقته على الإخلاص والصفاء والنقاء ، وصدق الوداد ، وحسن التماون ؛ وهذا قَسَصُوا في ذلك اليوم وطّره ، وبلغوا غاية ما تمشّوه واشتهته نفوسهم من المتعة واللذة .

(٤٠) هذا : إشارة إلى يوم الطرد والصيد ، وما كان لهم فيه من متعة ولذة ، وصداء ، ورياح بال . والعيش : المعيشة ، والحياة . والحديث : كل ما يُتَحَدَّثُ به من كلام رخيص . ولفوا الحديث : سقطه ، وما لا يُعْتَدُ به منه ، وما لا خير فيه ، ولا فائدة . ويستفّر : يغير ، ويجهّم ، ويستدى . والأذكة (بكسر الهزة وفتحها) : الكذب ، والخداع . وذو الإفكة : الكذاب الخادع . والنزل : انهماك . والنميلة : الغيمة ، والوشاية ، والتوريش ، والتحرّيش ، والإغراء ، وتزيين الكلام بالكذب ، والسعى بالفساد بين الناس .

يشير إلى يوم الطرد والصيد الذى صاحب فيه جماعة من إخوان الصفاء ، فقتضوا فيه وطّره ، وحققوا مآربهم ، في مرح ولذة ، ومتعة ، وطفة قلب ولسان ، وصدق وداد ، ورياح بال ، وهناة حال .

إِنَّ النِّيمَةَ وَالْأَفْوَاهُ تُضَرِّمُهَا نَارٌ مُحَرَّقَةٌ لَيْسَتْ لَهَا سُعْلٌ^(٤١)
فَاتْبِعْ هَوَاكَ، وَدَعْ مَا يَسْتَرَابُ بِهِ فَكَثُرَ النَّاسُ - إِنَّ جَرَبَتَهُمْ هَمَلٌ^(٤٢)

ـ ويقول : إن هذه هي الحياة الطليبة الممتدة ، الهنيئة المحمودة ؛ وليست الحياة في جملة ذرى الإنكسار والكذب والهمية ، ومصاحبة القواشين ، المخادعين ، الساعين بين الناس بالفساد ؛ وليست في تضييع الوقت في لغو الكلام وسقطه وباطله ، وبالا غير فيه ، ولا فائدة منه .

وهذا كله توطئة وتهديد للانتقال من وصف يوم الصيد إلى قصة أبيات أجراها مجرى الحكم والأمثال ، ونسبها بعض نصالحة وإرشاداته .

(٤١) النِّيمَةُ : اسم من ثم الحديث (من بابي قتل وضرب) : أي سعى به ليقع فتنة ، أو وحشة . أو أظهره بالشياطة ، ووضه على وجه الإشاعة والإفساد . وتم بين الناس : ورمش ، وأغرى . وتم الكلام : زنته بالكذب . والأفواه : جمع الفم : وهو الفم . ويراد بالأفواه هنا : الألسنة . وتضرمها : تظلمها ، وتظلمها ، وتظلمها : أي تضرم النِّيمَةَ ، على تشبيهها بالنار . وبجملته : « والأفواه تضرمها » : حال من انهمية . ومحركة : اسم فاعل من التحريق ؛ وتشديد الزاء للدلالة على الكثرة . والشعل : جمع شعلة (بورق غرة وفندق) : وهي لب النار ، وما أشعلها به من الخطب ونحوه . وليست لها شعل : كناية من إخفاء هذه النار ، واستتارها ، على الرغم من أنها ظلمة التحريق ، شديدة الإقلاق والتمزيق ، ويلاحظ أن أصل النِّيمَةِ في اللغة : الحمس ، والحركة الخفيفة الخفية .

في البيت السابق استفتح استغارة التمام الأفلاك ، واستشع إنكسار نعيمته ، وأخرجته من عداد ذرى الحياة الطليبة الكريمة ، النقية المحمودة . وفي هذا البيت شبه النِّيمَةَ بظلمة لسان التمام - بالنار القديمة الحامية الخفية ، تحرق المودة بين المطلق عنه والمقتول إليه ، وتفسد أحوال الناس ، وتمزق الأواصر ، وتقطع الصلات ، وتوظف اللغة ، وتبحث الخصومات والمداوات .

(٤٢) الهوى : مصدر هو به هواء (كرضيه يرضاه) : أي أحبّه ، واشتهاه ، وجسمه أهواه . والهوى : الشهوة التي تهواه . دوح : أترك ، واجتنب . واستراب به : رأى منه ، ما يكرهه ، ويربّه : أي يجعله شاكاً غير مستحق . أو يربيه بالرغبة : وهي الظن ، والشك ، والهمة . وفي الحديث : « دح ما يربيك إلى ما لا يربيك » . دوح ما يستراب به : اجتنب الأمور التي يراها الناس ، أو تراها أنت مدعاة للفتنة ، والشك ، والهمة : أي الاهتمام . والحمل : المهدل ، المتروك قليلاً ونحوها ؛ بلا رعاية ، ولا عناية . والمضي : استجب لأهوائك ، واتبع ميول نفسك ، وحقق لها رغباتها ما دامت سليمة مستقيمة ، وما دامت بعيداً من الربوب والشكوك ، والهم والشجاعت ، مجتنباً كل ما يشكك ويهيبك ، ويؤسره ظن الناس بك ؛ فإذا التزمت هذا المنهج ، فلا تكثر نقد الناس ، ولا تباله ، فإن أكثرهم - مع التجربة - هم لا يقر به له ، ولا يمتد به ، ولا يبول عليه .

وَأَخْلَزَ عَنُوكَ تَسْلَمَ مِنْ خَلِيعَتِهِ إِنَّ الْعَدَاةَ جُرْحٌ لَيْسَ يَنْدَمِلُ (٤٣)
وَعَالِجُ السَّرِّ بِالْكَيْمَانِ تَحْدَهُ فَرِيماً كَانَ فِي إِنْشَائِهِ الزَّلْزَلُ (٤٤)
وَلَا تَكُنْ مُسْرِفاً غِراً ، وَلَا بَخِلاً فَيَسْتِ الْخَلَّةُ : الْإِسْرَافُ بِوَالْبَخْلِ (٤٥)

(٤٣) الخديعة : اسم من خدعه (من باب قطع) : أي خطه ، وقتر به ، وأظهر له خلاف ما ينبغي ، وأراد به السوء والمكر من حيث لا يدري . ويستعمل : يلتزم ، ويتأمل ، ويعبر .

يدعو إلى الاستعزاز من العدو ، والإقامة على توقيفه ؛ وهذا يعلم المحترز من شر أعدائه ومكرهم ، ويشتكهم ، ويذيعهم .

والشطر الثاني تذييل جار مجرى المثل ، مؤكداً لمعنى الشطر الأول ؛ وفيه زيادة توضيح على الخبر ، والتشويق ، والاستعزاز ؛ فإن حداوة العدو داهيه ، لا دواه له ، وجرح داه لا يبرئ يرقه ، أو انصافه ، والتمناه ؛ والعداوة - قطعاً - تنسج الشر والأذى ، وتدعو إلى الخلل والخديعة ، وتقرى بالكيد والمكر السيئ ، والترس بالمعادي ، وإشهار الخلد والعدوان .

(٤٤) عالج الشيء معالجه ومعالجاً : زاوله ومارسه ، وعالج المريض : دواه ، ويراد بعلاج السر بالكمائن : المحافظة عليه ، وصيافته ووقايته ؛ لأن الإفشاء ، أو التفريط في كتمان ، والتهاون بإخفائه يذهب بقيمته ، ويضيع فائدته ، ويجعله مصدر شر وأذى ، وسبب أكفات وأضرار . وتحصنه : مضارع حمده (كفهمه) . أو تحصنه : مضارع أحسنه إحصاداً ؛ أي تجده محمداً ، وتقرى عنه ، وترتفع له : أي تجد الكمائن محمداً ، أو تجد السر محمداً بالكمائن ؛ وذلك لأن السر لا يربى غيره إلا بكتمان ، والمحافظة في ستره وإخفائه ؛ ويلاحظ أن الفعل « تحصد » مرفوع ؛ وحقه أن يحزم جريراً على الكثير الغالب واللغة العالية القصصية ؛ لأنه واقع في جواب الأمر ، وهو « عالج » . ويجوز أن نقرأ جملة « تحصد » حالا من فاعل « عالج » ؛ أي عالج السر بالكمائن وألف تحصد . أو حاصداً له ؛ وهذا الإعراب محمى الكلام على النصفي ، ويستقيم على الطريقة المثل . و « وب » : حرف جر ، معناه هنا التأكيد وقد اتصلت به « ما » الزائدة ، فكففت عن جر ما بعده ، وصيغته للدخول على الجمل الفعلية . والزلل : السقوط والضرر .

ولمضى : أن السر لا قيمة له ، ولا فائدة منه ؛ ولا تحصد حاقبه إلا إذا حوطه عليه ، ويولج في صيافته ووقايته ، بإخفائه وكتمان ؛ أما التفريط فيه ، أو التهاون به ، فإنه يجلب البدم والضرر ، والأذى والزلل ، وسوء العواقب ، وشر الكفبات .

(٤٥) أسرف إسرافاً : جاوز القصد . وأسرف في ماله : بدله تبديراً ؛ وألفقه فيما لا ينبغي . والمصرف : اسم فاعل منه . والفر : من يهمل الأمور ، ويغفل عنها ، ويستخف إذا شئخ ؛ لقلة -

وَلَا يَهْمُكَ بَعْضُ الْأَمْرِ تَسَامُهُ لَا يَنْتَهِي الشُّغْلُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَجَلُ^(٤٧)
وَأَعْرِفْ مَوَاضِعَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ عَمَلٍ فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ يَحْسُنُ الْعَمَلُ^(٤٨)

— تجربته ، وعدم فلتته ؛ وقد جملة الشاعر صفة المصروف ؛ كأن الإسراف في المال من الفزارة ، والغفلة ، وقلة الفطنة ، ونقص التجربة . ويخل (من أبواب تب ، وقرب ، وفهم) ، فهو يخل (يوزن شر) . أو يخل (يفتحتين) : وصف بالمصدر . والحلة : الخصلة (يفتح فسكون فيها) : وهي خلق في الإنسان ، يكون فضيلة ، أو رذيلة . يقال : فيه حلة حسنة ، وبغلة سيئة . ويجمعها خلل . وتفصيل الكلام هنا : فيست الحلة الإسراف والتبذير ومجاوزة القصد في الإنفاق ؛ وبست الحلة البخل والشح والتعتير والحرس المغوت .

يعدو إلى فضيلة القصد والاعتدال ، ويلم رذيلتي البخل والإسراف ، وينهى عنهما ، وهما يلايس الإسراف من الفزارة والجهل ، والغفلة والاندفاع .

(٤٦) لا يهمنك : لا يحزنك . هم الأمر (من باب رد) ، وأهمه : أقلقه ، وحزنه ، وأزعجه ، وأثار اهتمامه واهتمامه . والأمر : الحال ، والشأن . ويجمعه أمور . والأمر : الطلب ، أو الشيء المأمور به ، ويجمعه أوامر . وأمرته بكذا : إذا فرضته عليه ، وكلفت أن يفعله . ورشمه (من باب تب) : مله ، وضجر منه ، وقهر به . وانتهى الشيء : بلغ نهايته وغايته ومداه . والشغل (بضم فسكون) : شد الفراغ ؛ ويطلق على العمل ، وعلى ما يصل . أو هو يفتح الشين وسكون النين : مصدر شغل بكذا (من باب نفع) : أي جملة مشغولة به . وشغله الأمر كذلك . والأجل : المدة المفروضة لحياة المرء . وجاء أجله : حان موته . ويجمعه آجال .

ومعنى البيت : إذا ما رست أمراً من أمور الحياة ، أو أوارها ؛ فأهلك بعضه وحزنك وأضجرك ؛ فلا تبس ، ولا تبس ، واضرد الملل والسامة والفسح ، واستعن عليه بالصبر والرفق والأناة ، وما يلح باجده ، ولذاب والمنااة ؛ حتى يخطاك لك ، وتغلب عليه .

والشطر الثاني قليل يذكرك هذا المعنى ويمزجه ؛ فالحياة الدنيا كلها عمل وتعب وجهاد ؛ والإنسان إنما خلق فيها ليجهد ويمثل ويدأب ما دام حياً ، ولا ينتهى عمله فيها إلا بانتهاء حياته .

(٤٧) مواضع : أماكن : جميع مواضع (يوزن مسجد ، وملعب) . وأق الأمر يأتيه (من باب رم) : فعله . والحين : الوقت ، ويجمعه أحيان .

ومعنى الشطر الأول : أن نجاه الأعمال وإحسانها يتطلب تنظيمها وترتيبها فيها يلائمها ويناسبها من الأزمنة والأمكنة ؛ فإذا أحسن المرء تقسيم أعماله وأوقاته ، وعرف كيف يختير لكل عمل موضعه من وقته — نجحت أعماله ، واستمرت له أمور ، وأما فته هذه المخرقة ، وهذا التقسيم والتنظيم على الإحسان والإتقان .

قَالَ رَيْثٌ يُحَمَّدُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ ، كَمَا
فِي بَعْضِ حَالَاتِهِ يُسْتَحْسَنُ الْعَجَلُ (٤٨)
هَذَا هُوَ الْأَدَبُ الْمَأْثُورُ ، فَارْضَ بِهِ
عِلْمًا لِنَفْسِكَ ، فَالْأَخْلَاقُ تَنْتَقِلُ (٤٩)

— والشطر الثاني تذييل في هذا المعنى ؛ فالعمل بحسن ، ويجوز ، ويسهل إذا عمل فيها يناسبه من الوقت .
وعمل العكس يسوء ، ويقبح ، ويصعب ، ويشتر إذا وقع في زمن لا يلائمه .

(٤٨) الريث : الإبطاء : مصدر راث (من باب باع) . وضده التسجل . وبمثل الصجلة (وبمثل
من باب طرب) وفي مثل : « ربّ حيلة أعقبت ريثا » . والامور : الاسوال : والشئون ، واحداً أمر .
يدعو إلى مراعاة ما يتعلّق به كلّ أمر من الريث ، أو العجلة ؛ ففي بعض الأحوال يستحسن التأني ؛
ويطلب ، فصحح عواقبه . وقد تتطلب الحال العجلة ، فتنجّ النجح والسلامة . وفي البيت السابق دعا إلى
حسن تنظيم الأعمال فيها يناسبها من الأمانة والأمانة ؛ وما يتصل بهذا التنظيم ويلائمه ، مراعاة ما تتطلبه
الأمر من الريث ، أو العجلة ؛ وهو ما دعا إليه في هذا البيت الذي أغلّه من البيتين الآتيين :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
وربما ضرّ بعض الناس بطولهم وكان خيراً لم لو أنهم عجلوا

(٤٩) هذا : يشير إلى ما سبق عليه ، ودعا إليه في تسعة الآيات السابقة من الفضائل والحامد ،
وما نفع منه ، ونهى عنه من الرذائل والمفاسد . والأدب : رياضة النفس بالتعليم والتأديب على ما ينبغي
من مكارم الأخلاق ، وبخاصة الخصال . والمأثور : المنقول ، ينقله الخلف عن السلف . وأثر الحديث
عن غيره (من بابي نصر ، وضرب) : نقله ، ذكره ، رواه . والعلم : المعرفة . وعلماً لنفسك : علماً
برؤس نفسك ، ويؤدبها ، ويؤدبها ، ويعهد لها طرق الخير والسعادة . والأخلاق : جميع خلق (بضمين
أو بضم فسكون) : وهو السجية ، والفريضة ، والطبيعة ، والمادة ، أو هو حال النفس راسخة ، تصدر عنها
الأفعال من غير حاجة إلى فكر وروية . وانتقال الأخلاق — بالمال المتقدمة — يكون بالقنوة ، والتوسيع ،
والدعاية ، والتعليم ، ورواية المأثور من الحكم والأخبار ، والإفادة من الوصايا والمواظ ، والإقبال
على الأدب الرفيع المال شمره ونشره .

ينوه بما تضمنته الآيات التسعة الماضية من نصيح وإرشاد ، وسكّن وحكمة ، وتنبية وتوبيخ ، وترغيب
وترهيب تناول بعض الفضائل والرذائل .

ويقول : إن هذا هو الأدب الذي ينبغي أن يؤثروا به ، ويتناقله الناس راضين ومتقبلين ، يعرفونه —

مِنْ كُلِّ بَيْتٍ إِذَا الْإِنْشَادُ سِيرَهُ فَلَيْسَ يَمْنَعُهُ سَهْلٌ، وَلَا جَبَلٌ (١٠)
لَمْ تُبْنَ قَافِيَةُ فَيْدٍ عَلَى خَلَلٍ كَلَّا، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي رَضْفِهَا الْجُمْلُ (١١)

= ويمتثلونه ، ويؤدبون به أنفسهم ، ويأخذونها باستقامة السلوك ، وسكّارم الأخلاق ؛ ولا غرو ؛ فإن
الأعلاق تنتقل بالقدرية والتوجيه ، والتعليم والترغيب .

والشاعر في هذا البيت وفي خمسة الأبيات الآتية إلى نهاية هذه القصيدة - ينتقل من الحكمة والنصح
والإرشاد إلى الفخر بأدبه وشعره .

(٥٠) « من » : بيانية . و « كل بيت » : بيان لأدبه الذي نود به في البيت السابق : يريد
تسعة أبيات التي وردت قبله ، وجرت مجرى الحكم والأمثال . وقد يقصد التعميم ، ويعني كل بيت من
أبيات هذه اللامية المطلوبة ؛ أو كل بيت في ديوان شعره الذي لا يفتأ يهتجى به ، ويفخر في غير سرف أو
مغالة . والإنشاد : مصدر أشهد شعراً ؛ أي قرأه ، رافعاً به صوته . وسيره : أساره ، وأذاعه ؛ أي جملة
سائر منشوراً دائماً بين الناس . ويمنحه : يكفه ، ويصدّه ، ويعوقه ، ويقفه . والسهل : ما انبسط من
الأرض ؛ وهو خلاف الحزن ، والحضبة ، والجبل . وجمعه سهول .

يلتصّر بأن شعره كله ذائع شائع في كل مكان ، وصل كل لسان ، تجرى به الرواية والإنشاد ،
ولا يكاد يصفق فيه .

(٥١) بين الشاعر الثقافية أو القصيدة : أقامها ، وأحكم نظمها ، وأجاد إنشاعها ، وأحسن
تأليفها : مستعار من المعنى الأصلي البناء ، أو البناء . والثقافية من قوافي الشعر : آخر كلمة في البيت .
وفي علم القوافي : من آخر حرف ساكن في البيت إلى أول حرف متحرك ، قبل ساكن بينهما . وبضمير
آخر : هي الحروف التي تبدأ بمتحرك يليه آخر ساكنين في آخر البيت ؛ فقافية هذا البيت مثلاً :
« ها الجمل » ؛ لأن الواو الفاشية من إشباع ضمة اللام في آخر البيت - هي آخر حرف ساكن فيه ،
والهاء أول حرف متحرك قبل لام « ال » ، وهي الحرف الساكن الذي بينهما . وبهت زهير بن
أبي سلمى :

ومن يك ذا فضل - فيبخل بفضله على قومه - يستلن عنه ، ويذم

قافيه كلمة : « يذم » . ويلاحظ أن كسرة الميم الأخيرة مشبعة ، تلد بعدها ياء ساكنة . وفيه : في
البيت . وبخل : رعن ، وضعب ، وفساد . وبخل الثقافية : حيوها ؛ ومن هذه المويوب : « السناد » (بوزن
كتاب) ، وسياق تفسيره في البيت الآتي . و « كَلَّا » : حرف يلفظ الرفع والجر . و « رَدَّه » : ورجعه ؛
كفه ، وسّته . ونهاه بشدة وصرامة ؛ كأن الشاعر يؤكد في البيت ، أو الضمف ، أو الفساد في بناء قوافيه ،
ويؤكد سلامة هذه القوافي من كل المويوب يردح من يفرض فيها ، أو في شيء منها الخلل ، أو يظننه ، أو -

فَلَا سِنَادٌ ، وَلَا حَقُّوْ ، وَلَا قَلَقٌ وَلَا سُقُوْطٌ بَوْلًا سَهْوٌ ، وَلَا جِلَلٌ ٥٧

— يترجمه : وثائق « كلا » بمعنى « سقا » ، وهومن المماثل المناسبة هنا ؛ إذ يؤكد معنى الفطر الأول ، وهو من الميوب ، ولتقرير السلامة والإتقان . والرصف : مصدر رصف الحجارة وقصوها في البناء (من باب نصر) : أى رصها ، وضم بعضها إلى بعض فى نظام ، واتساق ، وإحكام . ومن الجواز : كلام رصيف : أى رصيف ، يحكم النظم ، جيد التأليف ، جميل التصفيق . واختلاف الرصف : معناه اختلاف البناء . ومعنى « لم تختلف الجمل فى رصفها » : أن الجمل فى هذا الشعر متلاحقة ، متسقة ، منتظمة ، منسجمة ، تجري على نمط متقارب .

والمعنى : أن قوافيه كلها سليمة البناء ، مبرأة من الميوب . وجمله كذلك ، لا يميزها اختلاف ، أو تنافر ؛ بل يزيها الاتساق ، والاتقان ، وحسن التأليف .

(٥٢) السناد فى القافية : اختلاف ما يرامى قبل الروى من الحروف ، والحركات ؛ وهو من ميوب الشعر ؛ وتوضيح هذا : أن من حروف القافية الروى : وهو حرف يثبت عليه القصيدة ، ونسبت إليه ؛ فهذه القصيدة — مثلاً — لامية : أى رويها اللام . ومن حروف القافية أيضاً : الروف (بكسر فسكون) : وهو حرف ساكن من حروف المد واللين ، يقع قبل حرف الروى ، متصلاً به ، كالواو والياء فى قول امرئ القيس الكندي :

أجارتنا ، إن الخطوب تنوب وإني مقم ما أقام . صيب
فهذا بيت مصرع ، ورويه الباء . ورويه فى المصراع الأول الواو فى « تنوب » ، وفى المصراع الثانى الياء فى « صيب » . والسناد (يوزن كتاب) : أحد ميوب القافية ، وهو أنواع ، منها سناد الروف ، ومنها : أن يأتي الشاعر بحرف الروف فى بيت ، ويتركه فى بيت آخر من قصيدته ، كقول الغائل :

إذا كنت فى حاجة مرسل فأرسل لييبا ، ولا توصه
وإن بات أمر عليك التوى ، فشاور حكيماً ، ولا تعصه

فالشاعر أتى بالروف فى البيت الأول : وهو الواو التى قبل الصاد فى « توصه » ، ولم يأت به فى البيت الثانى . والخطو : زيادة فى الكلام ، لا قيمة لها ، ولا فائدة منها . واللقن : الاضطراب ، وعدم الاستقرار . وكلام قلق : مضطرب ، فاسد ، غير فصيح ، ولا بليغ ، ولا واضح الدلالة . وقافية قلقة : لائبة ، متجالية ، غير مستقرة فى مكانها ، ولا ملائمة ، يأبأها ذوق الأديب . والسقوط : مصدر سقط (من باب نعت) فى الكلام : أى زلّ ، وأخطأ . والسهو : مصدر سها عن الشيء (من بابى هذا ، وسها) : أى غفل عنه ، وذهب قلبه إلى غيره . ويراد بالسهو هنا : الميوب التى تقع فى الكلام والشعر بسبب سهو المتكلم والشاعر ، أو غفلته ، أو قلّة نظنته ، أو اضطراب تفكيره ، وتشتت ذهنه . ولعل : جمع حلة : —

تَغَايَرَتْ فِيهِ أَسْمَاعٌ وَأَفْسِدَتْ فَكُلُّ نَادٍ عَكَاظٌ ، حِينَ يُرْتَجَلُ (٥٣)

صيرداد بها التغير الذي يلحق ببعض أجزاء الشعر ؛ فينقص جمال وزنه ، وروعة موسيقاه .

أشار إلى ستة من عيوب الكلام : لفظه ، ونثره ، ونفى عن شعره كل ما يشينه ويهيبه في نسجه وتأليفه .
ورؤيته وموسيقاه ، ومناها ومنغزاه .

(٥٣) تغايرت : اختلفت ؛ بمعنى ترددت ؛ أي رجعت مرة بعد أخرى . ولبه : إليه ؛ أي في هذا ؛ بمعنى « إلى » ؛ أي تغايرت أسماء وأفئدة إلى هذا الشعر الرائع الفائق ، المحجب المطرب . وقد يكون للتغاير هنا ؛ بمعنى الاختلاف والاعتصام ؛ وكان البارودي ينظر إلى قول أبي الطيب المنتهى :
أنام مله جفوني عن شواهدا ويسر الخلق جراحا ، ويغضص

والمنى ؛ أن الناس يختلفون في تعرف هذا الشعر ولقده ، ويختصمون في دراسته وتفهمه ؛ فهو مادة غزيرة لباحة ، وبحال واسع لنسج لاختلاف النظرات والدراسات

أو لعل هذه الكلمة مخرقة في أصل النهران عن « تغاورت » ؛ بمعنى تشارحت ، وتخاصمت ، وتخاصمت . يقال : تشاح الناس في كذا ، أو عليه ؛ إذا شح به بعضهم على بعض ، وحرسوا عليه ، وتسايقوا إليه ، وتناصروا فيه . والنادى : مجلس القوم ما داموا مجتمعين فيه ، وجمعه أندية . وتعاكفوا : تناشدوا الأشعار ، وتفاخروا ، وتجادلوا وتبايعوا . ومنه « عكاظ » (يذكر ، ويؤثث) ؛ وهو أشهر أسواق العرب في جاهليتهم . وكان يقام عشرين يوماً كل عام ، في شوال ، أو ذي القعدة ، بين « فخذلة » و « الطائف » ، على بعد ثلاث ليال من مكة ، ولبه تجتمع قبائل العرب للعكاظ . ويرتجل : المراد : يلقى ، وينشد ، ونائب فاحله ؛ ضمير ستر يعود على « كل بيت » في البيت الخمسين . (لا يرتجل) (في الأصل) : ابتداء الكلام بلا روية . يقال : ارتجل الخطيب خطبته والشاعر قصيدته ؛ إذا ابتدئها من غير تهية ، أو إعداد .

يفخر بأن شعره قد جمع من المزايا والخصائص ما جعله شديد التأثير في عوالم الناس ، ويعظمهم وأصحابهم ، وقدرهم ؛ فهي تتسابق إليه ، وتتنافس في روايته وسفله ، وتختلف في دراسته ونقده ، وتغن به ، وتحرص عليه

وإذا تناشده المتناشدون في أندية الأدب ، ومناجده — وأيت كل ناد منها شيئاً يسوق « عكاظ » ولا غرو ؛ فهذه القصيدة وكثير من شعر البارودي يفضي شعر الفحول من شعراء العصر الجاهلي في جزالة لفظه ، ورسالة تأليفه ، واستحكام نسجه ، وقوة جبره ، وجرياله على السليقة والطبيعة .

لَا تُنْكِرُ الْكَآبِبُ الْحَسَنَاءُ مَنَظِقَهُ وَلَا يُعَادُ عَلَى قَوْمٍ، فَيُبْتَدَلُ (٥٤)

(٥٤) فكر الأمر (من باب فرح) ، وأنكره إنكاراً : جهله ، ولم يعرفه . وأذكر عليه فعله ، أو قوله : حابه ، واستجنته : ونهاه عنه . والكآبيب : الناحد : وهي الفتاة التي كسب لديها : أي بهت ، وأفتقر : وفتناً ، وارتفع ، وبرز ، وظاهر ، وأجمع كواضب . والمنطق : الكلام ، ويصدر تعلق : أي تكلم . و « منطقه » : منطق أدبه المأثور الذي نوه به في البيت التاسع والأربعين . أو منطق كل بيت من أبيات شعره . ويراد منطق الشعر : جرسه ، وقبضه ، وتأثيره ، وحسن بيانه ، وجعل موسيقاه . ويعاد : يكرر : من الإعادة : وهي التكرار . ويبتدل : يمتن : من ابتدل الثوب ولحمه : أي استبدله ، والاستبداء به : وعدم صباه . وجملة « يبتدل » : غير متعللة بحرف ، والتقدير : فهو يبتدل . والقاء هنا : للاختلاف ، كما في قول أقدتبارك وتعالى : « ولا يؤذن لهم ، لم يمتثلون » . الآية رقم ٣٦ من سورة المرسلات .

والمنى : أن الكواضب الحسان يعرفن شعره ، ويعلمونه . أو أنه إذا أشد لفاحه الحساء لم تجهل جرسه وقبضه ، وحسن بيانه . ويجعل موسيقاه . أو أنها لا تستهجن منه شيئاً ، إذ ليس فيه ما يجعل الغاليات ، أو يندى له جبين الحياء ، وإنه ليعاد ، ويكرر ، فيبقى له - مع الإعادة ، والترديد ، والتكرار - قيمته ، ولغاسه ، وروحه .

غتم الشاعر هذه القصيدة بسة أبيات لظنها في الفخر بشعره ، والتفويه بمزاياه ، وسلامته من العيوب والمشاين ، وتعلق الأسماح والقلوب به ، وأشأله على ما يجلب النفوس ، ويهيئ مكارم الأخلاق ؛ ويردونه وذيقوه والانشاء في كل مكان ، وعلى كل لسان ، وتنافس الناس في روايته وسفله وإنشاده والتنى به ، وارتجاع الكواضب الحسان لجرسه وقبضه وموسيقاه ، واحتفاظه بقيمته ولغاسه مع الإعادة والتكرار .

تلخيص وتعليق

افتتح الشاعر هذه القصيدة بالفتل ، وبيان أثر الحب في نفسه ، وشكوى الين والفراق ، والتلذذ باللقاء لأحباله ، وإظهار التبرم بمآذله ؛ فاستغرق في هذا الغرض خمسة عشر بيتاً . وينتقل إلى الفخر بإقدامه وشجاعته في الحروب ، ووصف جواده ، وسيفه في ستة عشر بيتاً . وبلا توطئة أو تمهيد انتقل من هذا إلى وصفت سحابة بمطرة ، ويوم مجمع من أيام القدر والميد في تسعة أبيات ، وكأنه أبقى إلا محاكاة الشعر الجاهل في كل خصائصه وذنوائه ، ومنها الاقتضاب والقرعة ، وضمت الروابط والصلات بين أغراض القصيدة ، وفتح الكلام . وبعد هذا أورد ثمانية أبيات في الحكمة والنصح ، ثم غتم القصيدة بسة أبيات في الفخر بأدبه وشعره .

فهذه أربعة وخمسون بيتاً سلك فيها مسلك النحول من قدامى الشيوخ في سبالة اللفظ . وصلاحيته ، واستحكام التأليف وروايته ، وجرمان التقليل على السليقة والطبيعة ، وساكلم في أغراضهم ، وما فيهم ، وأنجيلهم ، وتشبياتهم ؛ ويتركس ما اقتضاه الحال من صور البيئة البدوية الصحراوية : ومظاهر الحياة والأحياء في تلك الصحارى والقفار .

القصيدة الثامنة والثلاثون

وَقَالَ :

رُدِّي الْكَرَى لِأَرَاكِ فِي أَخْلَامِي إِنْ كَانَ وَعْدُكَ لَا يَفِي بِإِعْسَامِي^(١)
أَوْ فَابْعَيْ قَلْبِي إِلَيَّ ، فَإِنَّهُ جَارَى هَوَاكِ ، فَقَادَهُ بِزِمَامِي^(٢)
قَدْ كَانَ خَلْفَنِي لِمَوْعِدِ صَاعَةٍ مِنْ يَوْمِهِ ، فَقَضَى مَسِيرَةَ عَامِي^(٣)

(١) الكرى : النوم . والذمام : العهد والحق . وفي الأصل المخطوط : « بزمام » بالزاي . وهو من تحريف الناسخ .

يقول : إن المشق منله لومه ، وأرثته الأرق والسهاد . ومشتقته تمد بالوصال ، ولا تكاد تنى بذمة الوجد ، أي بحقه وحرمة . وقد عزّ لقاءها ، واستصعبت عليه رؤيتها في اليقظة ؛ فطلب إليها أن تردّ إليه أمانة التماس ، وراحة النوم ، ليرأها في منامه وأحلامه . ولا ريب أن الحلم أو الرؤيا المنامية تخفف ما يؤرقه ويفنيه من حرق الوجد والصبابة ، ولواصف الشوق والغرام .

(٢) جارى هواك : جرى مع الحب ، وسأيره ، وتبعه ، وانقاد له ، ووقع في أسرهِ . والزمام : المقود . وقاده بزمامه : أي قاد هواك قلبى بزمام القلب ؛ فاطوى قائد . والقلب مقود . والزمام حبل المقادة وأداتها .

استهوتّه هذه الحسنة التي يشيب بها ، وسيطرت عليه ، وسلبتة عقله ، وأورثته الأرق والسهاد ، وحرمة أمانة التماس ، ومماطلته بحقه في القرب والوصال ؛ فخيرها في هذا البيت والذي قبله بين ثلاثة : أن تنى له بوعدها ، ليسعد بقربها . أو ترد إليه النوم ، ليرأها في الأحلام . أو تמיד إليه لقّاده ، وتفكك إيساره ، ليجيا حياة اللذة والاستقرار . وفي ستة الأبيات الآتية حديث شائق من قلبه الذي تعلق بهذه الحسنة ، وانقاد لهوى ، ووقع في أسرهِ .

(٣) خلّفتى : تركنى ، وفارقتى . وقضى : مضى وذهب . ومسيره : سير . والمراد أن غيبته طالّت وانقطعت . أو هى « قسا » (من باهى عدا ، وسما) . يقال : قسا عنى : أى بعد عنى ، وفانى . يقول : إن قلبه فارقه على أن يحمّد إليه بمد ساعة واحدة ، فما لبث أن وقع في شرك الهوى ، وإسار الغرام ، لطالّت غيبته وانقطعت ، وبعدت الشقة بينهما ، وتمسرت العودة .

لَمْ أَفْرِ : هَلْ ثَابَتَ إِلَيْهِ أَتَانُهُ أَمْ لَمْ يَزَلْ فِي غَيْبِهِ وَهَيْامِهِ^(٤)

عَهْدِي بِهِ صَعْبُ الْقِيَادِ . فَمَا لَهُ أَلْقَى يَدًا لِلْسُلْمِ بَعْدَ غَسَرَامِي^(٥)

خَذَعَتْهُ سَاحِرَةُ الْعَيْنِ بِنَظَرَةٍ مِنْهَا ، فَمَلَكَهَا عِذَارَ لِحَامِي^(٦)

(٤) ثابت : رجعت وصعدت (و بابه قال) . والأناة : الحلم والوقار ، والنبوة ، والفراسة .
والغنى : الإيمان في الضلال ، والتمسك في اليأس . وليام : جنون المشرق . والاستفهام في أول البيت :
من تجاهل المعارف . والفرض منه إظهار التحسر والتلهف ، قال الشاعر يعلم أن قلبه مازال سادراً في غيه
وهيامه ، وأن أفته لم تعد إليه . و « أم » في الشطر الثاني منقطعة بمعنى « بل » وتقيد الإضراب .

في البيت السابق قال : إن قلبه فازره مستهاً بتلك الحسنة ، فطال غيابه عنه ، وانقطعت صلته به .
وفي هذا البيت سأل في تجاهل ولغة وحسرة : هل عادت إليه أفته ، فأنقذ عن غيابه ، وأصبحت عودته
مرجوة ؟ ولكنه ما لبث أن أضرب عن هذا السؤال ، وقرر في يأس وأسى أن قلبه ما زال سادراً في غرامه
وهيامه .

(٥) العهد هنا : العلم والمعرفة . و « عهدى به صعب القياد » : أى عرفت قلبى لا يتقاد ،
ولا يتطاع . والاستفهام : معناه التسجيّب ؛ فهو يستجيّب من انقياده ، وقد عرفه من قبل أبيعاً قوياً عصياً ،
لا يطيع ، ولا يستكين . وقد يكون للإنكار ؛ فهو ينكر على قلبه هذا الانقياد ، ويعيبه ، وينهاه عنه . ومن
معاني اليد : الطاعة والاستسلام . والسلم : المسألة والصلح . وألقى يده إلى السلم : أى خضع وتطامن ،
واستكان .

يقول : إنه عرف قلبه قوياً أبيعاً ، سرفساً عصياً ، لا يطيع ، ولا يستكين ، ولا يتطامن ، ولا يتقاد ؛
فلما أفرم هذه الحسنة ذهب الفرام بإيائه وكبريائه ، وفرض عليه الخضوع والتطامن ، والانقياد والاستسلام ؛
فكان هذا ثمار المحب والدهش ، أو الإنكار والاستهجان .

(٦) يقولون : عين ساحرة ، وعيون سواحر : يشيرون بالسحر إلى ما فيها من جاذبية وإسالة
وتأثير شديد ، وحسن فائق ، وجمال باهر . والجمام : ما يجعل في فم الفرس نحوه من الحديد والحكمتين ،
ليمنعه من مخالفة راكبه . والمذار : ما سأل من الجمام على خد الفرس ، وهو السير ، أو العنان .
وملكها عذار بلامه : كناية عن أنه جعلها مالكة لأمره ، سيطرة عليه ، متحكمة فيه .

يقول : إن مشوقته خدعت قلبه بنظرة من-عينها الساحرتين ؛ ففزع في غرامها ، وانقاد لها ، وسار
في ركابها . وهو تكرر المعنى الشطر الثاني من البيت السابق ، أى أغرم بها فانقاد لها . والزيادة هنا :
هي التنويه بربوبها الساحرة ، ونظراتها العاتية .

يَا ، هَلْ يَعُودُ إِلَى الْجَوَانِحِ بَعْدَمَا سَلَبْتَ فَنَاءَ الْحَيِّ ثُنَى لِحَامِهِ؟^(٧)
تَاللَّهِ ، لَوْ مَلَكَتْ يَدَايَ جِمَاحَهُ لَعَقَدْتُ قَائِمَ رَسْنِهِ بِخِذَايِهِ^(٨)
يَا لَأَيِّمَ الْمُشْتَاكِ فِي أَطْرَابِهِ مَهْلًا ، إِلَيْكَ ؛ فَلَسْتُ مِنْ لَوَائِمِهِ^(٩)

(٧) « يا » : حرف تنبيه . أو حرف نداء ، والمنادى محذوف . والاستفهام للتثني . والجوانح أضلاع الصدر . أو هي الفلوج تحت الترائب ، مما يلي الصدر . واحدها جانحة . ويراد بالجوانح : ستودع القلب ، ويستقره في صدره . والثني (بكسر فسكون) : واحد الأثناء . وأثناء الشيء : تقصاعيفه . وأثناء الجبل : طاقاته وقواه . ويراد بفنى الجمام : عنانه ، أو سيره أو حبله . وفي الأصل المخطوط : « مثنى جلمه » . ويلاحظ أن كلمة « جلم » جاءت في البيت السابق ، وأعيدت في هذا البيت ، وهذا عيب من عيوب اللقائفة اسمه « الإيالة » . والشطر الثاني من هذا البيت : كناية عن أن هذه الحسنة استهوت قلبه ، وسلبت له ، وسيطرت عليه ، وتحكمت فيه . ويلاحظ أن الشاعر كرر هذا المعنى في أكثر الأبيات السابقة .

في صدر البيت تنبيه ، أو نداء لكل من يستمع له ، ويحييه على أمره . ثم استفهام تخني به عودة قلبه إليه . أو استجد هذه المودة ، واستشعر منها بمد أن سيطرت هذه الحسنة عليه ، وتحكمت منه ، وتملكت زمامه وقياده .

(٨) جمع الفرس ونحوه (من باب خضع) جماعاً وجموحاً : عثا عن أمر صاحبه ، وعزّه ، واستمعى عليه ، وغلبه . أو تغلب على راحته ، وذهب به لا ينشئ . أو عار : أى انفلت ، فركب رأسه ، ولم يشع شيء . وملكت يداي جماعه : أى استطعت السيطرة عليه . والرسن (بوزن سيب) ، والتمكين هنا لضرورة الوزن : ما كان من الأزمنة على أنف الدابة . والحبل الذي يقاد به البعير ونحوه . وقد جاءت في الأصل المخطوط « رسفه » بالفاء . وقائم للرسن : طرفه الذي يمسك به من يتقود الدابة . والخدام : جميع خدمة (بوزن قصبة) ؛ وهى الساق . والقيد . وسير غليظ يحكم كالحلقة ، يشد في رنح البعير ونحوه . وعقد قائم الرسن بخدام البعير ونحوه : كناية عن إحكام تقييده ، ومنه من الجموح والإفلات ؛ فإن الرسن أو المقيد يرتبط ألفه بساقه ، أو بالقيد الذي في رجله ، أو بالحلقة المشدودة في رنحه . وهذه عدة قيود وموانع تمكن منه ، وتشدد عليه ، وترده إلى الطاعة والانقياد . يقول : لو ملكت السيطرة على قلبى لرددته عن الهيام بهذه الفتاة .

(٩) يراد بالمشتاك : الماشق الصب . وفيه : تمايلية : أى سببية . والأطراب : جمع الطرب : ويراد به : لوعة الشوق وحارته . وطرب (من باب فرح) : خف ، واحتز ، واضطرب فرحاً ، أو حزناً ، أو ارتياحاً . أو هي الإطراب : مصدر أطربه : أى أثار فيه الطرب . وإليك عنى : اسم فعل أمر : بمعنى ابتعد عنى ، وتنع . ولست من لوائمه : أى أنك لم تجرب المشق والشوق ، ولم تحترق بنارهما ؛ فلا يحق لك أن تلوم الماشق المشتاق .

أَطْنَنْتَ لَوَعَهُ فُكَاةً مَازِحَ . فَطَفِيفَتَ تَعْدِلُهُ عَلَى تَهْنِئَةٍ ؟^(١٠)
 إِنْ كُنْتَ تُتَكَبِّرُ شَجْوَهُ ، فَانْظُرْ إِلَى أَنْفَاسِهِ ، وَتُمْسُوعِهِ ، وَسَقَامِيهِ^(١١)
 صَبٍّ ، بَرَّتْهُ يَدُ الضَّنَى ، حَتَّى اخْتَفَى عَنْ أَعْيُنِ الْعَوَادِ غَيْرَ كَلَامِهِ^(١٢)

= هزّه الطرب والاشتياق إلى من يحبها ؛ فلألمه ، فناداه طالباً إليه الرق به ، والابتعاد عنه ، والإشفاق عليه بالإفلاق عن هذه ؛ فإنه لم يحرب شيئاً عما يقاسيه ذور العصابة والفرام . ولو جرب ، لرفق وشارك ، وأشفق ، وعثر . وقد انتقل الشاعر في هذا البيت وخسة الأبيات بعده من حديثه عن قلبه إلى التحدث عن الشوق والطرب ، والقوة والعصابة ، وما يضانيه المثلقات التيسون من ملاهيات المشق وآثاره وأوصابه .

(١٠) الروعة : حرقه الهوى والوجد والشوق والحزن ونحوه . وطفق يفعل كذا (كفرح ، وضرب) : أى جعل ، أو استمر ، وواصل الفعل . وهو خاص بالإثبات . وهام بها تهيماً : شفتته حباً .
 لم يحرب الألم عشق المثلقات المستهام ، ولم يكابد التبع الهوى والفرام ؛ فظن حرقته وصباهه فكاهة فاكه ، ومزاح مازح ، فجعل يمدله ، ويضاعف بالمدل متاعبه وأوصابه ؛ فأفكر الشاعر عليه هذا اللون الخاطف الجائر ، وعابه ، ونهاه عنه . وقد يحذل الاستفهام - مع الإنكار - معنى التفرع .
 (١١) الشجور : ألم ، والحزن (وقوله من باب هذا) . والسقام : المرض . وأنفاس الشجى حارة متتابعة ، أو طويلة تمتدة ثم على شجوه وهمة ، وتظهر أوصاب الهوى والآله . وعلى المكس منها أنفاس الخليلين .

في البيت السابق : أذكر على لائمه خطأ ظنه ، وسوء تقديره لوعة المتاع ، وتهيام المستهام . وفي هذا البيت وضع أمام عينيه ثلاثة شواهد تبديد ظلمات جهله ، وتحمله على الإقرار بالحقيقة ، والإفلاق عن البذل : وهى أنفاس الصب ، ودومعه ، وسقامه ؛ فهو يمانى أوصاب الهوى ، ويهيكى بدسوح حارة ، ويتنفس الصمداء . والبيت الآتى في معنى السقام ، وآثار الضنى .

(١٢) صَبٍّ : صفة من العصابة ؛ وهى رقة الشوق ، وحرارة الهوى . والضنى : مصلو ضنى (من باب صدى) : أى مرض مرضاً ملازماً ، فتسكن منه الضعيف والهزل ، وأشرف هل الموت . أو هو المرض الخامر الذى لا يزال يعاود المريض ، وكلما ظن برؤه انتكس . ويكثر استعمال الضنى في أوصاب الهوى والحب ، وتباريح المشق والفرام . والمواد : جميع عائد : اسم فاعل من عاد المريض (من باب قال) : أى زاره .

بالغ في تصوير أثر العصابة في الصب المستهام ، فقال : إنها برتته وأحستته وأذاهت جسمه ؛ فلم يبق فيه غير صورت خافت يندل عواده عليه . وفي مثل هذا المعنى يقول أبو العليح المتنبي :

كفى بحسبى لحولاً أنى وجيل لولا مخاطبتى لياك لم ترفه
 روج تردد فى مثل الخلال إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يبين

نَطَقَتْ مَدَامِئُهُ بِسِرِّ ضَمِيرِهِ وَذَكَتْ جَوَائِحُهُ بِنَارِ غَرَامِهِ ^(١٣)
 طَوْرًا يُخْصِمِرُهُ الدُّهُولُ ، وَتَارَةً يَبْكِي بُكَاءَ الطُّفْلِ عِنْدَ فِطَامِهِ ^(١٤)
 يَصْبُو إِلَى بَابِ الْعَقِيقِ ، وَرَنْدِهِ وَغَرَارِهِ ، وَبَرِيرِهِ ، وَبَشَامِهِ ^(١٥)

(١٣) المدامع : مسابيل الاعم ، ومواضع اجتباها في نواحي العين . والمدامع : المآق : وهي أطراف العين . ويراد بها هنا : الدموع . ويريد بسرّ ضميره : ما كان يحرص على إخفائه وكفائه من أسرار حبه وغرامه . وذَكَتْ النار : توقّدت ، واشتد لها . والجوانح : أضلاع الصدر . ويراد بها هنا : القلب ، وما حواه الصدر ، ومراكز الإحساس والشعور . والفرام : اللؤلؤ والعشق ، وشدة تعلق المحب بمحبوبته . والغرام أيضاً : العذاب . ويراد به هنا : عذاب الحب والوجد ، وتباريح المحرّ والصبابة .
 تَأَجَّجَتْ نيران الغرام في صدره ، وبرّح به الوجد والشوق ؛ فبكى ، فكشفت دموعه أمره ، وأظهرت ما كان يحرص على كفائه من أسرار حبه .

(١٤) الطور : والتارة : الحين والمرة . ويخاطه : يخاطله ، ويلاسه ، وينغليه . والذهول : التدهل ، والتخدير ، وغياب الرشد عن الذاهل ، وشغل يورثه حزناً ونسياناً . (ونعله كنع ، وتعب) . وفطام الطفل : فصله من أمه ، ومنعه من الرضاع . وفي الأطفال يشهد بكاء الطفل ، وتسو حاله .
 في البيت الثاني عشر شكاً ما برأه وأذابه من الصبابة والفنسي ، حتى شغل على عواده . ولم يبق فيه غير الأثرين المخافت ، وآفات التوجّع والتحنّن والشكوى . ولولاها ما وآه ، ولا أحسن به أحد . وفي البيت الثالث عشر شكاً تأجّج نيران الغرام بين جولفحه ، وغلبه البكاء عليه ، وغزارة الدموع في عينيه ، وآله أنها كشفت ما حرص على ستره من أسرار حبه .

وفي هذا البيت اشتد به الأمر ، وتقلب بين حالين : فهو إما غارق في الدهول . منسلب القلب . فائد الربي ، وإما منتحب لانتحاب الرضيع حرم أسب محبوب إليه . وأغزعز في عليه .

(١٥) يصبو إليه : يمتزج إليه ، ويميل ، ويمن ، ويمتشق . والبان : ضرب من الشجر ، لبن ، سبط القوام ، ووقه كورق الصفصاف . وتشبه به قعود الحسان . أي قاتلن في حسن الطول واعتدال القوام ، واللين والمرونة . والعقيق : علم على جملة مواضع بالمدنية ، والحمامة ، ورتامة ، ونجد ، والطائف . وتمتاز هذه الأماكن كلها بالعيون العذبة ، وشظرة الزرع والتخيل ، ونفحة المروج ، وهبة الطبيعة . وقد تنى الشعراء الفزاوي في شبه الجزيرة العربية من قديم الزمان بوادي العقيق ، وجعلوه مكنى غرامهم ، ومرقع القيد الحسان الذي تفزأوا بهن ، وقودوا إلىهن . والبارودي يحاكمهم في هذا ، ويتحدى بهم ، وينسج على منوالهم . والرند (يفتح فسكون) : شجر طيب الرائحة ، من فصيلة الفاريات ، وقد يطلق على اللود ، والآس ، وربما من الأشجار الطرية . والمرار : بهار فاعم أصفر ، طيب الرائحة . وقد يطلق على الترجس البري . وأحدته عرارة . والبربر : ثمر الأراك إذا اشتدّ وصلب . الواحدة بريرة . والأراك : وأحدته أراكّة : وهي شجرة كثيرة الفروع ، غوارة أعمود ، تتخذ منها المساويك . وثمرها أحمر ،

وَأِدِّ ، سَرَى فِي جَوْه كَنَمِيمِهِ وَبَكَى عَلَى أَغْصَانِهِ كَحَمَامِهِ (١٦)
أَرِجُ النَّبَاتِ ، كَأَنَّمَا عَمَرَ الثَّرَى طَيْبًا مُرُورُ «الْخَضِرِ» بَيْنَ إِكَامِهِ (١٧)

« ذا كن اللون ، يؤكل . وتثبت في البلاد الحارة . والباشام : شجر طيب الرائحة والطعم ، يستاك بقصبائه ، لا يمر له ، وإذا قطع شيء من أوراقه وأغصانه سأل منه سائل أبيض يشبه اللبن . واحدته بشامة .

صبا الشاعر إلى وادي العقيق في هذا البيت والأبيات الآتية جرياً على عادة النزلين من قدامى شعراء العرب في جزيرتهم ، وإقتداء بهم ، وتشبيهاً بما جرى على أنسهم من الأعيلة والصور ، والعرافط والأفعالات والمغانى والبيئات ، والمغانى والأساليب ، وترديداً لما واقعهم من النبات والزهر ، والنسيم والطير ، والمناهل والمشارب ، وظواهر الطبيعة ، وجمال الكون ، ومحاسن الحسان من فتياتهم ونسائهم .

(١٦) سرى (من باب رى) : سار ليلاً . والمراد مطلق السير . وقاعله ضمير « المشتاق » في البيت التاسع . أو ضمير « صب » في البيت الثاني عشر . والنسيم : الريح الطيبة اللينة . في البيت السابق صبا إلى وادي العقيق ، منزل حبه ، ومعنى غرامه ، وتعلق بما يميزه ويؤريته من أشجار بهار ، ونباتات عطرية ذكية ، وطبيعة فائضة زاهرة . وهو في الحقيقة تعلق بمن يحبها ويهوها

وما حبّ الديار شغلن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا .

وقد تشير بعض الكلمات إلى بعض محاسنها ونباتاتها ، كحسن طولها ، وجمال قدّها ، واعتدال قوامها ، ولين جسمها ونعومتها وروفتها ، وطيب ريحها ، ونضرة حيائها . وفي هذا البيت قال : إنه مرى في جوّ هذا الوادي مسرى لسيمة ، وسجع على أغصانه سجع حمامه . وهو تصوير بليغ لشوقه وصباته ورثدة ولوحه بالمحبوبة وديارها .

(١٧) أريج النبات : أي نبات هذا الوادي طيب عطري ذكيّ الرائحة . (وفعله من باب فرجح) . ويلاحظ أن الأشجار والنباتات التي ذكرها في البيت الخامس عشر ذات رائحة عطرية ذكية . وغيره الماء ونحوه (من باب نصر) : علاه ، وعمّه ، وسنره ، وغطاه . والثرى : الأرض . والتراب التلى . ويراد بالطيب : الأريج ، والنحصب ، والنباه ، واليمن ، والبركة . و« الخضر » (بكسر فسكون ، أو بفتح فسكون ، أو بفتح فكسر) : صاحب سيدنا موسى عليهما السلام : نبيّ ، أوليّ ، أو صديق : أي فوق الولاية ، ودون النبوة . وقصة تصاحبهما في القرآن الكريم : من قول الله تبارك وتعالى : « فوجدنا عبداً من عبادنا آتيتاه رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنا علماً » إلى قوله عز وجل : « ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً » (الآيات رقم ٦٥ - ٨٢ من سورة الكهف) . والإكام (بوزن الجبال) : تلال الأرض ودوابها وارتفاعاتها . الواحدة أكمة (بوزن قصبة) .

ما زال الشاعر يتنقّى بوادي العقيق ، وادى هواه ، ومعنى غرامه ، وينوء بمزايده ، كأنّ ولّه الله الخضر مرّ بأكامه ، وسار في أرجائه فأنشخصت تربته ، وطاب ثراه ، وأرج نباته ، وعمّه اليمن والبركة ، والركاء والنباه

مَالَتْ حَمَائِلُهُ بِخَضِرٍ غَضُونِهِ وَصَفَتْ مَوَارِدُهُ بِزُرْقٍ جَمَامِهِ (١٨)

بِأَصَابِحِي إِنْ جِئْتَ ذَيْبَاكَ الْحَمِي فَأَحْذَرْ عَيْنَ الْعَيْنِ مِنْ آرَامِهِ (١٩)

وَأَسْأَلُ عَنِ الْبَذْرِ الَّذِي كَسَمِيهِ فِي نُورِ غُرُوبِهِ ، وَبُعْدِ مَرَامِهِ (٢٠)

(١٨) الخمال : جمع الخملة : وهي الشجر الكثير المجمع المتلف الذي لا يرى فيه الشيء إذا وقع في شطه . وكل موضع كثر فيه الشجر خيلة . والموارد : المناهل والشارب : جمع موقد (هرن مجلس) . والجمام : جمع جم (وزن قل وتلال) : وهو الكثير المجمع من كل شيء . أو هو جمع جمه (بضم الجيم) : وهي من الماء معطيه . وباء أزرق : شديد الصفاء واللغاء . وجمام زرق : مياه صافية رالقة نقية ، كثيرة غزيرة ، وفي الشطر الأول إشارة إلى نسيم ذلك الوادي الذي يميل النسيم ويحركها حركات لطيفة . وقد تكون الإشارة إلى كثرة النسيم التي تهب بها أشجارها . وفي الحفرة من الحياة ، والهجة ، والنضارة ، والنضارة .

(١٩) ذيباك : « ذيا » : تصغير « ذا » : وهو اسم إشارة للمفرد المذكر . والكاف : حرف خطاب . والحي : المكان المهي المصون النبع . وفيه إشارة إلى تمتع المنزل بين ، واحتجاب بين ، وصمودية الوصول إلى بين ، وشدة بأس من يقوون بحراستهم . ويراد بالحي : وادي العقيق : أي ديار محبوبيته وأترابها . والعين : جمع عيناه : وهي المرأة التي اتسمت حينها في حسن وجمال . وفي القرآن الكريم في وصف نساء الجنة : « وسور عين كأشكال اللؤلؤ المكنون » (الآية رقم ٢٢ والآية رقم ٢٣ من سورة الواقعة) . والآرام : جمع رَم : وهو الظلي الخالص البياض . وتشبه به الحسناء من النساء في الرشاقة والمرونة ، ولطف الحركة ، وحسن التنقي ، وجمال الجسد والمهين .

أشار إلى وادي العقيق ، ونسائه العين البيض الحسان المصوفات الشبهات بالنساء والفزلان . وحذر صاحبه أن تسحره عيونهم ومفاتنهم ؛ فيقع في مثل ما وقع فيه من أشراك الهوى ، وسهائل الغرام . ويميل التنويه بين في هذا البيت تمهيدا لأفراد محبوبيته بفزله وتشبيبه في الآيات الآتية . وذاد الصاحب في مثل هذا المقام أسلوب شائع مألوف في الفزل ، ويمكن عدّه من خصائص لغة الشعر .

وقد أشرنا في عدة مواضع من شرحنا إلى ولوع البارودي بالبيئة العربية البدوية ، وكثرة ما يردده في شعره من صوراً وخصائصها ، وعادات أهلها ، وطبيعة الحياة فيها .

(٢٠) يريد باليد محبوبيته . ويريد بسميته : البدر الحقيق : وهو القمر الممتلئ ليلة تمامه في منتصف الشهر القمري . وسيميك : نظيرك . ومن كان اسمه كاسمك . والفرة (في الأصل) : بياض في جبهة الفرس . ورفة الإنسان : وجهه . والمرام : المطلب . ورامه (من باب قال) : أراذه ، وظليه .

طلب إلى صاحبه أن يسأل في وادي العقيق عن مشيخته بين العين الحسان اللاتي أشار إليهن في البيت السابق . وكأنما أراد تمييزها له ؛ فشبّهها بالبدر في شياء وجهها ، وإشراق جبينها ، ومحو قدرها ، ونباهة شأنها ، وصمودية الوصول إليها .

فَلَمَّا اشْتَبَهَتْ ، وَلَمْ تَجِدْ لَكَ هَادِيًا فَاسْمَعْ أَنِينَ الْقَلْبِ عِنْدَ خِيَامِهِ (٢١)
فِيلِكَ الْوَادِي غَزَالَةً كَلَّةً تَرَوِي حَلِيثَ الْفَتَكِ عَنْ ضِرْغَامِهِ (٢٢)
ضَاهَتْ بِقَامَتِهَا سَمْرَاحَ فَنَاسَتِهِ وَحَكَتْ بِلَحْظَتِهَا مَضَاءَ حُسَامِهِ (٢٣)

(٢١) اشتبه الأمر عليه : اختلط ، والتبس ، وغش وجهه . ويراد بلشباة صاحبه : صعوبة اعتداله إلى المشقة ؛ فهو في معنى : « ولم تجد لك هادياً » . وأنين قلبه : دقاته العالية المضطربة . والأصل : أن المريض أنيناً ؛ إذا تأوه ؛ وتوجع . وأنست القوس ونحوها : أوردت رترها في امتداد . وخيامه : خيام البدو ؛ أي الحبيب : جمع خيمة ؛ وهي المنزل . والبيت يتخذ من الصوف أو القطن ، ويقام على أعواد ، ويشد بأطناب . والبيت يبنى من أعواد الشجر ، ويلقى عليه نبت يستظل به .

يقول لصاحبه : إذا اختلط عليك الأمر ، ولم تجد من يذكك على محبوبتي في صحاها ؛ فاستمع لأنين قلبي في خيبتها تهتد إليها بلا مشقة . وفي البيت إشارة لطيفة إلى أن هذه المشقة قد خلبت له ، واستلبت فؤاده ؛ فهو أسير لديها ، مشدود إليها ، يئن أنيناً ، ويمجن حنيناً . ترى مثل هذه الإشارة أو هذا المعنى مفصلاً في سبعة أبيات سابقة (من الثاني إلى الثامن) .

(٢٢) الغزاة : أنثى النزال . وهي الظبية . والغزاة : الشمس عند ارتفاعها . والكلة : السر . وفتك به (من بابي ضرب وقتل) فتجأ (يتثايلث الفاء) : انتبه منه فرصة ، فقتله على غرة ، وغدر به ، وأغاثه . أو بطل به ، وقتله مجاهرة . وضرغامه : ضرغام الوادي . والضرغام : الأسد الضاري الشديد . والرجل الشجاع . وفي « الكلة » إشارة إلى وقاحة المتفرد بها ، أو احتجابها . وكلامها مما يضاعف صباة السب المستهام .

شبه محبوبته بالظبية ، أو بالشمس . وقال : إنها راقية ناعمة محبة نعمة . وإذا حدثت غيرها روت ألباء فتك الحسان بمشاقهن . أو فتك ضراغة ذلك الوادي بمن يحاول الوصول إليهن ؛ فهن في حراسة يقظة قوية ، شديدة مستحكمة . أو المعنى : أن هذه الغادة الحسنة تصرع عشاقها كما تصرع الأسود فرائسها .

(٢٣) ضاهاه : شاكله ، وشابهه ، ومائله . والقامة : القد ، والقوام ، وحسن الطول . والسراج : اسم من سرج النور تسميها : أي سهله ويسره . وسرحت المرأة شعرها : رجكته ، وشططته ، وشعلت بمضه من بعض المشط . ويراد بسراج القنطرة : اعتدالها واستوائها ، على التشبيه بالشعر المرسج المسرح . أو هي السراج (بكسر السين) : جمع سرعة (يفتح السين) : وهي الشجرة الطويلة المستدلة تشبه بها القامة في حسن الطول ، والاستواء ، والاعتدال ، والمرونة . وتتخذ منها القنطرة ؛ وهي الريح الأنبوف . والمصا المعتدلة المستوية المشددة . وحكت : ضاهت ، وشابهت ، ومائلت ، وشاكلت . والمظلة : النظرة السريعة بمؤخر العين . ومن كلامهم : « فتتبع لحظاتها ولحظاتها » . والحسام : السيف الحاد القاطع وضارته . حدثه ، وناقذه ، وصرة قطعه . والضمير المجرور المضاف إليه في « قناته » =

هِيَ مِثْلُهُ فِي الْفَتْكِ ، أَوْ هُوَ مِثْلُهَا سِيَانٌ وَقَعَ لِحَاظِهَا وَسَهَامِهِ (٢٤)

فَسَقَى الْحِمَى دَمِي إِذَا ضَنَّ الْحَيَا بِجَمَانٍ دِرَرِهِ سَلَاةً جَسَامِهِ (٢٥)

« و » حسامه : يمدح على « ضرغام » الوادى فى آخر البيت السابق .

يقول : إن الحسام الذى يتغزل بها ، قائمها معتدلة ، مستوية ، فى حسن طول استواء ريش الرابح الشجاع المقدم من رجال ذلك الوادى . ونظرتها فاتنة ساحرة فاتكة فتك سيفه البتار . والبيت الآتى تكرر وتأكيده لحنى الشطر الثانى من هذا البيت .

(٢٤) هـ : أى الحسام الذى يشيب بها . أو نظراتها الفاتنة . ومثله : مثل « الضرغام » : أى الشجاع المقدم من رجال واديهما . أو مثل سيفه البتار . و « أو » : بمعنى « وأو » المطف . وهى مثله ، وهو مثلها : أى هـ تشبه فى الفتك بمشاقها ، وهو يشبهها فى الفتك بأعدائه . والشطر الثانى تكرر لهذا المعنى . وسيان : معنى سى : وهو المثل ، والشبيه ، والتظير . ولحاظها (بكسر اللام) : لحظاتها : جمع لحظة : وهى النظرة السريعة ، تكون بمؤخر العين . والسهام : جمع سهم : وهو عود خشبى يسوى ، ويركب فى طرفه نصله : أى حديدته القاطعة الجارحة ، ويرى به عن القنوس . وكانت القنوس من أدوات الصيد والقتال : أى سيان وقع لحظاتها فى قلوب عشاقها ، ووقع سهامه فى صدور أعدائه .

والبيت تكرر وتأكيده لحنى الشطر الثانى من البيت السابق ، فالحسام المتغزل بها نظراتها فاتنة ساحرة فاتكة ، تهيم العشاق وتسببهم وتصرهم ، كأنها سهام الحارب الشجاع ، أو الصياد الماهر من رجال واديهما ، وأبطال قوتها .

(٢٥) الحِمَى : المكان المحمى المضمون المنيع . ويراد به : وطن الشاعر ، ومعنى شيبته ولموه ، ومسرحة حبه وغرامه . وشن (كتب وشرب) : شبع وبخل . والحيا : المطر . والجمان الأول . وحسب يصاغ من الفضة على شكل الأول . وأحدته جمائة . ويراد به هنا : قطرات المطر على التشبيه بمحبات الفضة وصغار اللؤلؤ فى الصفاء والنقاء . والذرة (بكسر الدال وفتحها) : اللبن أو كثرته . ويستعار للمطر . وسلافة كل شئ وسلافه : خالسه . والجمان : إناء للشراب والطعام ، يكون من الفضة أو نحوها . وهى مؤنثة ، فارسية الأصل . وقد غلب استعمالها فى الكأس : أى قنح الشراب . وسلافة الجمان : ما تحتويه من خالص الشراب . ويلاحظ أن الكلمات المجازية مالت بالبيت إلى الثقل والتكلف ، وتباعدت عن اليسر والسهولة والطبع والسليقة . والترتيب الأصل لهذا الكلام : « فسق دمي الحسى سلافة جسامه إذا ضن الحيا عليه بجمان درته » .

يبدو لوطنه بالسقيا والرعى والخصب والخير الموفور ، فإذا بخل عليه المطر بمائه الغزير النقي الصافي أرواه بمخالص دمعه ، وهى دموع الحب والشوق ، والحنين والوفاء ، والإعزاز والتكريم . وفى هذا البيت وثلاثة الأبيات بعده انتقال من الغزل والتشبيب إلى تعجيد الوطن ، والتحدث بنعمه وأباده .

مَقْنَى ، رَعَيْتُ بِهِ الشَّيْبَةَ غَضَةً وَرَوَيْتُ قَلْبِي مِنْ سُلَافٍ عَمَامِهِ (٢٦)
فَنَسِيتُ رُوحِي مِنْ أَيْبَرِ هَوَالِهِ وَقَوَّامُ جِسْمِي مِنْ مِزَاجِ رَعَامِهِ (٢٧)
لَا يَنْتَهَى شَوْقِي إِلَيْهِ . وَقَلَّمَا يَسْلُو حَمَامُ الْأَيْكِ عَنْ تَرْنَائِهِ (٢٨)

(٢٦) غنى بالمكان (من باب رعى) : أقام به . والمقنى : المنزل الذى غنى به أهله . ورعيت : راعيت ، ولاحظت ، وحفظت ، وتمهدت . والشيبه : الشباب . وهو الفتاه ، وجمادى السن . وفضة : ناضرة قتيبة . ورويت : سقيت . والسحاب : واجدته غمامة . وسلاف الغمام : المطر . ويراد به : أنهار الوطن ، ومنال حماه ، وسواردها . وفى رأى قلبه إشارة إلى راحة نفسه ، ورضا باله ، وهنائه حاله .

يحدث بشيء من نم وطنه عليه ، فن تناهله وبشاريه استق وأزوى وأستل وشيع . وفى ربهوه وهنائه نما وشب ، ونشأ وترعرع ، واستمتع بفضارة الشباب ونضارته وطراوته ورويقه .

(٢٧) النسيم : الريح الطيبة والبرية . والروح (بضم الراء) : النفس . وما به حياة الأنفس . والروح (بفتح فسكون) : النفس . ونسيم روحى : قوة نفس وسلطانها وحياتها . أو الهواء الطيب اللطيف الذى أتفنس منه ، ونجيا به نفسى . وأثير هوائه : خالص هواء وطنى . من قولهم : فلان أثيرى : أى من خلصان الذين أوثرم وأقسمهم . أو يراد بالأثير : الهواء ، فهو من إضافة الكلمة إلى مرادفها . وفى علم الطبيعة : أن الأثير : سيال يملأ الفراغ ، ويبتخلل الأجسام . وقوام جسمى (بكر القاف) : عماده ، ونظامه ، وبنائه ، وما يقوم به . أو ما يقيه ويحفظه من القوت والنداء . والمزاج : ما يمزج به الشراب ونحوه . والرفام : التراب . ومزاج رغام الوطن : ما تثبت أرضه . ولعله يشير إلى قول الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم : « منها خلقناكم » (الآية رقم ٥٥ من سورة طه) : أى من الأرض . وقوله عز وجل : « هو الذى خلقكم من تراب » (الآية رقم ٦٧ من سورة غافر) والضمير المجرور المضاف إليه فى « هوائه » ، وه رغامه « يعود على « الحسى » ، أى الوطن .

حدث بأعظم نم وطنه عليه ؛ فن أثبره وهوائه يتنفس ويميش ، ويجيا ويقوى . ومن أرضه وترابه وبنائه ونماه قوته وغداؤه ، وطعامه وشرايه ، وقوام جسمه وبنائه ، وعماده ونظامه . ولا ريب أن هذا التحديث يرمز إلى الحب والتقدير ، والشكر والتكريم ، والشوق والحنين . والبيت الآتى فى معنى الشوق إليه ، والتعلق به ، والحرص عليه .

(٢٨) إليه : إلى الحسى : أى الوطن . وسلاعه : نسبه ، وطايت نفسه بعد فراقه والأيك : جمع أيكه : وهى الكثير المتجمع للثلف من الأشجار . وزم المقنى والحمام وكل ما استلذ صوته (من باب طرب) : أى رجس صوته ، وطرب به ، وتقنى . والترنم (بفتح التاء) : مصدر يدل على الكثرة والمبالغة .

يشير إلى ما فى طبيعة الحمام من لثف موطنه ، والحرص عليه ، والحنين إليه . وكأنما يعبر بترنائه وتطريبه ، وسجده وهديره عن هذه المعاني السامية ، والمشاعر الرقيقة . وفى الشاعر ما فى الحمام من =

يَا حَبْدًا عَصْرُ الشَّبَابِ ، وَحَبْدًا رَوْضُ جَنَّتِ الْوَرْدُ مِنْ أَكْثَامِهِ (٢٩)
عَصْرٌ ، إِذَا رَمَمَ الْخَيَالُ مِثَالَهُ فِي لَوْحٍ فِكْرِي لَاحٍ لِي بِتَمَامِهِ (٣٠)
لِنِي لَا ذِكْرُهُ ، وَأَعْلَمُ أَنَّنِي بَاقٍ عَلَى التَّيَعَّاتِ مِنْ آثَامِهِ (٣١)

— هذا ؛ فتملقه بطلقه شديد ، ووفائه له تام ، وبره به موفور ، وشوقه إليه لا ينقطع ، ولا يفتر . وهو لا يفتأ يفتنى بحماسة ، ويحدث بإفضاله عليه ، ويشكر إحسانه إليه .

(٢٩) « يا » : حرف تنبيه . أو حرف نداء والمنادى مخلوق . وعصر الشباب : زمانه ، وطوره . وحبدا : أسلوب مدح . والمخصوص بالمدح في البقرة الأولى « عصر الشباب » . وفي البقرة الثانية « روض » : وهو البستان للتضير . والأرض المخصصة ذات الماء والخضرة . وجنت الورد ونحوه (من باب روى) : تطلعت من شجرة . والأكام : جمع كم (يؤذن كن وأكنان) : وهو غطاء الزهرة : أي الغلاف الذي يحيط بها ، فيسترها ، ثم ينشق عنها . ويريد بالروض : عصر شبابه . ويريد بالورد : ما استمتع به من لذات الشباب ومباهجه .

(٣٠) الخيال : قوة التخيل : وهي إحدى قوى العقل . وفي استطاعة كل عاقل أن يتخيل الشيء : أي يصوره . ومثال الشيء : صورته التي تتخلل صفاته ، وتصوره تصويراً تاماً . والروح : ما يكتب فيه ويرسم ، يكون من الخشب والورق الملقوى وغيرهما . والفكر : إعمال العقل في المعلوم الذي يمين على تعريف المجهول . ويراد به هنا : الذهن . ولوح فكري : فكري الشبيه بالروح . ولاح : بدا ، وظاهر ، والتفصح . ورائع ضدير « مثال » .

يشير إلى شدة تعلقه بشبابه الراحل ، وحنينه إليه ، وتأثره به ، وتذكره لمصره ؛ فإذا تخيلته رأى صورته حاضرة أمامه ، مرسومة في ذهنه ، واضحة جليلة ، حية قوية ، تامة كاملة ، مفصلة مثلة .

(٣١) أذكره : أذكر عصر شبابي : أي أتذكره ، ولا أنساه . والتبغات : جمع تبعة : وهي عاقبة الأمر ، ومبغته ، وما يتربط عليه من أثر . وكثر استعمالها في الآثار السيئة ، وما يتربط على الأفعال من شرور . وأقام : جمع أقم : وهو الذنب ، والجريرة ، والخطيئة . و « من » : ببيان . والآثام بيان للتبغات . ولعل المراد بهما ما يجتنب له أكثر الشبان في شبابه من المرح والقهو ، والعبث والمجانة ، والطوى والغرام . ولعل مراده ببقائه عليها : دوام تذكره لها ؛ فإن المقيم على الشيء يذكره ، ولا ينكاد ينساه . وفي الذكرى راحة لخله ومنتمة .

في البيت السابق وصف قوة تذكره لمصر شبابه ، وشدة تأثره به ، ومقدرته على استحضار صورته تامة واضحة في ذهنه . ويبدو لنا أن هذا البيت تأكيد لهذا المعنى ؛ فإن تعلقه بذلك العهد بعد فواته يحضر على الدوام في ذهنه وتذكره ما كان له فيه من متع ولذات ، وشهوات وسررات . ولعل البيت الآتي يسوغ هذا المعنى ويرجع .

مَا كَانَ أَحْسَنَ عَهْدَهُ لَوْ دَامَ فِي مِنْهُ الْوَدَادُ. وَكَيْفَ لِي بِدَوَائِمِهِ؟ (٣٢)
وَالْدَهْرُ مَصْتَرٌّ عَيْرٌ لَوْ أَنَّنَا نَتْلُو سَجِلَ الْغَدْرِ مِنْ آثَامِهِ (٣٣)
عَمْرِي، لَقَدْ رَحَلَ الشَّبَابُ، وَعَادَنِي شَيْبٌ تَحِيفُ لِمَتْنِي بِشَغَامِهِ (٣٤)

(٣٢) عهده : عهد الشباب : أى زمانه . ومنه : من الشباب . أو من عهده . والاستغمام في الشطر الثاني : معناه النسي . وهو مع النسي يتم على الأسمى والتحسر والتلهف والحزن على شبابه بعد فواته ، وانقطاع مصافاته ووداده .

يقول - في تحزين وتوجع ، ولطفة وحسرة : لا سبيل إلى دوام زمن الشباب . ولو دام لكان جديراً أن يتصحب من حسنة وبهجته ، ويقاء مثمه وسرته .

(٣٣) السجل : الدفتر ، أو الكتاب يدون فيه ما يراد حفظه وتسجيله . ويلاحظ أن الشاعر كرر كلمة « آثامه » في البيتين الحادى والثلاثين والثالث والثلثين . وهذا عيب من عيوب القافية اسمه « الإيذاء » . وهو إعادة كلمة الروى نغماً ومعنى من غير أن يفصل بين الكلمتين المكررتين سبعة أبيات فأكثر . وقد سبق هذا العيب نفسه في البيتين السادس والسابع من هذه القصيدة .

في أربعة الأبيات السابقة اشتد تعلق الشاعر بشبابه الراحل ، واشتدت حسرته على فواته . وفي هذا البيت شكاً الدهر ، وتبرم به ، وسخط عليه ؛ فإن ذهاب شبابه أثر من آثار تقلب الدهر ، وتحيف الزمان ويجرده من الخير والوفاء . ولو قرأنا من سجلات آثامه وبرائره سجل غدره وشيائاته لأفئدنا منه كثيراً من العبر والنظات ، وتقينا كثيراً من الشرور والآفات .

أو المعنى : أن الدهر سجل لما يكون في الحياة الدنيا من خير وشر ، ومسررات ومساءات ، فإذا قرأنا ما حواه هذا السجل من شرور وخيانات امتنعنا واعتبرنا ، وتقينا أنفسنا أن تقع في مثل ما وقع فيه غيرنا . وهذا المعنى وثيق الاتصال بما قبله وما بعده ؛ فإنه لما تحسر على فوات عهد شبابه ، وتعلق ذهنه بفكره بذكريات ذلك العهد ، قرأ في سجل الزمن صوراً وأشئلة من غدر الناس وخيانات بعضهم لبعض ؛ فاعتبر بها ، ودعا غيره إلى الاعتبار والاتعاظ . وأجرى البيت مجرى الحكم والأمثال .

(٣٤) عمري : أسلوب قسم : أى أحلف بحياتي . وعادنى : عراني وأصابنى . وتحيف لمتى : تنقص سوادها ، وذهب به . واللمة : شعر الرأس الذى يجاوز شحمة الأذن . أو الذى يلم بالمتكبر : أى يقرب منه . ويراد باللمة هنا : شعر الرأس مطلقاً . ونظام الشيب (يفتح الشاء) : بياضه . وهو في الأصل : جمع ثغامة ؛ وهى شجرة ذات زهر أبيض وثمر أبيض ، تنبت في قن الجبال . وإذا بيست اشتد بياضها ؛ ولهذا عبروا بها عن الشيب وبيانه . وشدة تعلق الشاعر بشبابه الراحل ، وشدة تبرمه بالشيب الملم سوتت له أن يصدر هذا البيت بالقسم ؛ فهو يؤكد به - في أسمى وحسرة - أن شبابه ذهب ، ومنى ، ورحل ، وانقضى . وحل محله الشيب ، وهو نذير الموت والمهلك ، ورائد الردى والفتنة . وكأن المقام مقام شك وارتياح في قلة متاع الدنيا ، وذهاب زينتها وبهجتها ، وسرعة الرحيل عنها ، وسرعة انقضاء زهرة العمر ونفسارته ؛ فهو يحو هذا الشك بهذا القسم .

القصيدة التاسعة والثلاثون

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرْنَدِيْبٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْوَطَنِ ، وَيَذْكُرُ أَعْدَاءَهُ :

أَعَا (يُد) بِكَ يَا رِيْحَانَةُ الزَّمَنُ ؟ فَيَلْتَقِي الْجَنُّ - بَعْدَ الْبَيْنِ - وَالْوَسَنُ (١)

أَشْتَأُق رَجْعَةَ أَيَّامِي لِكَأْظِمَةٍ وَمَا بِيَ الدَّارُ لَوْلَا الْأَهْلُ وَالسَّكَنُ (٢)

(١) يعيب الأصل المخطوط الذي بين أيدينا كثير من تصحيقات النسخ وتعريفاته . وفيه إلى هذا نقص وزيادة ، وأخطاء إملائية ، ونحوية ، ولفوية غير قليلة ، نبهنا القارئ على بعضها ، وأغلطنا الإشارة إلى كثير منها . وفي الشطر الأول من هذا البيت نقص أكلناه من عندنا على عادتنا ، وبأجتهادنا ، وجعلنا التكملة بين قوسين ، وبها استقام وزن البيت ومعناه . والاستفهام في أوله : معناه القى . وبك : أى بلقائك . و « ريحانة » : اسم ، أوصفت لمحجوبته التى يتفزل بها ، ويتمنى لقائها . وهو في الحقيقة يتننى بمصر ، ويصبو إليها . والريحانة (في الأصل) : واحدة الريحان : وهو نبت طيب الرائحة ، وجمعه ريحانين . ويريد بالزوين : ماضيه السعيد ، وما كان يستمتع به في مصر قبل النفي من اجتماع الشمل ، وهناءة العيش . والجفن (يفتح فسكون) غطاء العين من أهلها وأسفلها . وجمعه جفون ، وأجفان . والبين : من أسماء الأضداد ؛ فهو يأتى بمعنى الوصل ، وبمعنى الفقرة ، والمعنيين صالحان هنا ، والأول أرجح وأقرب . والوسن : التماس : مصدر وسن (من باب تفع) : أى أخذ في التماس . والتقى الشيطان : استقبل كل منهما صاحبه واجتمعا . ويراد بالتقاء الجفن والوسن : استمتاعه بالنوم المنى ، بعد معاناة الأرق والسهاد من طول الافتراق ، وحرقه الوحيد ، وقسوة الجهاد والافتراق وهو يكتفى بالنوم عن رضاء الهال ، وأطمئنان النفس ، وصلاح الحال .

فأدى مصر نداه المشوق المستهام ، وتمنى لقائه ، ليمود إليه ماضيه السعيد ، وينعم بعد الوصال برضاء الهال ، وطمانينة النفس ، وهناءة الحال ، والبيتان الآتيان تكرر ، وتأكيد ، وتفصيل لهذا المعنى (٢) رجعة : رجوع ، ومودة . و « كأظمة » : موضع . أو جوى : أى واد واسع على سيف البحر ، على مرحلتين من البصرة ، وفيها ركابا (أى آبار) كثيرة ، ومازها شروب : أى صالح للشرب . و « كأظمة » ممنوع من الصرف : أى التنوين ، وإنما نونت هنا لضرورة وزن الشعر .

فَهَلْ تَرُدُّ اللَّيَالِي بَعْضَ مَا سَلَبْتَ ؟ أَمْ هَلْ تُعَوِّدُ إِلَى أَوْطَانِهَا الظُّلُمُ ؟ (٣)
 أَهَنْتُ لِلْحُبِّ نَفْسِي بَعْدَ عِزِّهَا وَأَيُّ ذِي عِزٍّ لِلْحُبِّ لَا يَهِنُ ؟ (٤)
 لَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْهَوَى سِرٌّ لَمَّا ظَهَرَتْ بِوَحْيِ قُدْرَتِهِ فِي الْعَالَمِ الْفَتَنِ (٥)
 تزييد بها مصر وطنه . والأهل : الأقارب ، والعشيرة ، والزوجية . وأهل الدار ونحوها : سكانها .
 والسكن (يفتحين) : كل ما سكنت إليه ، واستأنست به ، وأطمأنت به نفسك من أمل ومال وغيرهما .
 والشطر الثاني في معنى قول الشاعر :

وما حُبُّ الله يارَ شَتَفَنَ قَلْبِي ولكنَّ حُبَّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَ
 (٣) الاستغهام في شطري البيت : لفتني ، فهو يعنى أن تردُّ الليالي إليه وإلى أمثاله بعض ما انتزعت ، كما يعنى أن يعود المغتربين إلى أوطانهم . وقد اعتاد الناس - وبخاصة الشعراء - أن ينسبوا إلى الليالي والأيام ، أو إلى النهر والزمان - ما يحتاجهم من الشر والمساءة ، والفساد والفساد . وهم في الحقيقة يقصدون من ظلمهم ، وأضرهم بهم ، وأساء إليهم من شرار الناس أوجسارهم . وسلطته التي : انتزعت منه ، وأخذته قهراً . (وبابه قتل) . و « أم » في أول الشطر الثاني : حرف يعنى « بل » كما في قول الله تبارك وتعالى : « قل هل يستوي الأعمى والبصير ؟ أم هل تستوي الظلمات والنور ؟ الآية رقم ١٦ من سورة الرعد . و « بل » هنا : للإضراب الانتقالي : أي الانتقال من معنى إلى معنى آخر . والظنن (يفتحين) : جمع الظنينة : وهي الراحلة : أي الركوبة يزحم عليها ، من ظنن (من باب منع) : أي سار ، وارتحل ، وسائر . ويريد بالظنن : أمثاله المغتربين المهلدين من أوطانهم .
 سلبته الليالي حريته ، وأمنه ، وطمأننته ، وما كان يستمتع به في وطنه بين أهله وصحبه من سياة طيبة وادعة هنية ؛ فتعنى في الشطر الأول أن ترد إليه الليالي بعض هذه الأساليب . ثم تعنى في الشطر الثاني أن يعود المغتربين إلى أوطانهم ، وهو بعض ما تنهه في الشطر الأول .

(٤) أهنت نفسي : أذللتها ، من الإهانة : وهي الإذلال والاستخفاف . والحب : أي سبب الحب ، ومن أجله ؛ فاللام هنا : تعليلية . أوهى معنى « في » : أي في سبيل الحب . أوهى الحب (بكسر الحاء) : بمعنى المهرب : أي تظلمن للمحبوب ، وذلك ، والقاد . والمؤنة : القوة ، والقلة ، والحمية ، والألفة . ونسبها الدلة ، والضعف ، والمهالة . والاستغهام في أول الشطر الثاني : معناه النفي ؛ فكل عزيز قوي تهاور عزته وقوته تحت سلطان الحب والفرام . ووهن يهين (من باب وهن) : ضعف والكسر .

يقول : إن سلطان الهوى والفرام يهدم عزة الأحرار ، وقوة الأقوياء ، وإن المهرب يسيطر بسره الحب وسلطته على الحب المستهام ، ولو كان عزيز النفس ، شديد البأس ، قوي الشكيمة ، ذا ألفة وحمية ، وإياء وكرياء .
 والفتن في هذا البيت ، وفي الأبيات التي قبله ، والتي بعده إلى البيت الثاني والعشرين من هذه القصيدة ، وفيها شاهيات من السرفدييات - هو في حقيقته وجد الشاعر وحنينه إلى وطنه ودياره ، وتعلقه بمن فارقهم من أهله وصحبه .

(٥) « لو » حرف شرط وتقدير ، إذا دخلت على ثبوتين كانا متغيبين ، وإن دخلت على متغيبين كانا ثبوتين ، كما في هذا البيت . والمضى : في الهوى سرٌّ ظهرت الفتن في العالم بحسب قدرته . والهوى =

فَكَيْفَ أَمْلِكُ نَفْسِي بَعْدَ مَا عَلِقَتْ بِي الصَّبَابَةُ حَتَّى شَفَنِي الْوَهْنُ^(١)
لَوْلَا جَرِيرَةُ عَيْنِي مَا سَمَحْتُ بِهَا لِلدَّمْعِ تَسْفِحهُ الْأَطْلَالُ وَالْدَّمْنُ^(٢)

الحب والغرام. وسر الهوى : ما خفي من حقيقة أمره ، وشدة تأثيره في الحب المستهام . والوحى : الإيحاء . والإشارة . وفيه معنى المجلة ، والسرعة (وفعله من باب وحي) . والعالم : الخلق ، والناس . والفن : جمع فنة (يكر فسكون) : وهي تدلّ على الماشقين ، وقيامهم . وفنتت المرأة عاشقها : أى أصعبته ، وأصنّته ، وولّته ، وشغلت بالهوى قلبه ، وسلّبت عقله وفزّاده . أو يراد بالفن : بليلة الأفكار ، والشذائد ، والاضطرابات التي تضطرم بين الناس بسبب ما يكون بين فتياتهم وقتياتهم ، وربّاهم ونسأهم من علاقات الحب والغرام ، وما يلابسها من الفرية ، والعدل ، والحق . أو يراد بالفن : ما يتجسّد الهوى من عذاب المحبين أو صاب .

يشير إلى ما خفي على الناس من أسرار الحب ، ومحبتات الغرام ، وما يميزه من سرعة المقدرة ، وقوة السلطان ، وما يملوّن الوجود من فتنه وآثاره . وفي ثلاثة أبيات الآتية بيان وتفصيل لبعض هذه الآثار . (٦) الاستفهام في أول هذا البيت : معناه النفي : أى فلست أملك نفسى ، ولم تبق لى سيطرة عليها ، ولا أستطيع التصرف فى أمرى بإرادتى واختيارى . وعلق الشيء بالشيء (من باب تمب) : نشب فيه ، واستسلك به ، وتعلق . والصبابة : رقة الشوق ، وسرارة الهوى . وشغنى : هزلنى ، وتخلّى ، وفسّرنى ، وأخسّانى (وبابه ردّ) . والوهن (بفتحتين ، أو بفتح فسكون) : ضعف فى البدن ، وفى الأمر ، وفى العمل . (وفعله كوهه ، وفرح ، وروث ، وكرم) .

فى البيت السابق أشار إشارة مجملة إلى فن الهوى فى العالم ، وآثار الشق فى الماشقين . وفى هذا البيت تفصيل لبعض هذه الآثار ، فقد نشبت الصبابة بالشاعر ، وبرّح به الشوق ، وتمكّن منه الحب ، فهزله وأضعفه وأضناه ، وأفقدته السيطرة على نفسه .

(٧) لولا : حرف يدل على امتناع شيء لوجود غيره . وهي هنا داخلة على جملة من : اسمية فعلية ، لربط امتناع الثانية بوجود الأولى . والثانية منفية فى الأصل . وقد أفادت «لولا» امتناع النفي : أى نفي النفي : أى الإيجاب . والمعنى : أن جريرة عينه وانهمار دمه موجودان ثابتان ، والملافة بينهما : علاقة السبب بالمسبب . والبحرية : الجنابة ، والذنب ، والخليفة . وجريرة عينه : أنها نظرت . إلى الحسنة المتفزل بها ، فهو بها ، وتعلّق بها ، وكان من آثار الهوى ما أشار إليه فى البيت السابق ، وما شكاه فى هذا البيت من قرط وجهه ، وكثرة بكائه ، وفزارة دمه . وسمح : جاد ، وأعلى ، وبذل . وسمح له بكذا : أذن له فيه ، ووافق على ما يطلب : أى ولولا جريرة عيني ما سمحت لدمي أن يجري بها . أى يجري فيها ، أو منها . أوهى من تصحيف الناسخ ، وصوابها سمحت . أى صبيت ، من قولهم : سمح الماء والدم ويحريها (من باب ردّ) : إذا صبّه بشدة وفزارة . ويلاحظ أن الشاعر عدّاه إلى المفعول به باللام ، وهو تمتد بنفسه : أى ولولا جريرة عيني ما سمحت الدمع بها : أى منها . وتسفحه (من باب قطع) أى تسفح الدمع : أى تصبّه وتجريه . وفاعله «الأطال» . أى رؤية الأطالال ، والوقوف بها : جمع طلل (يورن سبب وأسباب) : وهو ما يوقى شاخصاً : أى قائماً ظاهراً من آثار الديار التي هجرها أهلها .

دَعَتْ إِلَى الْغَى قَلْبِي ، فَاسْتَبَدَّ بِهِ شَوْقٌ تَوَلَّدَ مِنْهُ الْهَمُّ . وَالشَّجْنُ (٨)
وَدُونَ مَا تَبَغَّيَهِ النَّفْسُ مِنْ أَرْبٍ بَيْدَاءُ تَصْهَلُ فِي أَرْجَائِهَا الْحُصْنُ (٩)
وَفِي الْأَكْلَةِ آرَامٌ تُطِيفُ بِهَا أَسَدٌ بَرَانِئُهَا الْحَطِيبَةُ اللَّذَنُ (١٠)

= ومثلها الذنن : جمع دمنة (بوزن ملنة ومثل) : وهي آثار الناس ، وما سودوه : أي آثار المنازل والديار التي ارتحل عنها أهلها ، فالتوت : أي خلت منهم ، وشريت بهمهم .

والبيت صورة من صور الحب البعوى القديم ، والعيشة البدوية في شبه الجزيرة العربية ؛ إذ كان طابعها التنقل في طلب الماء والمرعى ؛ فإذا مرَّ الماشق بالأطلال والذمن وقف عليها ، وتنتهى بما كان له فيها مع مشوقته من لقاءات وذكريات ، تثير الوجد والصباة ، وتبث الأسى والبكاء . والبارودي متأثر بقداوى الشعراء ، يقتدى بهم ، ويتسج على متوالم ، ويحوى بشعره شعرهم ، ويمرغن مثل هذه الصور التقليدية القديمة في مثل هذا المقام ؛ لييسر بها عن وجدده وحنيته إلى أهله ووطنه .

(٨) دعاه : صاح به ، وفاداه . ودعاه إلى الشيء : أي حثه عليه ، وساقه إليه . وفاعل « دعت » : ضمير « عيني » في البيت السابق . وقد أسلفنا أن نظرتة إليها أوقعتة في شرك الهوى ، وجبال الغرام . والفنى : الجهل والفضائل . وضده الهدى والرشاد . ويراد بالفنى هنا : الهوى والغرام . واستبد الأمر بفلان : غلبه ، فلم يقدر على ضبطه . واستبدت بقلبه الشوق : سيطر عليه ، وبرح به . وتولد الشيء من الشيء : نشأ عنه . ومنه : أى من الشوق . والهم : الحزن والقلق . والشجن : الحزن .

في البيت السابق قال : إن نظرتة إلى الحسنة المتزلز بها كانت من جزائر عينه عليه ؛ إذ أوقعتة النظرة في شرك الهوى ، وجبال الغرام ، وبرح به الوجد والهيام ؛ فبكى ، واشتد بكاءه ، وسج دمه ، واشتد انصبابه .

وفي هذا البيت : أن هذه النظرة ساقط قلبه إلى الفنى ، وحادثت به عن سبيل الرشد ؛ فغلبه الحنين والشوق ، وبنا نشأ ضحبا ، ولا يسهما من القلق والحزن .

(٩) « دون » هنا : ظرف مكان ؛ بمعنى « قبل » أو بمعنى « بين » . وتبته : تريده وتطلبه . ومن : بيانية ، لما بعدها ، وهو « الأرب » : بيان لما قبلها ، وهو « ما تبته » . والأرب : الحاجة . أو الحاجة الشديدة . أو البلية والأمنية . والبيداء : اللقطة ، والمفاضة ، والصحراء . والصهيل والصهال : صوت الفرس (وأمله كضرب ونفخ) . والأرجاء : التواشى : جمع رجأ (بوزن صدئ وأصداء) . والحصن : جمع حصان (بكسر الحاء) : وهو الدائر من الخيل . وصهيل الحصن في أرجاء البيداء : كناية عن امتداد نواحها ، وتباعد أطرافها ، وصعوبة اجتيازها ، ومهد ما يبتغيه الشاعر ويتناه . والحنى : أنه لا سبيل إلى بلوغ مبتناه ، وتحقيق ما يبتناه .

(١٠) الأكلة : جمع إكليل (بكسر فسكون فكسر) : وهو شبه الشفاء يحيط بالشئ . ويراد به هنا : السر الذي تحجب فيه الفتاة المخذلة وتصان . والإكليل أيضاً : منزل من منازل القمر . ويراد =

مِنْ كُلِّ حَوْرَاءٍ مِثْلُ الظَّهْمِيِّ، لَوْ نَظَرْتَ لِعَابِدٍ لَشَجَاهُ اللَّهُوَّ وَالْدَدْنُ^(١١)
فِي نَشْوَةِ الرَّاحِ مِنْ الْحَاظِلِهَا أَثَرُ^(١٢) وَفِي الْجَاذِرِ مِنْ أَلْفَاظِهَا غُنْنُ^(١٣)

« بالأكلّة : منازل الآرام ، أو الأقام : أي الحناوات المنزول بهن . والآرام ، وشغلها الأودام : جمع رُم (بكسر فسكون) : وهو قناني (أي الغزال) : الخالص البياض . وتشبه به الحسناء من النساء في جمال الجيد والمينين ، والرشاقة ، ولطف الحركة ، وحسن المشي . وتعليق بها : تحيط بها : والأسد : جمع أسد ، ويضرب به المثل في القوة والجرأة ، ويشبه به الرجل القوي الشجاع . وإطافة الآساد بالأكلّة والآرام : كناية عن مناعة هؤلاء الحسان ، وبإلفة أهلهن في حمايتهن ، وصعوبة وصول عشاقهن إليهن . وبرائث السباع والطير الصائدة : غالبها : وهي بمنزلة الأظفار من الإنسان . واحدها « برثن » (بوزن « برثم ») . والمطليّة : الرياح المنسوبة إلى الخط : وهو موضع ببلاد البحرين ، تباع فيه الرياح ، وتنسب إليه . واحدها الخطي . وريح لندن (بوزن سهل) : ورياح لدان (بوزن صماب) ولدن (بضم فسكون ، وضم الدال في مثل هذه الكلمة إتياع لفظة اللام قبلها) : أي فيها لين وسرولة . والدانة والدولة من الصفات المستحسنة في الرياح .

في البيت السابق قال : إن له أرباً يصعب الوصول إليه . وفي هذا البيت تفصيل لهذا الإجمال ، فأراه لقاء حسان كالآرام ، محببات ، يحمين بالسلاح رجال شجعان أولو قوة ، وأولو بأس شديد .

(١١) « من » في أول البيت : بيانية ، فأبعدها وهو « كل حوراء » بيان لما قبلها ، وهو « آرام » . وحوراء : أي فتاة حوراء : صفة من الحور (بوزن الطرب) : وهو شدة بياض بياض العين ، مع شدة سواد سوادها ، مع استدارة حلقها ، ورقة جفونها ، وإيضاض ما حولها . أو شدة بياضها وسوادها في شدة بياض الجسد . (والفعل من باب طرب) . والحوراء من النساء : البيضاء . والجمع حور (بضم فسكون) . قيل : ولا يكون حور العين إلا مع بياض البشرة . والغلبى : الغزال ، وتشبه حسان النساء بالظباء . وشجاء (من باب عدا) : أهله ، وأطره ، وشغل باله . واللهو : مصدرها بالشيء (من باب عدا) : أي أولع به ، وأحرم . يلدن : اللهو ، والعب .

العابد مقبل على عبادة الله تعالى ، مشتغل بها ، منصرف عن غيرها ، يحقت ما يناقضها . والحور العين اللاتي شبههن الشاعر بالآرام باهرات الحسن ، فائحات الجمال ، ساحرات الميرون ، لو نظرت إحداهن إلى عابد لفتنته ، ولو شفته ، وصرفته عن العبادة والطاعة . يكنى الشاعر بهذا كله عن فائق حسنين ، وسحر نظراتهن ، وشدة تأثيرهن فيمن يراهن ، ولو كان من المبتدأ الزهاد .

(١٢) الرياح : الخمر . ونشوتها (بتثنية التثنية) : سكرتها . وألحاظها : نظراتها : أي لنظرات الحور اللاتي يتنزل بهن . ولحظه ، ولحظ إليه (من باب قطع) : نظر إليه بمؤخر عينه . ومن كلامهم « فتنت ألحاظها ولحظاتها » . والأثر : العلامة والأمارة . وأثر الشيء : بقيته ، وما يبعثه في غيره . وجمعه آثار . وألحاذر : جمع جؤذر (بضم الذال وضحها) : وهو ولد البقرة الوحشية . والكلمة فارسية . وتشبه المرأة الحسناء بالبقرة الوحشية في جمال المينين ، وحسن اتساعهما . والثمن : جمع غنة (بوزن قلّة) : وهي صوت رخيم يخرج من الخيشوم . وفي ترتيب الظبي ونشوه غنة : وهي ترخيم في صوته من نحو الخياشيم ، بمون =

دَقَّتْ، وَجَلَّتْ، وَلَا تَتْ، وَهِيَ قَاسِيَةٌ كَذَلِكَ حَدُّ الْمَوَاضِي لَيْنٌ خَشِينٌ (١٣)
طَوَّتْ بِهِنَ النَّوَى عَنِّي بُلُورٌ دُجِّي لَا يَسْتَيِّنُ لِعَيْنِي بَعْدَهَا سَنٌ (١٤)
أَتَبَعْتُهُمْ نَظَرَاتٍ كُلَّمَا بَلَغَتْ أُخْرَى الْحُمُولِ ثَنَانَهَا مَدَّعٌ هَتُنٌ (١٥)

= من كَفَسَ الْأَنْفَ .

فهو ينظرات الحور ، ونبرات أصواتهن ، قائلا : إيهن هذه النظرات والنبرات يستهوين المشاق ، ويذهبن بالباهم ، كالحمر تسكر شاربها ، وفيهن الجاذر والظباء تطرب مستمعها . ثم بالغ ، فقلب التشبيه ، فقال : في سكرات الحمر آثار من لحظتهن ، وفي غن الجاذر مشابه من رعاة الغناظهن . وقد أسلفنا أن هذا الغزل هو في حقيقته تصوير دقيق بليغ لما يكابده في غريته وبنائه من الوبد والشرق والحنين إلى أهله وصحبه ووطنه .

(١٣) دَقَّتْ : رَقَّتْ : من النقة والرقّة : وهما خلاف الضخامة والخنانة والنظ والصلابة . و«عَلَّ» : ضمير مستتر يعود على «الآرام» في البيت العاشر . وجَلَّتْ : عظمت : وهي تفيض «دَقَّتْ» . ولان الشيء : سهل ، وأنفاد : فهو لَوْنٌ : أى سهل مرث . وقاسية : اسم فاعل من القسوة : وهي الغلظ ، والصلابة ، واللثة في كل شيء . وقلب قاس : جامد غير رحيم . وحسد كل شيء : طرفه الرقيق الحادّ القاطع . وسيف ماضٍ : حادّ ، سريع القطع . وسيف مواضٍ . ويراد بخشونة الحدّ : «دعته» ومضاؤه ، وسرعة قلعه . وليته : مرونته : وهو ضد الخشونة .

تدزل في البيت العاشر باللسان المحببات ، وشبههن بالآرام ، وشكا منا معهن ، وتدسّر الرسول إليهن . ثم وصفهن في هذا البيت بالذقة والرقّة واللين ، يريد دقة الشعور ، ورقّة الطبع ، ولين الجانب . وفيهن مع هذا كله عظمة متبجبة ، وجلال ، وخشونة وغلظة وقساوة على العاشق الصبّ المستهام ؛ شأنهن في هذا كله شأن السيوف المواضى ؛ فهي مع ليانها وبروتها حادة قاطعة .

(١٤) طوى الشيء (من باب طوى) : ضم بعضه على بعض ، أو لفّ بعضه فوق بعض . والعلّى : خلاف البسط . والنوى : البعد ، والفرقة . وهي مؤنثة . ووطنه النوى عني : غيبته وأخفته . وبين : أى بالآرام : أى يطيهن وإبعادهن . واليدور : جمع اليدور : وهو القمر ليلة تمامه وأكملته في منتصف الشهر القمري . والدجى : جمع دجية : وهي الظلمة (يضم فسكون لهما) . ولا يستين : لا يظهر ، ولا يتضح . وبمدها : أى بمد النوى ، أو بمد يدور الدجى : أى بمد فرقتهما وبمدها ، وفراجهما . وسنن الطريق (مثلثة السين) : بهجتهم وبهجته .

شبههن بالآثمار المكتملة ، تنثر الفسياء ، وتبدّد الظلمات ، وتبثث الارتياح والطمانينة ، والهجة والانشراح ؛ فلما طوّهن النوى عنه أظلمت الدنيا في وجهه ، والتوت عليه الأمور ، واستبست أمامه الطرق .

(١٥) أَتَبَعْتُ الشيء اتبعا : ألتفتت به ، وجعلته تابعا له . وأتبعتم نظرا : أى أرسلت نظراتي إليهم في أثناء الرحيل ؛ فهي تتبعهم وتلحقهم ، وتسير في إثرهم . ويلاحظ أن الشاعر استخدم في البيت السابق ضمير جماعة الإلذان « بهن » ، وأعادته على الحور في البيت الحادى عشر : « من كل حوراء » =

يَا رَاحِلِينَ وَفِي أَحْدَاجِهِمْ قَمَرٌ يَكَادُ يَعْبُدُ مِنْ حُسْنِهِ الْوَثْنَ (١٦)
مُنُوا عَلَى يَوْضَلٍ أَسْتَعِيدُ بِهِ مِنْ مُهَجَّتِي رَمَقًا بَحْيَا بِهِ الْبَدَنُ (١٧)

== أوّل «الآرام» في البيت العاشر، أي البدر، أو البدر الحسن اللطيف تفرّد به. وفي هذا البيت والأبيات التالية استخدم شاعر الذكر العقلاء «أَتَيْتُهُمْ» «يَارَاحِلِينَ» وفي أحداجهم قمر .. وقد أسلفنا أن الفزل في هذه القصيدة ونظائرها ليس إلتصويراً بل بلفظاً لتلقفه بولته ودياره، وحسينه إل من فارقهم من أهله وصحبته. لقد اشتدّ به الوجد في منفاه، فجعل ينظم هذه الأغاني الباكية المبكية، الشجيرة المشجية. وللآخرى: الأخيرة. وضدّها الأولى. والحمول (بضم الحاء): جمع حمل (بكسر فسكون، أو بفتح فسكون): وهو المودج. أو البجر عليه المودج: وهو أداة ذات قبة، أو شبه بيت مكعب، يوضع على ظهر الحمل؛ لتركب فيه النساء. وثناها: صرفها، وردّها (وبابه ردي): أي ثنى النظرات، وردّها، وحجبها. والمدمع: سميل الدمع. أو مجتمع الدمع في نواحي العين. ويراد به الدمع. ويجمع المدمع مدامع. والجمع هو المراد هنا: أي دموع هنّ (بفتحة) : جميع هنون (بوزن ضبور): أي غزير، منصّب، متتابع. يقال: دمع هنّ، ودموع هنّ.

وفي هذا البيت صورة بدوية لموقف من مواقف الدواع، شديد التأثير والتأثير في النفوس؛ فالشاعر يتبع من فارقهم وفارقوهم من أهله وأصحابه بنظرات حبه ووجده، وكلما بلفت نظراته أغريّات الراسل والمودج ارتدت إليه بدموع غزيرة تهطل هطلاً.

(١٦) الراحلون: جمع راحل: اسم فاعل من رحل عن البلد (من باب منع): أي ارتحل عنها، وسار، وبقي. ونداء الراحلين هنا يُمّ على الوجد والحسرة، والأسى، والصباية. والواو بعده: واو الحال. والحمله بعدها حالية. والأحداج: جمع الحدج (بكسر فسكون): وهو مركب من مراكب النساء كالمودج، والمحفّة. و «من» في الشطر الثاني: تمليكية: أي يميده الوثن لحسنه، أو بسبب حسنه، أو من أجل حسنه. والوثن: التمثال الذي يعبد: يكون من الحجر، أو الخشب، أو النحاس، أو الفضة، أو غير ذلك. والوثنيون: عبدة الأوثان.

نادى الذين فارقوه، وارتحلوا عنه نداء المتعلق بهم، المتحسّر على فراقهم. وخمسة يورجده وتحسّر فاة منهم حسناء كالقمر. ثم بالغ في تصوير حسنها، فقال: إن الوثن — وهو ممدود — يكاد يميدها لقرط جمالها.

ومعنى الشطر الثاني — في غير مبالغة —: أن منزلة هذه الحبيبة في قلبه أعظم من منزلة الوثن في قلب الوثني. ويلاحظ أن الشاعر ما زال مولماً بالصورة البدوية، أو العربية القديمة؛ فالحمل، والأحداج، والمودج، والراحل، والمحفّات كلها من أدوات العرب الراسل، ومراكب نساءهم في الأسفار والتنقّلات، وما اعتادوا توثيقه للمرأة من الصباية والحجاب.

(١٧) «من» عليه بكذا (من باب رد): أنعم به عليه. والوصل: ضد الهجر: مصدر وصله (من باب وعد). والمهجة: الروح والنفس. والريق (بفتحة): بقية الروح. وبدن الإنسان: جسده. =

أَوْ قَاسَمُحُوا لِي بِوَعْدِ إِنْ وَتَّ صِلَةً قَالَوَعْدُ مِنْكُمْ بِطَيْبِ الْعَيْشِ مُقْتَرُونَ (١٨)
لَمْ أَلَقَ مِنْ بَعْدِ خُتْمِ يَوْمًا أَسْرُ بِهِ كَانَ كُلُّ سُرُورٍ بَعْدَكُمْ خَزَنٌ (١٩)
يَا حَيْرَةَ الْحَيِّ ! مَالِي لَا أَتَالُ بِكُمْ مَعُونَةٌ وَبِكُمْ فِي النَّاسِ يُعْتَوْنَ؟ (٢٠)

== في البيت السابق نادى الراحلين عنه ذواه الواجد بهم، المتحصرون على فراقهم، ونزه بالقمر الذي في أحداهم.
وفي هذا البيت اشترط به لوعة المبران حتى أشق على الملاك؛ فطلب إليهم أن يستنوا عليه بوصال يمد إلى جسده الحياة بإعادة البقية الثقليلة الباقية من روحه المتهلك في سبيل الحب والفراق.

(١٨) صحح له بكذا (كفتح) : جاد ، وأعطى . أو وافق على ما أريد منه . ويراد بالوعد : وعد الوصال . ومثله الوصل ، والصلة . ووتت : فترت ، وضغفت . والمراد عزت وصمبت . والعيش : المعيشة والحياة . وطيب العيش : لذته وحلاوته . أو حسنه وبيدته . أو زكاه وطهارته . ومقترن : متصل : أي وعدم بوصاله مقترن بطيب عيشه : أي طيب عيشه ، وبدأ باله ، وجنأ حاله إذا عدوه بالوصال ، وينزه بالإقبال .

في هذا البيت والذي قبله طلب إليهم الوصال الذي يمد إلى جسده الروح والحياة، لأن تمسروا تمسى قطع بوجد الوصال ؛ فقد ينشأ أمل ، ويبدئ باله ، وتطرب به حياته :

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل !

(١٩) من بكم : أي من بعد فراقكم . والطلب الراحلين .

فارق أحبابه وفارقوه ، فافترق شمله ، وسامت بدمهم أيامه ، وزايله المرح والسرور ، ولازمه الغم والشجن . وتشبه السرور بالحزن في الشطر الثاني : معناه أنهما قد تشابها وتشاكلا ، واختلطتا ، والتبسا عليه ؛ حتى أصبح لا يميز أحدهما من الآخر ، بمعنى أن أمره كله أصبح بدمهم همًّا وغمًّا ، وشجنًا وحزنًا . وقد تكون « كان » للتحقيق ، وليست لتشبيه : أي لأن كل ما يبعث في نفوس الناس الفرح والسرور يثير في نفس التلق والفسح ، والعلم والغم ، بمد أن حرمي الدهر وصلكم ، وفرق بيني وبينكم .

(٢٠) جيرة : جميع جار : وهو الجوار في السكن . والجار أيضاً : الخليف ، والناصر ، والمجير . والحي : القبيلة من العرب . والجميع أسياء . وما جيرة الحي : أي يا من يجاورون حينا . أو يا من يجبرونه وينصرفونه . أو يا جيرة من حينا ، أي من أهلنا وبني وطننا . ومثل هذا التذاه : أسلوب عربي قديم . والشاعر هنا يستعير كل من يرق له ، ويرز حاله ، ويستطيع إيجاده بهصرته . والاستفهام في البيت : « مالى لا أتال بكم معونة » : معناه التعجب ، أو الإنكار والاستهجان ؛ فهو يتسبب من قعودهم عن معولته ، والوفاء بحق الجوار . أو هو يشكر هذا القمود ، ويستعجه منهم . ولا أتال بكم : أي لا أتال منكم . والمعونة ، والعمد ، والإعانة : النصرة ، والمساعدة . والوارث الشطر الثاني : وأو الحال . والجملة بعدها حالية . وفي الناس : أي فيما يصيب الناس من الشدائد والأزمات . وقد تكون « في » : بمعنى « من » : أي وبأشكالكم من الناس يتنون : أي يستهان . وتقديم الحار والمجروح هنا يفيد التقصير . والذي في القاموس وغيره : تماولوا ، واعتزلوا : أي أعان بعضهم بعضاً ==

مَاذَا عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ بَادِرَةٍ إِذَا تَرَرْتُمْ فِيكُمْ شَاعِرٌ قَطِينٌ؟ (٢١)
أَيِ السُّوَيْيَةِ أَنْ يَبْكِيَ الْحَمَامُ ، وَلَا يَبْكِي عَلَى لَيْلِهِ دُو لَوْعَةٍ صَمِينٌ؟ (٢٢)

في البيتين السابع عشر ، والثامن عشر اتجه الشاعر بخطابه إلى أحبائه معتمداً عليهم الوصال ، أو الوجد بالوصال . وفي البيت التاسع عشر قال : إن السرور فارقه بفراقهم ، ولأزله الأسى والحزن بعدمهم . وفي هذا البيت ناداهم مستنجداً مستنجداً . أو هو قد انتقل إلى فناء من يستطيعون إنقاذه ، واستجداد من يستجدهم الناس في الشدائد والملمات ، متمجياً ، أو متعجباً ، أو منكراً قصدهم عن إبعاده وهم أهل شهامة ونجدة . وفي الشطر الثاني معنى الحزن والترغيب والحسرة على تلبية نداءه . وقد أسلفنا أن هذه الأبيات وأمثالها ظاهرها الفزل ، أو النسيب ، أو التشبيب ، وحقيقتها التفتي بوطنه ودياره ، والحنين إلى أهله وأحبائه ، وتغنى المودة إليهم ، واجتماع شمله بهم .

(٢١) الاستفهام في أول البيت :- معناه التني : أي لا تتريب عليكم ، ولن يلويكم أحد . أو لن يصيبكم أذى . والواو : واو الحال . والمعلمة الاسمية بعدها : جملة حالية . وأهل بادية : أي أهل نجدة ، وأصحاب معونة . ويتر إلى الخير : سارع إليه . والبادية في الأصل : القضية السريعة ، وما يبرر من الغاضب عند حدته وغضبه . وترثم : رجعت صوته ، وطرب به ، وتغنى . وفطن (بكسر الطاء وضمها) : ذر لفظة (بكسر فسكون) : وهي الفهم ، والحلق ، والمهارة ، وبجودة اعتماد الذهن لإدراك ما يرد عليه .

في البيت السابق نادى جيرة الحى مستنجداً بهم . وفي هذا البيت نوره بحميتهم ، وسرعة فزعهم لمن يستجيرهم . وفن أن يصيبهم حرج أو سوء إذا استمعوا لشاعر فطين ، يتفتى فيهم بشعره ، ويردد الحنين إلى أهله ووطنه . وفي البيت فخر بقطاعته . ولعله يقصد بمثل هذا الشعر تمريض الأحرار من بني وطنه على النفس له ولأمثاله ، والمطالبة بفك أسارى ، وإعادةهم إلى وطنهم .

(٢٢) الاستفهام في أول البيت : معناه التني : أي لا يستويان . أو ليس من العدل والإنصاف ، والسوية : العدل والنصفة ، أو الاستواء والاعتدال . ويراد بكاء الحمام : سجمه وهديره وفؤاده . والإنصاف (بكسر فسكون) ، والأليف ، والمألوف : الحبيب ، والصديق ، والمزائل : من ألقه (من باب علم) : أي أنس به ، وارتاح له ، وأحبه . ويراد بالألف هنا : الوطن ، والأهل ، والصحب . والقوكة (بفتح فسكون) : حرقه المم والحزن ، أو حرقه الشوق والحب ، أو تحوُّره . ولاعه الحب ونحوه (من باب قال) : أحرقه وأستهناه . ومن : زين (بفتح فكسر فيها) : أي مريض طال مرضه ، ولأزنته علته : من القسالة والزمالة : وهي العلة الطويلة المؤلمة ، والمرض الخمار الملازم . ويراد به هنا : حلة الوجد والحب ، والشوق والحنين . ويلاحظ أن البارودي وصحبه اتفقوا في مفاهيم سبعة عشر عاماً ، أو تزيد . وبعضهم قضى نعيمه في المنى .

والمنى : ليس من العدل ، أن يطلق الحمام في بكائه وفؤاده ، ويستمع الناس لسجمه وهديره ، ولا يسمح لمثل أن يترنم باكياً على من حبل بينه وبينهم من أهله وألفائه ؟ فلاحه الشجر والوجد ، وأبكاه الفراق والهدم . وهدل الحمام صوته الطبيعي ، وبكاء الشاعر في منفا صدى لما يضانيه من لوايح الشوق والحنين ، وأوصاب التني والتشريد .

يَا حَبْلًا مِصْرُ لَوَدَامَتْ مَوَدَّتَهَا وَهَلْ يَلُومُ لِحَى فِي الْوَرَى سَكَنُ (٢٣)
تَلَلِهِ مَا فَارَقَتْهَا النَّفْسُ عَنْ مَلِكٍ وَإِنَّمَا هِيَ أَيْامٌ لَهَا إِنْ (٢٤)
فَلَا يَسُرُّ عُدَاتِي مَا بَلَّيْتُ بِهِ فَسَوْفَ تَغْنَى، وَيَبْقَى ذِكْرِي الْحَسَنُ (٢٥)

(٢٣) «يا حبلًا» : «يا» : حرف فداء ، والنادي محذوف . أو هي حرف تنبيه . و «حبلًا» مصر : أسلوب مدح . و «لو» : حرف تقدير ، إذا دخلت على ثبوتين جعلتهما متضادين . أو هي حرف يفيد التخييل . والمودة : المحبة . والشطر الثاني : تذييل جار مجرى المثل ، مؤكده لمعنى الشطر الأول ، وهو زوال مودة مصر وانقطاعها بالثمن والإبعاد . والاستفهام في أوله : معناه التخييل : أي ولئن يدوم لحي في الورى سكن . والحي : صفة من الحياة . وضده الميت . والورى : الخلق والناس . والسكن : كل ما سكنت إليه : أي استرحمت إليه ، وألفته ، واستأنست به . ويراد بالسكن حبنا : الراحة ، والطمانينة ، واجتماع الشمل ، ورياء الهال ، وهناء الحال .

في الشطر الأول مدح مصر وطنه الحبيب ، وأشار إلى أن فليح منها ، وإبعاد عنها قد حرره مودتها ، وتخيّل لو دامت له المودة . ثم عزى نفسه بالشطر الثاني قائلاً : إن الناس مرفوضون لمثل ما ابتل به ، وإنه لا سبيل إلى دوام الاستقرار ورياء الهال في هذه الحياة .

(٢٤) الإحس (بكسر فتحة) : جمع إحسة (بكسر فسكون) : وهي الحقد ، والضغنة . ومن كلامهم : «إن الإحس نجر المحن» : أي تجلب الهلايا والرايا والآفات . وقد يراد بإحس الأيام : ضغائن أهل الدهر ، وشرار الناس الذين انطاعوا للحقد والضغنة ، فنكسروا بالمجاهدين الأحرار . يقول : إنه لم يفارق مصر عن سائمة وضجر ، وإنما أبعدته عنها صروف الدهر ، وضغائن الزمان ، وبغى الهال والأيام . يشير بهذا إلى محنة تجريده وتشريده ، ونفيه وإبعاده عن وطنه في أعقاب الثورة العراقية . وقد أكد قوله بالقسم الذي صدر به البيت .

(٢٥) «لا» في أول البيت : فاعية ، والمضارع بعدها مجزوم بها : فالشاعر ينهى أعداءه عن السرور بما بل به . ويراد بالثمن : التوبيخ ، أو اللعن . أو هي فاعية ، والفعل بعدها من مرفوع : بمعنى أن ما بل به الشاعر لا ينبغي أن يسر أعداءه . والمادة (بضم العين) : جمع العادي : بمعنى العدو ، والمعدى ، والمعادى . وبلاء (من باب عدا) : جرّبه ، وامتنحه ، واختبره . وما يبل به الشاعر : ما أصابه من الثمن والإبعاد ، والبلاء والاضطهاد . وفي الأصل المخطوط : «سوف يفنوا» . وصحة الإعراب : فسوف يفنوا ، والتعديل الذي ذهبنا إليه : «سوف تغنى» . يتيم الإعراب . وفاعله ضمير «عداتي» . أو هي : «سوف تغنى» بنون المتكلم ومع غيره : أي سوف يصيبني ويصيبهم الفتاة والحلاك ، ويقيم من يمدى ذكرى الحسن . أو هي : «يفنى» أي سوف يفنى البلاء الذي بليت به : أي يتكشف ، ويزول ، وينتهي . والذكر (بكسر فسكون) : الصيت ، والثناء . والشرف ، والملاء ، والسمعة ، والسمعة . والحسن : تأكيد لحسن الذكر .

عَظُمَ ابْتِغَادِي إِغْفَالًا لِمَنْقَبِي وَذَاكَ عِزُّ لَهَا لَوْ أَنَّهُمْ قَطَعُونَا^(٢٦)
فَإِنْ أَكُنَّ سِرْتُ عَنْ أَهْلِ وَعَنَ وَطَنِي فَالِنَّاسُ أَهْلٌ، وَكُلُّ الْأَرْضِ لِي وَطَنٌ^(٢٧)
لَا يَطْوِسُ الْجَهْلُ مَا أَتَقَبْتُ مِنْ شَرَفٍ وَكَيْفَ يَحْجُبُ نَوْرَ الْجَوْنَةِ الدُّخْنُ؟^(٢٨)

= فرح أعداء الشاعر بنظيره ، وسره ما ابتل به ، فكبتهم ، وأحبط شفاعتهم بقوله في الشطر الثاني :
لأنهم صاترون إلى العدم والفناء ، وإنه باق مخلد بنهاة شأنه ، ومحو قدره ، مذكور بين الناس بالإطراء
وحسن الثناء . وفي البيت - مع هذا - تمزية لنفسه ، وفخر ببقاء ذكره .

(٢٦) أغفل الشيء إغفالاً : أهمله ، وتركه . وأغفله عن الشيء : جملة يغفل عنه : أي يسهله
ويتركه . أو يسهو عنه . وينساه . والمتنبة : المحمدة ، والمفخرة ، والفعل الكريم المشهور . ومنائب
الإنسان : ما عرف به من الخصال الحميدة ، والأخلاق الكريمة . و « ذاك » : إشارة إلى الابتعاد .
والمز والعرز : القوة والعلبة : مصدر عز (كفل) : أي قوى ، وبرى من الدل . وما : أي للتنبيه .
وطن للأمر (كمرح ، ونصر ، وكرم) : تبيته ، ونهيه ، وأدركه .

ظن أعداء الشاعر أن ابتغاده عن وطنه سوف ينسى الناس مناقبه ، ويطوى صيته . وهو ظن خاطئ ،
فأقيم حل قلة الفتنة ، وضعف الإدراك ، فالإبعاد ، والنسي ، والبلابا تضاعف حماده وتذيع فضله ، وتخلد
ذكره ، وتنبه الغافلين على مغائره ومكرماته ، وتقرن بالتمجيد والتمجيد وطنيته ونفسياته . وصلة هذا
البيت بالذي قبله واضحة وثيقة ، فالابتعاد ، أو الإبعاد مما بلى به الشاعر ، أي أصيب به ، ونكسب .
ولصيته ومناقبه العزة والقوة ، والبقاء والخلود .

(٢٧) سار عت (من باب باع) : فارقه ، وأبتعد عنه .
سار الشاعر عن أهله ووطنه مكرهاً مجبراً بحكم النفي والإبعاد ، فعزى نفسه ، وهون شدة أعدائه بمثل
هذا البيت ، قائلاً : إن الناس جميعاً في كل مكان أهله وعشيرته ، وإن الأرض كلها وطنه وبقرة ،
وبأنه وشواه .

(٢٨) طسه (من باب ضرب) : محاه ، وأزاله . ويقال : طمس الدرع الكواكب : أي حجب
ضوئها . وأتقب السراج : أضاءه . وأتقب النار : أوقدها وأذكاه . وشهاب ثاقب : أي مفزع . والشرط :
الرفة ، والمجد ، وسلو المنزلة ، وسمو القدر . أو ما يمدّه المهر ، ويفخر به من المناقب والمآثر والمكرمات .
والاستنهام في أول الشطر الثاني : معناه النفي . والحقوة : الشمس . والدخن (بفتح ح) : الدخان .
يقول : إن جهل الجهلاء ، وسفاهة السفهاء لا تنال منه ، ولا تكاد تقوى على طمس ما أنشئه ، ورفع مناره
من المناقب ، والمآثر ، والأعمال الالامة ، والخصائص الكبيرة . والشطر الثاني يؤكد هذا المعنى ، وينهض بإزائه
كالحمية والدليل والبرهان ، فإن الدخان لا يكاد يحجب شيئاً من ضياء الشمس . وفي البيت فخر بالثاقب =

قَدْ بَزَعُ الْعِلْمُ أَقْوَامًا وَإِنْ تَرَبُّوا وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَقْوَامًا وَإِنْ خَزَنُوا (٢٩)
قَرُبُ مَيْتٍ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ نَسَمٌ وَرُبَّ سَيِّءٍ لَهُ مِنْ جَهْلِهِ كَفَنٌ (٣٠)
فَلَا تَغْرَفْكَ أَشْبَاهُ تَمَرٍ بِهَا هِيَهَاتَ، مَا كُلُّ طَرَفٍ سَابِقٌ أَرْنُ (٣١)

— المعنى : من مجده ، وكرمه ، وعلو قدره . ولعله يترفع بمعداته الذين حاولوا التشكيك في وطنيته وإخلاصه ، وشرف مقاصده ، كما حاولوا التشهير بالشورى العرابية ، وأهدافها النبيلة ، وسجلوا على قادتها حملة عنيفة ظالمة بعد الهزيمة والإخفاق والاستسلام : وسمة الآيات الآتية تجرى مجرى الحكم والأمثال ، ولا يصعب وبطها بما قبلها .

(٢٩) « قد » : حرف يفيد التحقيق ، أو التأكيد في مثل هذا المقام . و « إن » في شرطى البيت مجردة من معنى الشرط ، فالعلم يرفع العلماء مع مترتبهم ، والجهل يخفض الجهلاء مع اختزانهم المال . وترب الرجل (من باب تب) : انتفر ، كأنه نطق بالتراب . وخزن المال (من باب نصر) : أحرزه ، وجمعه ، وأدخره ، وبجمله في الخزانة .

يقول : بالعلم يرتفع قدر المرء ولو كان فقيراً . والجهل يخفض الجاهل ، ويؤزى به ولو كان ثرياً كثير المال .

(٣٠) « رب » : حرف غافل ، يختص بالنكرة ، ويفيد التأكيد في شرطى هذا البيت . والفضل والفضيلة : الخير والحمد . وضدهما النقص والتقصية . ومن الفضل : العلم ، والعمل الصالح ، والخلق الكريم ، والنسم (بفتحين) : الروح ، أو نكسها . ويراد به هنا : الحياة الطيبة الكريمة . والكفن : أثواب يلف فيها الميت .

والمعنى : أن الفضيلة ، والخير ، والعلم ، والعمل الصالح يحيا الإنسان حياة طيبة كريمة ، أو يخلد له بعد موته الذكر ، وحسن الفناء . والجهل يميته ، ويقتله ، ويؤزى به ، ويحبط قدره . وهذا البيت والذي قبله يدوران حول فكرة واحدة هي تحقير الجهل ، والتفكير منه . وتعليم العلم والفضل والترغيب لهما .

(٣١) فرب (من باب رد) : خدعه ، وأطمعه بالباطل . والأشياء : جمع فيه (بكسر لسكون ، أو بفتحين) ، وهو المثل والتقليد . وهيئات : اسم فعل ماضٍ : مناه به ، فمى كلمة تيميد لتشابه ، أو للاهتمام به . والطريف (بكسر لسكون) : الكريم من الخيل . وأرن : مرجح ، لشبط (وعلته من باب فرح) .

والمعنى : أن الناس ليسوا سواء ، فلا تتخذ بما تشابه من ظواهرهم . والخطر الفاتل للجهل يؤكد هذا المعنى : لأن الخيل متشابهة ، ولكن ليس كل فرس لشبطاً مرساً ، جواداً سباقاً . وصلة هذا البيت بالبيتين السابقين واضحة : فمى للناس علماء وجهلاء ، وأغنياء وفقراء ، وبهم المحتل بالفضيلة والخير ، والمروصوم بالرديلة والشر ، والحقى في إحسانه وفطسه ، والمكلس بضموك وجهله .

فَلَا مَلَامَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ فَكُنَّا بَيْنَ الْأَقْدَارِ مُرْتَهِنٌ (٣٢)
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ حُكْمٌ فِي تَصَرُّفِهِ لَعَاشَ خُرًا ، وَلَمْ تَعْلَقْ بِهِ الْمَحَنُ (٣٣)
وَأَيُّ حَيٍّ - وَلَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ - يَبْقَى ؟ أَوَى عَزِيزٍ لَيْسَ يُمْتَنُّ ؟ (٣٤)
كُلُّ أَمْرٍ غَرَضٌ لِلْفَحْرِ يَرْشُقُهُ بِأَسْهُمٍ لَا تَقِي أَمْثَالَهَا الْجَنُّ (٣٥)

(٣٢) الملام ، واللامة ، والقوم ، اللبل ، والعتاب . والحادث (بفتحين) : الأمر الحادث المنكر ، غير المعتاد . وأحداث الدهر : فوائده ومصائبه . والأقدار : جميع القدر (بوزن سبب وأصبا) : وهو ما يقدر الله تعالى : أي يقضى به ويحكم . ومرتين (بصيغة اسم المفعول) : مرغوب ، محبوس ، مقيد .

والمنى : إذا كان الناس يملكون أحداث الزمان فلا لا ألبها ، لأنها من الأقدار الجارية على الإنسان ، وكل أمر مرتين بها ، هدف لها ، ولا سبيل إلى توقيها . ولعله يشير بمثل هذا البيت إلى أحداث الثورة العراقية وسببها . والغرض التعلية ، وتخفيف أثر البلى ، وتوطيد النفس على احتمالها ، والتجمل لها . والآيات الآتية ترد هذا المعنى وتؤكد .

(٣٣) الحكم : منصرف حكم (كتعسر) : أي قضى وفصل . ويطلق الحكم على الولاية ، والتحكيم ، وال سلطان . وتصرّف في الأمر تصرفاً : أي احتمال ، وتقلب فيه . وعلق به الشيء (من باب تعلق) : نسب فيه ، واستمسك ، وتعلق . والمحن : جميع محنة (بكسر فسكون) : وهي ما يمتحن به الإنسان من البلياء والشدائد والأزمات .

في البيت السابق : أن كل أمر مرتين بين الأقدار . وهذا البيت يردد هذا المعنى ويؤكد . وليس للإنسان حكم في تصرفه ، ولهذا تفيد حريته ، وأصابت التوابع ، ولو استطاع أن يجرى في أموره كلها على إرادته وسلطانه لعاش حراً عزيزاً عما في من المحن والآراء .

(٣٤) الاستعظام في شطري البيت : معناه النجاة ، وليس الخلق بقاء ولو طالت سلامته ، ولا دوام لمرء عزيز . وأحسن القوي وبغيره أمثاله : أي بطله ، وأصنعه . استعمله المهنة : أي للعمل والخدعة . والامتحان هنا يقابل المرء : وهي القوة ، أو الإجزاء ، والتكريم ، والتقدير . والمحبين (بصيغة اسم المفعول) يقابل العزيز القوي ، النفس الكريم ، لكل عزيز إلى أمثاله وأبطال . وفي معنى الفطر الأول يعلق كعب بن زهير بن أبي سلمى في قصيدته المشهورة :
« بالث ساء . . . »

كل ابن أثنى وإن طالبت سلامته يوماً على آلة حديداه محمول

(٣٥) الغرض : المحدث الذي يرى إليه . ووشقه بالبل (من باب قتل) : رماه . والأصم : جميع سبهم ، وهو عود من خشب يسوى في طوله لصل يرى به من القوس . والجئن : جميع جنه (بوزن =

فَلْيَسْقِبِ النَّهْرُ ، أَوْ تَسْكُنْ نَوَافِرُهُ فَلَسْتُ مِنْهُ عَلَى مَا قَاتَ أَحْزَنُ (٣٦)
 غَيَّبْتُ عَمَّا يُبْهِمُ النَّفْسَ مِنْ عَرَضٍ فَمَا عَلَى لِحْيٍ فِي الْوَرَى مِنْ (٣٧)
 لِكَيْنِي بَيْنَ قَوْمٍ لَا خَلَقَ لَهُمْ إِنْ عَاقَلُوا غَدَرُوا ، أَوْ عَاشَرُوا كُفَرُوا (٣٨)

« قلةٌ وقلل : » وهي كل ما واركك وركاك من سلاح عدوك ، وكل ما استترت به منه . ولا تنق أمثاله الجن :
 لئ لا تنق الوقايات أمثاله هذه الأسم .

والمنى : أن الناس جميعاً أهداف لأحداث الدهر ، وبلايا الزمان ، لا يقيم منها واق ،
 ولا يدفعها عنهم دافع .

(٣٦) شغبم : شغب عليهم ، وبهم (كنع ، وفرح) : هيج الشز عليهم . ويراد بنوافر الدهر :
 ثوراته وشروبه وشاغباته : جمع نافرة : اسم فاعل من نفر : بمعنى شرد وأبعد . أو بمعنى غلب وقهر .
 وأحزن : أحزن .

والمنى : أنه صل بلايا الدهر ، وتعرض بآفات الزمان حتى اعتاد التجلد ، وأصبح لا يزال
 شغب القبائل وشربها ، ولا يعبأ بسكونها وموادعها ، ولا يحزن على ما فاته من متاع الدنيا ،
 وبهجة الحياة .

(٣٧) غيبت عن الشيء : استغثت عنه ، ولم أحجج إليه (وبابه رضى) . و « من » بيانية
 والعرض : متاع الدنيا . ويراد بالمخى : الإنسان . والورى : الخلق والناس . ولحن : جمع منة (يكسر
 الميم فيها) : وهي العارفة ، والصنيعة ، والإنعام ، والإحسان . وصلة الشطر الثاني بالشطر الأول : أنه
 إذا استغنى عن عرض الدنيا ، وزهد في حطامها ، فقد وفّر لنفسه العزة والكرامة ، وصانها بما يهينها ، وهذا
 يتطلب أن يترفع عما في أيدي الناس ؛ فلا يكون لأحد منهم صنيعة أو منة يمن بها عليه . وفي هذا المنى
 أو فيها يقرب منه يقول في إحدى قصائده البائية .

خلقت حيواناً ، لا أرى لأين حرة لدى يدأ أغشى لها حين يغضب

وفي الأبيات الآتية شكوى وقتله يد بمن تجنوا عليه ، وأسأروا إليه .

(٣٨) القوم : الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها . والخلق (بفتح الخاء) : ما اكتسبه
 الإنسان من الفضيلة بخلقه . وقوم لا خلاق لهم : أى مجردون من الفضائل ، موسومون بالزنازل . أو ليس
 لهم حظ من الخير ، أو ليست لهم رغبة فيه . وفي القرآن الكريم : « أولئك لا خلاق لهم في الآخرة » الآية
 رقم ٧٧ من سورة آل عمران : أى لا نصيب لهم في نعم الآخرة ، وليس لهم حظ من سعادتها . وعاقده
 على كذا : عاهده ، وواقفه . وغدر فلائحاً ، وغدر به (كقتل) وضرب ، وسبع) : خاله ، ونقض عهده .
 وعاشره : - خالطه وصاحبه . ودعن (من باب قتل) : نافق : أى أظهر خلاف ما يعقل . ودعته
 (من باب قتل وقطع) : غدعه ، ونخله ، وغشّه ، وأظهر له خلاف ما يضمّره .
 وصممهم بالعدو والغيلة ، ونقض العهد ، والنفاق ، واللش ، والخداع ، ومداواة معاشرم ، والتجرد
 من الخير والفضيلة .

يُخْفُونَ مِنْ حَسَدٍ مَا فِي نُفُوسِهِمْ وَيُظْهِرُونَ خِدَاعًا غَيْرَ مَا بَطَنُوا^(٣٩)
يَا لِلْحَمَامَةِ! أَمَا فِي النَّاسِ مِنْ رَجُلٍ وَارِي الضَّمِيرِ، لَهُ عَقْلٌ بِهِ يَزِنُ؟^(٤٠)
أَكُلَّ خَيْلٍ أَرَاهُ لَا وَفَاءَ لَهُ ؟ وَكُلَّ قَلْبٍ عَلَى الْيَوْمِ مُضْطَعِّنٌ؟^(٤١)

(٣٩) خادعه بخادعة وخداعاً : ختله : أى أظهر له خلاف ما يخفيه ، وأراد به المكره من حيث لا يعلم . وبطن الشيء (من باب دخل) : خفى ، واستتر . وبطن الأمر (من باب نصر) : عرف باطنه . وأبطنه إبطاناً : ستره وأخفاه . والإبطان يقابل الإظهار . والفعل الرباعي هنا : « أبطن » أليق من الثلاثي : « بطن » .

في البيت السابق جردم من الخير والفضيلة ، ووصفهم بالخدر ، والخيانة ، ونقض العهد والمعقود ، وقال : إنهم يداهون حتى خلطوا ضمائرهم . وفي هذا البيت قال : إنهم حاسدون يكرهون النعمة عند المحسود ، ويتمنون زوالها عنه ، وانتقالها منه إليهم . وهم يخفون الحسد في نفوسهم ، أو يكتُمون البغضاء بسبب الحسد . والشطر الثاني تكرير وترديد لمعنى الدهن أو المداخنة في نهاية البيت السابق ، فالمداهنون منافقون مخادعون يظهرون خلاف ما يضمرون .

(٤٠) « يا للحمامة » : أسلوب استفادة ، وهي نداء من يمين على دفع شدة . والحاسة مستثاث به ، مجرور بلام مقفوعة : جمع الحامى : اسم فاعل من حماه (من باب رى) : أى منعه ، ونصره ، ودفع عنه ، وأجاره . و « من » زائدة لتوكيد الكلام . والاستفهام : للتمنى . ووار : اسم فاعل من ورى الزلزال (من باب وى) : أى خرجت ناره . ووردت النار : انتقدت . والضمير : استمداد نفس لإدراك الخبيث والطيب من الأعمال والأقوال والأفكار ، والتفرقة بينهما ، واستحسان الحسن ، واستنباح القبيح . وضمير وار : أى متقد : بمعنى مرهف ، أو قوي ، أو مستيقظ . وفي الأصل « ورى الضمير » وهو من أخطاء الناسخ .

استثاث الحماة ، واستنصر أهل الحمية والنجدة ، وتبنى أن يحمي في الناس رجلاً سى الضمير ، مرهف الإحساس ، قوي الوجدان ، له عقل يزن به الأمور ، ويميز به الخبيث من الطيب ، ويحصله على الاستقامة والخير والبر والوفاء ، ويدفعه إلى إجابة المستجير ، وإغاثة الملهوف .

(٤١) الاستفهام في أول البيت يجعل معنى التصبب والتحنن لكثرة أصحاب المجردين من البر والوفاء ، وكثرة القلوب التي تحمل الضغن والحقد . و « كل » بالنصب والرفع . والأول مترجح . وأكل (بكسر الهمزة) وضما : الخليل ، والصديق ، والصاحب . ومضطعن : حائد ، شديد الخفض ، يفسر الضمينة ، ينطوى على الكراهية .

في هذا البيت وثلاثة أبيات قبله اشتدّ قبح الشاعر بمن لا خلق لهم من مباشره بعد ما قاساه من دهائهم ، وفدريهم ، وخداعهم ، وسددم ، وما عرفه من همود الضمان ، وسوء المكر ، وفساد التقدير والتقدير ، فاستثاث بالحماة ذرى النخوة والنجدة ، وسأل في قلهف وتأسف : أليس في الناس رجلاً له =

تَغَيَّرَ النَّاسُ عَمَّا كُنْتُ أَهْدُهُ فَالْيَوْمَ لَا أَدَبُ يُغْنِي ، وَلَا فِطْنٌ (٢٧)
 فَالْجَبَرُ مُتَقَبِّضٌ ، وَالشَّرُّ مُتَبَسِّطٌ وَالْجَهْلُ مُنْتَشِرٌ ، وَالْعِلْمُ مُتَدَفِنٌ (٢٨)
 لَمْ تَلَقْ مِنْهُمْ سَلِيمًا فِي مَوْدِيهِ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ فِي قَلْبِهِ دَعْنٌ (٢٩)
 طَوَّاهُمُ الْغُلُّ عَلَى الْقِدِّ ، وَانْتَشَرَتْ بِالْفَنَرِ بَيْنَهُمُ الْأَحْقَادُ وَالذَّمُنُ (٣٠)

— قلب يديه لفرسه ، ومقل يزن به الأمور ، وضيق يقبح له القبيح ، ويحسن الحسن ؟ وأجبهه وأجبهه أن كل من ظنهم أعداء أصغاه تألبوا عليه بعد الحنة ، وتجردوا من البر والبطاء ، كما اضطفت عليه القلوب ، وانطوت على الحقد والبغضاء . والآيات الآتية تدور حول هذه المعاني والأفكار .

(٤٢) أهده : أهره (وبابه فهم) . والأدب : رياضة النفس — بالتعليم والتجريب — حل ما يتجلى . وإجمل من النظم والنثر . أو كل ما أنتجه العقل الإنساني من شروب المعرفة . والفطن (بكسر الفتح) : جميع لفظة (بكسر لسكون) : وهي الخلق ، والمهارة ، وبجودة استعداد الذهن لإدراك ما يرد عليه .

ومعنى الفطن الثاني : أن أدب الأديب ، وفطانة الفطن لا يكادان يسمانه اليوم من شروب الناس وفندهم ودعائهم . أو المعنى : أن الآداب والفطن لا قيمة لها ، ولا غناء فيها ، ولا تكاد تقوى على توفير ما يحوج من الأمور ، وإصلاح ما فسد من الأخلاق والطبائع . أما ما طرأ على الناس من التغير والتبدل ، وما أصابهم من التحول والانحراف ، فإن الآيات الآتية تشرحه وتفصّله .

(٤٣) متقبض : منطو ، متزور . ومتبسط : منتشر ، ممد . والانقباض : خلاف الإنبساط والانساع والانتشار . والذفن : استقر وتولى ، فهو متذفن : مطروح ذفته : بمعنى ستره وبراءه وأغفاه . (٤٤) سلامة المودة : صفاتها ، وتقاؤها ، وبرامتها من النفاق والدهان والرياء . والذفن (بفتح) : الخلد ، وفساد الباطن .

في البيت السابق أشار إلى بعض شواهد التغير والانحراف في أهل زمانه ، أو فطن يمتنع من الناس ؛ فقال : إن غيرهم قليل ، ولهم غالب ، مع شروع الجهل ، والطفاء نور العلم . وفي هذا البيت قال : إن قلوبهم منطوية على الخلد والفساد ، وموداتهم قائمة على الرياء والنفاق .

(٤٥) الل (بكسر اللين) : الضن ، والفش ، والخذل الكامن ، والمدايرة المستعرة . والذف (بكسر الذال) : السير بقد من الخلد (أي بقل) وبفطن . والذف : الخيانة ، والفش العهد . وفده الرياء . والأحقاد : جميع حقد (بكسر لسكون) : مصدر حقد عليه (كضرب) : أي أضمر له المدايرة ، وارتضى فرصة الإيقاع به . والذفن : جميع ذمة (بكسر لسكون) : وهي الضن ، وإضمار المدايرة والبغضاء . والخذل القديم الدائم الثابت في الصدر .
 وداهم بالانطواء على اللل والفش ، وإضمار المدايرة والبغضاء . وقال : إن الواحد منهم يترصد —

قَلَّا صَلِيقَ بُرَامِي غَيْبَ صَاحِبِهِ وَلَا رَفِيقَ عَلَى الْأَسْرَارِ يُؤْتَمَنُ^(٤٦)
 بَلَوْتُهُمْ ، فَسَرِمْتُ الْعَيْشَ ، وَانْصَرَفْتُ نَفِيسَ عَنِ النَّاسِ حَتَّى لَيْسَ لِي سَجَنُ^(٤٧)
 فَإِنْ يَكُنْ فَاتِنِي مَا كُنْتُ أَمْلِكُهُ فَالْبَعْدُ عَنْهُمْ لِمَا أَتْلَفْتُهُ ثَمَنُ^(٤٨)
 كَفَى بِحَرْبِ النَّوَى سَلْعًا تَجَوُّتُ بِهِ وَرُبَّ مَخْشِيَةٍ فِي طَيْهَا أَمَنُ^(٤٩)

= مصاحبه فرصة الإيقاع به ، فإذا تهيأت له انقصر عليه بالقدر والحيلة ، فانتشر بهما ما كان يقصره من الحقد والغش .

(٤٦) راحاه مراعاة : حفظه ، وأبقى عليه . ورأى غيب صاحبه : أى حفظه في غيبته ، ظم غيبه ، ولم يبق له بشاية ، أو سماعة ، أو تمجة ، أو مكيدة ، أو غيرها . ومن معاني الغيب : السر ، وكل هذا يكون الشطر الثاني تكميلاً للشطر الأول .

في البيت الرابع والأربعين أن المودات القائمة بين الناس أو بين من يعتنق الشاعر - غير سليمة ، أى كاذبة خادعة ، وأن قلوبهم منطوية على الفساد والأحقاد . وهذا البيت تكرر ، أو شبه تكرر لحدا المنى ، فالصديق لا يراعى غيب صديقه ، لأن الصداقة بعيدة عن الصدق ، قائمة على النفاق . والرفيق لا يؤمن على أسرار رفيقه ، لأنها مراقبة المداهنة والغش ، والمخالطة ، والخداع .

(٤٧) يلاه (من باب عدا) : اعتبره ، وامتنع به . والعيش : المعيشة والحياة . والشجن : الحاجة الشاغلة ، وأجمع شجون وأشجان .

يقول : إله جرب من يعتنق من الناس ، فحرقته المرات تجاربه ، ففسد منهم ، ودل العيش بينهم ، وأكفر البعد عنهم . ولم تبق له حاجة إليهم . واليهان الأكثان في هذا المعنى ، أو فيها يقرب منه .
 (٤٨) أتلفه : أهلكه وأفناه .

لعله يشير إلى مصادرة أمواله وأملاكه ، ولفيه عن وطنه في أعقاب الثورة العراقية . ويقول : إله بيد الراحة والطمانينة في بعده عن أولئك الذين لاذ بهم في الأزمات السابقة ، وإن هذا البعد المريح من لما فقدته من ماله وبقائه . ولا ريب أنه جعل هذا البيت رمزاً لنفسه ، ويكتبه الثامنين به .

(٤٩) النوى : البعد ، وهي مؤلفة . والسلم (بكسر السين وقصها) : الصلح ، والسلام ، ومخلاف الحرب (بكسر وهاء) . وفي القرآن الكريم : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » الآية رقم ٦١ من سورة الأنفال . والأمن (بوزن الفرج) : الأمان ، والطمانينة .

والمنى : إذا كالت النوى حرباً ووبالاً من من يصلحها ، فقد كانت على الشاعر برداً وسلاماً ، إذ أجهت من الآفات وشروا الناس في مصر . والشطر الثاني لذهيل جوار جهرى الغفل ، مؤكدة لهذا المعنى ، فالإنسان قد يعنى ما يعطى على الأمن والسلامة ، ويحصل إليه الطمانينة وبعاء البال .

لَعَلَّ مُرْتَهَ خَيْرٍ نَسْتَهْلُ عَلَى رَوْحِ الْأَمَانِي بِفَيْحِيَا الْأَصْلُ وَالْفَنَنِ (٥٠)
وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ بَدَنٌ وَعَاقِبَةٌ وَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى حِدْثَانِهِ الزَّمَنُ؟ (٥١)

(٥٠) المُرْتَه: السحابة تحمل الماء ، وجسمها الزن (بضم فسكون) . واسْتَهْلَ المطر استهلاً ؛ اشتدّ انصبابه مع صوت. والروح: جمع روضة ؛ وهي أرض مخضرة بأنواع النبات . والأمانى (بالتخفيف والتشديد) : جمع الأمنيةّ ، وهي البقية (بضم فسكون) : أى ما يطلبه الإنسان ، ويرغب فيه ، ويأمله ويتمناه . والفَنَنُ (بفتحين) : الفصن المستقيم من الشجرة . وأصل الشجرة : ما يقابل الفرع . ويراد بحياة الأصل والفنن : حياة الشجرة كلها : أصلها ، وصاتها ، وفروعها ، وأغصانها : أى حياة الأمانى المشبهة بالرياض .

فتح الشاعر لثله أبواب الأمل الحى القوي ، المضيء المشرق ، وتفاعل بمسقبله على الرغم من شوم حاضره ؛ واستشعر الراحة والطمانينة فى رياض الأمانى ، وربما أن ينتهى الأمر بانفراج الكرب والبلاء ، واستهلال الخير والرخاء .

(٥١) بدء الشيء : أوله وفانحته . وماقبته : آخره وشانته . والاستهلام فى الشطر الثانى معناه التنى . وحداث الزمن : حوادثه ونوائبه ومصائبه .

والحنى : أن الزمن يطيه متقلب لا يدوم على حال ؛ فإذا كانت بداية أمره إعتاباً ومعارسة لبارودى وأمثاله ؛ فلنأمل أن تكون حاقية أمره مواعدة ومجاسرة . جرى هذا البيت والذى قبله بجرى الحكم والأمثال . وبها يحتم الشاعر هذه التوفيق الطويلة ؛ فكأننا مسك الختام .

التقصيدة الأربعون

وَمَا كَانَ يَذْكُرُ لَيْلَةَ أَنْسٍ يَحُلُونُ* :

مَا لِي وَلِلدَّارِ مِنْ «لَيْلَى» أَحَبَّيْهَا وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ غَوَائِبِهَا مَغَائِبَهَا* (١)

• أنس به ، وإليه (كهرب ، ونصر ، وكرم) : سكن إليه ، وأطمان ، وفرح به . وسر ، وذهبت به وحشته وخلوته . والاسم منه الأنس (بضم فسكون) . وقد يطلق الأنس حل حديث النساء ، ومغازلتن ، والهو معهن .

• «حلوان» : مدينة من بلاد مركز الصف ، بمحافظه الجيزة ، على الضفة الشرقية لنهر النيل جنوب القاهرة ، على بعد خمسة وعشرين كيلو متراً منها ، وتربطها بها سكة الحديد ، وطريق كوندش النيل . وبالقرب منها مصانع الحديد والصلب المنشأة سنة ١٩٥٦ . وإلى الشمال من حلوان بنحو ثلاثة كيلو مترات تقع حلوان الحسامات ، المنشأة سنة ١٨٧١ في حدود الصحراء الشرقية ، وتشتهر بمساجدها الكبيرة الساعنة ، وتتمتع بمحافظه القاهرة .

• • •

• هذه القصيدة من شعر اللهو الذي نظمه البارودي محاكاة للشعر اللاهين ، أو تصدًا للترويع من النفس ، أو حرصاً على استمباب كل فنون الشعر ، أو تمييزاً عن حقيقة حال . وقارئها - فيما نظن - بين سنة ١٨٦٣ وسنة ١٨٦٨ وهو بين الرأفة والمشرين والتاسعة والمشرين من عمره ، وكان في هذه الفترة عنها حياة الرفقة والدمعة ، وقد اجتمع له الشباب ، والجددة ، والفرارح ، أو ما يشبه الفراغ ، ويقرب منه ؛ وذلك بعد عودته من الأستانة في حاشية الخديوي إسماعيل ، وقبل زواجه بوعديلة يكن . أو بعد عودته من حرب و كريد سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٦٧ م) وقبل مشاركته في الحرب الروسية التركية سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) . وفي بعض هذه المدة أقام بحلوان ، وأرضى طوي شيا به السن .

(١) الاستفهام في أول البيت : لنس ، أو الإنكار ، فهو ينفي داهية وقوفه بالديار المهجورة لتكرمها بالنسبة . أو ينكر هذا ، ولا يرقصه ، ولا يلعب في هذا الشأن ملعب شمراء البداية العربية . ولدار من «لَيْلَى» : أي لدار «لَيْلَى» . وأحبيها : أنفس بها والها ، شديد الوجد ، أكرمها بالنسبة والسلام . والدار في أول الشطر الثاني : دار الحال . والجملة الفعلية بعدها : جملة حالية . ودلا المكان (من باب سما) : أعلاه ساكنو ، ودخلوا عنه ، وتركوه ، والفرارح : جمع غالية : وهي المرأة التي غشيت (كروضيت) بحسبها الطبيعي عن الزينة والحسن المجلوب المصنوع . والمغائيب :

دَعِ الدِّيَارَ لِقَوْمٍ يَكْفُرُونَ بِهَا وَاعْكُفْ عَلَى حَانَةِ كَالْبَدْرِ سَاقِيهَا (٣)
 كَمْ بَيْنَ دَائِرَةِ أَقْوَتِ مَعَالِمَهَا وَبَيْنَ عَامِرَةِ تَزْهُو بِمَنْ فِيهَا (٣٩)
 هِيَاهُ ، مَا الدَّارُ تُشْجِيهِ بِسَاحَتِهَا وَلَئِنَّمَا الدَّارُ تُشْجِيهِ بِأَهْلِهَا (٤٠)

تجمع معنى (بورن معنى) : وهو المنزل الذى نرى (بورن معنى) به أهله : أى أقاربه فيه . ونرى بهم : أى حَسَر وأحسَر .

يقول : غلت المغافى من الغواف ، وارتحلت ليل ، عن دارها ، فلا دامى القوف بها ونحيها ، مشيراً في هذا البيت وثلاثة الأبيات بعده إلى ما اعتاده شعراء العرب في قديم الزمان من الوقوف بالديار التى هجرها أحبابهم لنحيها ، وتكريمها ، واستحضار ذكريات عزيزة عليهم ، كانت لهم مع مشوقاتهم في تلك الديار المهجورة الدارة . والبارودى في هذه الأبيات يبنى عليهم تلك المادة ، ولا يرتقيها لنفسه .

(٢) دح : أترك ، واجتنب . ويريد بالديار : المغافى والمنازل التى رحل منها أهلها ، وهجرها ؛ فدرست بهم ، وعلت ، وأعت ، ولم يبق منها غير الدن والأطلال والآثار . وكلف بكلاً (من باب طرب) : أولع به ، وأغرم (بالبناء المجهول قهلاً) ، وأسبه كل الحب ، وتعلق به تعلقاً شديداً . وعكف على الشيء (من باب دخل وجلس) : أقبل عليه موافقاً ، ولان به ، ولم ينصرف عنه . والحافة : الموضع الذى يباع فيه الخمر . والبدر : القمر الممتلئ " التام الضياء " . وصانها : أى الذى يسق الخمر في الحافة . وقد يراد بالحافة : الخمر ؛ فيكون من إطلاق المثل ، وإرادة الحال . يقول : أترك الأطلال وآثار الديار للمولين بها ، وأقبل على الخمر تستيكها امرأة حسنة في جمال البدر ، وتعام روائه ، وباهر ضيائه ؛ فتجمع بين لذة الشراب ، ولذة الأنس ، والاستمتاع بالجمال الخمر ، الناطق القاتن الخلاب .

(٣) « كم » في أول البيت : اسم يستفهم به عن العدد . والاستفهام هنا : لتعجب : أى التعبير عن اتساع المسافة وبينها بين النواثر والمواسم : أى بين الخراب الدارس ، والأهل الماسر . وذثر المنزل (من باب دخل) : درس ، وهلى ، وتهدم . ودائرة : اسم فاعل منه . وأقوت الدار إقواء : غلت من أهلها ، وأقوتت . وصانها : علامتها ، وآثارها : جمع ممل (بورن مذهب) . وأقوت معالها : درست ، وعلت ، وأست ، ونعت . وهو تأكيد لمعنى الدثور في « دائرة » : أى كم بين دار دائرة . وصارة : أى دار عامرة بأهلها ، مسكونة ، مأهولة : اسم فاعل من حمرت الدار بأهلها (من باب نصر) . أوهى فاعلة : بمعنى مفوعة : أى مبورة . والعامرة : والمبورة : ضد الدائرة الدارة . وتزهر (من باب عدا وما) : تزهى وتفتخر . أو تزهر ، وتضهر ، وتزهر ، وتزهر .

يقول : إن المسافة واسعة ، والبين شاسع ، والفرق كبير بين الدوائر والمواسم من الدور والمنازل ، أى بين أطلال الديار المهجورة ، وصانها الممورة .

(٤) « هياها » : اسم فعل ماض : بمعنى بهد ؛ فهى كلمة تعجب . وما بعدها تفسير لها ؛ فهو يستهد ويض أن تشجيه الدار بساحتها . وتشجى : تطربى ، وتزهر مشاعري ؛ مضارع أشجاء -

فَخَلَّ هَذَا ، وَخُذَ فِي وَصْفِ غَائِيَةِ سَرَتْ بِحُلُوفَانِ فِي قَلْبِي سَوَارِبًا^(٥)
رِيَانَةُ الْقَدِّ ، لَوْ أَنَّ الضَّجِيجَ لَهَا خَافَ الْعَيْنُ عَلَيْهَا كَادَ يَطْوِيهَا^(٦)

= إشيجه . وشله شجاه (من باب عدا) : أى حزنه ، وغنّه ، وهه . أو أطربه ، وأفرحه ، وسره ؛ فهى من الكلمات التى تستعمل فى المعنى وضده . والثانى هو المراد هنا . وساحة الدار : باسحها . والموضع المتسع أمامها . وفضاء بين دورالحى ، لا بناء فيه ، ولا سقف له . والأهلون : الأهل . جميع الأهل . وأهل الدار : سكانها .

يقول : إنما تطرى الدار بسكنائها ومن يعمرونها ، ولا يعنيه ساحاتها وفوايحها ، وظواهر اتساعها وجمالها . وقد يكون المراد بالساحة هنا : ما بين يمد دئورها من فضاء أرضها ؛ لياير ثلاثة الأبيات السابقة كلّ المسائرة ، وينسجم معها تمام الانسجام .

(٥) «خل» : أمر من خلّى الشيء تخلية : أى غادره وتركه ، وانصرف عنه . و « هذا » : إشارة إلى الديار النادرة ، والمنازل المهجورة ، والأطلال ، والذين إلى تعلق بها شراره البادية فى قديم الزمان ، وتفتنوا بها ، وأكثروا من ترددها فى مطالع قصائهم ، وبكروها فى أشعارهم ، أو بكوا من رحلوا عنها من أسبابهم ، وبمشقاتهم ، وعظموا ذكرياتها فى نفوسهم . وأخذ فى كلا (من باب نصر) : شرع فيه ، وبدأ به . ويراد بوصف الغائية : التناول بها ، والتغنى بحساسنها . وغائية : حسنة ، قد خفيت بحسبها الطلوعى عن الزينة ، والتجسّل ، والحسن المهلوب المستوح . وسرى فيه الشيء (من باب روى) : غاصه ، وغالطه ، ودخله ، ولزبه ، وتمكّن منه ، واستقرّ فيه : من قولهم : سرى هرق الشجرة فى الأرض : أى دبّ تحتها ، وأمن فى باطنها . والسورى : جميع سارية : اسم فاعل من «سرى» : بمناء السابق . وسوروى الغائية : ما خالط قلبه ، وتبيّسه من عواطف الحب ، وأثار الإحباب .

ومضى الشطر الثالث : أنه أحب هذه الغائية ، وسرى حبها فى قلبه ، أى خالطه ، وأمتزج به ، واستقرّ فيه ، وتمكّن منه ، وولّجه ، وتبيّسه .

(٦) رِيَانَةُ : مختلفة فى لفظة ، وفضارة : واين ، وطراة . والأصل : روى من الماء ونحوه (كرسى) : فهو رِيَانٌ ، وهى رِيَانَةُ . والقوام (يفتح القاف فيها) : أى القامة المعدلة ، وحسن الطول ، وجمال التقطيع . والضجيج : الضجيج : من ضاجبها مضاجعة : أى اضطنجع معها . والضجوج ، والاضجاع : أن يضح الإنسان جنبه على الأرض ، أو نجورها . والعيون : جمع العين . ويراد بها هنا : الحسد ، أو الحاسد . وكاد يفعل كذا هم ، وقارب به ، ولم يفعل . وطوى الشيء يطويه طياً : ضمّ يضمه إلى بعض . أو لفّ يلفّه يلفّه فوق بعض . واللى : خلاف البسط والنشر .

يقول : إن قدّما مثل رِيَان ، يتبيّه الحاسدين جمالها ونفوسه وفضارته ورواؤه ؛ ولهذا يخاف العين عليها عاشقها وضاجبها ، ويذوّ لو يطويها ليخفى بالطنى بحاسنها ومفاتنها ، ويدرأ به عنها حسد الحاسد ومفرقه . هذا هو المعنى الذى بدأ لنا ، وإن كانت عبارة البيت لا تنهض به .

فِي نَشْوَةِ الْخَمْرِ سِرٌّ مِنْ مَرَاشِفِهَا وَفِي الْأَرَاكَِةِ شَكْلٌ مِنْ تَهَادِيهَا^(٧)
يَا لَيْلَةً بَسْتُ أَسْقَى مِنْ بِنَانَتِهَا وَمِنْ لَوَاحِظِهَا خَمْرًا ، وَمِنْ فِيهَا^(٨)
أَحْيَيْتُهَا ، وَأَمْتُ النَّوْمَ مُعْتَصِمًا بِلَذَّةٍ لَا يَكَادُ الدَّهْرُ يُنْسِيهَا^(٩)

(٧) نشوة الخمر (بتثنية النون) : أول إسكارها . والسر : ما تكنه في نفسك ، وتخفيه . وسر الشيء : أصله . أو أكرمه ، وغالسه ، وأطليه ، وأفضله . ورشف الماء ونحوه (من باي نصر وضرب) : مصته بشفته . والمراشف : جمع المرشف (بوزن المذهب) : وهو موضع الرشف . ويراد بمراشفيها : ما يجري حل شفثها من ريقها ولهاها . وسر المراشف : أصلها . أو مزيجها المسكرة الساحرة الخفية . أو ريقها المذهب الحلو الطيب الخالص . والأراكة : شجرة ناعمة ، كثيرة الفروع ، عذوة اليد ، متقابلة الأوراق ، لها ثمار حمراء داكنة تزول . والأراك من شجر الحمض ، ويستاك بقشبه ، وينبت في البلاد الحارة ، وفي صحراء مصر الجنوبية الشرقية ، ويكثر في شبه جزيرة العرب . وشكل الشيء : هيئته ، وصورته . أو شبهه ويثله . وتهادت المرأة تهادياً : أي مشت وحدها متألمة مشياً غير قوي ، والتهادي من محاسن النساء ، وبواعت الفتنة .

والمنى : أن ريقها مشفى كالتبر ، يسكر مرشفيه ، ويلذله . وتألمها في مشيتها يشبه تمايل الأراكة إذا حركتها ريح لينة لطيفة . والتشيعان في شطرى البيت مقلوبان للمبالغة بادعاء أن وجه الشيء في المتناول بها - وهو الإسكار والتهادي - أقوى منه في الخمر والأراكة .

(٨) البدء في أول البيت يعمل معنى التصيب ؛ فإنها ليلة فريدة ، غربت على المألوف من نظائرها ، واشتد تأثيرها في نفس الشاعر ، وبقيت ذكراها في قلبه . والبنانة : طرف الإصبع . ويراد بها هنا : الكف ، أو اليد . والجمع بنان (بفتح الباء) . والواحظ : البورن . أو نظائرها الفاتنة الساحرة . الواحدة لاحظة . واستقاف الخمر من فيها : كناية من تقبيلها ، وأرشف شفثها .

يتوزع بليلة سهرها كلها مع المتناول بها ، وبات يستقى الخمر من يدها ، ومن عينها ، ومن لها .
(٩) أحيتها : أحييت اليلة : أي سهرتها . وإماتة النوم : تأكيده لمضى السهر . ومعتصمًا : مستمسكًا . يقال : اعتصم به : إذا لجأ إليه ، واعتصم به . واعتصامه باللذة : التجمه إليها ، وسهره عليها ، واستمتاعه بها . وأساء الشيء : أخذه عنه ، وأغفله ، وحمله على نسيانه ، وشغل باله عنه . وفي التثنية العزيز : « فإني نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره » الآية رقم ٦٣ من سورة الكهف .

والبيت تأكيد لمضى البيت السابق . ومن اللة أو اللذات التي عتاشا ، واعتصم بها في تلك اليلة استقاف الخمر من يد الحسناء المتناول بها ، ومن ألحظها ، ومن لها : فقد التشى ، وسكر ، واستمتع بالنظر والتشيعيل . وفي الشطر الثاني معنى غلوط ذكرى اليلة في قلبه ، وصبر الزمان عن إدراجها في مدارج النسيان .

حَتَّى إِذَا رَفَعَ خَيْطُ الْفَجْرِ وَابْتَدَرَتْ
قَامَتْ تَمَائِيلُ سَكْرَى فِي مَآزِرِهَا
وَالرُّوْعُ يَبْعَثُهَا طَوْرًا ، وَيَنْفِيهَا^(١٠)
تَخْفَى الضِّيَاءُ وَفِي أَزْوَارِهَا قَمَرٌ
يَسْتَوْفُ الْعَيْنَ حَبْرَى فِي مَجَارِيهَا^(١١)

(١٠) « إذا » : ظرف زمان . وفيه معنى الشرط . وجوابه وجزاؤه في البيت الآتي : « قامت تمائيل » ورف « كخف » : تحرك ، وتلاّ ، ولح . وخيط الفجر : يافض أول النهار . وابتدرت « بادرت » ، وقصارت . والحمام : جمع حمامة . والأيك : جمع أيكة : وهي الشجر الكثير الكثيف ، المجمع ، الملتصق . وتلدو (من باب دلد) : تلتف ، وتوسع ؛ وتبدد ، وتترسم . وفي أغانيتها أي بأغانيها ؛ « في » بمعنى « الباء » : جمع أغنية (بضم فسكون فكسر لياء مفتوحة مخففة) ؛ وفي اللغناء ، والصلرب ، والترجيع ، والترنم بالكلام الموزون وغيره . أو ما يترنم به المعنى من الكلام الموزون وغيره .

(١١) شرط « إذا » في البيت السابق ، وهو « رف » خيط الفجر . وجوابه في هذا البيت ، وهو « قامت تمائيل » وأصلها تمائيل ، ثم حلفت إحدى التامين للتخفيف : أي تترنح وتتكسر السكر . وسكرى : مثق سكران ؛ وهو من حيث « الفجر » عقله وإدراكه . والمآزر : جمع مئزر (يؤن مئزر) ؛ وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن . ومثله الإزار (يوزن الكتاب) . ويراد بمآزرها : ثيابها . والروع : الفزع والخوف (وفعله من باب قال) . ويبعثها (من باب قطع) يوقظها . أو يبعثها ، ويرسلها : أي يحلها على التقدم والانطلاق . والطور : المرة والثارة . ويشتها (من باب رم) : يردّها ، ويقيدّها ، ويحلها على التوقّف ، والتلبّث ، والإحجام ؛ فالتى هنا : ضد البت . يقال : ثناء من كذا : أي صرفه عنه ، وردّه ، وكلفه . والروع فاعل يبعثها ، وفاعل يشتها ؛ فهو مرة يردّها إلى البقطة والالتفاء ، ويخرجها من سكرة الفجر ؛ فتنتدع منتقلة إلى منزلها . ووة يسطر عليها غوف الانفضاح بطلوع النهار ، فتصم عن المسير ، وتتوقّف .

ومنى هذا البيت والى قبله . أنه لما طلع الفجر ، وشدت الطير على الأشجار توقظ النيام ، وتنبه النازلين - قامت المنفلول بها سكرى تمائيل في أنوابها ، ويساورها الخوف من انفضاح أمرها بطلوع النهار ؛ فهي مترددة في سيرها إلى منزلها ؛ تقدم ، وتصح ، وتنتطق ، وتتوقّف . وفي الأبيات الآتية مزيد لهذا الشرح ، وبيان لقصة حديثها إلى بيتها في نهاية هذه الليلة الساحرة السكرة اللاهية المألجة .

(١٢) الروا في الشطر الأول : وأو الحال . والجمللة الاسمية بعدها : جملة حالية . والأزوار : جمع زور (بكسر الزاي ، وتشديد الراء) : وهو شيء كالجملة ، أو القمص ، يدخل في حرمة القميص وغو حبه على جسم لابس . وزر القميص ونحو (من باب رد) : إذا شدّ أزواره . وتشبه الحسنة من النساء بالقمر في إشراق الوجه ، والبهاء ، وحسن الروا . ويشار بالجملة الحالية هنا إلى الاحتواء التام ،

ثُمَّ انْتَهَتْ وَيَدَي (قَبْدٌ) لِخَاصِرَةٍ كَالْمَخِزْرَانَةِ رِيًّا فِي ثَنِّيْهَا (١٣)
فِي بُلْجَةٍ لَا تَكَادُ الْعَيْنُ تُنْكِرُهَا وَصُورَةُ رُبَّمَا شَقَتْ نَوَاجِيْهَا (١٤)

والجمع الشديد ؛ فاختزل بها قد احتوت ثيابها القمر ، وجمعت عمامته وزياها . واستوفته : سأله الوقوف ، وحمله عليه . وجري : حائرة مترددة . والمجاري : جمع المجري : وهو مكان الجرى والاندفاع والانطلاق . ويجري العين : تجوئها التي تجرى فيه وتتحرك . أو مجال النظر والإبصار . يقال : فلانة تستوفت العين ، وتعرفت العين : أي تشغله بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنها . والشرط الثاني كناية عن أن المختزل بها فائقة الحسن ، باهرة الجمال ، شديدة التأثير ، تسحر الأبصار ، وتملأ البصائر .

خافت هذه الحشاه الضفاح أمرها بضياء النهار ، وهي تزرد أزوارها على قمر تام الفياض ، بأمر الرواء ، يستوفت العين ، ويسحر الأبصار ، ويأسر القلوب .

(١٣) انتنت : انطلعت . والمراد : سارت ، وشت . وانفتت في مشيتها : تمايلت ، وتبعثرت . والكلمة التي بين القوسين جاءت في الأصل « يد » وهي من تحريفات التاسع وأخطائه . والخاصرة من الإنسان : وسطه . ما بين رأس الرية ، وأسفل الأضلاع . وهما خاصرتان . ويده قيد خاصرتها : أي يده في خاصرتها ، ممسكة بها ، مقيدة لها ، وينبها إلى جنبه . والمخيزرانة : واحدة المخيزران (يفتح لمكون قسم لهما) : وهو شجر هندي ، ليس القصبان ، ألس العيدان . ومن كلامهم : « كان قدما حسن بان ، أو قصب خيزران » . ورينا : معلقة في لفظة وفصارة . والأصل : روى من الماء ونحو (كروى) : أي شرب وشيع ؛ فهو ريان ، وهي رينا ، وريناة . وروى الشجر والنبات : تنم ، وفضر ، ونفسر . وكننت المرأة ثننيا : التنت في مشيتها ، وتمايلت ، وتبعثرت ؛ فالتنى : المشية التي لها تلكتك ، واضطراب ، واسترخاء ؛ كأنما تتسل أعضاءها ، وينفك بعضها من بعض في تبعثرها .

شبهها بالمخيزرانة في اللون ، والمرونة ، والتموية ، ووصلها بالري ، والامتلاء ، والنفاسة والنفاسة . وقال : إنها تمشى بتبعثرة معبجة بطنها ، معبجة لغيرها ، وإذله ساورها وصحبها وهي منصرفة إلى منزلها ؛ فكان جنبه إلى جنبها ، ويده ممسكة بخاصرتها .

(١٤) البلجة (بضم الباء وتحتها) : ضوء الصبح عند انصداع الليل . وأكرر كثرة إنكاراً جهله ؛ خلاف حرفه . ويراد بالشر الأول أنها بلجة مريضة واضحة ، لا ريب فيها . والسمرة : لون الأسمر ، والسمراء : وهي منزلة في الألوان بين البياض والأسود (ولعله كتب وكرم) . ويراد بالسمرة هنا : الظلمة القليلة الخفيفة الباقية في الليل من ظلام الليل ، قبل تبليج الصبح ، وارتفاع النهار . وشقت (بالفاء) : رقت وشقت : من تعيلم : شق الثوب ونحوه ؛ أي رقت حتى يرى ما خلفه . ونواحيها : نواحي السمرة : أي جوانبها ، وجوانبها ، وأرجائها ، وأجزاءها . وشقت نواحيها : تأكد لحن السمرة ؛ أي قلة الظلمة وشقت في نهاية الليل ، وأول النهار عند انصداع الليل . أرى « شقت » (بالالف) . ولأوحيا أي نواحي البلجة . وشقت السمرة نواحي البلجة : أي خالقتها ومازجتها ؛ فالكلمتان : « شقت » و « شقت » تنبها إلى معنى واحد . =

حَتَّى تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا عَلَى شَرْفٍ
وَحَرَكْتُ حَلَقَاتِ الْبَابِ فَأَنْفَتَحَتْ
يَكَادُ يَمْنَعُ هَمَّ النَّفْسِ دَاعِيَهَا^(١٥)
عَنْ سَاحَةِ سَكَنَتْ فِيهَا تَرَايَهَا^(١٦)
وَالْقَلْبُ فِي لَوْعَةٍ تَنْزُو نَوَازِيهَا^(١٧)

والبيت في وصف اختلاط الظلمة بالبلجة في أوامر الليل ، وأوائل النهار ، حين انصداع العجز .
(١٥) تجاوزت : تعداه ، وخلقه ورأه . والأحراس : جمع حارس : اسم فاعل من حرسه
(من باب نصر وكتب) : أى حفظه ووقاه ، وقام على حراسته وحمايته . والشرف : الموضع
العالي ، يشرف على ما حوله : أى يملؤه ، ويطلّ عليه . و « على شرف » : تأكيد لمعنى الحراسة ،
واليقظة ، والإشراف ، والإطلاع . وكاد يفعل كذا : همّ ، وقارب ، ولم يفعل . والهمّ : أول العزيمة .
وما همّ به الرجل لنفسه : أى ما أراداه ، وعزم على القيام به ، ولم يفعله . وداعيا : أى داعي
الأحراس : أى ما تدعو إليه ، وتأسر به ، وتطلبه . ومعنى الشطر الثاني : أن هؤلاء الحراس من
القوة ، واليقظة ، والتمكن بحيث يرهبون غريمهم ، ويردونه عما همّ به في نفسه ، وعزم عليه ،
ولم يملّه .

في البيت الثالث عشر قال : إن المتغول بها انثنت إلى منزلا ويده في خاضعتها . وفي هذا البيت :
أنه تجاوز بها أحراساً أيقظاً شداداً ، يهيجهم الناس ويخشونهم ، ولا يحاولون مخالفتهم ، حتى فيما
يسعون به ، ويسرونه في أنفسهم من الأمور . وفي البيت فسر معنى " بأنه كان أقوى من هؤلاء الحراس ،
وأشدّ بأساً . أو أوسع حيلة ، وأحوط وسيلة .

(١٦) حلقات الباب : جميع حلقة (بفتح فسكون ، أو يفتحتين) : وهي ما يطلق عليه ،
ليقرع به . والساحة : الباحة . والروحة . والمكان الواسع . والتراق : جميع الترقوة (بفتح فسكون فضم) :
وهي مقدم الحلق في أهل الصدر ، حيث يترقى النفس . وسكون التراق : كناية عن الصمت ، والسكوت ،
وسكون الأصوات ، والإفراق في النوم .

يقول : إنها فشتت بابيها ، فافتتح من ساحة ما زال من فيها فأنجمن .
(١٧) الأول في شطري البيت : وأوالحال . والجملة الاسمية بمد كل منهما : جملة حالية . ويقال :
حين حركة (بوزن فرسة) ، وفارقة ، وغريقة . أما الفرق فيجمع فريق - فنيا لفرف - مثل مريض
ومريض ، وقيل وقيل . والمدامع : جميع مدمع (بوزن مذهب) : وهو مسيل الدمع ، وسكانه ، وبجتمه
في نواحي العين . ويراد بالمدامع هنا : الدموع . والروحة : سرقة الحب ، والشوق ، والهمّ ، والحزن ،
ونحوه . ونزور (من بابي مدا ومدا) : تلب ، وتقفز . والمراد بنزو الروحة : اشتدادها وتلهبها . ونوازيها :
شدائدها ، ولواصيحها : الواحدة نازية : وهي الحدة والنشاط : اسم فاعل من نزا . وزفرق عينيه في المدامع ،
والتباعد قلبه : تميرد ببلغ عما سوره من الفهم والحيرة بافتراق ما اجتمع بين الشغل ، وانقطاع الأمل والآلة
بأنهاء تلك الآلة الساهرة اللاهية المستمعة الرائمة .

فَيَا لَهَا لَيْلَةً ! كَانَتْ يَوْضَلَتْهَا تَارِيخُ لَهَا يَهِيْجُ النَّفْسَ رَاوِيَهَا (١٨)

مصحب الشاعر المتغزل بها إلى دارها حينما انتهى عليها الفجر بغيا له ؛ فافترق ما اجتمع من مثلها ،
والنهي ما كان من الحنة والدة ، وحاد إلى منزله باكي العين ، ملتحاق الفؤاد .
(١٨) يا لها ليلة : أسلوب تمجيب . والوصلة (يضم تسكون) : الاتصال والالتئام . وبينما
وصلة : أي اتصال وذريعة . وهذا وصلة إلى كذا : أي سبب ووسيلة . والهر : ما شاك عما يملك ويملك
من جود الحياة ، والأعمال النافعة . ويمير بالهوى عن كل ما استمتع به اللاهي من هوى ، وطرب ، وبتعة
ولذة . وهاج (من باب هاج) : سرته ، وأثاره . وراوينا : أي راوى الوصلة : اسم فاعل من روى
الحديث ونحوه يرويه (كرماء يرميه) رواية (بوزن رواية) : أي حمله ، ونقله .
تهيباً للشاعر في تلك الليلة ما لم يهيجاً له في غيرها من وصاله ، وشراب ، وبتع ، ولذات ؛ فصحب
منها ، وصحب غيره ، وتخصر حل قوتها ، وقال : إن تاريخها تاريخ طو وبجاعة ، يهيج النفس ويهبطها
كلما روى ونقل .

القصيدة الحادية والأربعون

وَسَأَلَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ أَنْ يُؤَاوِنَ * قَصِيدَةَ الْبُحْتَرِيِّ * النَّبِيِّ أَوَّلُهَا :
لَنَا أَبَدًا بَثٌّ نُعَانِيهِ فِي « أَرْوَى »
وَقَالَ : « حُزْوَى » ، وَكَمْ أَذْنَتُكَ مِنْ لَوْعَةٍ « حُزْوَى »

أَيُّهَا مَلَايِي فِي هَوَى الشَّادِنِ الْأَحْوَى فَقَلْبِي عَلَى حَمَلِ الْمَلَامَةِ لَا يَتَقَوَّى ^(١)

• وازن الشيء الشيء : ساواه في الوزن ، ومثاله ، وقابله ، وسألاه . ووازن الشاعر قصيدة غيره : إذا نظم قصيدة من بحرهما ، على وزنهما . ورويتها . والقصيدتان هنا من الطويل : أول بحر الشعر العربي ، وأما هنا ، وأشهرها . والروى فيها : الوار : وهو الحرف الذي تبقى عليه القصيدة ، وتنسب إليه .

• البحتري : أبو عبادة ، الوليد بن عبيد البحتري الطائي ، نسبة إلى بحتر (بضم فسكون قسم) ، وهم يملكون أوحى من قبيلة طي ، ويحتر اسم جهم : شاعر مطبوع ، تصرف في فنون الشعر ، هذا المجاهد ، فقد كان عنده قليلاً ضيقاً ، ولما أحسن بلدوا أجله أحرق ما نظمه فيه على ضيقه وقتله . وبلغ البحتري بشعره المرتبة العليا ، حتى سماه النقاد سلاسل الذهب . ومثل أبو العلاء الممرى : من أشهر الثلاثة : أبو تمام ، أم البحتري ، أم المثنى ؟ فقال : أبو تمام والمثنى حكيمان ، وإنما للشاعر البحتري . وقد منح المتوكل العباسي وغيره من خلفاء الدولة العباسية وأمرائها وأكابر الناس . وأقام يبتعد دهرًا طويلاً ، ثم عاد إلى الشام ، وكانت ولادته بمجنج (بوزن مجلس) : وهي بلدة قديمة بين حلب والقنات . وتوفي بها سنة ٢٨٤ هـ عن ثمانين عاماً . وديوان شعره جزأه في ٧٩٩ صفحة ، طبعة المطبعة الأدبية ببيروت - لبنان سنة ١٩١١ م . وقصيدته الواوية التي قدمنا مطلعها نظمتها في مدح أبي عيسى ابن ساعد ، وعدد أبياتها واحد وأربعون بيتاً ، فهي أطول قليلاً من قصيدة البارودي .

(١) أقل الشيء إقلالاً ، وقلة تقليلاً : جعله قليلاً . ويقال : أقل فعل كذا : إذا لم يفعله أصلاً : وأقلنا ملاي أمرته : أي كفنا من لوى ، ولا تحاول . والأمر الاثنين السأ عليه باللامه ، أو تخفيفهما تخفيفاً ، جرياً على عادة الشعراء قبله في مخالطة رفيقين يصطحبان الشاعر ، ويلزمانه في غفوة ورواحه . والملام والملامة : اللوم والمثل . وأهوى : الحب (وقوله من باب صدى) . والشادين =

كَفَى بِالْهَوَى شُغْلًا عَنِ النَّوْمِ بِأَمْرِي
فَلَيْسَ الْهَوَى سَهْلًا ، فَالْوَى عِنَانَهُ
بَرَاءَةُ الضَّنَى ، وَاسْتَمْطَرَتْ عَيْنُهُ الْبَلْوَى (١)
وَأَنْ كُنْتُ يَوْمَ الرَّوْعِ ذَا مِرْوَةِ الْوَى (٢)
هُوَ الْحُبُّ يَنْتَامُ الْكِرَامَ ، وَلَنْ تَرَى
لِثِيَمَائِنَاكَ السَّبْقُ فِي الْفَضْلِ ، أَوْ يَهْوَى (٣)

ولقد الظلمة : أى النزال إذا شذن : أى تورع ، واستغنى عن أمه . ويراد به الفتاة الحسناء التى هوىها الشاعر ، وهام بها . والعرب تشبه حسان النساء بالنزلات والظباء فى الخفة ، والرشاقة ، ولطف الحركة ، وحسن التنى ، وجمال الجيد والعينين . والأحوى : صفة من الحوة : وهى حمرة تضرب إلى السواد ؛ = فالنقى أحوى ، والفتاة حواء . وشفة حواء : أى حمراء ، وحمرة تضرب إلى السواد . ورسوة الشفة من محاسن النساء عند العرب .

ابتنى الشاعر ، أو طلب إلى لأميه أن يكفأ عن لومه فى عشق هذه الفتاة الحسناء الحواء ، فقد تبسبه الحب ، وشغفه ، وأغشاه ، حتى صار قلبه ضعيفاً عاجزاً عن احتمال شيء من العذل والملامة . وفى ثمانية الأبيات الآتية تأكيد وتزويد وتفصيل لهذا المعنى .

(٢) كفى الشيء يكفى كفاية : حصل به الاستغناء عن غيره . والبلاء زائدة . والهوى فاعل « كفى » . وشغلاً : أى شاغلاً ، ويمرّب تمييزاً ، أو حالاً . وعن النوم بأمرى : أى عن نوم امرئ : أى كنى الحب كافاً للام عن النوم ، وشاغلاً للمحب عن قبول النوم ، والاستراح له . وبراء : هزله وأغمله ، وأرق جسمه ، وأغشاه . والضنى (بوزن الضنى) : المرض الشديد : مصدر ضنى (من باب صدى) : أى اشتد مرضه حتى نحل جسمه وهزل . واستمطر استمطاراً : طلب المطر . والبلى ، والبليّة ، والبلاء : أسماء من بلاء الله : أى اغتر ، واستعته ، وجربته . ويكون البلاء بالخير ، وبالشر . ويراد بالبلى هنا : محنة الحب . واستمطرت البلى عينه : أى اشتد به الحب ، وبرّح به الوجه حتى بكى بكاء شديداً يمسوح بمنورة غزيرة .

(٣) لوى الحبلى ونحوه (من باب لوى) : ثناء . والعتان (بكسر العين) : سير القمام الذى تمسك به الدابة . والرؤى عتانه : أحده ، وأكفّه ، وأردّه ، وأصرفه عنى : يريد أن الهوى صعب عسير ، يتخلق فى مجاله ، ويبلغ عذاه ، ويسيطر على المحب ، ويسلبه إرادته واختياره ، والروع (بفتح فسكون) : الفزع والذعر (بوزن العذر) : مصدر راع (من باب قال) : أى فزع وذعر وخاف . وراعه الأمر : أى أفزعته وأغشاه . ويوم الروع : يوم الحرب . وذو مرة (بكسر الميم) ، وتشديد الراء المفتوحة) : صاحب قوة ، وحصافة ، والمرة : العقل ، أو شدته واستحكامه ، أو الأصالة والإحكام أو جوده الرأى ، وإتقان التدبير . وفى التنزيل العزيز : « علّمه شديد القوى ، ذمراً فاستوى » ه - ٦ من سورة النجم أى ذو قوة ، وحصافة واستحكام فى عقله ورأيه . وجيل ألوى : أى عسر ، شديد الخصومة ، قوى ، يلتوى حل خصمه : أى يمس ويشتد .

افتخر بحصافته ، واستحكام عقله ورأيه ، وقوة مراسه ، وشدة بأسه فى الحروب والأهوال ؛ ولكنه مع هذا كله متناقع الحب ، متفاد لسلطانه ، خاضع لأحكامه ، واقع تحت سيطرته ، لا يستطيع صرفه ، ولا تهوين أمره . وصلة هذا البيت بالبيتين السابقين واضحة وثيقة ؛ فإن سيطرة الهوى تقتضى الكفّ عن ملادة الحب الماشق ، وتشغله عن الاستراح النوم ، وإذا سمع لا يستطيع قبوله .

(٤) يمتام : يقصد . والكرام : جمع الكرم : صفة من الكرم بمناء العام : وهو اسم جامع »

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْوَى عَلَى دَفْعِ مَا آتَى بِهِ الْحُبُّ مِنْ جَوْرِ ؟ وَسُلْطَانُهُ أَقْوَى^(٥)
سَبْقُ إِذَا جَارَى ، لِحَقِّ إِذَا هَوَى غُلُوبٌ إِذَا بَادَى ، قَتْلُ إِذَا أَهْوَى^(٦)
لَهُ سَوْرَةٌ لَوْ صَادَمَتْ رُكْنَ يَنْبُلٍ وَرَضْوَى لَهَدَتْ يَذْبُلًا وَمَحَتْ رَضْوَى^(٧)

للحامد ، والأخلاق الكريمة ، والأفعال العظيمة ، والهامس الكبيرة التي تظهر من الإنسان . وضد
القيم : صفة من الزم : وهواسم جامع لكثير من الرذائل والمتاقص ، كشح النفس ، ودناءة الأصل ،
وخساسة الطبع ، والمهانة ، والضعف ، والحقارة . والفضل : الخير ، والبر ، والكرم ، والإحسان ابتداء
بلا علة . وقد يراد بالفضل : الفضيلة ، وحسن الخلق . وهوى (من باب هوى) : أى يهوى الفضل ،
ويميل إليه ، ويعرض عليه . أو المعنى : أن القيم لن يهوى : أى لن يستشعر الهوى ، فالحب ، أو
الهوى ، أو المشق ، أو التفرام إنما يعتام الكرام الأفاضل الأغيار ، ولا يكاد يمره الثمام الأواذل
الأفرار . وأحب المدرك في نظر الشاعر من الفضل ، وإنما يعرف الفضل من الناس ذروه .
والمعنى : أن الأفاضل الكرام يحب وهوى ، أما المهين القيم فإنه لا يسبق إلى الفضل ، ولا يهواه ،
ولا يكاد يفتح قلبه للحب ، أو يستشعره ، أو يمتناه .

(٥) الاستفهام في أول البيت : معناه النفي : أى لا أحد يقوى على دفع جور الحب . ودفع
الشيء (من باب منع) : أى تحيئه تنحية ، وأزاله بقوة . والجور (بفتح فسكون) : الظلم ، وأيل من
القصد . ويراد به هنا : النبل ، والسيطرة ، والقوة ، والسلطان (وفعله من باب قال) . والواو في الشطر
الثاني : واو الحال . والجملة الاسمية بعدها : جملة حالية . وسلطان الحب : قوته ، وسيطرته ، وقهره .
وسلطان الحب أقوى : أى سلطانه أقوى من قوة القوى ، ومدانمة المدافع .

(٦) سبق : سبق : أى كثير السبق : وما صيغتنا مبالغة من سبق (من باب غرب) .
وجاراه مجازاة : سابقه في الجرى . ولحق : صيغة مبالغة من لحقه ، ولحق به (من باب سمع) : إذا
أدركه . وهوى يهوى (كرمى يرمى) : سقط من هُكِرَ إلى سُفُل . وغلوب : صيغة مبالغة من غلبه (من
باب ضرب) : أى قهره . وبادهاء مباداة : بارزه ، ونازله . وقَتْلُ : صيغة مبالغة من القتل . وأهوى
يهوى إهواه : سقط وانقض ، واندهق ، وهجم .

والبيت كله في بيان سيطرة الحب ، وشدة بأسه ، وقوة تأثيره ، وعجز الحب عن صدّه ودفعه .
(٧) له : أى للحب . وسورة (بفتح فسكون) : سطوة ، وصولة ، وبطش ، وقهر (والفعل
من باب عدا) : وصادمت ، صدمت ، ودافعت . يقال : صدم الصلب الصلب (من باب ضرب) :
أى صكّه ، ودفعه . وصادمه : دافعه . وركن الشيء : أحد جوانبه التي يستند إليها ، ويقوم عليها .
ويراد بركن « يذبل » وركن « رضوى » : هذان الجبلان ، أو الجانبان الأقوى من كل منهما . ويذبل
(بوزن يقتل) : جبيل ، وهو متنوع من الصرف ، أى الثنوين ، وإنما صرف هنا ، ونون لضرورة وزن
الشعر . ورضوى (بوزن يلقى) : جبيل . ويحاه (من بابى عدا ، ورمى) ويحاه أيضاً (كينشاه) :
أزاله ، وأذهب أثره .

فَحَتَّامٌ يَلْحَاقِي الْعُلُولَ عَلَى الْهَوَى ؟ أَلَيْسَ يَرَى مَا بِي ، فَيَجْتَنِبُ الشُّكُوى ^(٨)
لَقَدْ سَامَنِي طَى الْفَرَامِ ، وَمَا قَرَى بِأَنَّ الْهَوَى الْعُلُولِيَّ يَكْبُرُ أَنْ يُطَوَّى ^(٩)
وَبِي ، بَلْ يَقْوَى الْأَكْرَمِينَ خَرِيدَةً إِذَا سَفَرَتْ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ أَنْ تَقْضَوَى ^(١٠)
مِنْ الْغَيْدِ ، كَخَلَاءِ الْمَحَاجِرِ ، لَوْرَنْتَ إِلَى الْقَسِّ فِي نَامُوسِهِ أَنْطَقَ النُّجُوى ^(١١)

(٨) حياه يلحاه لحياً : لاهه وعذله . والعلول (بوزن الرسول) : الكثير العذل : أى الوهم .
والشكوى (بوزن البلوى) : اسم من شكاه (من باب عدا) : أى أخبر عنه بسوء فعله . ويراد
بالشكوى هنا : العذل ، والوهم ، والعتاب .
تبرم بكثرة العذل ، وضاق به ذعباً ، وأكثره عل العاذل قائلاً : إن الحب يبرح به ، وعزله ،
وعذله ، وأضناه . ولو رأى العلول هذا ، ولقد له لاجتنب العذل ، وأقلع عن الشكوى ، ورسم الحب
المستهام .

(٩) سامه كذا (من باب قال) : كلّفه إيتاءه ، وأراده عليه ، وألزمه به . وطوى الأمر يطويه
طياً : كتمه ، وأغفاه . والفَرَام : الحب الشديد ، والولوع بالشئ ، وأن يتعلق الحب بالهوى بتملّكاً
لا يستطيع التخلص منه لو أراد . والهُوى العُلُولِيّ : الحب العفيف : نسبة إلى بى عذلة (بضم
فككون) لاشتهارهم به .
يقول : إن عاذله أرادته عل كتمان هواه ، ولم يعلم أنه هوى عذرى عفيف ، خالص نقّ ، عفيف
مبجح ، لا يستطيع كتمه ..

(١٠) الخريدة : الفتاة المذراه : أى البكر (بكسر فككون) التى لم تقص . أو الخفرة ،
الحبيبة ، المحبسة ، المستورة ، العلوية المكوت ، الخافضة الصوت . وصوت خريدة : لين ، عليه
أثر الحياه . وسفرت المرأة (من باب جلس) : كشفت عن وجهها ، فهى سافر . وضوى يضرى (من
باب ضى) : هزل ، وفقّ ، وضعف . ويراد بالضوى هنا : كسوف الشمس ، واحتجابها ، فنباه
المتفزل بها يكاد يحجب ضياء الشمس ، وإذا كشفت عن وجهها كادت الشمس تكسف حياه وبهجلاً .
والمعنى : أنه يفدى بنفسه وبقبوه الأكارم الأماجد علواء حسناء تفوق الشمس فى الإشراق والبهاء .

(١١) الغيد : جمع غيداء : وهى الفتاة الناعمة ، اللينة الجوانب . وفى الغيد (بفتحين) معنى
الزى والنشأة والنضارة والفتاة ، والفتاة الناعمة ، اللينة الجوانب . وفى الغيد (بفتحين) معنى
فهى كملاء . والمحاجر : الجفون : جمع محجر (بوزن مجلس) : وهو ما دار حول العين ، وأحاط
بها . أو ما ظهر من الثقب . ورناً (من باب مما) : أدام النظر فى سكون طرف . والقسّ (بفتح
القاف وتشديد السين) : القيسيس (بكسر القاف) : وهو رئيس دنىّ س رؤساء النصارى فى مرتبة بين
الأسقف والأساقس . والناموس : بيت الرهب وصومته . والنجوى : إسرار الحديث . ويراد بها
هنا : نجوى العباد ..

تُبَيِّتُ وَتُخَيِّى مَنْ تَشَاءُ يَلْخِظُهَا فَعَيْنُ عَاشِقٍ يَحْيَا ، وَمِنْ عَاشِقٍ يَتَوَى ^(١٢)
بَعَثْتُ لَهَا قَلْبِي عَلَى إِنْزِلِ لَحْظَةٍ فَمَا عَادَ إِلَّا وَهُوَ بِالْحُسْنِ مُسْتَهْوَى ^(١٣)
وَأَقْبَبْتُ عُمْرِي فِي رِضَاها ، فَلَمْ أَتْلُ سِوَى رَاحَةٍ تَرْتَدُّ ، أَوْ عِدَةٍ تُلَوَّى ^(١٤)
وَأَصْبَحْتُ مَقْلُوبَ الرِّشَادِ ، وَقَلَمًا يَعُودُ رَشِيدًا صَالِحَ الْعَقْلِ مَنْ يَغْوَى ^(١٥)

= وصنها بالتَّيْبَةِ والكَحَلِ ، وقال : إنَّ حسنبا فائق ساجر ؛ فلم نظرتُ إلى عابده زاهد راهب لفتنته ودلتته ، وأخرجته من نسكه وعبادته .

(١٢) اللط : النظر بمؤخر العين من أحد جانبيه (والفعل من باب قطع) . وجمعه الحُلُط . ومن كلامهم : فتت لخطاتها وأخطاها . ويتوى (من باب صوى) : هلك ويموت .
والمنى : أن نظراتها فائقة سائرة تنشئ بها من تقبل عليه من عشاقها ، وتبكيه من تعرض عنه .
أو المنى : أن من عشاقها من يتمشطن بنظراتها الساحرة الفاتنة ، ويمنهم من يشتد به الوجد ، ويكاد يهلكه التذلل والوله .

(١٣) اللحظة : المرة من لحظ العين . واستهواه الحسن استهواه : دلته ، وقبضه ، وشغل قلبه فالحسن مستهو (بصفة اسم الفاعل) . والقلب مستهو (بصفة اسم المفعول) .

يقول : إن نظرة منها إليه استهوته ، وشغلت قلبه ، فكان أمير الهوى ، صريح الغرام
(١٤) الراحة : الكف . وارتدادها : كناية عن الإخفاق ، وفوات المقصود ، وعدم الظفر بالمراد . والعدة : الوعد . والمراد وعد الإقبال والوصول . وتلوى : تمحل ، وتسوّف . يقال : لواه دينه ، ولواه بدينه يلويه ليّاً : إذا مطله ، وسوّفه ، وأجّل موعد الوفاء مرة بعد أخرى .
يقول : إنه أفنى عمره في ترسبها واستعطافها ، فلم ينل منها غير الإخفاق ، والحمران ، والمعدات المبطولة المبذورة بغير وفاء .

(١٥) الرشاد ، والرشد : الاهتداء ، والصلاح ، والاستقامة على طريق الحق . وضده النقي والضلال . والرشيذ : المهتدى ، وذو الرشد . ومقلوب الرشاد : أى رشاده مقلوب مهفور ، وشبهه غالب قاهر . وغوى يغوى (كصلى يصلى) غواية (بفتح النون) : أسمن في الضلال ، وشاب ، وفسد عيشه ، وأهملك في الجهل . وبمثل غوى يغوى (كبرى يرى) غيياً (بفتح النون) : وهو خلاف الهدى والرشاد .

في البيت السابق قال : إنه أفنى عمره في ترسب مشوقته ، واستعطافها ، فلم يظفر إلا بالإخفاق ، والحمران ، والمعدات المبطولة الممدودة التي لا وفاء بها ، ولا إنجاز لها . وفي هذا البيت : أنه بإسمائه في المشق أسمن في النقي والضلال ، وانحرف عن الهدى والرشاد ، وقلمما يصلح عقل الغاوى ، أو يعود إلى الرشد والاستقامة ، أو يسترد الاهتداء والصلاح .

خَضَعْتُ لِأَحْكَامِ الْهَوَى ، وَلَعَالَمَا أَبَيْتُ ، فَلَمْ أَخْضَعْ لِمَنْ يَهَبُ الْجَنَوَى ^(١٦)
وَأَنَا أَمْرُؤُ لَوْلَا الْهَوَى مَا وَجَدْتَنِي أَدِينُ لِغَيْرِ اللَّهِ ، أَوْ أَرْهَبُ الْعُنَوَى ^(١٧)
بَعِيدُ مَنَاطِ الْهَمِّ ، تُرْهَبُ صَوْلَتِي إِذَا مَا دَجَا خَطْبُ ، وَيَا دِرِّي تُرَوَّى ^(١٨)

(١٦) أبي يابى (بورن سى يسمى) إياه (بكسر الهزنة) : استعصى ، وامتنع ، وترنح ، واستنكف . ورهب له الشيء يهبه : أعطاه إياه بلا عوض . والجندى : الهبة ، والعطية . يقول : إنه فى مجال الحب والغرام أسير خاضع منقاد لأحكامه وتقيده . وفى غيره أبي ، صوف ، مستعص ، ممتنع ، مترنح عن الهبات واهيها .

(١٧) دان يدين (كباح يبيع) : خضع وانقاد . ورهب يرهبه (من باب طرب) : شافه وتوقاه . والعنوى (بورن الجندى) : انتقال الداء من المريض به إلى الصحيح بسواعة ما : اسم من أعدائى المريض : أى جاوزه المرض إلى . والعنوى أيضاً : اسم من استعديت الأمير حل الظالم : أى طلبت منه النصرة ، فأعدائى عليه : أى نصرته ، وأعدائى ، وانتم لى منه . أوهى «العنوى» (بورن الكبرى) : بمعنى المدون والظلم . ويراد بنى العنوى (بمعانيها الثلاثة) : أنه لا يهيب ما يهيبه الناس ، ولا يخاف ما يخافوه من الخيفات المفزعات .

كرّر ما قرره فى البيت السابق ، وزاد عليه ، فقال : إنه خضع لأحكام الحب ، ولم يكن قبله يدين لغير الله عز وجل ، ولم يكن يخاف ظلم الظالمين ، وعنوان المستدين ، يريد أنه أبى قوتى ، عزيز منيع ، وأنه أقوى من ظلم الظالم ، وعنوان المعتص ، ولكنه حل الرغم من قوته وإياله ، ومزته ومنته «دان الهوى واستكان» .

(١٨) ناط الشيء يغيره ، وناطه عليه (من باب قال) : علّقه . وناطه إناطة كذلك . والمناط (بورن المكان) : موضع التعليق . والهم : أول الزيجة . وما همت به فى نفسك : أى أجسّدت فيه فكره ، وأردت فعله . ويراد بالهم هنا : الهمة العالية ، والمطعم الرفيع ، والمزم القوي . وبعيد مناط الهم : أى همى عظيمة ، واسعة رغبة . وترهب : تخاف . وتنش (بالبناء للمجهول فى الأفعال الثلاثة) . والصولة : السطوة ، والبطش فى الحرب ونحوها . ودجا (من بابى دعا ، وسما) : أعظم . والمراد اشتد ، وجاوز الله . والخطب : الأمر الشديد ، ينزل بالناس ، ويكثر فيه التخاطب ، وشطوب الدهر : نوابه وشدائده . والبادرة : الغلبة السريعة ، وما يبدى من الرجل عند حدته . ومن كلامهم : «فلان غشى البادرة ، وحاد البوادر» : أى خوف مهيب ، شديد لباس . وتروى : تقتل (بالبناء للمجهول فيما) . يقال : روى الحديث ، أو الخبر ، أو الشعر ، أو نحو : أى حمله ، ونقله ، وأذاعه ؛ فهو روى من الرواة . والمراد أن الناس ، أو الرواة يتناقلون بوادرى ، ويديمونها إحياءاً ، أو عجباً ، أو احتياجاً وغرضاً .

فى البيت السابق اختر بآه لا يرهب المدون . وفى هذا البيت اختر ببعده همت ، وقوة عزيمته ، =

لِسَانِي خَطُوبٍ فِي الْجِدَالِ، وَصَارِي رَسُوبٌ مَرَّأِي مِنْ سَمَاءِ الضُّحَا أَصْوَى^(١٩)
وَعَيْنِي إِذَا مَا الْحَرْبُ أَكْثَتْ قِتَاعَهَا عَزِيمَةً لَيْسَ مَا تَهِيرُ، وَمَا تُعْوِي^(٢٠)

« وَأَنْ صَوَّلَهُ وَبَوَّادَهُ فِي الْخَطُوبِ وَالشَّدَائِهِ مَرْهُوبَةٌ غَشِيَّةٌ يَتَنَاقَلُهَا الرِّوَاةُ، وَيَتَقَبَّهَا الْعِدَاةُ . وَيُلَاحِظُ أَنْ الشَّامِرُ - مِنْ الْبَيْتِ السَّادِسِ عَشَرَ إِلَى نَهَايَةِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ - انْتَقَلَ مِنَ الْفَزْلِ إِلَى الْفُخْرِ بِمُتَابِقِهِ ، وَانْتَدَحَ بِحَامِدِهِ بَعْدَ رِبْعٍ وَتَوَلَّفَهُ ، وَتَهَيَّدَ وَتَوَلَّدَ ؛ فَأَكْثَرَ الْقَصِيدَةَ (٢١ بَيْتًا) فِي الْفُخْرِ وَالْإِبْهَامِ . وَلَهَا مَعَ الْفُخْرِ تَعَرُّسٌ بِالْمُخَوِّنِ الْفَتَنِ الْعَطُوفِ صُدُورِهِمْ عَلَى الْحَقْدِ وَالْفُتُوحِ ، وَاسْتَحْبَابِ الْعَمَلِ عَلَى الْهَدْيِ ، وَغُرُفُوا فِي الْفُضْلَانِ الْبَيْنِ .

(١٩) خُطُوبٍ (يُوَزَّنُ صَبْرٌ) : غِلَاطٌ ، قَاطِعٌ ، غِلَاطٌ . صِفَةُ مُبَالَغَةٍ مِنْ خَلْبِهِ (مِنْ بَابِ قَتَلَ) : أَيِ قَطْعِهِ . أَوْ قَتْلَ قَلْبِهِ . وَالْجِدَالُ : الْمُجَادَلَةُ : مَصْدَرُ جَادَلَهُ : أَيِ نَاقَشَهُ ، وَنَازَعَهُ ، وَفَالِهَهُ ، وَخَاصَمَهُ مُخَاصِمَةً شَدِيدَةً ؛ فَقَطَعَ الْحُجَّةَ بِالْحُجَّةِ ، وَقَابَلَ الدَّلِيلَ بِالْأَدْلِيلِ . وَالصَّارِمُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ الْبَاطِرُ . وَسَيْفٌ وَصُوبٌ (يُوَزَّنُ خُطُوبٌ) : يَعْنِي ، أَوْ يَنْتَدِ ، أَوْ يَنْبِغُ فِي الضَّرْبَةِ . وَالرَّأْيُ : الْعَقْلُ . وَالْإِصَابَةُ فِي التَّدْبِيرِ . وَرَبِيعٌ ذُو رَأْيٍ : أَيِ ذُو بَصِيرَةٍ ، وَحَلَقٌ بِالْأُمُورِ . وَالضُّحَا : بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَارْتِفَاعِ النَّهَارِ ، وَاسْتِدَادِهِ . وَنَمَاءُ الضُّحَا : السَّيَاءُ فِي وَقْتِ الضُّحَا . أَوْ السَّيَاءُ الضَّاحِكُ الْمَشْرِقُ الْمُنِيرُ ، حِينَ يَارْتَفِعُ النَّهَارُ وَيَمْتَدُّ ، وَيَمُتُّ الضُّيَاءُ وَيَشْتَدُّ . وَأَصْوَى : أَصْوَأُ : أَيِ أَشَدَّ إِضَاعَةً ، وَأَعْظَمَ نُورًا .

اِخْضَرَ بِخِلَابَةِ لِسَانِهِ فِي الْجِدَالِ ، وَفَقَّادَ سَيْفَهُ فِي الضَّرْبَةِ ، وَتَعَرَّسَهُ بِاسْتِخْدَامِ السِّلَاحِ ، وَسَدَادَ رَأْيِهِ وَإِشْرَاقَهُ ، وَصَحَافَةَ تَدْبِيرِهِ ، وَاسْتِحْكَامَهُ .

(٢٠) الْقِتَاعُ (يُوَزَّنُ الْكِتَابُ) : مَا تَنْطَلِقُ بِهِ الْمَرْءُ رَأْسًا . وَأَتَى الشَّيْءَ الْفَاءَ : طَرَحَهُ ، وَدَرَى بِهِ . وَإِلْقَاءُ الْحَرْبِ قِتَاعُهَا : كُنَايَةُ عَنْ اشْتِدَادِهَا ، وَتَوَقُّدِ نَارِهَا ، وَسَطُوعِ أَوَارِهَا . وَالْمَزِيمَةُ : الْإِرَادَةُ الْقَوِيَّةُ الْقَاطِعَةُ . وَالْجِدُّ وَالْإِبْهَامُ فِي الْأَمْرِ . وَالْقَيْثُ : الْأَسَدُ . وَهَرَّ الْكَلْبُ يَهْرُ (كَخَفَّ يَنْفُتُ) هَرِيرًا : وَهُوَ صَوْتُهُ دُونَ نَبَاحِهِ ، مِنْ قِلَّةِ صَبَرِهِ عَلَى الْبَرْدِ . أَوْ هِيَ مَا تَهِيرُ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) : مِنْ أَمْرِ الْكَلْبِ وَنَحْوِهِ إِهْرَارًا : أَيِ جَمَلِهِ يَهْرُ . أَوْ حَمَلِهِ عَلَى الْحَرِيرِ . وَهَرَى الْكَلْبُ وَنَحْوَهُ يَمْرُؤُ عَيْبًا ، وَعَوَاهُ (يَغْمُ الْبَيْنُ) : لَوْى خَطْمُهُ : أَيِ أَنْفِهِ ، أَوْ مَقْدَمَ أَنْفِهِ وَفِيهِ ، ثُمَّ صَوَّتَ . أَوْ مَدَّ صَوْتَهُ ، وَلَمْ يَفْصَحْ . وَعَوَاهُ الْكَلَابُ وَنَحْوُهَا : صَوْتٌ تَمَدَّدَ ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ . وَأَعْوَاهُ شَيْءٌ إِعْوَاهُ : حَمَلَهُ عَلَى الْمَوَارِ . وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْخَازِمِ الْجَلْدُ : « مَا يَنْهَى ، وَلَا يَمُرُّ » أَوْ « لَا يَمُرُّ ، وَلَا يَنْهَى » (بِنَاءُ هَذِهِ الْأَفْعَالِ كُلُّهَا لِلْمَجْهُولِ) : وَعَزِيمَةٌ لَا تَهِيرُ ، وَلَا تُعْوِي (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ فِيهَا) : أَيِ عَزِيمَةٍ قَاطِعَةٍ قَوِيَّةٍ ، لَا يَتَرَّسُ بِهَا ضَعْفٌ أَوْ فَتُورٌ .

اِخْضَرَ بِأَنَّهُ فِي الْحَرْبِ شَدِيدُ الْبَاسِ ، قَوَى الْمِرَاسَ ، ذُو عَزِيمَةٍ صَاوِيَةٍ كَمَزِيمَةِ الْأَسَدِ ، لَا يَمُرُّهَا ضَعْفٌ أَوْ فَتُورٌ .

وَحِلْمٌ كَرِيمٌ ، يَمْلَأُ الْعَيْظُ قَلْبَهُ ، وَيَحْلُمُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (٢١)
وَعِمَّةٌ نَفْسٍ لَا تَزُنُّ بِرَيْبَةٍ ، وَجُودٌ بِهِ ظَلَّتْ عَفَاةُ النَّدَى تَرَوَى (٢٢)
وَلِي هِمَّةٌ لَوْلَا الْعَوَانِيُّ مَهْنَتٌ يَدُ الْمَجْدِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ لَهَا مَثْوَى (٢٣)

(٢١) الحلم : الأناة ، والمقل ، والصفح ، والصبر المحمود ، وضبط النفس . وكرم : صفة من الكرم بمناء العام : وهو جماع الأخلاق الكريمة ، والأفعال الحميدة ، والחסن الكبيرة التي تظهر من الإنسان . ومن الأخلاق الكريمة التي يشملها الكرم : الصفع ، والعمو ، والتسامح . و « حلم كريم » : معطوف على « عزيمة ليث » في البيت السابق . والنفط : الغضب الشديد ، وهو أشد الحق (وفعله من باب باع) . وكلم الرجل فيظه (من باب ضرب) : أسك على ما في نفسه منه صانعاً متصاعاً . وفي التنزيل العزيز : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض » أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكافطين النفط ، والنافين عن الناس ، واثق بالأمور ، واجتنب نواحيه . أوحى حفظ النفس بما يؤم ، وذلك بترك المظهور . وفي الآيتين السابقتين أن كلم النفط ، والنفو عن الناس من صفات المتقين . وفي القرآن الكريم : « فن اتق وأصلح فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » الآية رقم ٣٥ من سورة الأعراف .

(٢٢) عَفَّ بِمَفَّ عَمَّةً (كخف - يخف - خفة) : كفَّ عما لا يحل ، ولا يحمل من قول ، أو فعل . وزلنت فلاناً بكلاً (من باب رد) : أتهته به . وأزنته إزناناً كذلك . والريية (بكسر الراء) : الظن ، والشك ، والهمة . ومن شعر حسان بن ثابت : « حصان رزان ، ما تزُنْ بريية » : أي لا تشهم بسوء . والجود (يضم الجيم) : البذل ، والسخاء والمطاة بلا عوض . وظلت : دامت . والعفاة : جمع العافي : اسم فاعل من عفاه (من باب عدا) : إذا أتاه يطلب فضله ويمزوله . والندى : الجود ، والسخاء ، والخير ، والبر ، والعطاء ، والإحسان . وروى من الماء ونحوه يروى (كرضى يرضى) : شرب وشيع .

افتخر بمعة نفسه ، وترفعه عن الشوائب والمناقص ، وبعده عن الريب والشبهات ، واتسع جوده ، وفداء العفاة ، وطلاب الحاجات .

(٢٣) الهمة : العزم القوي . والعوائق : جمع عائقة وعائق : اسم فاعل من عاقه عن الشيء (من باب قال) : أي منعه منه ، وشغله ، وسببه عنه ، وصرفه . وعوائق الدهر : الشواغل من أحواله . ويهدد القراش ونحوه تمهيداً : بسطه ، ورفاه وسهله . والمجد : التبل والشرف ، والمكارم الماثورة عن الأبهة . وافق الساء : ناحيتها . والمثوى (يهزن المأوى) : المستقر ، والمقام : اسم مكان من ثوى بالمكان ، وفيه (كفى) : أي أقام ، واسعة ، أو هي مثوى (بضم الميم) : من أثوى يثوى إثواء : بمعنى ثوى ثواء (يفتح الثاء) ، والثلاثى والرابعى بمعنى واحد .

بَلَكْتُ بِهَا بَعْضَ الْمَنَى ، غَيَّرَ أُنْتِي جَلِيلُ يَا بْنَ أَخَوِي بِهَا كُلُّ مَا أَخَوِي^(٢٤)
فَإِنْ سَادَ غَيْرِي بِالْجُودِ ، فَإِنِّي بِهِمْ وَيَفْضُلِي رِشْتُ سَهْمِي ، فَمَا أَشَوِي^(٢٥)
وَلَيْسَ عُلُوُّ النَّفْسِ بِالْجَدِّ وَخَسَدُهُ وَلَيْسَ كَمَالُ الْمَرْءِ فِي شَرَفِ الْمَاوِي^(٢٦)

(٢٤) بها : أي يهين . والمنى : الأمان والأمال . الواحدة منية (بضم فسكون) .
وجدير : حقيق ، وخلق : صفة من جدير بكذا ، ويجدر له (كظرف) ، جدارة : إذا صار خلقاً به ،
أهلاً له . وسوى الشيء يحويه (كطواه يطره) ، واحتواه ، واحتوى عليه : أي جمعه ، وأحززه ،
وضمه ، واستولى عليه . وهويه يواه (من باب صوى) : أحبه ، ورغب فيه ، ومال إليه .

في البيت السابق : افتخر بأن هتته ومجده وشرف آياته في أعلى مراتب الرفعة ، والسمو ، والعظمة . وفيه
إشارة إلى معونات وموانع حوتها بعض التصديق هتته ، فلم تسائر مجده ، ولم تتلحق إلى المدى الذي يناسبه ،
ويليق به . وفي هذا البيت توضيح وتفصيل لهذا المعنى ؛ فإنه بلغ بهمته بعض آماله ، ولكنه
خلق أن يجمع بها كل ما يرغب فيه ، ويطمح إليه من الثغيات البعيدة ، والمطامع الرقيقة ، ومطالب
السيادة والمجاهدة . وفيه إشارة إلى أنه لن يسكن عندهما وصل إليه ، ولن يقنع به .

(٢٥) ساد يسود سيادة ، وسودداً : عظم ، ومجد ، وشرف . والجود : جمع الجدة
(بفتح الجيم) : وهو أب الأب ، وأبو الأم . ويريد بفضله : فضائله ، وكفائاته ، وبواجبه
ومطلوباته ، وهمة العالية ، وعزائمه القوية . والسهم : عود من خشب يسرى ، ويركب في طرفه نصل
يرى به عن القوس . ورأس السهم يریشه (من باب باع) : ركب عليه الريش ، فهو مريش (بوزن
ميم) . أو أصلح ريشه لتسديده . وأشوى السهم إشواه : أعطاه الفرس ، ولم يصب المهدف ، أي
الصيد ، أولم يصبه في مقلته . ورثت سهمي ، فاشرى : أي أعددت سهمي إعداداً تاماً للرماية ،
فاستد ، وأصاب المقتل . وهو كناية عن تمام أهيتته ، وقوة استمداده ، لتحقيق المطالب ، وبلوغ
الآمال .

والمنى : أنه عصاة عظام ، ساد يشرف نفسه ، وشرف آياته .

(٢٦) الماوى (بوزن المثنى) : اسم مكان من أوى المكان ، وإليه يأوى (كرمى يرمى) :
أي نزل فيه ، واستقر به . وأوى إليه : عاد ورجع . وأوى إليه : بناً إليه ، ولأذ ، واحتصم به .
وأوى إلى ظلال فلان : استظل به ، واحتصى بمجاهه . وهزاد يشرف الماوى : مجد الآباء والأجداد :
أي وليس علو النفس في مجد الجدود وسده ، وليس كمال المرء في شرف الماوى وسده ؛ فالشطر الثاني تكرار
وقا كيد لمنى الشطر الأول .

والبيت يجرى مجرى الحكم والأمثال ويؤكد معنى البيت السابق ؛ فإن اقتصار الحبيب الماحد
على حسبه ومجد آياته لا يبلغه ما تسمو إليه نفسه من العزة ، وكال الشأن ؛ بل لابد أن يكون مع هذا
فاضلاً هماً ، قوة الزم ، على الهمة .

إِذَا حَرَّكَتْنِي نَحْوَ أَرْضِي وَتَبِيرَةٍ رَكِبْتُ لَهَا عَزَمِي وَإِنْ بَعْدَ الْمَهْوَى (٢٧)
فَإِنْ كَانَ سَوَى الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَرَى مِنْ يَدَيْهِ فِي الْحُطُوطِ ، فَمَا سَوَى (٢٨)
بَرْتُ مِنْ الْفُلِّ الَّذِي أَصْبَحْتُ بِهِ قُلُوبُهُمْ مِنْ شَرِّ مَا حَمَلَتْ تَدْوَى (٢٩)
نَصَحْتُ ، وَغَشَّوْا عَوَامِبَقَمْتُ ، وَرَأَوْحُوا وَهَلْ مِنْ هَدَى بَيْنَ الْأَنَامِ كَمَنْ أَغْوَى ؟ (٣٠)

(٢٧) التَّوْبَةُ : اللُّحُل : أى النَّار (يفتح فسكون فيما) . ومثلها التَّوْبَةُ (بوزن البدة) وركبت لها : أى ركبت للأرض . أو للتَّوْبَةِ . والعزم : الصبر ، والجدة : والإرادة القاطمة لماضية القوية (وفعله من باب ضرب) . والمهوى (بوزن المأوى) : اسم مكان من هوى يهوى (كوى يهوى) : إذا سقط من أعلى إلى أسفل . أو ارتفع وصعد . وهوى فى الأرض : ذهب فيها . والمهوى أيضاً : الجوى . والمراد : وإن بمدت الشُّقَّة ، وامتدت الطريق ، وثنى السفر ، واتسعت المسافة وطالت ، وكثرت الأعباء وثقلت .

يقول : إنه حريص أشد الحرس على إدراك ثأره ، والانتقام من ظلمه . وله في هذا الشأن عزم قوى ، وصبر ، وجدة ، وإرادة قاطمة ماضية ، وإن بمدت عليه الشُّقَّة ، والتوت به الطرق .

(٢٨) سَوَى فى الشطر الأول : بمعنى ساءى . يقال : ساءى بين الشيئين : أى جعلهما يتألان ، ويتعادلان ، ويتساويان . وسوى فى آخر البيت : بمعنى قوّم ، وعدّل ، وأصلح . والمراد : فما عدل فى تسويته ، ولا أنصف . والحطوط : جمع الحطّ : وهو التنصيب . والحطّ أيضاً : الجدة والبهت .

يرى الشاعر فى نفسه كفايات ومواهب تقدّمه وتفضله على من يمتنهم ، ويسوّض بهم من الناس ، وترفعه فوقهم ؟ بل يرى محامده وتفضائله تقابلها مناقصهم وسوايهم ، ويرى حظوظهم - مع هذا التفاوت والتناقض - مساوية لحظه فى الحياة ؟ ومن أجل ذلك عاتب الزمان ، ولامه ، وجرده من العدل والإنصاف ؟ لأنه ساءواهم به ، ولم يمتزّ بشفوقه وتفضله ، ورجحان قدره . وفى البيتين الآتيين تفصيل لهذا المعنى .

(٢٩) الفلّ (يكسر اللين) : السفن ، والحقد ، والفش (يكسر الحرف الأول فى كل منها) . وقلوبهم : أى قلوب من حرّض بهم فى البيت السابق ، وقال : إن الدهر لم يكن عادلاً حين سوّى بينه وبينهم فى الحطوط . وتدوى (من باب صدى) : يخامرها داء الحقد والضغينة . والدوى (بوزن العدوى) : المرض .

برأ نفسه من الفلّ ، ورماهم به ؟ وهو شرّ ما تنطوى عليه الصدور ، وتدوى به القلوب . (٣٠) نصحت له ، ونصحته (كنفسته) : أرشدته إلى ما فيه صلاحه . وتقول : نصحت له المشورة ، ونصحت له اليد : إذا أغلصتها له ، ونصحتهما من شوائب الفش والتناقض . والاسم للنصيحة : =

وَأَنَّى إِذَا مَا الْخَطْبُ أَمَرَ طَعْمَهُ نَبَلْتُ بِهِ رَأْيَا أَلَدَّ مِنَ السَّلْوَى (٣١)
أَصَبْتُ كُلِّي الْأَحْدَاثِ حَتَّى تَرَكْتُهَا عَلَى جَمَرَاتِ الْغَيْظِ تَأْمُورَهَا يُشْوَى (٣٢)

صوى قول فيه دعاء إلى صلاح ، ونهى عن فساد . وقش "صاحبه (من باب رد)" : زين له غير المصلحة ، وأظهر له خلاف ما يضر . والاسم الفش (بكسر الفين) : وهو خلاف النصيحة . وقش صدره : إذا انطوى على الحقد والبغينة . واستقام الشيء : اعتدل ، واستوى . واستقامة الإنسان : لزومه المنهج المستقيم ، والتزامه الإخلاص والصدق في القول والعمل . وراوغة مراوغة : خادعة وخاتلة . والناصح : ضد الفاش . والمستقيم : ضد المراءوغ . والاستفهام في أول الشعر الثاني : معناه النش . والألنام : الخلق والناس . وأغواه إغواء : أضله ، وأفده . وهو ضد "أرشدته وهداه" .

في البيت الثامن والعشرين عرّض الشاعر بمن سوى الزمان بينه وبينهم في الخطوب ، فلم يكن في هذه التسوية عادلاً ، ولا منصفاً . وفي هذا البيت عرّض بعض فضائله ونقائصهم ، ففى خلّقه النصح ، والاستقامة . والهداية ، وفى طابعهم الفش ، والمراوغة . والإغواء . والغرض الفخر بمحامده وفضائله ، والتعديد بمساوئهم ونقائصهم ، وبيان ما بين سيرته وسيرتهم من اختلاف شديد ، وتناقض وقضاد .

(٣١) الخطب : الأمر الشديد ، يتزك بالناس ، ويكثر فيه التخاطب . وجمعه خطوب (بوزن كرب وكروبو) . وأمر الشيء إيقاراً : صارماً . وإمطار طعم الخطب : كناية عن اشتداده وقبحه . وبيل الشيء (من باب ضرب) : طرحه وألقاه . والرأى : العقل ، والإصابة في التدبير ، والتفكير المحكم الشديد الصائب . ورجل ذو رأى : أى ذو بصيرة وحذق بالأمر . ولأ الشيء (كل) : صار لذيذاً شهيواً . وألأ : اسم تفضيل منه : أى أكثر وأشدّ لذة . والسوى : العسل .

يفسر برأيه الشديد الذى يتشبع به فوادح الخطوب .

(٣٢) الكل : جمع كلية (بوزن مدية وسدى) . والأحداث : جمع حدث (بوزن سبب وأسباب) : وهو الأمر الحادث المتكرر غير المعتاد . وأحداث الدهر وحوادثه : نوازل ونوائبه : والجمرات : جمع جمره (بوزن تمره وتمرات) : وهى النقطة الملتبئة من النار . والغيظ : غضب شديد كامن للعجز . وهو أشدّ الحق (وقوله من باب باع) . ويجمرات الغيظ : أى التبط الذى يتوقّد من شدة ، ويهلب التهاب الجمر . وتأتمور : النفس وسياها ، والقلب ، وسببته ، وسياها ، ودمه . أو الدم . وتأتمورها : تأمور الأحداث . وشوى اللحم وغيره يشويه شيئاً (كطواه يطويه طياً) : أنضجه مباشرة النار .

والبيت كالبيت السابق : تصوير لمقدرة الفائقة حل مكافحة الخطوب ، وتبديد الأحداث . ويلاحظ أنه - على قرب معناه - مرهق بالمجاز . وأربعة الأبيات فشر بشعره وحكته ، وانطباع التوافق له ، وإقبالها صراحة عليه ، وتقوّفه في بلاغة القول ، وسحر البيان .

وَصُنْعَتْ مِنْ السَّحْرِ الْحَلَالِ قَصَائِدًا تَقْلُ بِهَا نَفْسُ الْمُعِيدِ لَهَا نَشْوَى (٣٣)
فَمَا قَبِذْنِي لَفْظَةً دُونَ حِكْمَةٍ وَلَا غَرَّنِي قَوْلٌ قَوْلُ الدَّعْوَى (٣٤)

(٣٣) صاغ الكلام (من باب قال) : هيأه ، ورتبه ، وجره ، وزينه ، وحرره ، ونمّقه : مستعار من صاغ الصائغ الذهب والفضة ونحوهما : أي سهّلهما ، وسنّهما على مثال مستقيم . والسحر : كل ما لطف مأخذه ، ودقّ وكل أمر يخفى سببه ، ويتخيل على غير حقيقته ، ويعجز مجرى التوقيه والخلداع . وسحره بكلامه (كنهه) : أسأله ، واستهواه ، وسلب لبّه برقته ، وحسن تركيبه ، وقوة تأثيره . ومن السحر حلال وحرام . ويراد بالسحر الحلال : البيان الرائع ، والقول الفصيح البليغ ، والشعر الرصين الحكيم . ومن حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة » والقصائد : جمع القصيدة : وهي من الشعر : سبعة أبيات فأكثر . و « قصائده » متنوعة من الصرف ، أي التثنية ، وإما فوّنت هنا لفروقة وزن الشعر . وتقلّ : تبقّ وتستمر . والمعيد : اسم فاعل من الإعادة : وهي التكرار والترديد . ونشوى : سكرى (والفاعل نشي كنس) ، فهو نشوان ، وهي نشوى . ويقال : نشى بالشراب وبقيره : إذا أحبه وعاوده مرة بعد أخرى

يفخر بأن شعره من السحر الحلال الذي يصوغه بمهارة وإحكام فيجعل بالقلوب ، ويسكر النفوس ، ويهز ويسحر ، ويخلو على الإعادة والترديد .

انتقل الشاعر في هذا البيت وثلاثة أبيات بعده من الفخر بمقدرته الفائقة على مكافحة الخطوب ، ونشع الأحداث إلى الفخر بشعره ، ومقدرته الفائقة على صياغته وحبكه ، ولعل الصلة بين هاتين المضمومتين أنهما ما يوجب ، ويطرب ، ويهز ، ويسحر ؛ وأن كل واحدة منهما تحتاج إلى سداد الرأي ، وجودة السبك ، وحسن التدبير ، وأن الخطوب قد تلهم الشاعر ، وتثير عاطفته ووجدانه ، وأن الشعر ، وسحر البيان قد يبين على ردّه هجمتها ، وإطفاء جلوتها .

(٣٤) الحكمة : إصابة الحق بالعقل والعلم . أو هي معرفة الموجودات ، وفعل الخيرات . أو هي القليل الوجيز البليغ الذي يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً . أو هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم . أو هي العلم والتفقه . أو الكلام الذي يقلّ لفظه ، ويحلّ مناه . وقد أشرنا في شرح البيت السابق إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر لحكمة » : أي قضية صادقة ، كقول لبيد بن ربيعة العامري في جاهليته :

ألا ، كل شيء ما غلّا الله باطيلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ
وقوله في إسلامه :

ما عاتب الحرّ الكريمَ كَنَنَ نَفسِهِ ولملأهُ يُصْلِحُهُ المجلسُ الصالحُ
وقوله : « إن تقوى ربّاً غير نفل » : أي خير غنيمة وريح وكسب . وبني الشطر الأول : أن لا أتقيد بالألفاظ ، ولا أجري وراءها ؛ فأناصرف بها عن الحكمة البالغة ، والقول الحق ، والمضى الجليل السديد وغرّني (من باب ردّ) : خدعني ، وأطمعني بالباطل . والدعوى : اسم ما يدعى : أي لا أغتر بقولي ،

وَيَا طَالَمَا رَمْتُ الْقَوَائِي، فَأَقْبَلْتُ سِرَاعاً، فَلَا أُرَوِي ذِكْرْتُ، وَلَا حَزَوِي (٢٥)
فَلَا يَخْلُونُ النَّاسُ خَلْوَ بَلَاغَتِي فَأَقْرَبُ مَا فِي شَأْوَاهَا الْغَايَةُ الْقُصْوَى (٢٦)

== ولا أدغمي الإجلدة بغير حق .

يقول : إنه لا يتقيد في شعره وبيانه بالألفاظ ، يجري ورامها ، ويمرر عليها ، فصرفه من الحكمة ،
وفصل الخطاب . وكذلك لا يتقيد بقوله في دمي دعوى باطلة ، أو يزيّن بشعره الباطل ، أو ينصرف به عن
الحق والساد .

(٢٥) رام الشيء (من باب قال) : أراده ، وطلبه . والقوائى : جمع القافية : وهي من آخر
البيت إلى أول متحرك قبل ساكن بينهما . وبعبارة أخرى : هي الحروف التي تبدأ بحرك يليه آخر
ساكنين في آخر البيت ، قافية هذا البيت مثلاً : كلمة « حزوى » . ويراد بالقوائى هنا : القصائد التي
نظمها للشاعر في أغراض الشعر ، وضروبه ، وأبوابه وفنونه أو يراد بها أبيات كل قصيدة ، أو المراد
قافية كل بيت . ويريد بإقبالها عليه سراعاً : أنها متطاعة له ، سهلة عليه ، يجري بها ذهنه ، « ويتألق
وموضها في سماء فكره » فيخلق بها لسانه وقلمه بلا تكلف ، أو تمسك ، أو عنت ، أو إرباق . و « أروى
و « حزوى » : موضعان في شب الجزيرة العربية . وهاتان الكلمتان جاءتا في مطلع قصيدة البستري التي وازنها
البارودي ، ومارضها هذه القصيدة :

لنا أبداً بثّ نصائبي في أروى وحزوى ، وكم أدنك من لومة حزوى

ولعلها من موطن الحب ، ومنازل الفراق التي ردتها البستري وأمثاله . ولعل المراد بالشرط الثاني : أنه لم
يقصد في شعره إلى محاكاة غيره ، أو ترديد ما رده شعراء العرب من قبله ، وإنما كان يصدر عن شعوره
وفكره وغالب نفسه .

يفخر بأنه كثيراً ما طلب القوائى ، فأقبلت عليه في سرعة ويسر ، وانقياد وبسهولة ؛ فهو شاعر
مطبوخ ، سكر في إجابة ، مقنن في إبداع ، لا يتكلف ، ولا يتمسك ، ولا يشتغل ، ولا يحلو حلو
غيره ، ولا يتقيد بألفاظهم ، ولا يردد ما رددوه من أسماء الأماكن ونحوها .

(٢٦) حذا النعل ونحوها (من باب عدا) : قدّرها ، وقطعها على مثال . وحذا فلان حذو فلان :
أى فعل مثل ما يفعل . والبلاغة : حسن البيان ، وقوة التأثير . والشأو (يفتح فسكون) : الأمد ،
والغاية ، ومنتهى الشيء . والشأو : الشوط . والقصوى : مؤنث الأقصى . والغاية القصوى : الغاية البعيدة ،
أو المتناهية في البعد . ومعنى الشرط الثاني : أن الداني القريب من آحاد بلاغته ، ودجاتها ، وراحلها هو الغاية
القصوى ، والأمد البعيد الذي لا يستطيع الناس إدراكه وبلوغه ، أو محاكاته ومسايرته .

يفخر بأن شعره وبيانه في أعمل مراتب البلاغة ، وجمال التعبير ، وقوة التأثير ، وإن غيره من
الشعراء والأدباء لا يستطيعون الاحتذاء به ، أو مجاراته ، ومنافسته ؛ فهو وحده أمة لا يتنافس ولا يغالِب .

القصيدۃ الثانیة والأربعون

قَالَ فِي ذِكْرِ الشُّوقِ :

كَلَّمَنِي بِالضَّنَى عَنْ سَوْرَةِ الْحَدَلِ نَاهِيَا فَأَقْرُونُ مَا أَلْقَاهُ يُرْضِي الْأَعَادِيَا^(١)
بَلَوْتُ الْهَوَى حَتَّى بَلَيْتُ ، وَطَالَ بِي
وَمَا كُنْتُ ذَاغِي ، وَلَكِنْ إِذَا الْهَوَى أَصَابَ حَلِيمَ الْقَوْمِ أَصْبَحَ غَاوِيَا^(٣)

(١) كفاه الضنى (كرهه) : إذا أغناه عن غيره . والضنى فاعله بزيادة « الباء » : وهو مرض يخامر المريض ويلذبه حتى يشتد به الضعف والجزال والتهويل ، ويشرف على الموت (وفعله كصلى) .
والحدل : اللوم (وفعله كضرب ويقتل) . وسورته (يفتح فسكون) : شدته ، وحدته ، وهياجه . وأهون : أيسر ، وأقل ، وأخف : اسم تفضيل من هان الضنى (من باب قال) : إذا خف ، وسهل ، ولان .
والأعداى : جميع الأعداء . والأعداء : جمع العدو .

اشتد بالشاعر ضنى الوجد ، وأوصاب الهوى ؛ فقال : إن هذا الذى يضانيه يئيبى أن يئيبى العاذل من العذل ، ويكفّ عن الملامة ؛ فإنه إن كان صديقاً يجب أن يشفق عليه ؛ فينبئ عن لومه ، وإن كان عدواً فأقل ما يكابده يرضى أعداؤه ، ويشجع شماتتهم .

(٢) الهوى : الحب ، والعشق ، والفرام ، والميل إلى الهوى ، وشدة التعلق به (والفعل كصلى) .
وإلوه (من باب قال) : جريته ، واشتيرته ، وتمرت به ، وعانيتها ، وقاسيته . وبلى الشرب ونحوه كرضى : أدركه البلى : أى صار بالياً ، خلقاً ، قديماً ، غائياً . وأبلاه الهوى بغيره : جهده ، وأذابه ، ونخله ، وهزله ، وأرق جسمه وأغناه . وشئ مرير : ألى مر ، صعب ، شديد ، لا يحتمل .
والنوى : البعد والفراق ، وهى مؤنثة . والتلاقى : مصدر تلاقى ، وتلاقوا : أى لقي كل منهما صاحبه ، وصادفه ، واستقبله . والتلاقى : الاجتماع ، والاتئام ، والاتصاف .

يقول : إن الهوى أغناه وأبلاه بطول المكابدة والمماناة ، وإن البعاد والفراق طالاه به ، واشتد عليه ، وامتناداً ، حتى نسي ما كان بينه وبين أحبائه من تلاقى واجتماع .

(٣) غوى (كرمى) يغوى غيياً : انهمل فى الجهل ، وأمن فى الضلال ؛ فهو غاو . والحلم : صفة من الحلم (بكسر فسكون) : وهو الأناة والمقل ، والهداية والرشد . وضده الخفة والطيش ، ولعمه والجهل .

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نَظْرَةً مَا تَجَاوَزَتْ جِئِى الْعَيْنِ حَتَّى أَوْرَدْتَنِى الْمَهَاوِيَّ (٤)
رَمَسْنَتْ بِهَا عَنْ غَيْرِ عَمْدٍ ، فَلَمْ تَعُدْ عَلَى النَّفْسِ إِلَّا بِالَّذِى كَانَ قَاضِيَا (٥)
هَجَرْتُ لَهَا أَهْلِي ، وَفَارَقْتُ جِيرَتِي وَغَاضَبْتُ فِي الْخُلَانِ مَنْ كَانَ رَاضِيَا (٦)
وَأَصْبَحْتُ مَسْلُوبَ الْجَنَانِ ، كَأَنَّنِي شَرِبْتُ بِكَأْسِ تَشْرِكُ الْعَقْلَ مَسَاهِيَا (٧)

في البيت السابق قال : إن المعنى اشتد به ، فأذا به وأبلاه . وفي هذا البيت : أنه كان حلياً مهتلياً ، فأصله المعنى وأحواله .

(٤) إلى الله أشكو : تقديم يفيد المحصر ، أو القصر ، أو الاختصاص : أى إلى الله أشكو ، لا إلى غيره . وتجاوز المكان ونحوه تجاوزاً ، وبجازه ، وجاوز : تعداه ، وخلفه وراءه . والمعنى (في الأصل) : المكان ، أو الله المحسى المصنوع المتنوع الذى لا يقرب ، ولا يبتعد عليه . والموضع فيه كلاً يعنى من الناس أن يعنى . ويراد يعنى العين هنا : العين المحيية . أو نطاق العين وحدها . والفرش بيان سرعة التجاوز ، وسرعة التأثير . وأورده الماء ونحوه : جعله يرده وروداً : أى يشرف عليه ، ويذانه . ومن الهجاز : أورده المهلاك : إذا ألقاه فيها . والمعنى : جمع المهاوى (بفتح الميم ، وسكون الهاء) : وهى الحفرة (بضم فسكون) ، أو الوحدة المميقة . وشملها المؤدة (بوزن القوة) . ويراد بالمهاوى : المهلاك .

نظر الشاعر إلى إحدى الحسان نظرة بريئة سريعة عابرة ، لم تكن تتجاوز عنه حتى أوقته في أشراك المعوى ، وبهاوى الحب ، وأوصاب الترام ، وهو يشكو إلى الله وحده بشه ووجده . والبيت الآتى يردد هذا المعنى ويؤكدده .

(٥) بها : أى بالنظرة . ورى بها : ألقاها . وقاض : قاتل ، مرد ، مهلك : اسم فاعل من ضربه ، قفضى عليه (كره) : إذا قتله ، وأرداه .

يقول : إنه لم يمتد هذه النظرة ؛ بل ألقاها من غير قصد ، فمادت إليه بالردى والمهلك . يريد أنها كانت سبب الحب العنيف الذى أذا به وأضناه . وفي الآيات الآتية تفصيل لهذا المعنى .

(٦) لها : أى للنظرة : أى من أجل الحب وبسببه . وبالغيرة : الجيران (بكسر الجيم فهما) : جمع جار : وهو الخليف ، والناصر ، ومن يجاورك فى السكن ونحوه . وغاضبته منافضة : هجرته ، وتباعدت عنه ، وحملت على السخط والغضب . و « فى » هنا : يعنى « من » . والخلان (بضم الخاء) : جمع الخليل : وهو الصديق الصادق الود . وراض : اسم فاعل من الرضا : وهو ضد الغضب ، وغلاف السخط .

يقول : إنه في سبيل هذا الحب العنيف ، ومن أجله هجر أهله وعترته ، وفارق أنصاره وجيرته ، وغاضب الراضين عليه ، والمحبين له من أخلائه وأصفيائه . ولعله هجرهم ، وفارقهم ، وغاضبهم لأنهم نصحوه له فلم يبال نصيحهم . والفرش بيان عمق هذا الحب ، وصلته ، وشدة تأثيره .

(٧) عليه ثوبه (من باب قتل) : انتزعه منه قهراً ؛ فالكلوب مسلوب ، وسلب : وسلبت المشوقة زواد عاشقها أو عقله : استهوت ، ودلته ، واستولت عليه ، فهو صب ، مولته ، متيم ، مستهام . والحنان :

أَذُورُ ، وَلَا أَذْرَى وَإِنْ كُنْتُ حَازِمًا بِعَيْنِي أَذْنَى لِلْهَدَى مِنْ شِمَالِيَا^(٨)
صَرِيحٌ هَوَى ، لَا أَذْكُرُ الْيَوْمَ بِاسْمِهِ وَلَا أَعْرِفُ الْأَشْخَاصَ إِلَّا تَمَادِيَا^(٩)

= (بفتح الجيم) : القلب ، أو العقل. وشربت بكأس: أرى شربت من كأس : وهى الإلهة ، أو الفتح ما دام فيه الشراب . وفي القرآن الكريم : « عينا يشرب بها عباد الله » أى يشربون منها . الآية رقم ٦ من سورة الإنسان . ويجوز أن تكون اليا ، زائفة : أى كأننى شربت كأساً . ويراد بالشراب هنا الخمر التى تخامر العقل ؛ فحسره وتغلبه ، أو تلعب به ، وتغيبه . وساء : غافل ، غير صاِح : اسم فاعل من ساء عن الشيء ، وساء فيه (من باب عدا ، وساء) : أى غفل عنه ، ولم يشبه له .

والمعنى : أن الهوى يربح به ، واشتد عليه ، حتى سلب عقله ، وأسر فؤاده ؛ فكان كالشارب الذى أسكرته الخمر ، وقرعته ساهياً غافلاً ، قليل الوعى ؛ مشترك القلب ، ضعيف الإدراك .

(٨) دار (من باب قال) : طاف حوله الشيء . وددى الشيء ، وددى به (من باب دوى) : حل به ، وعرفه ، وأدركه . والدوران مع فقدان البداية : تصوير لما أشار إليه فى البيت السابق من ذهَاب الجنان ، وسهو العقل . وحزم الرجل رأيه ، أو أمره (من باب ضرب) : ضبطه ، وأتقنه ، وأحكمه ، وأخذ فيه بالثقة ؛ فهو حازم . وقد حزم (من باب ظرف) : أى صار حازماً ضابطاً لأموره . والشئال (بكسر الشين) : خلاف اليقين . وأدنى : أقرب : اسم تفضيل من الدنو ؛ بمعنى القرب . والمضى : والهداية : الرشاد ، والعقل ، والاستقامة ، والتوفيق ، والصلاح . ولملحه يشير يمينه إلى ما كان عليه قبل أن يتردى فى مهاوى العشق ، ويقع فى سبائل الفرام ؛ فقد كان يمشى راشداً مهتدياً . ويشير بشأله إلى ما صار إليه بعد الشق من الهيام والضلال .

والمعنى : أنه يدور ويطوف ويجمع حل وجهه ، ولا يكاد يمتدى لطريق التقصد وسبيل الرشاد ، وإن كان فى الوقت نفسه حازماً بصيراً يعلم أن الإقلاق عن الهوى هدى وكال ، وأن التماسى فيه لى وضلال . وقد يكون فى الشطر الثانى تحريف . والأصل : بمعنى أذنى للهوى ، أم شماليا . والمعنى على هذا : أنه حل الرخم من حزمه يدور ويطوف ، ولا يعرف أين يتجه : إلى اليمين ، أم إلى اليسار ؛ فهو فى حيرة وارتباك ؛ كأنه يقول : إن تأثير الهوى فى قلبه وعقله عطّل حزمه ووعيه ، وأخلّ تفكيره وتقديره . أو كان الهوى بتأثيره أشدّ من حزمه وعزمه وضبطه لأموره . والبيت بمعنييه ترويض وتأكيده لمضى البيت السابق .

(٩) صريح (بالنصب) خبر بعد خبر « لأصبح » فى البيت السابع ؛ أى أصبحت مسلوب الجنان ، صريح هوى . أو هو خبر لجندل محذوف . والتقدير : أنا صريح هوى : أى قتل حب وغرام . أو طريق لهذا الحب ، ساقط فى أشراكه ومهاويه . وقد يراد بالصريح : المحيّن . وهو الأقرب هنا ؛ وهو مع قربه يلائم البيتين السابقين ، ويجرى منهما فى مجال واحد . والصريح (فى الأصل) : فعليل بمعنى مغبوط ، من صرعه على الأرض (من باب قطع) : أى طرعه عليها ، وأدناه فيها . ولا أذكر اليوم باسمه : أى لا أذكر اسم اليوم الذى نحن فيه : أحو البيت ، أم الأحد مثلاً . ويراد بالأشخاص : أشخاص الناس : أى ذواتهم ، والصفات التى تميز زيدا من عمرو . وتمادى فى الأمر تمادياً : بلغ فيه =

فَيَا عَيْنُ، لَا زَالَتِ يَدُ السَّهْدِ تَعْتَرِي أَسَا كَيْبَ تَعْرِ مِنْكَ تُرَوِّى الْمَآقِيَا^(١٠)
فَأَنْتِ النَّجَى أَوْرَدْتِ قَلْبِي مِنَ الْهَوَى مَوَارِدَلَمْ تَتْرَكِي مِنَ الصَّبْرِ بَاقِيَا^(١١)
أَطْعَمْتُكَ ، فَاسْتَسَلَّمْتُ بَعْدَ شَكِيمَةٍ أَعْصَتْ بِأَطْرَافِ الشُّكِيمِ الْمَدَاكِيَا^(١٢)

مع الثغاية. وتماذى به الأمر : تطاول وتآخر. والمراد أنه لا يعرف الشخص من الناس إلا بعد جهد ومشقة ، وطول تبصر وتأمل ؛ وذلك لضعف وعيه ، وشدة تأثير الهوى في عقله وحواسه .

والبيت وثيق الاتصال بالبيتين السابقين ؛ فقد صرحه الهوى ، وسلب جنانه ، وأضعف إدراكه ، فأصبح يور ، ولا يدري يمينه من شماله ، ولا يتذكر اليوم الذى هو فيه ، ولا يميز من يعرفه من الناس ، ولا يحدد شخصياتهم إلا بعد جهد ومشقة ، ومعاذة ، وطول نظر وتبصر .

وفى ثلاثة الأبيات الآتية ينسج الشاعر على عينه بالملامة ؛ إذ كانت سبب ما وقع فيه ، وما لا يزال يكابده ويفنائه .

(١٠) السهد (بضم فسكون) : الأرق ، وأن يشغى الإنسان النوم ، فلا يكاد يجمده . ومثله السهاد (بضم السين) . (وفعله من باب تمب) . وتعتري : تستدر ، وتستخرج . من قولهم : الريح تعتري السحاب : أى تسقط مطره . والأساكيب : جمع أسكوب (بوزن أسلوب وآساليب) : وهو المطر المتكسب ، المنصب ، المنهمر . يقال : مطر ، وماء ، ودمع ، ودم أسكوب : أى دائم الانسكاب والانسحاب . وأرواه يرويه إرواء : سقاء ، وأشبهه . والملاقى : جمع الملقى : وهو طرف العين بما يلى الأنف ، وهو مجرى الدمع . وبطله الملقى ، والملقى ، والملقى .

يدعو على عينه أن تبقى ساهرة باكية ، تقاسى الأرق والسهاد ، وتجري بالدموع مآقيها .

(١١) آوردت البئر وغيره الماء لإيراداً : جعلته يريده : أى يدانيه . ، ويوافيه ، ويشرب منه . ومن الهجاز : آوردته المهاالك : أى أوقته فيها . والمواريد : جمع مورد (بوزن مجلس) : وهو المنهل ، والمشراب : أى العين ، أو البئر ، أو المكان الذى يستقى منه . وآوردت عينه قلبه موارد الهوى : أى نظر إلى الحسنات التى يفتزل بها ، فوَلَّهَتْ ، وتعلق بها قلبه أخذ التعلق . ويريد بالباقي : البقية القليلة . ولم تترك موارد الهوى له بقية من الصبر : أى انتهى به الوجد والحُب إلى الجزع الدائم ، والملم المقيم ، ولم يجد حل فسناه وأوصابه صبراً .

فى البيت السابق دعا على عينه بطوام السهاد والكاه . وهذا البيت تعليل لدعائه ، وبيان لسببه ودافعه ؛ فلأن عينه هى التى آوردت قلبه موارد من الهوى أبزعت ، وحزنت ، وأنفدت صبره وأحاطه .

(١٢) استيلم : انقاد ، وذلل ، وانطاع ، وخضع ، واستكان . والشكيمة (بوزن المزيمة) : قوة القلب . ويقال فلان ذو شكيمة : إذا كان شديد النفس ، قوى البأس ، أنوفاً ، ألبساً ، لا ينقاد . وهو شديد الشكيمة : إذا كان ذا حد ، وعازضة ، وعزيمة ، وصرامة . وأعصت الشيء إعصاضاً : جعله يعصته : أى يستمسك به ، ويلزمه . أو يمسكه بأسنانه . والشكيم : جمع الشكيمة : وهى فى اللجام .

فَلَمَّا أَنَا سَأَلْتُ الْهَوَى بَعْدَ هَلِي فَلَسْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَعْبُورِ إِنَّ عُدَّتْ ثَانِيًا^(١٣)
يَلْمُورُونَ أَشْوَاقِي ، كَأَنِّي ابْتَدَعْتُهَا وَلَوْ عَلِمُوا لَأَمُوا الظُّلُمَاءَ الْجَوَارِيَا^(١٤)
وَمَا لِي ذَنْبٌ عِنْدَهُمْ ، غَيْرَ أَنِّي شَعَوْتُ ، فَعَلِمْتُ الْحَمَامَ الْأَغَانِيَا^(١٥)
وَهَلْ يَكْتُمُ الْمَرْءُ الْهَوَى وَهُوَ شَاهِرٌ وَيَتَنَبَّى عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْقَوَائِيَا^(١٦)

١٣ - الحديقة المستورة في قم الفرس . والمذاكي من الخيل : التي تمت سبها ، وكلت ، وعظمت قولها ، واشتدت . وفرس ملك ، ومنك . وبخيل مذاك ، ومذكيات . والشرط الثالث : كناية عن قوة شكية ، وطول المداينة والتأني .

يقول : إنه أطاع عينه ، فانقاد للهوى ، ولم يستلم إلا بعد طول التأني والاعتناع .

(١٣) ابن أمّ الجبد : كناية عن أنه أصيل عريق في الجبد والكرم والشرف والفرقة والعلاء .

يقول : إنه إذا كان قد سالم الهوى وصالحه وانطاع له في هذه المرة ، فلن يعود يبعثها إلى مسالته ، والانقياد له . وفي البيت تأكيد لهذا ، وفخر بأصالته ، وإمراته في الجبد والكرم .

(١٤) ابتدع الشيء ابتداءً ، وأبدعه إبداعاً : أحدثه ، وأنشأ ، وأختره . والظباء (بكسر الظاء) : جمع ظبي ، وهو اللوزال . وتشبه به الحسان من النساء في الرشاقة ، ولطف الحركة ، وسمن الشيء ، وجمال الجبد واليمين . والجوارى : جمع الجارية : وهي الشابة الفتية من النساء . والمعنى : أن الحسان الشابات اللاتي هن اللاتي تيسمن ، وولطته ، وأوقدن في قلبه نيران الوليد ، والشوق ، والهوى ، والفرام . ولو أنصف عداله لوسعهوا إلهين ، لا إليه العدل والملازمة .

(١٥) عندهم : أي عند لائمه ومذله . أو عند من تهيمته ، وأوقدن في قلبه نار الشوق والصبابة . ولكن يلاحظ أنه وضع ضمير الذكور « هم » موضع ضمير الإناث « عندهن » . وشأن بالشعر (من باب عدا) : ترسم به وتنفق ، وطرب . والأغاني : جمع الأغنية (بتخفيف الياء) : وهي ما يتروغن به ويتنفق من الكلام المزون وشيرة . ولحمام هدير ، أو هليل مسجوع يردد في حنجرة ، فيتأثر به سامعه . يقول : إنه لم يذهب إلى هؤلاء الحسان اللاتي هيجن شوقه ، غير أنه شدا وتنفق بحاسنهن ؛ فلم يعبر الشد والتفريد .

(١٦) الاستهزام في أول البيت : معناه أنني ؛ فالشاعر لا يستطيع كتمان هواه . وشأن من كذا (من باب روى) : صرفه عنه ، وكفّه ، وردّه . والتعقب (بوزن الآسف) : عظم مؤخر القدم . وهو أكبر نظامها . وشأن على عقبه : ردّه ، وصرفه ، ورجسه عن الشيء . والقوافي : جمع القافية : وهي الحروف التي تبدأ بتحريك يليه آخر ساكنين في آخر البيت ؛ قافية هذا البيت مثلا : « وأغيا » . ويراد بالقوافي هنا : الأضمار .

فَيَا مَسَمَاتِ الْفَجْرِ ، مَا لَكَ كُلَّمَا تَنَسَّمتِ أَضْرَمْتَ الْهَوَى فِي فُؤَادِيَا؟ (١٧)

وَيَا سَجَمَاتِ الْأَيْتِكِ ! رِفْقًا بِمُهْجَةٍ (١٨)

وَيَا لَمَسَمَاتِ الْبَرْقِ ! بِإِلَهِ خَبْرِي أَخْلَايَ بِالْمَقْيَاسِ عَنِّي سَلَامِيَا (١٩)

= والمعنى : أن الشاعر لن يستطيع كتمان هواه ، ولن يستطيع رد ما يرد على ذهنه ، وتنتبه عواطفه من شعر الحب والفرق . وصلة هذا البيت بالنبي قبله واضحة وثيقة ؛ فالشاعر إنشأ شدا وتنفى بشعره جرياً على طبيعته الشاعرة ، وانطباعاً لمعاطفه المتأججة ، وإرضاء لشموه المزيف . وفي البيتين الآتين ما يتصل بهذا كله أدق اتصال من اضطراب الهوى في فؤاده ، واستراق مهجته بالجوى .

(١٧) النسيات : جميع نسة (بفتحين) : وهي الريح الطيبة اللطيفة . ونشلتها النسيم . وتَنَسَّمت الريح تنسّاً : هبت بلطف ولين واعتدال . وأضرم النار إشراماً : أوقدها ، وأشعلها . والاستفهام في البيت : يفيد الإنكار ، أو التعجب ؛ فالأمر للطبيعي الذي لا يثير العجب ، أو يدعو إلى الإنكار - أن تخفف نسيات الفجر لوعة اللتاع ، وحرقة الصب المسهام ؛ لأن هذه النسيات في خيال شمره الفزول رسائل الحبيب إلى المحب ، تحمل إليه أنفاسه المطرة ، وتبلغه تحيته وسلامه . وقد تنتج المكس ، أي تذكره بقربه ووصاله ؛ فتهيج لوصابه ، وتقضاض أوصابه .

يقول : إن الهوى يزداد في قلبه ، ويتقد كلُّ ما حبّ نسيم الفجر طيباً رائقاً ، نقيّاً ليليناً .

(١٨) السجَمَات : جميع بجمجمة : اسم مرة من سمجت الحمامة (من باب قطع) : إذا هدرت ، وردت صوتها على طريقة واحدة . وللتداء في أول البيت للسجَمَات ، أو الطير الساجمة . والأيتك : جمع أيتكة (يفتح فسكون) : وهي الشجر الكثير المتلف . وقد يراد بالأيتك الطير المفردة ؛ من إطلاق المحل ، وإرادة الحال . ورفق به (مثله) رفقاً (بكسر فسكون) : لأن له جانباً ، ولطف به ، وعطف عليه ، وحسن صتيه معه . والمهجة : القلب ، أو الروح . ولم يرد في الأصل المخطوط الذي بين أيدينا غير الشطر الأول من هذا البيت ، ويمكن تكلمته بمثل : « إذا الطير غنّت لفنّها الجسر ذاكيا » . أو « عل الدهر لا تلق الحبيب المولاي » . أو « كان الجوى يحسى عليها المكوايا » .

يقول : إن سجع الحمام ، وتريد الطير يثير شجونه ، ويشاعف أوصابه ، ويحرق مهجته ؛ ولهذا ناداه في توسّع وتصرّح إليه أن يرق به ، فيكفّ عن دهره وتقريده .

(١٩) السَّمَمَات : جميع لمحّة (يفتح فسكون) : اسم مرة من لمح ، ولح إلى (من باب قطع) : إذا أبصره بنظر خفيف . وزلج النسيم والبرق : لمح من بعيد . ولحات البرق : لمحاته وانتلاحاته . والبرق : الضوء يلح في السماء على إثر انفجار كهربي في السحاب . و « باقه » : قسم سمعزف : أي استلطفك باقه . وشبره بكذا تخبيراً ، وأخبره به إخباراً : أنباء ، وأعلمه . وأخبر (بفتحين) : ما ينقل ، ويتحدث به . والمراد : انقل حتى إلى أخلائي سلامي . والأخلا : جمع خليل : وهو الصديق الثامس . وقد خفّفه الشاعر بحذف هزته ، ثم أضافه إلى ياء المتكلم ، فقال : « أخلاي » بدلا من « أخلائي » .

وَيَا عَذَبَاتِ الْبَانِ ! إِنْ كُنْتُ لِنَمَّا تَجِيلُ مَعِيَ شَوْقًا ، فَلَقَيْتِ دَاوِيَا (٢٠)
عَوَائِدُ شَوْقِ الْهَبْتِ لَأَعِجَ الْأَسَى وَرَدَّتْ أَمَانِي الضَّمِيرِ هَوَايَا (٢١)

== وروضة المقباس : جزيرة كبيرة ، يحيط بها نهر النيل ، شرق الجزيرة ، وغربي مصر القديمة ، تعرف بمقياس قديم ، يقيس مستوى الماء في النيل إذا ارتفع ، أو انخفض . وقد أكثر البارودي من التمسك بهذه الجزيرة في شعره ، وظلما حين إليها ، ونوّه بها ، ووصف حدائقها النضرة ، وجداولها الجارية ، وقصورها الفاخرة . ولو رأها اليوم لأنكرها ؛ فقد تغيرت معالمها ، وقلت قصورها ، وكثرت بها العمارات السكنية الكبيرة ، ودكاكين البدالين والنجارين وأرباب الحرف والصناعات ، وعلا فيها ضجيج الباعة الجوالين ، وازدهمت بالسكان ، وفقدت أكثر ما كان لها من المزايا والمحسن ، والمهوى ، والسكون ، والبهجة والرواء .

حمل البرق تيمته وسلامه إلى أغلاله بمصر . وفي البرق معنى للسرعة ، والاتساع ، والامتداد . وهو يشير المطر والغيث والخير الكثير .

(٢٠) المذنبات : الأغصان : جمع عذبة (هزئة قصبة) . والبان : شجر سبط القوام ، لين ، ورقه كورق الصفصاف . وتشبه به حسان النساء في اللين ، والورونة ، والاعتدال ، وسبوبة الجسم ، وجمال القد ، وحسن الطول . وأحدثه بآة . ولقاء الشيء تلقية : جملة يلقاه . ولقيت (بالبناء للجمل) ، وتشديد القاف المكسورة) : لاقيت ، وصادفت ، ووجدت . وذوي ذوي (من باب صدى) : مرض . ويراد بالداوي هنا : المرض الشديد . ويلاحظ أن المذنبات جمع مؤنث أضيف إلى البان ، وهو اسم جنس جمعي يؤنث ويذكر . ويعامل معاملة المفرد ، أو الجمع . وقد نادى الشاعر المذنبات ، ثم أعاد الضمير عليها ، أو حل البان مذكراً .

رأى الشاعر أخصان البان تجميل وهبتر ؛ فغاطبها قائلاً : « إن كنت تجميلين كما أميل ، بدائع الشوق والحنين إلى الأحياء ، فقد أصابك مثل ما أصابني من حرقه الوجد ، وهزة الذكرى ، وشغف الحنين . وقد تكون : « فلقيت دايوا » : جملة دعائية ؛ فهو يدعو على الأغصان بالمرض ، لغيره منها ؛ إذ تنافس في هزة الشوق والعصابة ، وتجميل الحزن والفرام . وقد أشرنا من قبل إلى صلة البان بحسان النساء .

(٢١) عوائل : جمع عائدة : اسم فاعل من عاد لكذا ، أو إليه (من باب قال) : أي صار إليه . أودع إليه ، وارثته بعد ما انصرف عنه . وعوائل الشوق : ما يتتاب الشوق ، ويعاوده ، ويتردد إليه ، وينقل عليه من نوبات الاشتياق ، وهباته ، وثوراته ، وهزاته . والمب النار الملهاة : أوقدها ، وأشعلها ، وأججها حتى صارت ذات لب : وهو ما يرتفع من النار المشتدة ، كأنه لسان . ولاصع : اسم فاعل من لصبه الحب والشوق ونحوهما (كن) : إذا برح به ، واشتد عليه ، واستحسرت في قلبه ، وآله ، وأحرقه . والأسى : الحزن (وفعله من باب صدى) . والأمانى : جميع الأمنية : وهي ما يتشأن الإنسان ، ويتوق إليه ، ويرغب فيه ، ويقدره ، ويجب أن يصير إليه . والضمير : ما تفسره في نفسك : أي تسره ، وتكتمه ، وتخفيه ، ويصعب الوقوف عليه . ويراد بالضمير هنا : القلب ، أو النفس . وهوان : ==

لَعَمْرُكَ ، مَا قَارَفْتُ رَبِّيَ عَنْ قَلِيٍّ وَلَا أَنَا وَدَعَبْتُ الْأَحْيَةَ سَالِيًا (٢٢)
وَلَكِنْ عَدَنِي عَنْ بِلَادِي وَجِيرَتِي عَوَادٍ أَبَتْ فِي الْبُعْدِ إِلَّا تَعَادِيَا (٢٣)
زَمَانٌ تَوَلَّى غَيْرَ أَعْقَابِ ذُكْرَةٍ تَسُوقُ إِلَى الْمَرْءِ الْحَلِيمِ التَّصَابِيَا (٢٤)

== جمع هائية : اسم فاعل من هذا الماضي أو العاثر (من باب عدا) : أي استمرَّح في مشيه ، وشغف في طيراته . وهذا : زلٌّ ، وسقط . وهفت : الريشة ، أو الصوفة في الهواء : هفتوا وهفتوا : ذهبوا . وهوا في الإبل : ضلواها . ورد الشيء كذا : ربحه . أو صيره . أو حوله من صفة إلى صفة . ومعنى الشعر الثاني : أن آماله ضلَّتْ ، وارتدت إلى سرعة محققة خائبة ، لم يتحقق له منها شيء . يقول : إنها أشواق لا تقفأ ثَمَّاه وتُساوره ؛ فتشغل في قلبه لواجب الآسى ، وترد إلى آماله محققة خائبة .

(٢٢) العمر (يفتح فسكون) : الحياة . ولمعرك : أسلوب قسم بحياة المخاطب ، يراد به تأكيد الكلام ، ودفع الشك والارتياب . والرَّبع (يفتح فسكون) : الدار . وحلة القوم . ومنزله . وقد بطلت الرِّبع مجازاً على القوم والمشيئة . والقتل (بكسر ففتح) : البغض والكراهية : مصدر قتله (كرباه ، ورضيه) : إذا أبغضه ، وكرهه ، وهجره . وودَّعه توديعاً : فارقه وباعه . والأحبة والأحباء : جمع الحبيب . وهو المحبوب ، أو المحبب (بصيغة اسم الفاعل) . وسالياً : اسم فاعل من سلاه ، وسلا عنه (من بابي عدا ، وسما) ، وسليه (كرضيه) : إذا نسبه ، وصبر على بعده ، وطابت نفسه بعد فراقه . يقول : إن فراقه لذيَّارة وقومه وأحبابه لم يكن عن قِلِّي ، أو سَلْوَانٍ ، وإنما كان عن إجبار واضطرار . والبيت الآتي يردِّد هذا المعنى ويؤكد كده .

(٢٣) عَدَاهُ عن الأمر عدواً ، وعدواً : صرَّفه عنه ، وشغله ، وألهاه . والموادى : الصوارف ، والموانع : جمع حادية : اسم فاعل منه . وعوادى الدهر : عواقبه ونوائبه وصروفه . والجيرة (بكسر الجيم) : الجيران : جمع جار . وهو من يجاورك في المسكن . والجار أيضاً : الحليف ، والناصر . وتعادى في الأمر تعادياً : أمِنَ فيه ، وبلغ الغاية . وفي الشعر الثاني تصوير لمنه الموادى وضراوتها وقسوتها .

في هذا البيت وإلى قبله : أنه لم يفارق بلاده ودياره وأحبابه وجيرانه عن قلٍّ (أو سلوان ، وإنما هي هوادٍ قاسية ، وصوارف عنيفة أهدته عنهم ، وحالت بينه وبينهم ؛ فلم يبق له في الأمر حيلة أو اختيار .

(٢٤) قول : أدبر وذَهَبَ . والأعقاب : جمع عقب (يوزن ككتيف) : وهو من كل شيء آخره . والذكرة (بضم فسكون) : الشيء يخطر بالقلب ، ويجرى على اللسان . وطلها الذكري (بكسر فسكون) . ويراد بأعقاب الذكورة : بقاياها التي ما زالت تساور القلب وتخامر . والحليم : صفة من الحليم (بكسر فسكون) : وهو الأناة ، والمقل ، والرزانة ، والصبر . وتصابى تصابياً : حنَّ ، ولاق ، وقولَّه ، واشتاق .

فَيَارَوْصَةَ الْعِمْقِيَّاسِ ! جَادَكِ سَلْسَلُ مِنْ النَّيْلِ يَدْعُو لِلْحَيْنِ السَّوَاوِيَا (٢٥)
وَلَا بَرِحَتْ تَغْشَاكِ لِلْفَجْرِ نَسْمَةٌ تَرُدُّ جَبِينِ النَّوْرِ أَزْهَرَ صَاحِبِيَا (٢٦)
بِلَادَ صَحِيحَتُ الْعَيْشِ فِيهَا مُنْعَمًا وَأَجْرِيْتُ أَفْرَاسَ الْبَطَالَةِ لِأَهِيَا (٢٧)

= يأتى على ما فات وذهب من زمان اجتماع الشمل ، ورغاء البال ، ورغادة العيش . ويقول : إن ذكريات ذلك الزمان لا تفتأ تخامره وتساوره ؛ فذهب بجملة وصبره ، وتثير أشجائه وأحزانه .

(٢٥) جاد الثيث القوم (من باب قال) : عَمَّ أرضهم ، وشملهم بخبره . وماء سَلْسَل (يوزن جعفر) : عذب ، صاف ، سلس ، سهّل ، سائغ . أو جرت في مته الربيع ، فصار وجهه كالسلسلة . وسَنَّ يَمِينُ " كخفَّ يَخِفُّ " حنيناً : صوت ، ماداً صوته ، كالترجيع ، أو كالدَى استخفَّ الطرب . والسَّوَاوِيَا : جمع الساقية ؛ وهى الناعورة ؛ أى دولا ب ذو دلاء أو نحوها ، يدور بفتح الماء ، أو تدبره الماشية ، فيخرج الماء من البئر أو النهر إلى الحقل . والنواخير صوت كأنه الحنين . ويدعو السَّوَاوِيَا إلى الحنين : أى يحركها ، ويدهرها .

يدعو لروضة المقياس ووطئه الحبيب بالسقيّا والخيّمص ، والبركة والنعاء .

(٢٦) لا برحت : لا زالت ؛ أى استمرت ودادت . والجملّة دهائية . والعداء لرؤسة المقياس والوطن العزيز . وغشي غشاها (كرضيه يرشاه) : أتاه ، وحلّ به . أو وأناه وغطّاه . والنسفة (يفتح فسكون) : الريح الطيفة ، الطيبة ، اللينة . المنعشة . والبلحين : ما فوق الصدغ عن يمين الجبهة ، أو شملها . وهما جببتان . والنور (يفتح فسكون) : أزهر الأبيض . وأحدته نورة . وجمعه أنوار (يوزن زهرة وأزهار) . وجبين النور : وجهه . والأزهر : كل لون أبيض نقّ صاف شرق مضى . وضاح : اسم فاعل من ضاح (من باب عدا ، وحا) : إذا بدا ، وظهر ، وبرز للشمس . ومثله ضحى (كرضى) . وهو تأكيد لبعض زخارة النور ، وحسنه ، وبياض لونه .

في البيت السابق دعا لوطئه بالسقيّا . وفى هذا البيت دعا بأن تتفاديه على الدوام نسبات الفجر ، فتفتح أزهاره ، وتتمشأ ألهه ، وتكسو الهجة والرواء .

(٢٧) صبه (من باب سلم) : رافقه ، وسأيره ، ولازمه . والعيش : الحياة والمعيشة . ونعمته تنبئاً : رغبته ترفياً ، ويستمر له أسباب الحياة الطيبة ، والعيش الرغيد ، والرزق الواسع ، ورغاء البال ، وحناءة الحال ؛ فهو منعمٌ (بصيغة اسم المفعول) . والأفراس : جمع فرس (يفتحين) : وهو واحد الخيل ، للذكر والأنثى . والبطالة (يتكلم الباء) : التبطّل ، والتبطّل ، والتفرّغ من العمل ، واتّباع اللهو والجمالة (وفعله كقتل) . والبطالة (يفتح الباء) : الحزل والمزلق والدعابة (وفعله كفرج) . ولاهياً : اسم فاعل من اللهو ؛ وهو كلّ ما يشغل الماقل ، ويصرفه عما يحبه ويمنيه . وكلّ عمل أو قول لا تقتضيه الحكمة ، ولا يحارها . ويمبر باللهو عن كل ما به استمتاع . ولها بالثمة (من باب عدا) : إذا لعب به ، وشغل به عَمَّ عدا . أو أروع به ، وتعلّق . ولدت المرأة إلى حديث صاحبها : إذا أنست به ، وأعجبها . وإجراء =

فَكَمْ لَدِّي أَذْرَسْتُ فِيهَا ، وَنِعْمَ
هِيَ الْوَطَنُ الْمَأْلُوفُ ، وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ
فَلَا حَبْدًا لِلدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَذْبَرَتْ
وَأَدَابُ تَرَسَّكْتُ وَرَائِيَا (٢٨)
بِمَنْزِلِهَا الْأَذْنَى وَإِنْ كَانَ نَائِيَا (٢٩)
وَأَنْ أَقْبَلْتُ يَوْمًا فَيَا حَبْدًا هِيَ (٣٠)

أولاس البطالة : كناية عن التقاعد فيها ، وطول الاستمتاع بها ، والإفراق في اليوم والجملة .
يذكر في مختصر وثائق ما كان له في روضة المقاييس ، ووطنه الحبيب من حياة لأمة وافقة ، وميش
وفيد سيد ، وانطلاق في مجال الشهو والبطالة ، وضروب المتع والملاذات . وفي بعض البيت الاتي تكرار
لهذا المعنى .

(٢٨) « كم » في أول البيت : خبرية ، تفيد التكثير . وتمييزا مجرورا ، وهو لذة ولعبة ؛ فهو
يحدث بكثرة النعم والذات التي كانت له في بلاده . وأدولة الشيء إبداعا ؛ خلقه ، وبلده ، وناله ، وظفر
به ، واحتازه . والنعمة (بكسر النون) : المنة ، والفضل ، والمسرة ، والحالة الحسنة التي يستلها
الإنسان ، وما أتم به عليك من رزق ومال وغيرهما . والنعمة (بفتح النون) : التمتع ، والرفاهة ،
وطيب العيش ، وحسنه ، وفضارته ، ووفده . وبناء الأول : بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان ،
وبناء الثانية : بناء اسم المرة من الفعل . وأصب الشيء إصابة ؛ أدرسته ، وحسنته ، وظفرت به .
والأدب : جميع الأدب ؛ وهو رياضة النفس بالتعليم والتجديب على ما ينبغي . والأدب أيضا ؛ الجليل
المتع من النظم والنثر .

يحدث بكثرة ما أذكره وأصابه ، وكان له في بلاده من نعم والملاذات ، ومتع وسرات ، وكثرة ما ألتجبه
من روائع الشعر والنثر .

(٢٩) « هي » : يريد روضة المقاييس ، وديار أهله وأحبابه ، والبلاد المصرية . وألف الإنسان
المأزول وغيره (من باب علم) : أفس به ، وأحبه ؛ فالإنسان ألف ، والمأزول . أنوف . وصب إليه
(كفتح) : رقة ، واشتاق إليه ، وتعلق به ، فهو صب . وهي صببة . والصبابة (بفتح الصاد) : رقة
الشوق ، وحرارة المحوى . والأدنى : الأقرب : اسم تفصيل من الدنو ؛ بمعنى القرب (والفعل كذا) . ويراد
بالمأزول الأدنى : الوطن القريب من القلب ، والذي يملأ المشاعر ، وتعلقن إليه النفس . والثاني : البعيد .
و النفس صببة . . . : تنجيل جار مجرى المثل ، مؤكداً لمعنى « الوطن المألوف » .

والبيت في معنى تعلق المرء بوطنه ، وحسينته إليه ، وقربه إلى قلبه ، وإن بعدت أندار ، وشطّ المزار .
(٣٠) « حبداً » و « لا حبداً » : أسلوبان : الأول المدح . والثاني اللطم ؛ فهما ك « نعم »
و « بنس » . ويراد بالدنيا : متعتها وسراتها . وفي مقدّمها أن يكون المرء مجتمع الشغل في وطنه ، فاعماً
بقربه ، مطمئناً فيه . وأدبر الشيء إدباراً ؛ ولّى ، وذهب . وضدّه الإقبال ؛ وهو التقدم . وأقبلت الدنيا
عليه : جاءت به بخيرها .

أقبلت الدنيا عليه ، فكان سعيداً في وطنه ، رضى البال ، مجتمع الشغل بأهله ، فاستأملت المدح ،
وحسن الثناء . ثم أدبرت عنه فشق ، وأبعد عن أهله ووطنه ، فلفسها ، وتبرّم بها .

نَشَدْتُ الْمُتَى عَوْدًا وَقَدْ كُنْتُ بَدَاةً مَطَّافٌ أَنَاسٍ يَنْشُدُونَ الْأَمَانِيَا (٣١)
لَمِ أَنَلْ مِنْهَا تَصَبِيبًا ، فَلَمُنِي أَرَى الْيَاسَ عَنْ بَعْضِ الْمُطَالِبِ كَالْمِيَا (٣٢)
وَمَادًا أَلِيَّ تَجْدِي عَلَى فَضَائِلِي إِذَا كُنَّ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَسَاوِيَا (٣٣)
فَلَا اخْفَضْ سَاقَ الْبَقْلِ إِنِ بَتَّ طَاوِيَا وَلَا انْهَلْ مَاءَ الْمُزْنِ إِنِ مِتَّ صَادِيَا (٣٤)

(٣١) نشدت الفاعلة ينشدها (من باب نصر) : طلبها ، وسأل عنها . والمضى : الأمانى والأمال .
الواحدة منية (بضم فسكون) . وعودًا : مصدر عاد (من باب قال) : إذا رجع ، وارتد . والمراد أنه
نشدها في آخر أمره بعد أن سادت حاله ، وانقلب أمره . وبداءة : أو بدء : أى في أول الأمر . والمراد
حينما كانت الدنيا مقبلة عليه ، حاضرة بين يديه ، منطاحة له . والمطاف : موضع الطواف ، اسم مكان
من طاف حوله ، وبه ، وعليه ، وفيه (من باب قال) : إذا حام حوله ، ودار .

يعرض الشاعر في هذا البيت شطرين متناقضين من تاريخ حياته ، فهو في أول أمره مغمود مصمود ،
تقصد إليه بالحوائج الرجال ، وتتملق بساحته ، وتطوف حوله الآمال . وفي آخر أمره أدبرت الدنيا عنه ،
فشق ، وسادت حاله ، ولقد حرته وزهته ، وجعل ينشد المتى ، ويتعلق بالآمال البعيدة الخال .

(٣٢) نال الشيء ناله نيلًا : أصابه ، وظفر به ، وأدركه ، وبلغه . ومبها : أى من المني المنشودة
المشار إليها في الشطر الأول من البيت السابق . والنصيب : الحظ من كل شيء . واليأس : انقطاع الأمل ،
وفقدان الرجاء . وكانيا : مغنياً : اسم فاعل من كفا الشيء (كرمه) كفاية (بكسر الفاء) : إذا حصل
به الاستغناء عن غيره . ويريد ببعض المطالب : الغليات ، أو الحاجات المشيوش منها .

لم ينل الشاعر شيئاً من آمانيه التي تملق بها ، وظل ينشدها ، ويلح في طلبها ، فارتاح اليأس ،
قاللاً : إنه قد يكفى اليأس ، ويريمه ، ويفنيه .

(٣٣) الاستفهام في أول البيت : معناه أئن ؟ ففضائله لا تنفقه ، ولا تجدى عليه . وأجدى الشيء
يجدى إجده : أغنى ونفع . وما يجدى عليك هذا : أى لا ينفعك ، ولا يفيدك . والفصائل : جميع الفصيلة :
وهي الدرجة الرفيعة في حسن الخلق . والفصائل : الأفضال ، والمزايا ، والحمد ، والחסن . وضدها
المساوى : وهي النقصان ، والمنايب ، والمثالب : جمع مساواة .

يفخر بفضائله وعظمته ، ويأسى لأنها لا تكاد تنفقه ، أو تشفع له لدى أعدائه الذين اشتدت
عداوتهم له ، حتى وأروا حسناته سيئات ، ومنابعه مناص وأفات .

(٣٤) ساق الشجرة : جذعها ، وما تقوم به : وهو الجزء الذي بين أصلها ورشمت فروعها
وأغصانها . والبقل : النبات المشجى الذي يتخذ في الإنسان . أو هو كل نبات اخضررت به الأرض .
وطاو : خسان جائع : اسم فاعل من طوى (من باب صدى) : أى جاع . وانهل المطر انهلًا :
انسكب ، وانصب بشدة . والمزنى : السحاب يحمل الماء : جمع مزنة (بضم فسكون) . والصادى :
المطشان الذي اشتد عطشه . والمصدر الصدى (بوزن الردى) . والفعل صدى يصدى (كرمى يرمى) .

رقم الإيداع

٢٠٠٥ / ١٤٥٠١

I.S.B.N. 977-01-9778-5



إن القراءة كانت ولا تزال وسوف تبقى، سيدة
مصادر المعرفة، ومبعث الإلهام والرؤية
الواضحة.. وعلى الرغم من ظهور مصادر
حديثة للمعرفة، ويرغم جاذبيتها ومناقشتها
القوية للقراءة، فإننى مؤمنة بأن الكلمة
المكتوبة تظل هى مفتاح التنمية البشرية،
والأسلوب الأمثل للتعلم، فهى وعاء القيم
وحافظة التراث، وحاملة المبادئ الكبرى
فى تاريخ الجنس البشرى كله.

سوزة باردة

